

هذه إيران .. وهذا مشروعها

(٣)

إيران

ثورة .. وانتصار

قراءة موضوعية لأسباب انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية

د. نور الدين أبو لحية

هذا الكتاب

هذا ليس كتابا في تاريخ الثورة الإيرانية، ولا في تفاصيل أحداثها، وإنما هو محاولة للتعرف على أسرار انتصارها، باعتبارها نموذجا مثاليا لم يحدث مثله في التاريخ.

وهو يستند في تحليلاته واستنباطاته بالدرجة الأولى لقادة الثورة أنفسهم، ذلك أنهم أولى من يتحدث عن الثورة، وهم أعرف بها من غيرهم، ومن الخطأ الكبير الذي وقع فيه بعض المؤرخين لهذه الثورة تجاوزهم لأولئك القادة، وتطبيقهم لتفكيرهم الرغبوي عليها.

وهو لذلك يهدف إلى القراءة الموضوعية والعميقة للثورة الإسلامية، ورد كل الشبه التي استهدفتها، واستعملت كل الوسائل لتشويهها، منذ انطلاقتها وإلى الآن.

وهو أيضا قراءة اعتبارية لهذه الثورة بناء على الرؤية القرآنية لسنن النصر في الثورات، عساها تصحح تلك الأخطاء الكثيرة التي وقعت فيها الثورات العربية، نتيجة عدم استفادتها من تلك العبر، وهو ما جعلها تنحرف عن مسارها، أو تنهزم هزيمة نكراء، أو تتحول إلى أداة من أدوات الحرب الناعمة لضرب الأمن والاستقرار.

إيران

ثورة وانتصار

قراءة موضوعية لأسباب انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

1440 ـ 2019

مؤسسة العرفان للثقافة الإسلامية



فهرس المحتويات

مقدمة الكتاب

يحاول هذا الكتاب التعرف على الأسباب الموضوعية لانتصـار الثورة الإسلامية الإيرانية، واستمرار ذلك الانتصار، بل تصاعده طيلة أربعة عقود على الرغم من كل أنواع الحروب العالمية التي شنت على إيران وثورتها الإسلامية، والتي شملت الحروب العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، بل حتى الدينية، حيث ترك الكثير ممن يزعمون لأنفسهم الوصاية على الدين كل مشاريعهم في تربية المجتمعات وتهذيبها، وتفرغوا لتشويه إيران وحربها.

وقد اهتممنا بالجانب الموضوعي الذي دلت عليه الوثائق التاريخية المنصفة والمحايدة، ودل عليه قبل ذلك تراث قادة الثورة الإسلامية ومؤسسيها، باعتبارها المصادر الأساسية التي تعرف بحقيقة الانتصار من الداخل، لا من الخارج، ذلك أن أهل مكة أدرى بشعابها.

وقد دعانا إلى هذا قسمان من الدوافع:

القسم الأول: مرتبط بما قدمته الثورة الإسلامية الإيرانية للمحيط الداخلي والخارجي من خدمات أثرت فيه بطرق مباشرة وغير مباشرة، ومن جملة هذه التأثيرات:

1. تأثيرها على العالم الإسلامي، وخصوصا القضية الفلسطينية، حيث أنها ظهرت في وقت خطير جدا، كانت الصهيونية فيه قد أعدت عدتها، مع حليفها الأكبر أمريكا للقيام بتطبيع شامل مع الدول العربية، يكون مقدمة بعدها ذلك لتطبيعها مع العالم الإسلامي.. لكن شاء الله أن يكون ذلك العنفوان الذي حصل للصهيونية في تلك الفترة ميلادا للانتصار الذي صار يهددها وجوديا.

2. تأثيرها على العالم، وعلى المتدينين فيه، وخصوصا المسلمين، حيث أنها ألغت تلك المقولة التي كان يرددها الشيوعيون حينها، والتي تنص على أن الدين أفيون الشعوب، حيث اكتشف العالم قدرة الدين ورجل الدين على أن يخلص

الناس من الاستبداد والقهر والظلم من غير أن يكسب لنفسه أي مكاسب، ولهذا، حصل ذلك الشرخ الكبير للاتحاد السوفيتي الذي كان يمثل الشيوعية حينها، والذي سرعان ما انهار بعده.

3. تأثيرها على الحركات الإسلامية بمختلف أشكالها، والتي دفعها ذلك الانتصار للانتشار والتمدد في المجتمعات الإسلامية، ولو أن الحظ حالفها، فتحالفت مع الثورة الإسلامية لكان وضعها الآن مختلفا، لكنها للأسف استجابت للمخططات الصهيونية والأمريكية، وبدل أن تستعين بانتصار الثورة، راحت إلى الخندق المواجه لها.

4. تأثيرها الداخلي على الإيرانيين الذي ذاقوا طعم النصر لأول مرة في تاريخهم الطويل؛ فلأول مرة تحكم إيران في ظل جمهورية إسلامية، للشعب فيها كامل حريته في تحقيق مطالبه وتنفيذها، وقد كان لذلك أثره الكبير في الانطلاقة الحضارية الجديدة، والتي لم يشهد الإيرانيون، ولا العالم الإسلامي نظيرا لها من قبل.

القسم الثاني: مرتبط بمحاولة الاستفادة من نجاح هذه الثورة في التعرف على أسباب الانتصار التي يمكن تعميمها للخروج من حالة الهزيمة التي عاشتها كل الثورات في العالم الإسلامي.

ذلك أن الثورة الإسلامية تعتبر من أحسن النماذج التاريخية لانتصار القيم العقدية على كل القيم المادية، فالإيرانيون استطاعوا بصبرهم على الحصار والحروب التي فرضت عليهم، أن يبرزوا مدى دور العقيدة في تحقيق الانتصار والصبر عليه، وتحقيق المنجزات في ظله.

وفوق ذلك تمكنوا من إعطاء نموذج للحكم الإسلامي، لا يوجد له نظير في جميع التاريخ الإسلامي، ولذلك يمكن اعتبار الثورة الإسلامية الإيرانية نموذجا تاريخيا مميزا لا نجد له نظيرا في التاريخ جميعا، الإسلامي وغير الإسلامي.

وفوق ذلك كله تلك الضمانات الكبرى التي استطاع قادة الثورة الإسلامية بمعونة شعبهم أن يكفلوها، وهي الحصانة التامة

من كل أنواع الحروب الصلبة والناعمة، ولذلك لم تستطع كل جحافل الأعداء المتربصين بهم أن تحرك ساكنا يؤثر فيهم.

وقد رأينا من خلال استقراء الأسباب التي قام عليها انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، أن نكتشف خمسة أسباب كبرى، يمكن اعتبارها أركانا أساسية لا يمكن أن تنجح أي ثورة من دونها، وهي:

1. **القيادة الرشيدة**: ذلك أن كل ثورة تحتاج إلى إمام يحركها، ويقوم بتوجيهها، ولا يمكن أن تنجح أي ثورة من دون قائد أو إمام، وقد حظيت الثورة الإسلامية الإيرانية بشخصيات فذة، جمعت كل صفات القيادة الحكيمة، وهي شخصية إماميها الخميني والخامنئي، اللذين بدأ أولهما مسيرة قيادة الثورة، وأكملها الثاني، بكل وفاء، وبنفس المبادئ والقيم.

2. **الطاقات البشرية**: ذلك أن الجماهير هي التي تمارس ـ تحت توجيهات قيادتها الرشيدة ـ كل الأساليب والوسائل، وتقدم كل التضحيات التي تساهم في انتصار الثورة، وبقدر تنوع تلك الطاقات، ونفوذها في المحال المختلفة، بقدر نجاح الثورة في تحقيق مطالبها، وفي أقصر مدة.

3. **المطالب الشرعية**: ذلك أن المطالب إن لم تكن معقولة، ولا واضحة، ولا في خدمة الثائرين، لن تحرك فيهم دوافع الثورة.

4. **الأساليب الحكيمة**: ذلك أنها إن لم تكن مضبوطة ودقيقة ومستوعبة لكل الاحتمالات، فستفشل الثورة لا محالة.

5. **الحفاظ على المكاسب**: ذلك أن الثورة قد تنتصر انتصارها المبدئي والجزئي، لكنها إن لم تكن تحمل مشروعا كاملا يضمن لها البقاء، فستنقطع بها السبل، ولا يتحقق لها الانتصار الحقيقي الكامل والشامل والمستمر.

بناء على هذه الأسباب قسمنا هذا الكتاب إلى خمسة فصول تناولنا في كل فصل تحليلا للسبب وأهميته، بناء على ما ورد في القرآن الكريم من ذكر أسباب النصر، ثم حاولنا تطبيقها على الواقع الإيراني إبان الثورة وبعدها.

بالإضافة إلى ذلك، وبناء على ما ذكرناه في القسم الثاني من الدوافع، فقد حاولنا أن نقارن بين الثورة الإسلامية الإيرانية وغيرها من الثورات في كل جانب من الجوانب، لنبين أسباب النصر والهزيمة، لأن الغاية من الكتاب كما ذكرنا تتجاوز التجربة الإيرانية، لتحاول تعميمها على سائر بلاد العالم الإسلامي، ليتخلص من كل أسباب الهزيمة، ويتحقق بكل أسباب النصر.

الفصل الأول

الثورة الإسلامية.. والقيادة الرشيدة

الركن الأكـبر من أركـان انتصـار الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، ومثلهـا انتصـار أي ثـورة، تـوفر القائـد الـذي يسـتطيع أن يحـرك الشعب، ولو تأملنا كل أسباب الهزيمة التي نزلت بجميـع الثـورات العربية، وخصوصا ما يطلق عليه [الربيـع العـربي] نجـد أنـه يمكن اجتماعها في افتقادها للقائد، حيث أنها تحولت إلى حركة عشوائية فوضـوية غـير مضـبوطة، ولـذلك سـهل اختراقهـا، وتحويلهـا عن مسارها الصحيح الذي يخـدم الشـعب والدولـة إلى المسـار الـذي يخدم أعداء كليهما.

وفهم سر ذلـك ليس صـعبا، ذلـك أن الشـعب يتقمص جميعـا شخصية القائد، بكل معانيها، ويتحول بذلك إلى قوة واحدة، يمكنها أن تحطم كل من يقف في طريقها، لكنها عند افتقاد القائد، يصبح لكل شخص قوته الخاصـة، والـتي قـد تتعـارض مـع سـائر القـوى، وبذلك تأكل الثورة بعضها بعضا، ويأكل الشعب بعضه بعضـا مثلمـا نرى في ليبيـا الـتي لا يـزال التنـاحر بين الثـوار أنفسـهم، لأنهم لم ينطلقوا من قيادة موحدة، وإنما من قيادات كثيرة، حصـل التنـازع بعدها على المكتسبات.

وقـد وردت الإشـارة القرآنيـة إلى هـذا المعـنى في مواضـع مختلفة، أولهـا، وأكثرهـا صـراحة مـا ورد في قصـة طـالوت؛ فهي تشـير إلى أن التخلص من الهزيمـة، لا يكفي فيـه تـوفر الجيـوش فقط، وإنما يحتاج أيضا إلى توفر القائد الحكيم الذي يعـرف كيـف يقـود الجيـوش للنصـر، قـال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: 246]

ووردت الإشـارة إلى ذلـك أيضـا في سـورة القصـص، وهي السورة التي وضح الله غرضها في أولهـا، فقـال: ﴿وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْـوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَـا مِنْهُمْ

مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)﴾ [القصص: 5 ـ 6]

ثم عقب عليها مباشرة بقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 7]

أي أن إرادة الله بالتمكين للمؤمنين في الأرض، وإخراجهم من طاغوت فرعون بدأ بولادة موسى عليه السلام، فهو القائد المخلص، وهو الذي كان يفتقده بنو إسرائيل، وبمجرد ولادته بدأ معه الترقي في سلم النصر.

ولم يكتف القرآن الكريم بذكر هذا الشرط فقط، وإنما أضاف إليه الشروط التي لا يمكن للقائد أن يؤدي دوره من دونها، ومنها قوله تعالى في قصة طالوت: ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ [البقرة: 247]

ومنها قوله حكاية عن يوسف عليه السلام، وسر اختياره قائدا ومخلصا لمصر من الأزمة التي تتعرض لها: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]

ومنها قوله عن موسى عليه السلام، ومواصفات القيادة فيه، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]

وبناء على هذه النصوص جميعا ـ سواء تلك التي تشترط توفر القيادة لأي حركة تغييرية، أو تلك التي تذكر صفات القائد ـ يمكن قراءة سر نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية؛ فقد كان للإمام الخميني الدور الكبير في نجاحها، وذلك لتوفر جميع صفات القيادة الحكيمة في شخصه، بالإضافة إلى ممارسته الصحيحة والحكيمة لدوره القيادي، وفي أحلك الظروف.

ومثله خليفته الإمام الخامنئي الذي تولى المهام الكبرى إبان حياة أستاذه الإمام الخميني، ثم واصل المسيرة بعده، ليضمن الانتصار النهائي للثورة الإسلامية على كل المؤامرات.

وقد رأينا من خلال استقراء ما ورد في المصادر المقدسة

من صفات القيادة الرشيدة، أنه يمكن اجتماعها في ست صفات:

1. المنبت الطيب للقائد، والذي يجعله ثقة لدى شعبه، ويخلصه من كل التهم التي قد تلحق به من المناوئين له، والتي قد تعتبره عميلا أو مندسا، ولهذا نرى في الكثير من الدساتير اشتراط الجنسية فيمن يتولى أي مسؤولية كبرى في البلاد، ولهذا نرى أيضا سر ذكر القرآن الكريم للمنبت الطيب للأنبياء المخلصين.

2. القدرة العلمية، بمختلف أنواعها، وذلك لأن القيادة تحتاج إلماما بمعارف مختلفة، تكون هادية للقائد لاختيار القرارات المناسبة، وفي الوقت المناسب، بالإضافة إلى أن المشروع الثوري لا يمكن أن يتأسس، ولا أن يؤتي نتاجه ما لم يكن قائما على أسس علمية عقلانية يكون لها دور في التوعية والتعبئة.

فلو لم يكن ليوسف عليه السلام علم التأويل، والعلم بكيفية الخروج من الأزمة الاقتصادية لمصر، لما استطاع أن يكون قائدا أو مخلصا لها في تلك الفترة.

3. القوة الأخلاقية والروحية، والتي تجعله محبوبا ومقبولا لدى شعبه، ذلك أن كل الشعوب تميل إلى القادة الروحيين أكثر من ميلها للقادة السياسيين، ولهذا وصف القادة في القرآن الكريم بالأمانة، وهي صفة تجمع جميع المعاني الروحية والأخلاقية.

4. قدرة القائد على البذل والتضحية، لأنها دليل صدقه وإخلاصه وبعده عن كل الأغراض الشخصية، وهذا يتجلى جليا فيما حصل للأنبياء والأئمة عليهم السلام من أنواع البلاء.

5 ــ القدرة التسييرية، والتي تقتضي التعرف على كيفية التعامل مع الشعب، والنواحي التي يمكن أن تؤثر فيه، وكيفية استدراجه لتحقيق المطالب الثورية بكل حكمة ولطف وتؤدة، وتقتضي كذلك التعرف على كيفية التعامل مع المناوئين للشعب، والذين تقوم الثورة ضدهم، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم عند ذكره لاختيار موسى عليه السلام ليوم الزينة، واجتماع الناس، ليرى الجميع آيات الله التي تؤيده، ويكون ذلك مقدمة لحراكه.

وأشـار إليـه عنـد ذكـره لطـالوت، ومـا فعلـه من اختبـارات لجنوده، حتي يـدخل المعركـة بـالجنود الـذين تتـوفر فيهم شـروط النصر.

6 ـ جاذبية القائد، وقدرته على إثارة الانتباه والاهتمام، وذلـك للصفات التي توفرت فيه، وقد أشار القرآن الكـريم إلى ذلـك في مواضع كثيرة منها ما قصه عن يوسف عليه السلام، وانجذاب أهل السجن له، ومثلهم الملك الذي قال عنـه: ﴿ائْتُـونِي بِـهِ أَسْتَخْلِصْـهُ لِنَفْسِي﴾ [يوسف: 54]

أولا ـ المنبت الطيب للقائد:

وهو من الشروط المهمة والضرورية، والتي أشار إليهـا وإلى أهميتهـا القـرآن الكـريم، كمـا في قولـه تعـالى عن مـريم عليهـا السلام، وأسرار اصطفائها: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًـا حَسَنًا﴾ [آل عمران: 37]

وسـر ذلـك يعـود إلى أن المخلص يحتـاج إلى سـيرة صـافية واضـحة تبعـد عنـه كـل الشـبهات، الـتي قـد يسـتغلها أعـداؤه، لا لتشويهه فقط، وإنما لتشويه الحـراك الـذي يقـوم بـه، وقـد أشـار القـرآن الكـريم إلى هـذا المعـنى عنـد ذكـره لخطـاب الأنبيـاء مـع أقوامهم، فقد قال الله تعالى ملقنا رسوله ﷺ: ﴿قُـلْ لَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَـدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُـرًا مِنْ قَبْلِـهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: 16]

وعند تطبيق هذا الشـرط على الإمـام الخميـني وعلى الكثـير من قادة الثورة الإسلامية الإيرانية، والـذين اختـارهم للقيـادة معـه وبعده، نجد هذا الشرط متوفرا، وفي أجمل وأكمل درجاته.

فالإمام الخميني سـليل أسـرة هاشـمية، انحـدرت من سـلالة الإمام موسى الكاظم، لذلك عُرف ولقِّب باسم [آية اللَّه روح اللَّه، الموسوي، الحسيني، المصطفوي، الخميني][1]

[1] () كتبت كتب كثيرة تؤرخ السيرة المفصلة للإمام الخميني، وقد رجعنا في هـذا المحـل إلى مقال بعنوان الإمام الخميني الهويـة الشخصـية، مجلـة بقيـة اللـه، السـنة 12، العـــــدد 141 ، وانظر: حديث الانطلاق، أنصاري، حميد، ص 12-13 .

وكان لنسب الأسـرة دوره في اهتماماتهـا العلميـة والثوريـة، فقد كان لجده السيد أحمد الهندي ـ بما لـه من مكانـة اجتماعيـة ـ دور في الثورة والتمرد على الاستعمار البريطاني في كشمير التي كـان مسـتقرا بهـا حينهـا، وكـانت خاضـعة للاسـتعمار البريطـاني؛ فاضطرت بريطانيـا لإبعـاده عن كشـمير في بدايـة القـرن التاسـع عشر، فاختار النجف لتكون مقره الجديد، فأقـام في النجـف مـدة من الزمن، إلى أن جاءت جماعة من بلدة خمين الإيرانية، والتقت به، وعرضت عليه أن يعـود معهم إلى بلـدة خمين، فوافـق السـيد على ذلك، وعاد معهم، وصاهرهم، وكان من ثمرة تلك المصـاهرة، أن ولد له مصطفى، والد الإمام الخميني.

ثم ما لبث والده مصطفى أن استشهد ولم تمضِ على ولادته ستّة أشهر، وذلك على أيـدي قطّـاع الطـرق المـدعومين من قِبَـل الحكومة آنـذاك، وذلـك عـام 1320 للهجـرة، وقـد قـامت بكفالتـه وتربيته بعد يتمه والدته المؤمنة السيّدة هاجر، التي تنتسب لأسرة اشتُهرت بالعلم والتقوى.

وهكذا اجتمـع للإمـام الخميـني في أول مراحـل حياتـه، العلم والتقوى مع الألم الذي سببته المظالم التي لحقت بأسرته، والــتي جعلته بعد ذلك يشن حملتـه الشـديدة على الاسـتكبار والاسـتعمار والظلم.

بعدها انصرف الإمـام الخميـني بكليتـه للعلم، فقـد درس في مدينة خمين حتى سن التاسـعة عشـر مقـدّمات العلـوم بمـا فيهـا اللغة العربية والمنطق والأصول والفقه، وفي عام 1921م التحـق بالحوزة العلمية في مدينة أراك، وبعد أن مكث فيهـا عامـاً، هـاجر إلى مدينة قم لمواصـلة الدراسـة في حوزتهـا، وهنـاك وفضـلاً عن مواصلة دراسـته على يـد فقهـاء ومجتهـدي عصـره، اهتم بدراسـة علم الرياضيات والهيئة والفلسفة.

ولـذلك كـانت سـيرته مملـوءة بالطهـارة والنقـاء، سـواء من جانبه الشخصي، الذي كان يطغي عليـه الدراسـة والبحث العلمي، أو من جانب أسرته التي جمعت بين العلم والثورة على الاستبداد.

وهكذا الأمر بالنسبة لخليفتـه الحـالي السـيد علي الخـامنئي،

والذي كان ينتمى هو الآخر لأسرة من السادة المشـهورين بـالعلم والتقـوى، فقـد كـان والـده آيـة اللـه الحـاج السـيّد جـواد، من المجتهـدين وعلمـاء مشـهد المحـترمين، وكـان من المبلِّغين المعروفين في مشهد، وكان جدّه آية الله السيّد حسـين الخـامنئيّ من علماء أذربيجان، ثمّ هاجر إلى النَّجـف، وأقـام هنـاك، واشـتغل بالتدريس والبحث، وكان ـ كما يذكر المؤرخون له ـ من أهل العلم والتقوى، وقضى عمره في الزهد والقناعة.

وهكذا كانت والدته كريمة حجَّة الإسلام السـيّد هاشـم نجـف آبادي من علماء مشهد المعروفين، وكانت امـرأة شـريفة عالمـة، وكان له دور كبير في تربية ابنها السيد علي، كما يذكر ذلك عنها.

وقد كـانت نشـأة السـيد علي الخـامنئي لا تختلـف عن نشـأة أستاذه الإمام الخميـني، فقـد جمـع بين طلب العلم مـع الظـروف المعيشية الصعبة التي جعلته يشعر بمرارة الاستكبار والظلم، وقد عبر عن ذلـك، فقـال: (لقـد قضـيت طفولـتي في عسـرة شـديدة خصوصًـا أنَّهـا كـانت مقارنـة لأيَّام الحـرب. وعلى الـرغم من أنَّ مشهد كانت خارجة عن حدود الحرب، وكان كلُّ شـيء فيهـا أكـثر وفورًا وأقلَّ سعرًا نسبة إلى سائر مدن البلاد، إلاّ أنَّ وضعنا المادّيَّ كان بحيث لم نكن نتمكّن من أكل خبز الحنطـة، وكنّـا عـادة نأكـل خبز الشعير، وأحيانًا خبز الشعير والحنطة معًا، ونادرًا ما كنّـا نأكـل خبز الحنطـة. إنّـني أتـذكّر بعض ليـالي طفولـتي حيث لم يكن في البيت شيء نأكله للعشاء، فكانت والدتي تأخذ النقود ـ الّتي كـانت جدتي تعطيها لي أو لأحد أخواني أو أخواتي أحيانًـا ــ وتشـتري بهـا الحليب أو الزبيب لنأكله مع الخبز. لقـد كـانت مسـاحة بيتنـا الّـذي ولدت وقضـيت حـوالي خمس سـنوات من عمـري فيـه بين (60 ـ 70 مترًا) في حيّ فقير بمشهد وفيه غرفة واحدة وسردابٌ مُظلم وضيّق.. وعندما كان يحلّ علينا ضيف. وبما أنَّ والـدي كـان عالمًـا ومرجعًا لشؤون الناس، فكـان دائم الضـيوف، كـان علينـا الـذهاب إلى السـرداب حتّى يـذهب الضـيف. وبعـد فـترة اشـترى بعض المريدين لوالدي قطعة أرض بجوارنا وألحقوها ببيتنا، فاتسّع البيت إلى ثلاث غـرف.. ولم يكن ملبسـنا أفضـل من ذلـك، فقـد كـانت والدتي تخيط لنا من ملابس والـدي القديمـة شـيئًا عجيبًـا وغريبًـا، كان لباسًا طويلًا يصل إلى أسفل الرُّكبة يحتوي على عدّة وصلات،

طبعًا يجب أن يقال إنَّ والدي لم يكن يغيّر ملابسه بهذه السـرعة، فعلى سبيل المثال بقي أحد ملابسه بلا تغيـير لمـدّة أربعين عامًـا)[1]

وهذه النشأة لكلا القائدين كان لها أثرها البـالغ في موقفهمـا من الاستكبار والظلم، ودعوتهما لنصرة المستضـعفين، وكـان لهـا دور كـذلك في ثقـة الشـعب الإيـراني فيهمـا ذلـك أن الأبطـال الحقيقيين هم الأبطال الذين يولدون من رحم الشعب ومعاناتـه، لا الذين ينظرون إليه من أبراجهم العاجية.

وكمـا أن مـرارة اليتم لم تصـرف الإمـام الخميـني عن طلب العلم، بل جعلته يقبل عليه بكليته، فهكذا حصـل لتلميـذه وخليفتـه السيد علي الخامنئيّ الذي التحق بالكتاتيب لتعلّم القـرآن الكـريم، وهو لما يتجاوز الخمس سنوات.

وبعد أن أكمل المرحلة الابتدائيّة، التحـق بالدراسـة المسـائيّة في المدرسة الحكوميّة وحصل على الشهادة المتوسّطة، ثمَّ أنهى دراسته الثانويَّة خلال سنتين، وحصل على الشهادة الثانويَّة.

وقد حدّث عن مدى الاهتمام الذي كانت توليـه أسـرته لطلب العلم، على الرغم من ظروفها الصـعبة، فقـال: (لقـد كـان والـدي العامل الرئيسـيّ في انتخـابي طريـق العلم الـنيّر والعلمـاء. ولقـد شـوّقني ورغّبـني بـذلك.. فعنـدما شـرعت بالـدروس الدينيَّة، كـان الفارق في العمر بيني وبين والدي شاسعًا، إضـافة إلى ذلـك فقـد كانت لوالدي مكانة علميَّة بارزة، وكانت لديه إجازة اجتهاد، وتخرّج على يديه الكثير من طلبة العلوم الدينيَّة في مستويات عاليـة، لـذا لم يكن من المناسب وهو في هذه المكانـة العظيمـة أن يدرّسـني وأنـا في المرحلـة الأولى من دراسـتي، ولم تكن لديـه الرغبـة ولا الصبر على ذلك. لكن نظرًا لاهتمامه بتربيتنـا، فقـد درّسـني وأخي الأكبر ومن بعدنا درّس أخانا الأصغر، فحقّه عظيم علينا في مجـال التدريس والتربية وخصوصًا عليّ، لأنّه لو لم يكن موجودًا لما وُفِّقنا في تحصيل الفقه والأصول، وقبل ذهـابي إلى قمّ، حضـرت. علاوة على دراستي عند والدي. الدروس العامّة في مشهد. وفي العطلة

---

[1] () الإمام الخامنئي دام ظله القائد المرجع (ص: 13)

الصيفيَّة كان والدي يضع لنا برنامجًا دراسيًّا ويباشر تدريسنا، ولهذا السبب لم يحصل توقُّف في دراستي خلافًا للّذين كانوا يدرسون في الحوزات العامّة والّتي كانت تعطّل في شهري محرّم وصفر وشهر رمضان المبارك وفي العطلة الصيفيَّة. فأنهيت دروس السطوح جميعها، وشرعت بالبحث الخارج وأنا في السادسة عشر من عمري.. إنّ لدعم والدي النصيب الأوفر في تقدّمي الدراسيّ، فبلغت فترة دراستي منذ اللحظة الأولى في طلبي العلم حتّى شروعي بحث الخارج خمس سنوات ونصفا، أي أنَّني أنهيت السطوح في خمس سنوات ونصف)[1]

وهكذا كان لوالدته الدور الكبير في تربيته وتعليمه، وإتقانه للغة العربية، وقد أشاد بها كثيرا في مذكراته [إنّ مع الصبر نصرا]، فقد قال عنها: (الوالدة نجفية المولد، عربيّة اللهجة، كانت تتكلم في صباها باللهجة العربية النجفية، عارفة بالقرآن، تحسن القراءة بصوت رائع. وفي أواخر حياتها بُحَّ صوتها، فكنت أذكّرها بصوتها الحَسَن. كانت تواظب على قراءة القرآن الكريم كلَّ يوم في مصحف مُهدى لها من والدها. وكانت طريقتها في القراءة تجتذبنا ونحن صغار، فنلتف حولها، ونصغي إلى تلاوتها. وهي كانت تغتنم الفرصة فتترجم لنا معاني بعض الآيات إلى الفارسية، وتحكي لنا قصص الأنبياء. شغفها بحياة موسى (عليه السلام) كان يدفعها لأن تقصَّ علينا حياة هذا النبي العظيم بكل تفاصيلها، وتتكلم عن موسى بإعجاب يثير فينا لهفة لاستماع أخباره)[2]

وقد كان لذلك كله أثره الكبير في تكوينه إذ مكنه من الاطلاع على الكثير من الكتب باللغة العربية والفارسية وغيرها، كما ذكرنا اهتمامه الكبير بالمطالعة في الجزء السابق من هذه السلسلة.

ثانيا ـ الصفات العلمية للقائد:

وهي من الصفات الأساسية الكبرى التي لا يمكن لأي ثورة ناجحة أن تتحقق من دونها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا

[1] () المرجع السابق، ص15، وانظر حديث القائد عن ذكرياته في هذا المجال في خطاب للشباب المجاهدين، ثماني مواعظ لطيفة في السلوك المعنوي، الإمام الخامنئي (ص: 28)

[2] () إنّ مع الصبر نصرا، مذكرات الإمام الخامنئي العربية..

الشرط في مواضع كثيرة، مبينا أنه لا يمكن أن يقود الناس جاهل.

ومن الأمثلة على ذلك نموذج ذي القرنين الذي ذكره القــرآن الكريم باعتباره مثالا للقائد الصالح، وقـد ذكـر أنــه لم يكن ليخـرج بعض الأقوام الذين مر بهم من الذلة والضياع لولا العلم الذي آتـاه الله، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَـا قَوْمًـا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (93) قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَـأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَـكَ خَرْجًـا عَلَى أَنْ تَجْعَـلَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًـا (95) آتُـونِي زُبَـرَ الْحَدِيـدِ حَتَّى إِذَا سَـاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُـوا حَتَّى إِذَا جَعَلَـهُ نَـارًا قَـالَ آتُـونِي أُفْـرِغْ عَلَيْـهِ قِطْرًا (96) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًـا (97) ﴾ [الكهف: 93 ـ 97]

ومثله يوسف عليـه السـلام، الـذي كـان علمـه بكيفيـة حفـظ الـزرع من الفسـاد، ومـا أوتيـه من علـوم التأويـل دور في تخليص المصريين ومن جاورهم من المجاعة التي كانت تنتظرهم.

ومن خلال تأمـل مـا ورد في القــرآن الكــريم حــول العلــوم المرتبطــة بهــذا الجــانب، نجــد نــوعين من العلــوم يحتــاج القائــد لتعلمها، بل لا يمكن أن يمارس دوره من دونها:

أولها ـ العلوم المرتبطة بالعقائد والفلسفات والأفكار، والتي تمثل الجانب الفكري للشخصية القيادية.

الثاني: العلوم المرتبطة بالحياة وتجاربها المختلفة، والواقـع والأقطاب المتحكمة فيه، والمجتمع والبنيـة المشـكلة لـه، وغيرهـا من العلوم التي تجعله ينظر للواقع نظرة صـحيحة بعيـدة عن كـل أشكال الهوى والتفكير الرغبوي.

وهذه جميعـا نجـدها مجتمعـة لـدى الإمـام الخميـني وخليفتـه الإمـام الخـامنئي؛ فكلاهمـا نـال حظـه من هـذه المعـارف، كمـا سنشرح بعض ذلك من خلال العنوانين التاليين:

1 ـ العلوم المرتبطة بالفلسفات والأفكار:

من أهم الميزات التي طبعت الثورة الإسلامية في إيـران أن

جميـع قادتهـا ابتـداء من الإمـام الخميـني، وغـيره من القـادة السياسيين والفكريين كان لهم اهتمام شـديد بالفلسـفة، والعلـوم العقليـة، والـتي أعطتهم القـدرة على التحليـل الجيـد للأوضـاع المختلفة، وكيفية التعامل معها.

ولذلك كانت مناهج دراستهم تختلف كثيرا عن تلك المنتشـرة في العالم الإسلامي سواء في البيئة السـنية أو الشـيعية، ذلـك أن الغـالب على المـدارس الدينيـة حفـظ الفـروع الفقهيـة، وتلقين الأصـول الدينيـة، دون الغـوص في العلـوم العقليـة، سـواء تلـك المرتبطة بالدين أو بالفلسفة عموما، وسـنرى بعض النمـاذج على ذلك في الفصـول التاليـة عنـد بيـان قـدرة الثـورة الإسـلامية على استقطاب الفلاسـفة والمفكـرين، وغـيرهم، وقـدرتها على صـياغة خطابها بلغة عقلانية مقبولة من الجميع، حتى من غير المتدينين.

ونكتفي هنـا بـذكر مـدى اهتمـام القائـدين الكبـيرين للثـورة الإسلامية بهذه الجوانب..

أما الإمام الخميني، فتشهد له كـل كتبـه ومحاضـراته وخطبـه بالباع الطويل في الفلسفة وعلم الكلام والعرفان، وجميـع العلـوم العقلية، ولذلك كان يستعمل تلـك التحليلات واللغـة المرتبطـة بهـا في خطاباتـه جميعـا، حـتى الخطابـات الشـعبية، مـع تبسـيطها وتيسيرها ليفهمها عامة الناس وخاصتهم.

ولذلك دور كبير في ثقـة الأمـة بقائـدها، ذلـك أنـه كلمـا كـان مستواه العلمي والفكري رفيعا، وكلمـا كـانت خطبـه راقيـة، كلمـا كانت الثقة به أعظم، لأن الشعب يشعر حينها أنـه بين أيـد أمينـة، لها من العلم ما ينقذها من كل تهور.

ومن خلال الاطلاع على مـا كتبـه الإمـام الخميـني في هـذه الجوانب، نجده فيلسوفا ومفكرا رائدا، بل صاحب مدرسـة فكريـة راقية، وليس مجرد شـخص مقلـد أو حافـظ مثلمـا هـو الحـال في الكثير من أساتذة الفلسفة في الدول العربية، والذين اقتنعـوا من الفلسـفة بتبـني أحـد مدارسـها والـدفاع عنهـا دون أن تكـون لهم بصمات واضحة في مجال اختصاصهم.

وقد كان لإتقانه للعلوم العقليـة آثارهـا في مرحلـة أسـتاذيته،

حيث وفرت له الكثير من التلاميذ الكبار الـذين لم يكونـوا يجـدون عند غيره ما يجدون عنده من العلوم، وقد كان أولئـك التلاميـذ هم القـادة الفكريـون الـذين كـان لهم دور كبـير في نجـاح الثـورة الإسلامية.

وفي نفس الـوقت كـان لـذلك آثـاره السـلبية في الـذين يخالفون أمثـال تلـك العلـوم، كمـا ذكـر الإمـام الخميـني ذلـك عن نفسه، فقال: (في مدرسة الفيضية تناول ابـني الصـغير المرحـوم مصطفى وعاءً وشرب منه الماء، فقام أحدهم وطهَّر الوعاء لأنـني كنتُ أُدرِّس الفلسفة، فقد كـانت دراسـة الفلسـفة والعرفـان تُعَـدّ ذنبًا وشِرْكًا)[1]

وأشار إليه في موضع آخر عند رده على ذلـك الصـراع الـذي استشـــرى فـــترة طويلـــة في التـــاريخ الإســـلامي بين الفقهـــاء والفلاسفة، فقال: (لا ينبغي لهذه الفئة أن تتعرض لتلـك، ولا لتلـك الفئة أن تتعرض لهذه، فكل فئـة من هـؤلاء تتبنّى قضـية مسـتقلة ومسألة محدودة لحالهـا. عقلـك أنت لا يسـتوعب مـا هـو (الفقـه) مثلًا، فلمـاذا تعتـدي على الفقـه؟ عقلـك لا يسـتوعب مـا هي (الفلسفة) وما فوق الفلسفة، لماذا تتجاسر على أصـحابها؟ فـأنت الذي لا تستطيع أن تستوعب. فـإن من لا يسـتطيع فهم مـا تقولـه تلك الطائفة أو الفئة، وما تتوخّاه لا يحقّ لهُ الاعتراض عليهـا، فقـد يكون فكره هو محدوداً!) [2]

ثم بين المنهج الأمثـــل في التعامـــل مـــع كلا الصـــنفين من العلوم، فقال: (على الجميـع أن يتكـاتفوا فيمـا بينهم، ويتعاضـدوا، يجب أن يتوحّدوا فقيهاً ومهندساً وطبيبـاً وطلابـاً وجـامعيين وطلبـة مدارس، على الجميع أن يتآزروا، حتى يتمكّنوا من القيام بعمل ما، ليتخلّصوا من هذه الأعباء)[3]

[1] () انظر: الإمام الخميني، بيان صادر في الخـامس عشـر من رجب لعـام 1409هــ ق.، نقلا عن: عبد الجبار الرفاعي، مبادئ الفلسفة الإسلامية، ط1، دار الهادي، بيروت، 2001م.، ج1، ص97..

[2] () صحيفة الإمام، ج3، ص: 219.

[3] () المرجع السابق، ج3، ص: 219.

ومما يدل على مدى اهتمام الإمام الخميني بكلا النـوعين من العلوم الشرعية والعقلية تلك الإجابة البديهية السريعة على سؤال من بعض الصحفيين عن أهم الشخصيات والكتب التي تأثر بهـا مـا عـدا المصـادر المقدسـة، فقـال: (لا أسـتطيع أن أجيب عن هـذا السؤال الآن، فهو يحتاج إلى الكثـير من التأمـل.. لـدينا الكثـير من الكتب، فربما أسـتطيع أن أقـول في الفلسـفة: الملا صـدرا، ومن كتب الأخبار والمعلومات: الكافي، ومن الفقـه: الجـواهر، فعلومنـا الإسلامية غنية جداً، ولدينا الكثير من الكتب. ولا نستطيع إحصـاءها لكم)[1]

وهكـذا اسـتطاع الإمـام الخميـني بفضـل مزجـه بين العلـوم المختلفة، العقلية والنقلية أن يضم إليه كل أصناف النـاس، سـواء من مال منهم إلى الفقه وعلـوم الفـروع، أو من مـال إلى العلـوم العقلية بمختلف أصنافها، كما عبر عن ذلـك بعض تلاميـذه، فقـال: (أول صفة جديرة بالاهتمام يمتـاز بهـا الإمـام هي درجتـه العلميـة، فإن الكثير من مجتهدينا وفقهائنا قد تخصصـوا في فـرع واحـد من فــروع العلــوم الإســلامية، فمنهم من تخصــص بالفقــه، والآخــر بالأصول، وآخر بالفلسفة. ومن النادر أن يوجد مجتهد له اختصاص عام بجميع موارد الفقه، وفي الوقت نفسـه لـه اختصـاص مماثـل في علم الأصول، أو أن مجتهداً في علم الأصـول بالدرجـة الأولى، قد اجتهد أيضاً بعلم الفقه وبالفلسفة، وقد يكون فيلسـوفاً وفقيهـاً في آن واحد، وأمثال هـؤلاء من القلـة النـادرة. وفي هـذا الوسـط النادر نجد أن الإمام قد تجاوز الحد الطـبيعي في مختلـف العلـوم، فهو ـ بـاعتراف الكثـير من الأفاضـل، والعلمـاء، وذوي الخـبرة في الأصول والفلسفة وفي سائر المعارف الإسلامية ـ ليس لـه نظـير بين المراجع وعلماء الإسلام، ليس في تاريخنا المعاصـر فحسـب، بل وعلى مـر التـاريخ، إذ قلمـا نجـد بين الفقهـاء والمجتهـدين في ذلك العصر من نبغ منهم في كل العلوم والمعارف الإسلامية (عدا من كــان لديــه مجــرد الاطلاع على بعضــها)، فعلاوة على الاطلاع الكافي، فإن الإمام كان يمتلك التخصص في ذلك)[2]

---

[1] () المرجع السابق، ج5، ص: 187.

[2] () انظر: شهادة سماحة السيد حميد، الإمـام قـدوة في الـوعي والعلم والسياسـة، من

وهكذا الأمر بالنسبة للإمام الخامنئي، فقد كـان من المهتمين بالفلسفة والعلوم العقلية، والبارعين فيها، وخطاباتـه كلهـا ممتلئـة بالدعوة للتأمل العقلي في القضايا المطروحـة، ومن الأمثلـة على ذلك قوله في بعض خطاباته: (إن الفلسفة لنا، ومهـدها هـو بلـدنا. وما هو موجود في بلدنا تحت عنوان الفلسفة هو أقرب بكثـير إلى الفلسـفة ممـا هـو موجـود في الغـرب الـذي ملأ ضـجيجه الآفـاق. حسنا، فليفعلوا ما يريدون. وحوزاتنا هي مركـز الفلسـفة، والـذين يتخرجون منها أساتذة كبار. وفي الجامعات أيضا فقـد ترسّـخ هـذا الأمر بحمد اللـه. لهـذا يجب العمـل في مجـال إنتـاج الفكـر الـذي ينبعث من الرؤية الفلسفية)[1]

وهـو مثـل أسـتاذه الإمـام الخميـني يـدعو إلى الخـروج من التقليد في الفلسفة، إلى الإبـداع فيهـا، والإبـداع في كـل العلـوم، يقول في بعض خطاباته مشيرا إلى ذلك: (لـو تمّ إعمـال الاجتهـاد وفق المنهج الصحيح المبني على الكتاب والسنّة، وبتلك المنهجيـة المنطقية المعقولة السليمة المدقّقة الناضجة فهو أمـرٌ ممتـاز. إن الاجتهـادات، ولـو اسـتتبعت نتـائج مختلفـة، تـؤدّي إلى الارتقـاء والتقدّم. مجتهدونا وفقهاؤنا عبر تـاريخ فقهنـا، قـدّموا آراء متباينـة في المسائل المختلفة. فالتلميذ ينقض آراء أستاذه، ويـأتي تلميـذه لينقض عليـه، فلا إشـكال في ذلـك، فهـذا مـا يـؤدي إلى الارتقـاء والتطور، ويجب تقوية هذا الاجتهاد في الحوزة. والاجتهاد لا يختص بالفقه، ففي العلوم العقلية وفي الفلسفة والكلام، اجتهاد أصحاب هذه الفنون ضروريٌّ، ولو لم يكن هـذا الاجتهـاد لأصـبحنا مسـتنقعاً راكداً)[2]

وقـد شـهد لـه بالبراعـة في هـذا الجـوانب خطبـه الكثـيرة المملـوءة بـالتحليلات العقليـة العميقـة، وشـهد لـه بهـا كـذلك من عرفوه من الباحثين والمفكـرين، ومن الأمثلـة على ذلـك مـا قالـه الـدكتور محمـد علي آذرشـب عنـد ذكـره لذكرياتـه مـع الإمـام

كتاب الإمام الخميني قدوة، ص 63..

[1]() خطابات الخامنئي 2010 (ص: 317).

[2]() المرجع السابق، (ص: 402)

الخامنئي، وصحبته له، فقد قال عنه: (السّيد الإمام الخامنئي يجمع بين الفقاهـة وبين الأدب فهـو أولاً فقيـه، وثانيـاً أديب من الدرجـة الأولى ولذلك ففقاهته وأدبه يتغلّبان أو يدفعان الإنسـان دفعـاً إلى أن يكـون متعمّقـاً في اللّغـة العربيّـة والأدب العـربي. إضـافة إلى ذلك، الإمام الخامنئي يمتاز بشيءٍ آخر وهـو الـذّوق الأدبي. الـذّوق الأدبي هو أمـر مغـاير لمسـألة التعـرّف على الأدب العـربي وعلى اللغّة العربيّة. الأدباء الإيرانيّون والشعراء الإيرانيّون يعرفون السّيد الخامنئي باعتباره ناقداً عظيماً للأدب الفارسي، يعني حينما يجلس في جلساتهم يتناول الأدب الفارسي تناولاً ذوقيّاً نقـديّاً ويـدخل في أعماق التّجربة الشعوريّة للشاعر والأديب وهذه مسألة مهمّة على الصعيد النقدي. وكذلك هذا الناقد الكبير حينما يدخل إلى أدب آخر يتذوّقه بهذا الشكل؛ حينمـا يتنـاول السّـيد الإمـام الخـامنئي الأدب العـربي يـدخل أيضـاً في التجربـة الشـعورية للشـعر ويتـذّوق هـذا الشـعر، يعـني حينمـا ينشـد الشـعر العـربي أحيانـاً لا يسـتطيع أن يجلس ويقوم ويتحرك مما يدلّ على تفاعله الشديد مع الأدب. من هنا فإن فقاهته وأدبه وذوقه النقـدي كـانت تدفعـه إلى عقـد هـذه الجلسـات الأدبيّـة الأسـبوعيّة ليتنـاول فيهـا مجمـل قضـايا الأدب العربي و اللّغة العربيّة وأيضاً قضايا العـالم العـربي ويتحـدّث فيهـا باللّغة العربيّة)[1]

وعند عرض هذه المواقف الدالة على الاهتمام بجميع العلـوم العقلية وغيرها، وربطها بالعلوم الشرعية، يتبين لنـا الفـرق الكبـير بين الحركات الإسلامية والثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، ذلـك أن كـل الحركات لم تول تلك العلوم العقلية أي اهتمام، بل إنها احتقرتهـا، وبعضها ذهب إلى حد تكفير المشتغلين بها، بسبب تأثره بالمدرسة الوهابية.

2 ـ العلوم المرتبطة بالحياة والمجتمعات:

وهي من أهم العلـوم الـتي يحتاجهـا القائـد حـتى لا يكـرر التجارب الخاطئة التي وقع فيها غيره، ولـذلك نـرى اهتمامـا كبـيرا من قادة الثورة الإسلامية بتفاصيل مـا يجـري في الواقـع بجوانبـه

[1] انظـر مقـالا بعنـوان: هـذا الكتـاب سيُطلع العـرب على السّـبب الـذي أهّـل الإمـام الخامنئي ليكون قائدا، د. محمد على آذرشب معدّ كتاب [إنّ مع الصبر نصرا]

المختلفة، كما سنرى ذلك بتفصيل في سائر الفصول.

وقد أشار الإمام الخميني إلى ضرورة هذه العلوم، وذلك عند ذكره لصفات وخصائص المجتهد الجامع للشرائط، حيث قال: (يجب أن يكون المجتهد محيطاً بأمور زمانه، وليس مقبولاً للناس والشباب وحتى العوام أن يقول مرجعهم ومجتهدهم: أنا لا أعطي رأياً في المسائل السياسية.. إن معرفة طريقة مواجهة حيل وتزويرات الثقافة المسيطرة على العالم، وامتلاك البصيرة والرؤية الاقتصادية، والاطلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد المتحكم بالعالم، ومعرفة السياسات وحتى السياسيين، وتعليماتهم التي يملونها، وإدراك ظروف ونقاط القوة والضعف في قطبي الرأسمالية والشيوعية التي ترسم في الحقيقة استراتيجية السلطة في العالم، كل أولئك من خصائص المجتهد الجامع للشرائط.. يجب أن يتحلى المجتهد بالبراعة والذكاء والفراسة لقيادة المجتمع الإسلامي الكبير، وحتى غير الإسلامي)[1]

وعندما نطالع خطب الإمام الخميني والحوارات التي أجريت معه نرى ذلك العمق في فهم الواقع بجوانبه المختلفة، ومن الأمثلة على ذلك ما قاله في الرد على بعض الصحفيين عندما سأله قائلا: (إن سعر النفط الإيراني متدن كثيراً مقارنة بدول الأوبك. هل تعتقدون بأن سعر النفط الإيراني معقول مقارنة بالسلع الرأسمالية المستوردة من الغرب، أم تفكرون بإجراء تعديلات عليه؟)

فأجابه الإمام الخميني ببداهة: (إن الطبقة الرأسمالية الغربية، وبدافع الحصول على أكبر حجم من الأرباح وكذلك امتصاص الأزمات الاقتصادية، تسرف في استهلاك النفط إلى حد كبير دون أن تفكر بتبعات ذلك على مستقبل العالم إذا نضبت هذه المادة الحيوية.. وإن هذه الأزمة سوف تؤدي إلى فقدان الدول المنتجة للنفط قدرتها الشرائية بعد أن ينضب احتياطي النفط، كذلك ستضطر الدول الأخرى إلى دفع مبالغ باهضة من أجل الطاقة.. لذا فإن قضية النفط، لا تقتصر على الأسعار فقط التي

[1] () المنطلق الإمام الخميني الفكر والثورة (ص: 12)

ليست عادلة حالياً.. القضية هي أن للنفط دوره المرجو والمدروس في اقتصاد الدول، والأحرى بالدول الغنية بالنفط أن تكرس جهودها لأحداث تنمية حقيقية في اقتصاداتها وليس نمواً كاذباً، ونحن سوف ننظم سياستنا النفطية على هذا الأساس، وفي هذه الحالة سنعمل على قدم المساواة وبصورة عادلة بالنسبة إلى أسعار النفط ومشتقاته، وأسعار السلع التي نشتريها)[1]

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، وهي جميعا تدل على مدى استيعاب الإمام الخميني للواقع الدولي والمحلي، كما شهد له بذلك السيد علي الخامنئي حيث قال: (لقد كان يعرف إيران جيداً: فمن جهة كان يدرك موقعها الجغرافي الحساس والمصيري، ويعي جغرافيتها السياسية ومواردها الطبيعية والإنسانية، ويحيط بتطلعاتها وأهدافها وآمالها الكبيرة، ومن جهة أخرى كان محيطاً بتاريخها على مدى المئة والخمسين عاماً الأخيرة الزاخر بالمحن، وأبعاد هيمنة الأجانب ونهبهم لثرواتها، وخيانة وفساد واستبداد الأسرة البهلوية وآلاف الأسر المرتبطة بها، وما فُرض عليها من فقر وتخلف علمي وصناعي وأخلاقي و.. وأهم من ذلك كلّه إدراكه لروحية شعبها العظيم والأصيل والرشيد والمؤمن، كما أنه كان على اطلاع بأوضاع العالم والشعوب المستعمرة والدول المستكبرة والجيل الشاب التائه الحيران والمتعطش للحقيقة، ولا سيما الأوضاع المؤسفة للدول والأمة الإسلامية. وكان يتألم لكل ذلك. وكانت القضية الفلسطينية ومعاناتها المؤلمة تعتصر قلبه الكبير)[2]

وهكذا نجد الإمام الخامنئي يهتم بكل ما يرتبط بالجوانب المختلفة من الحياة، ويتحدث فيها حديث العالم الخبير، كما سنرى ذلك في الفصول التالية، وهو لا يكتفي بنفسه، بل إنه يدعو في خطاباته الموجهة للمسؤولين والطبقة المثقفة في المجتمع إلى التعرف على كل الأفكار والاتجاهات والمذاهب ودراسة التاريخ والواقع دراسة علمية، حتى تقام كل المشاريع على أسسها.

---

[1] () صحيفة الإمام، ج4، ص: 367.

[2] () وذلك في تقديمه لصحيفة الإمام، ج1، ص: 11.

ومن الأمثلة على ذلك ما جـاء في خطـاب لـه حـول المـرأة، يبين فيه الفرق بين الحقـوق الـتي أعطاهـا إياهـا الإسـلام مقارنـة بالحقوق التي توهم الغرب أنـه أعطاهـا لهـا، حيث قـال: (بـالطبع، هذا لا يعني أن نظنّ بأنّ الغربيين متقدّمون علينا في هذا المجـال؛ أبداً.. لدى هذا العبد إحصاءات كثيرة عن ذلك؛ وباليقين إنّ الوضـع الداخلي للأسرة الغربية من ناحية مظلوميـة المـرأة وعـدم رعايـة حقوقها هو أسوأ من وضع الأسـر الإسـلامية والإيرانيـة والشـرقية، ومـا لم تكن أسـوأ، فهي ليسـت أفضـل؛ وفي بعض المـوارد هي أسوأ.. نحن إذاً لا ننظر إليهم وهم ليسوا قدوتنا)[1]

والإمام الخامنئي لا يكتفي في خطاباته بالدعوة للاهتمام بهذا النـوع من العلـوم، وإنمـا يـدعو كـل حين إلى الإبـداع فيهـا، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره في خطاب لـه مـع بعض المثقفين قـال فيه: (هناك مسألة بيّنتها هذه السيّدة المحترمة بما يتعلّـق بـالعلوم الإنسانية وهي صحيحة تمامـاً. أولاً، هـذا المطلب الـذي ذُكـر كـان مدروسـاً بدقّـة. مـا يُقـال من أنّ تطـور الفكـر يقـف خلـف تقـدّم العلوم، وما يُقال من أنّ مبـدأ التغيّـر والتحـول في الشـعوب قبـل العلم والتجربة هو الفكر، هو كلامٌ صحيحٌ تمامـاً ومُثبت. ولهـذا أنـا أظهر حساسية تجاه قضايا العلـوم الإنسـانية. نحن لم نقـل إنّـه لا ينبغي أن نسـتفيد بـأيّ شـكلٍ من الأشـكال من معـارف الغربـيين التي كان فيها الكثير من الطفرات وعبر قـرون عـدة في مجـالات العلوم الإنسانية المختلفة أو أن لا نقـرأ كتبهم، لكن مـا نقولـه هـو أن لا تقلّدوا. وهذه السيّدة في كلمتها أشـارت إلى هـذه المسـألة وهي مسألة صحيحة)[2]

ثم أضاف مبينا سر الدعوة للانفتاح على الثقافات المختلفــة، ولكن وفــق المنهج الإســلامي: (إنّ مبــاني العلــوم الإنســانية في الغرب تنبع من الفكر المادّي، وكـلّ من اطّلـع على تـاريخ النهضـة ولديه معرفة بذلك وتعرّف إلى شخصيّات هذا العصر، فإنّه سيصل إلى هذه النتيجة قطعاً. حسـناً، لقـد كـانت النهضـة مبـدأ التغيّـرات المختلفة في الغرب، لكنّ المباني الفكرية الموجودة عندنا تختلف

[1] () خطابات الخامنئي 2011 (ص: 166)

[2] () المرجع السابق، (ص: 296)

عن مبـانيهم. ولا يوجـد أي إشـكال في أن نسـتفيد نحن من علم النفس، وعلم الاجتمـاع، والفلسـفة، وعلـوم الاتصـالات، وجميـع الفـروع العلميـة الإنسـانية الـتي ابتُكـرت في الغـرب أو توسّـعت هناك. لقد قلت مراراً إّننا لا نشـعر بالمذلّـة من التعلّم بـأي شـكلٍ من الأشـكال. علينـا أن نتعلّم، نتعلّم من الشـرق ومن الغـرب، (اطلب العلم ولو في الصين)، فهذا أمرٌ واضحٌ. إنّنا نشـعر بالمذلّـة عندما لا يكـون هـذا التعلّم مؤديـاً إلى المعرفـة والـوعي والقـدرة على التفكّر عندنا. فلا ينبغي أن نبقى دائماً تلامـذة، نكـون تلامـذة حتى نصبح أسـاتذة. والغربيـون لا يريـدون هـذا الأمـر، لقـد كـانت السياسة الاستعمارية للغرب مبنيّـة ومنـذ البدايـة على هـذا، حيث أرادوا أن يكون هنـاك في العـالم تميـيز وهويتـان، ومسـتويان في القضايا العلمية)[1]

ثم بين أهمية دراسة التـاريخ، فقـال: (فالتـاريخ، أحـد العلـوم الإنسانية: التاريخ الذي أوصي مرة أخرى بقراءته، طـالعوا التـاريخ في عصر الاستعمار لتروا أيّة انتهاكـات ارتكبهـا الغربيـون في هـذا المجال، بـالرغم من ظـاهرهم الأنيـق المعطّـر والمنظّم والمـرتّب وادّعاءاتهم حول حقوق الإنسان. لم يكتفوا بقتل البشر، بل سـعوا كثيراً لإبعاد الشعوب المستعمَرة عن مجال التقدّم وسلبها إمكانية التطوّر في جميع المجالات. وما نريـده نحن هـو أن لا يحصـل هـذا الأمر. نحن نقول ادرسوا العلوم الإنسانية لكي تتمكّنوا من إنتاجهـا بشكلها المحلّي، وبعدها صدّروها إلى العـالم. أجـل، عنـدما يحـدث هذا، فإنّ كلّ من يتخرّج من محيطنا سيكون مورد أملنا واعتمادنا. لهذا نحن نقول أن لا نكون مقلّدين في هذه العلوم. هذا هو كلامنـا في مجال العلوم الإنسانية)[2]

ثالثا ـ الصفات الأخلاقية والروحية للقائد:

وهي من الصفات الأساسية للقائـد النـاجح، وخاصـة إذا كـان يحمل هدفا رساليا يدعو به إلى ما دعا إليـه الأنبيـاء عليهم السـلام وورثتهم، ذلـك أن الأخلاق هي جـوهر الـدين، ومظهـره الأكـبر، ولا

---

[1] () المرجع السابق، (ص: 296)

[2] () المرجع السابق، (ص: 297)

يمكن للقائد أن يكون ممثلا للدين دون أن يكون متحليا بما يتطلبه من أخلاق.

وقد أشار إلى هذا النوع من الشروط قوله تعالى في وصـف رسول الله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]

وعنـد تطـبيق هـذا الشـرط على إمـامي الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة الخميـني والخـامنئي نجـده في أرقى درجاتـه؛ فكلاهمـا يمثلان القيم الرفيعة للأخلاق والروحانية السامية، وكـل من رآهمـا وصـحبهما شـهد لهمـا بـذلك، وذلـك من أكـبر أسـباب انجـذاب الإيرانيين لهما، فلا يمكن للقائد الذي لا يضبط سلوكه أن ينجح في التأثير، بل إن فضائحه قد تجعله غرضا لكل السهام.

وقد اعتبر الإمام الخامنئي هذه الصفة من أهم صفات الإمـام الخميني، وسر كل ما حققـه من نجـاح، يقـول عنـه: (أودّ الإشـارة على هامش الحـديث إلى أنّ جهـاد هـذا الرجـل العظيم لا يقتصـر على الجهاد السياسي والاجتماعي أو الجهاد الفكري، وإنّمـا رافـق كـلَّ حـالات الجهـاد هـذه جهـادُ البـاطن وجهـادُ النفس والالـتزام بالارتباط الدائم والمستمر بالله سـبحانه وتعـالى، وهـذا درس لنـا؛ إذا مـا خضـنا سـاحة الجهـاد الفكـري أو الجهـاد العلمي أو الجهـاد السياسي فهذا لا يعني أنه يحقّ لنا الإعـراض عن هـذا القسـم من الجهاد، لقد كان إمامنا العظيم من أهل الخشـوع والبكـاء والـدعاء والتوسل والتضرع. ولطالما كـرّر في شـهر شـعبان المبـارك هـذه الفقرة من المناجـاة الشـعبانية خلال كلماتـه قـائلًا: (إِلهي هَب لي كَمالَ الِانقِطاعِ إِلَيـكَ وَأَنِـر أَبصـارَ قُلوبِنـا بِضِـياءِ نَظَرِهـا إِلَيـكَ حَتَّى تَخرِقَ أَبصارُ القُلوبِ حُجُبَ النّورِ فَتَصِلَ إِلىمَعدِنِ العَظَمَـةِ)؛ هكـذا كان سلوك الإمـام. فـإنّ بكـاءه في الأسـحار، ومناجاتـه، ودعـاءه، واتصـاله الـدائم، كلّهـا كـانت تشـكّل الـدعم المعنـوي لمتابعـة واستمرار جهاد هذا الرجل العظيم)[1]

---

[1] كلمـة الإمـام الخـامنئي دام ظلـه في الـذكرى السادسـة والعشـرين لرحيـل الإمـام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

ومن يطالع بيانـات وخطب وكلمـات الإمـام الخميـني يلاحـظ هذه المعاني بكل سهولة، ومن الأمثلـة على ذلـك قولـه في تـأبين السيد أشرفي أصفهاني، وبيان صـفاته، وكونهـا ممثلـة للشخصـية الإسلامية: (كم هم سعداء أولئك الذين يمضـون العمـر في خدمـة الإسـلام والمسـلمين، وينـالون في آخـر العمـر الفـاني، الفيض العظيم الذي يتمناه عشاق لقاء اللـه.. كم هم سـعداء وفي منزلـة سـامية، أولئـك الـذين سـعوا طـوال حيـاتهم إلى تهـذيب النفس والجهـاد الأكـبر، والتحقـوا في نهايـة حيـاتهم بكـل فخـر، بـركب الشهداء على طريق الحق وفي سـبيل تحقيـق الأهـداف الإلهيـة.. كم هم سـعداء ومنتصـرون أولئـك الـذين لا يقعـون في الشـراك الشـيطانية والوسـاوس النفسـانية خلال رحلتهم في الحيـاة بكـل تعرجاتهـا وسـموها ودناءتهـا، واخـترقوا آخـر حجـاب بينهم وبين المحبوب، بتضرجهم بدماء الشـهادة، والالتحـاق بمقـر المجاهـدين في سبيل الله.. كم هم سـعداء ومحظوظـون أولئـك الـذين أداروا ظهورهم للدنيا وزخارفها، وقضوا العمـر بالزهـد والتقـوى، وفـازوا بأسـمى مـدارج السـعادة في محـراب العبـادة وفي خلال إقامـة الجمعة، على يد أحـد المنـافقين والمنحـرفين الأشـقياء، والتحقـوا بأسمى شهداء المحراب الـذين التحقـوا بـالملأ الأعلى بفعـل اليـد الخائنة لأشقى الأشقياء)[1]

هذه هي القيم النبيلة الـتي مثلهـا الإمـام الخميـني في حياتـه جميعا، ولذلك استطاع أن يزرع في كل قادة الثـورة الـذين تـأثروا به هذه المعاني، والتي أخـرجت لنـا جيلا من المفكـرين والساسـة لم يكن لـه نظـير على مـدار التـاريخ، كمـا عـبر عن ذلـك الإمـام الخامنئي بقوله: (لقد كنّا في الحقيقة أمواتـاً فأحيانـا الإمـام، وكنّـا ضلاّلاً فهدانا الإمـام، وكنّـا غـافلين عن الوظـائف الكـبرى للإنسـان المسلم فأيقظنا الإمام وأرشدنا إلى سواء السـبيل، بحيث أمسـك أيدينا وشجّعنا على المسير، وكان هو في طليعة السائرين)[2]

وقد كان الإمـام الخميـني ينتهج في حياتـه جميعـا نهج الإمـام علي، الذي ملك عليه كل كيانه، حيث كان كثـير الـذكر لـه، وللقيم

1() صحيفة الإمام، ج17، ص: 48.

2() معارف الإسلام، ص404.

النبيلة التي مثلها، ومن الأمثلة على ذلك موعظته التي ألقاها على جمع من أعضاء الفريق الوطني وهيئة رفع الأثقال في طهران، فقد قال لهم فيها: (إنكم وكما تتدربون وتعملون على تقوية عضلاتكم سوف تكونون مفيدين إن شاء الله لبلدكم في المستقبل، لابد لكم من التربية الرياضية لجميع أبعادكم الوجودية. فهذا علي (عليه السلام) نجد اسمه أمامنا أينما ذهبنا، عندما نذهب إلى الفقهاء نجد فقه علي، عندما نذهب إلى الزهاد نجد زهد علي، وإذا ذهبنا إلى المتصوفة نجدهم يذكرون أن التصوف مأخوذ من علي، حتى عندما نذهب إلى الرياضيين فإننا نجدهم يقولون أيضاً: علي. ويبدؤون باسم علي.. فعلي هذا فيه كل شيء. ويجب أن يكون قدوة لنا. ففي العبادة هو فوق جميع العبَّاد، وفي الزهد فوق جميع الزهَّاد، وفي الحرب فوق جميع المحاربين، وفي القوة فوق جميع الأقوياء وهو أعجوبة إذ يجمع فيه الأضداد، فالإنسان العابد لا يمكنه عادة أن يكون رياضياً، الإنسان الزاهد لا يمكنه أن يكون مقاتلًا. الفقيه لا يمكنه فعل هذه الأمور أيضاً)[1]

ولا يمكننا هنا أن نذكر الشواهد التي تدل على مدى روحانية الإمام الخميني وأخلاقه العالية، فقد ألفت في ذلك المؤلفات الكثيرة، وشهد له كل من عرفه بذلك، ولكننا سنقتصر على هذه الشهادة التي عبر عنها بعض المقربين منه [2]، فقال: (ليلة (5 نيسان 1964م) نقلت السلطة الإمام من سجنه في طهران إلى مدينة قم المقدسة، وما إن وصلنا مدينة قم في نحو الساعة العاشرة حتى هب الأهالي بجموعهم الغفيرة لاستقبال الإمام وبصورة لا توصف من الازدحام الذي اكتنف المنزل حتى الساعة 12.30 ليلاً، وبعد جهدٍ ومحاولات إقناع تفرق الناس إلى منازلهم. ولقد شاهد الذين رافقوا الإمام والمقيمون في المنزل، أنه بعد أن استراح سماحته فترة لا تتجاوز الساعتين نهض لأداء النوافل والتهجد، ولقد أكّد لي الأخوة الذين قضوا فترة من حياتهم بمعيّة

1() صحيفة الإمام، ج7، ص: 201.

2() انظر: شهادة السيد حميد، الإمام قدوة في الوعي والعلم والسياسة، من كتاب الإمام الخميني قدوة، ص 63.

الإمام، أنه منذ أكثر من خمسين عاماً والإمام لم يكن يغمض له جفن قبيل بزوغ الفجر)[1]

ثم ذكر أنه عندما طُبعت رسالته العملية (تحرير الوسيلة) في النجف الأشرف كتب الناشر على غلافها عبارة (زعيم الحوزة العلمية) قبل اسم الإمام، ولما كانت عبارة (زعيم الحوزة العلمية) تُطلق آنذاك على السيد الخوئي، (فإن الإمام ـ وحينما طالع تلك العبارة على غلاف كتابه ـ لم يرضَ بها، فطلب المسؤول عن ذلك وسأله عمَّن خوّله كتابة تلك العبارة، وأبلغه أنه إذا لم تُحذف هذه العبارة عن الكتاب، فسوف ترمى جميع نسخ الكتاب في النهر، مما اضطر القائمين بالطبع إلى اتخاذ ما يلزم لمحو العبارة المذكورة، ولئلاّ يظهر شيء منها، ولازالت بعض النسخ الموجودة منها شاهدة على ذلك) [2]

ثم ذكر من تواضعه وعدم اهتمامه بالمسائل الدنيوية، أنه (في مجالس التأبين والفواتح التي كانت تقام في النجف الأشرف عند وفاة العلماء كان سماحته ينتظر انتهاء العلماء ـ الذين هم من الطراز الأول ــ من إقامة مجالس الفاتحة، ثم الطراز الثاني، ويأتي دور الطلاب وأفاضل الحوزة، وبعد انتهاء هؤلاء جميعاً يقيم الإمام مجلس الفاتحة.. ولما توفي المرجع المرحوم السيد الحكيم وأقيمت مجالس الفاتحة في النجف الأشرف على روحه الطيبة، كان مجلس الفاتحة المقام بأمر من الإمام آخر هذه المجالس. ومن الطريف في الأمر أن يتمّ الإعلان عن ذلك عبر مكبرات الصوت في مآذن الحرم المطهر بالقول بأن السيد الخميني يقيم مجلس الفاتحة بهذه المناسبة، والاكتفاء بتحديد الزمان والمكان لتنبيه الجمهور إلى ذلك، وقد قرأ المُعلن اسم الإمام مجرداً عن عبارات التعظيم والاحترام، مما حدا بالسامعين إلى أن يهاجموه، وكادوا أن يضربوه؛ فقد حسبوه يتعمد الحط من منزلة الإمام، لولا إفصاحه بأن ذلك لم يكن عن تقصير منه، وإنما كان حسب إيعاز

[1] () الإمام الخميني قدوة (ص: 63)

[2] () المرجع السابق، (ص: 63)

صادرٍ من الإمام نفسه بأن يقول ما قال ولا يزيد على ذلـك حرفـاً واحداً!) (1)

وهكذا ذكر شـاهد آخر(2) كيـف كـانت حيـاة الإمـام الخميـني ممتلئة بالبساطة والزهد، فقـال: (طـوال مـدة إقامتـه في النجـف الأشرف، كان الإمام يسـكن في بيت مسـتأجر بسـيط وعـتيق في أحد أزقة شارع الرسول ﷺ حاله كحال المئـات من طلبـة الحـوزة العـاديين، وبقي على هـذا الحـال بعـد انتصـار الثـورة، سـواء أيـام إقامته القصيرة في قم، أو في ما يقارب عشرة أعوام قضاها في منطقة جمران في طهران، فكان حاله في مسكنه حال الكثير من المستضعفين الفقراء، يعيش في منزل مستأجر، وكان منزلـه في جمران صغيراً لا تتجاوز مساحته (120) متراً مربعاً، مساحة البنـاء (70) متراً والبقية ساحة البيت)

وقـال آخـر (3) يـذكر كيـف كـان يعيش الإمـام الخميـني في النجـف الأشـرف: (كـان مـنزل السـيد الخميـني قـده في النجـف الأشرف صغيراً وبسيطاً للغاية لا تتجاوز مساحة ساحته (14) متراً مربعاً ويشتمل على بضع غرف في طابقه الأرضـي وغرفـة كبـيرة في الطابق العلـوي لم تصـبغ منـذ سـنين طويلـة، فصـارت بحالـة مزرية، والمنزل كان مستأجراً فقلت للمرحوم الشـيخ الإشـراقي: يمكنكم إخـراج الـبيت من هـذه الحالـة بتعمـير جـانب منـه وطلي جانب الآخر، فقال: لقـد اقـترحت ذلـك على السـيد الخميـني، بـل وأعلنت له عن استعدادي للقيام بذلك من أمـوالي الخاصـة وليس من بيت المال، لكنه لم يوافق وقال: ليبق البيت على حالـه، فهـو ملك صاحبه والتصرف فيه من شأنه، فلا معنى لأن نقـوم بإعمـاره وصبغه وإظهاره بحالة لا تتناسب وزي رجال الدين)

1() المرجع السابق، (ص: 64)

2() هذه شهادة حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، من كتاب: قبسات من سيرة الإمـام الخميني -الحياة الشخصية (ص: 48)

3() هو آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (حـوادث خاصـة من حيـاة الإمـام الخميني) ج:6، نقلا عن المرجع السابق.

وقال آخر (4): (لم يكن قسم الاستقبال في بيت الإمام في النجف الأشرف مفروشاً بالكامل، بمعنى أن قسماً من هذه الغرفة التي كان يجلس فيها مساءً، كان خالياً فطلبت منه أن يسمح بشراء ما نسد به هذا النقص، فقال: يوجد في داخل المنزل بساط إضافي، فقلت: إنه بساط متواضع كما أنه لا يناسب المفروش في هذه الغرفة، فأجابني: وهل هذا بيت الصدر الأعظم؟! فقلت: بل هو بيت من هو أعظم، إنه بيت إمام الزمان. فقال: وما يدريك أن المفروش في بيت إمام الزمان نفسه خير من هذا؟!)

وقال آخر (2): (كان الإمام وأولاده يعيشون عيش أبسط طالب في الحوزة رغم الإمكانات المادية [بيت المال] كانت بأيديهم وكان بالإمكان تبرير استفادتهم منها.. كان بيت الإمام قديماً جداً ويخلو من أي مظهر من مظاهر الزينة والإمكانات المتعارفة، وقد سقط في شتاء أحد الأعوام جدار الغرفة العلوية منه، ورغم ذلك لم يرض الإمام بالانتقال منه، بل أعاد بناء الجدار وبقي في المنزل نفسه)

وقال آخر، وهو تلميذه العلامة الشيخ جعفر السبحاني: (البيت الذي كان يقطنه الإمام متوسط السعة مبني من الطين ولا زال موجوداً، وكان لأكثر من عشرين عاماً ـ ما بين عامي [1921 ـ 1945م] ـ يعيش في منازل مستأجرة، حيث استأجر منزلاً لمدة عامين، وانتقل منه بعد أن احتاجه صاحبه، فاستأجر منزلاً آخراً.. أجل لم أر الإمام طوال (63) عاماً كنت في خدمته بصورة متواصلة ـ باستثناء أعوام نفيه حيث انقطع ارتباطي الظاهري به ـ يضع حجراً على حجر)(3)

4() هو حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، من حاشية الإمام في النجف، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:1، نقلا عن المرجع السابق.

2() هو حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، المصدر السابق ج 6.

3() كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج3، ص: 213..

وهكـذا نجـد الإمـام الخـامنئي ممثلا للقيم الرفيعـة والأخلاق العالية والروحانية السامية، حيث لا ينفك أي مجلس من مجالســه للدعوة لها، ومن الأمثلة العمليـة على ذلـك مـا ذكـره عن نفسـه، أثناء خطاب له يـدعو فيـه إلى بـر الوالـدين، والبركـات المرتبطـة بذلك، فقد قال فيه: (لا بأس أن أنقل لكم موضوعاً عن نفسي: أنا شخصياً، إن اعتـبر لي نجـاح أو توفيـق في أي مجـال، يـتراءى لي بأنه لابد أن يكون هذا النجاح ـ بعد التدقيق والتفكير ـ نتيجـة عمـل صالح أسديته لوالدي)[1]

ثم راح يذكر عنايته بوالده وحرصه عليه وتركـه كـل مصـالحه في سـبيل ذلـك، يقـول: (أتـذكر المرحـوم والـدي وهـو في سـن الشيخوخة وقبل عشرين سنة من وفاته، حيث كـان في السـبعين من عمره وكـان مصـاباً بمـرض في عينيـه يـدعى (المـاء الأسـود) الذي كـان يـؤدي إلى العمى. في تلـك الآونـة وكنتُ في قم حينهـا وقد تعرفت شيئاً فشيئاً ـ عن طريق رسائله التي كان يبعثها إليّ ـ بأنه أصيب بالرمد، فهو لا يرى الأشـياء كمـا ينبغي، لهـذا جئتُ إلى مشهد واتضح لي أن والدي يحتـاج إلى طـبيب أخصـائي بـالعيون.. لهذا راجعنا الأطباء عـدة مـرات ولكن دون جـدوى، فعـدت بعـدها إلى قم ثانية لأواصل دراستي الحوزوية، لأني كنت أسكن فيها منذ البداية.. بعد مدة بـدأت العطلـة في الحـوزة، فـذهبت إلى مشـهد مرة أخرى، وعكفت على العناية بوالـدي آنـذاك، ثم رجعت بعـدها إلى قم لأكمل دراستي، إذ أن العلاج الطـبي ومراجعـة الأطبـاء لم يؤثر في تحسين عينيه، فاضطررت أن آخذه إلى العاصمة طهـران في عــام 1343هـ.شــ 1964م، لأن مراجعـــة الأطبـــاء وإجـــراء وصاياهم الطبية في مشهد لم يواجه تقـدماً ملحوظـاً، فكنت آمـل أن يتوصل الأطباء في طهران إلى نتيجة مرضية)[2]

وهكذا ذكـر كيـف وقـف بجانبـه في تلـك الفـترة، وتـرك كـل شـيء، فقـال: (لكننـا وبعـد أن راجعنـا بعض الأطبـاء في طهـران، خيبّوا آمالنا وحطموا أحلامنا، وقالوا: (لقد أصيب عينا الوالد بالرمد ولا يمكن علاجها أو إصلاحها، خاصة بعد سـنتين أو ثلاث سـنين من

1() حكاية البحر، سيرة الذاتية لحياة قائد الثورة الإسلامية (ص: 41)

2() المرجع السابق، ص42.

استفحال المرض! لكنهم مع هذا كله، عـالجوا عيناً واحـدة، فكـان يرى بها حتى آخر أيام حياته بعد أن فقد الرؤية ـ في تلك الفـترة ـ بالمرة، فكنّا مضطرين لأن نأخذ بيـده ونُسـيّره هنـا وهنـاك، لـذلك كنت أتألم وأتأثر لما حصل لوالدي، فـإن تركتـه لحالـه وذهبتُ إلى قم، فسيعتزل الحياة الاجتماعيـة ويقبـع في الـبيت ولن يتمكن من المطالعة ومعاشرة الناس أو القيام باي عمل آخـر، وهـذا بطبيعـة الحال موقف حرج لا أطيقه، خاصة وأن الوالـد كـان مستأنسـاً بي إلى حد بعيد وبشكل خاص، فإنه لم يستأنس ببقية إخوتي بقدر ما كان يستأنس بي، تعوّد أن يذهب معي إلى الطبيب ولم يستسـهل الذهاب مع الآخرين.. وحينما كنتُ إلى جانبه، كنتُ أقـرأ لـه الكتب وأتباحث وأتناقش معه حول بعض المواضيع العلمية، وهذا ما دفـع أبي أن يكون أكثر ارتباطاً استئناسـا بي، في حين أن بقيـة الإخـوة لم تسنح لهم مثل هـذه الفرصـة ليكونـوا إلى جـانب الوالـد، أو أن هنـاك ظروفـاً حـالت دون هـذه العلاقـة الخاصـة.. وعلى أي حـال شعرتُ بأني لو تركتُ الوالد في مشهد لوحده ورجعت بعــدها إلى قم فسيتحول الوالد إلى شخص عاطل وعاجز عن العمل، وبالطبع فإن هذه الحالة ستكون كارثة كبـيرة بالنسـبة لـه، وحادثـة مريـرة بالنسـبة لي. هـذا من جهـة ومن جهـة أخـرى، إذا أردتُ أن أُسـاير الوالد وأترك دراستي في الحوزة العلمية، فهذا الإجـراء هـو الآخـر كـان مُضـنياً ولا يطـاق أبـداً؛ لأني كنت أفضـل الدراسـة في قم، خاصة وقد قررت من قبل، أن أبقى وأسكن فيها إلى آخـر عمـري ولا أخرج منها أبداً) [1]

ثم ذكر كيف استعان ببعض العرفاء الذين دلوه على الطريـق الذي اسـتطاع أن يجمـع بـه بين رغبتـه في دراسـة العلم والعنايـة بوالده، فقال: (في يوم من الأيام كنت مكتئباً مضطرباً وقلقاً جـداً، من أن آخذ الوالد إلى مشهد ثم أتركه هناك وأعـود إلى قم، وهـذا محرج وصعب بالنسـبة لي، لهـذا عـرجتُ لمقابلـة أحـد الأصـدقاء، حيث كان بيته في مفترق (حسن آباد) بطهران، قصـدتُ الـذهاب، والرجل كان من أهل المعرفة، والحكمة والحنكة ولمّا لاحظتُ بأن صدري قد ضاق من شدة الهمّ والغمّ، اتصلت به هاتفيـاً وقلت لـه: (هل بإمكاني أن أزورك خلال الأيام القليلة القادمة؟). قـال: (نعم)

[1] () المرجع السابق، ص43.

فذهبتُ إليه في أحد أيام الصيف وشرحتُ له الموضوع وقلت بأني مضطرب ومشغول البال وكئيب، وسبب اضطرابي وكآبتي من جهة هو أنني لا أقدر أن أترك الوالد هكذا مكفوفاً، وهذا يؤلمني كثيراً. ومن جهة أخرى إذا أردتُ أن أُساير والدي، فعليَّ أن أترك ورائي دنياي وآخرتي وأذهب مع الوالد وأبقى إلى جانبه في مشهد.. تريّث صاحبي هنيهة ثم قال: (بإمكانك أن تقوم بعمل لوجه الله وهو أن تنزع حب البقاء في قم من قِبَلك تماماً ثم تذهب إلى مشهد وتبقى هناك. وكن على ثقة بأن الله عز وجل قادر على أن ينقل دنياك وآخرتك من قم إلى مشهد، تأملت في هذا الكلام العميق مدة من الزمن، فرأيته يحمل بين طيّاته نداءً عجيباً، حيث أن الإنسان بإمكانه أن يتعامل مع الله عز وجل. كنت أتصور أن دنياي وآخرتي تقتصران وتتحددان في مدينة قم فقط. وإن كان بإمكاني البقاء في قم لكان لي أفضل، لأني كنت مولعاً بالمدينة والحوزة العلمية فيها أيضاً، وكذلك بالحجرة التي كنت أسكن فيها هناك ولهذا كان يصعب عليّ أن انتزع حبّ هذه المدينة من قلبي! لأني كنتُ أتصور بأن دنياي وآخرتي تتلخص في قم، رأيت أن هذا الرأي حسن وطيب، ولابد أن أذهب بالوالد إلى مشهد، ثم أبقى إلى جانبه ـ لوجه الله ـ وأنا واثق بأن الله تبارك وتعالى، إن شاء فسيأتي بدنياي وآخرتي من قم إلى مشهد!) [1]

ثم ذكر حاله بعد ذلك، فقال: (بعد هذه الرؤية، اتخذت قراري الحاسم، وعندها اطمأن قلبي وزال الهمّ والغمّ عن صدري، وانتهت فترة الحرج والكآبة، وانقلب كل شيء رأساً على عقب؛ أي أنني هدأتُ تماماً، وتخلصتُ من الاضطرابات، فعدت إلى البيت بمعنويات عالية، ملؤها البِشر والفرح والهدوء والسكينة، شاهدني الوالد والوالدة مراراً ـ في أول مرة ـ كئيباً مضطرباً، لهذا استغربا في الآونة الأخيرة من فرحتي وبشاشتي، فاستبقتهما بقولي: (أجل، لقد قررتُ أن أرجع معكم إلى مشهد لم يصدقا ما سمعاه منّي في البداية، لأنهما كانا يستبعدان اتخاذ هذا القرار من ناحيتي؛ أي أن أترك إقامتي في قم. أجل ذهبتُ إلى مشهد، في حين أغدق الله تبارك وتعالى عليّ بتوفيقات جمّة هناك، وعلى كل حال، باشرتُ مسؤوليتي الجديدة وعكفت على الاعتناء بالوالد

---

[1] () المرجع السابق، ص44.

العزيز.. انطباعي الآن هو، أن تهيأت لي الظروف للحصول على بعض التوفيقات في الحياة، كان نتيجة إسداء تلك الخدمات للوالد، بل للوالدين. لقد ذكرت هذا الموضوع لتدركوا مدى أهمية المسألة عند الله عز وجل) [1]

هذا النموذج الأخلاقي العالي الذي تعمدنا نقله مع طوله يدل على العمق الإيماني والروحاني والأخلاقي الذي كان يفكر به الإمام الخامنئي ويعيشه، ليس في مرحلة كهولته أو شيخوخته فقط، بل ابتداء من شبابه الباكر.

رابعا ـ قدرة القائد على البذل والتضحية:

وهي من الصفات التي تميز القادة الكبار الذين يعيشون معاناة الثورة على الظلم، ويتحملون كل شيء في سبيلها، مثلما فعل الأنبياء وورثتهم عليهم السلام، والذين تعرضوا لكل أنواع المحن من أجل تحقيق العدالة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: 21]

وقد تعرض قادة الثورة الإسلامية إلى كل أنواع المحن والآلام، بل سار الكثير منهم شهداء في ذلك الطريق المليء بالأشواك، وكان قدوتهم في ذلك جميعا الإمام الخميني الذي قضى الكثير من عمره يدفع ثمن مواقفه البطولية، فقد اعتقل وسجن ونفي، وبقي كذلك إلى أن أعاده الله إلى بلاده منتصرا، من غير أن يذعن أو يتنازل.

وقد كان اعتقاله الأول هو الشرارة التي بقيت آثارها تنتشر كل حين، لتعم إيران جميعا، وقد حصل ذلك في 5حزيران 1963، بعد خطاب ألقاه بمناسبة العاشر من محرم (سنة 1383 للهجرة)، اعتبر فيه الشاه وإسرائيل المسؤول الأول عن معاناة الشعب الإيراني.

---

[1] () المرجع السابق، ص44.

وكان لذلك الاعتقال آثاره في الأوساط الشعبية، حيث أثار موجة عارمة من الاحتجاجات وفجّر انتفاضة [الخامس عشر من خرداد] الواسعة، التي بادر أزلام النظام الشاهنشاهي وقواته للتصدي لها بكل قسوة ووحشية، وهكذا كانت تندلع كل حين أصناف التظاهرات والحركات المقاومة إلى أن أذن الله بنصره.

وسنذكر هنا بعض ما ارتبط بذلك من أحداث وكلمات للإمام نرى فيها قدرته على كسر شوكة الشاه وشرطته ومخابراته، وقد صارت تلك المواقف البطولية بعد ذلك أسوة للشعب الإيراني يستلهم منها كل أنواع البطولة والقدرة على المواجهة.

وقد بدأت تلك الأحداث في شهر محرم (عام 1383هـ)، وكان سببها النهي عن كل أشكال التظاهر إحياء لمناسبة عاشوراء وأن من يفعل ذلك سيعرض لعقوبات صارمة.

وكان في إمكان الإمام الخميني حينها أن يفعل مثلما يفعل أكثر العلماء من استعمال التقية، والحفاظ على نفسه، لكنه لم يفعل، ولم يأبه بتلك التحذيرات المشددة، وإنما وجه رسالة إلى الوعاظ والخطباء وطلبة العلم جاء فيها: (إنّ الحكم المتجبر ينوي أخذ تعهُّد من المبلّغين وأصحاب مجالس العزاء بعدم التحدُّث عن المظالم، وأن يتركوا الحكم يفعل ما يريد.. إنني أرى من الضروري هنا التذكير بأنه ـ فضلاً عن أن هذه التعهدات ليست لها أية قيمة قانونية ولا تترتب على مخالفتها أية آثار سلبية ــ فإن الذين يأخذون هذه التعهدات هم مدانون وتجب ملاحقتهم.. عجيب أمر هؤلاء الذين لا يخجلون، إنهم يدَّعون أن كل الشعب معهم ومع ذلك فهم يقومون ببث الرعب وممارسة القمع في أرجاء البلاد. فإن كان ادعاء هؤلاء صحيحاً، فليتركوا الشعب حرّاً خلال هذه الأيام لنرى عندها حجم الدعم الشعبي الذي يتمتعون به، وليرى العالم حقيقة الملايين الستة التي صادقت على الإصلاحات، وبغير هذا فإن إشاعة الأكاذيب لتشجيع الرأي العام على العمل خلافاً لمصالح الإسلام والبلاد؛ إنما هي جريمة تجب ملاحقة مرتكبيها)[1]

[1] () تاريخ ايران السياسي (ص: 34)

ثم دعــاهم إلى البــذل والتضــحية؛ فقــال: (على حضــرات المبلغين، أن لا يخافوا من عدة أيام من السجن والأذى ﴿وَلَا تَهِنُـوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَـوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ﴾ [آل عمـران: 139]، على السادة أن يعلمـوا أن الخطـر المحـدق بالإسـلام اليـوم ليس أقل من خطر بني أمية، حذّروا الناس من خطر إسرائيل وأذنابهـا، أعلنـوا احتجـاجكم على إرسـال الحكومـة الخائنـة لعـدة آلاف من أعداء الإسلام والشعب والوطن، إلى لندن للمشاركة في المحافل والمراسم المعادية للإسلام والوطن، فالسكوت في هذه الأيام هو بمثابة تأييد لحكم الجبابرة، ودعم لأعـداء الإسـلام.. خـافوا سـخط الله تعالى، فلو تلقى الإسلام ضربة بسـبب سـكوتكم، فسـتكونون مسـؤولين أمـام اللـه والأمـة الإسـلامية... لا تجعلـوا للخـوف من أساليب وممارسات الشرطة وأجهزة القمـع إلى قلـوبكم طريقـاً) (1)

وانطلاقا من هذه التوجيهـات راح الخطبـاء لا يكتفـون ــ كمـا تعودوا ـ بلعن يزيد الأموي، وإنما راحوا يكررون الشعارات الثورية، ويذكرون حادثة الفيضية باعتبارها امتدادا لكربلاء وعاشوراء.

وبناء على توجيهات الإمام الخميني نزل إلى شـوارع طهـران في العاشـــر من المحـــرم، عشـــرات الآلاف من الشـــعب، وهم يحملون صوره، ويهتفون (يا خميـني، فليحفظـك اللـه، يـا خميـني، الشعب كله معك، يا خميني يا محطم الأصنام فليحفظك الله)

وقـد كـان لـذلك آثـاره الكـبرى في توجيـه الاهتمـام بالإمـام الخميني باعتباره المرجع الديني والسياسي الــذي يمكن أن يلتـف حوله الشعب ليخلصهم من الدكتاتورية، واسـترعى ذلـك خصوصـا انتباه المثقفين والعلمانيين الذين كانوا يتصورون أن الـدين أفيـون الشعوب إلى أن لاحظوا بأعينهم تلك البطولات التي بـذلها الإمـام الخميني، والطاقة التي وفرها لأتباعه.

بالإضافة إلى تلك الأحـداث وغيرهـا ممـا حصـل في طهـران، كان الإمام الخميني في مدينة (قم) مركز الحـوزة العلميـة، يقـوم كل ليلة بالمشاركة في مجالس عزاء إحدى مناطق المدينـة، كمـا

1() المرجع السابق، (ص: 34)

أن الخطباء كانوا يتحـدثون عن الأوضـاع السياسـية للبلاد ويبلغـون الناس رأي الإمام فيها، وهكذا كـان الإمـام يحظى باسـتقبال كبـير في كل مجلس عزاء يزوره، وقد أثار هذا قلـق السـلطة وخوفهـا؛ ذلك أن فضحها كان يتم من قبـل شـخص لـه منزلتـه الخاصـة في قلوب الناس.

ولهذا حاول كبار مسؤولي الحكومة الاجتماع بخطبـاء المنـابر والتحدث إليهم في محاولة لثنيهم عن التشـهير بالحكومـة أو على الأقل التحدث ضمن حدود معينة، لكن كل هـذه المحـاولات بـاءت بالفشـل، فالإمـام الخميـني اجتمـع بكبـار علمـاء قم وبحث معهم سبل إيصال النهضة إلى ذروتها في شهر محرم، فاقترح أن يذهب العلماء إلى المدرسة الفيضية يـوم العاشـر من المحـرم ليخطبـوا في جموع الناس الـتي توافـدت على قم من كـل حـدب وصـوب، وقد حظي هذا الاقتراح بموافقة العلماء[1].

وانتشرت حينها إشـاعات من أجهـزة الأمن تفيـد بـأن الشـاه أمر الجيش بمهاجمة قم يـوم العاشـر من المحـرم كمـا فعـل في مسجد گوهرشاد، وذهب وعـاظ البلاط إلى قم واجتمعـوا بالعلمـاء في محاولة لثنيهم عن تنفيذ قـرارهم، لكنهم لم ينجحـوا في إقنـاع الإمام الخميني الذي أعلن عن موقفه الصريح قائلا: (لقـد اتخـذت قراري النهائي، ولن تستطيع الإشاعات والتهديدات الـتي يمارسـها النظام ثنيي عن تنفيذ قراري)

وبعد يـأس النظـام من ثـني الإمـام عن قـراره بـالطرق غـير المباشرة قرر اعتقاله، ففي صـبيحة العاشـر من المحـرم وعنـدما كـان مـنزل الإمـام مكتظـاً بحشـود النـاس للمشـاركة في مجلس العزاء، جاء رئيس جهاز الأمن (الساواك) إلى هنـاك وقـال للإمـام (جئت من قبـل معـالي الشـاه لأبلغـك بأنـه لـو خطبت اليـوم في الفيضـية فسـيهاجم رجـال الكومانـدوس المدرسـة، ويفعلـون مـا يفعلون)، لكن الإمام ردَّ عليـه بكـل قـوة: (ونحن سنصـدر الأوامـر لرجالنا الكوماندوس ليقوموا بتأديب رجال معالي الشاه) [2]

---

[1] المرجع السابق، ص36.

[2] المرجع السابق، ص36.

وفي عصر يوم العاشر من المحرم، قام الإمام الخميني بإلقاء خطابه التاريخي على الرغم من تلك التهديدات، وقد كان ذلك الخطاب بمثابة البيان الأول الذي وضع للثورة الإسلامية الأسس التي يمكن أن تساهم في نجاحها، فقد قال فيه: (نحن الآن في عصر عاشوراء، وعندما كنت أتأمل حوادث يوم عاشوراء؛ خطر ببالي هذا السؤال: إذ كان يزيد يعادي الحسين فقط، فلماذا قام أزلامه بتلك الممارسات الوحشية المنافية للأصول الإنسانية بحق النساء والأطفال الأبرياء؟ ترى ماذا كان ذنب هؤلاء؟ ما الذي فعله طفل الإمام الحسين الرضيع؟ (بكاء الحاضرين).. أنا اعتقد أن أولئك كانوا يحاربون ويعادون أساس الموضوع، فبنو أمية وحكومة يزيد، كانوا يعادون آل النبي ﷺ، وبني هاشم، وكانوا يريدون القضاء على هذه الشجرة الطيبة. وهنا يطرح هذا السؤال نفسه وهو إذا كانت حكومة الجبابرة في إيران تعادي العلماء والمراجع فما شأنها بالقرآن والمدرسة الفيضية؟ ما شأنها بطلاب العلوم الدينية؟ ما الذي فعله الشاب ذو الثمانية عشر ربيعاً للشاه؟ (بكاء الحاضرين) ما الذي فعله للحكومة؟ ما الذي فعله لهؤلاء الجبابرة؟ (الحاضرون يبكون بشدة). الجواب هو أن هؤلاء يعادون أساس الإسلام والعلماء، ويريدون القضاء على هذا الأساس.. هؤلاء لا يريدون لصغير أو كبير منا أن يبقى، إسرائيل لا تريد بقاء علماء للإسلام في هذا البلد، إسرائيل لا تريد بقاء عالِم في هذا البلد. لقد شنّت إسرائيل هجوماً على الفيضية بواسطة عملائها هنا، هاجمتنا، ولازالت تهاجمكم يا أبناء الشعب، إنها تريد السيطرة على اقتصادنا، تريد القضاء على زراعتكم وتجارتكم، تريد نهب الثروات، ولذلك فهي تسعى ـ بواسطة عملائها ـ إلى القضاء عن كل من يقف سداً منيعاً في وجهها، والمدرسة الفيضية وباقي مراكز العلم هي سدود في وجه إسرائيل ويجب أن تدمَّر! وعلماء الدين هم أيضاً سدٌّ يجب أن يحطَّم! وطلاّب العلوم الدينية قد يصبحون في المستقبل عائقاً في وجه إسرائيل، لذلك يجب أن يقتلوا، ويقذف بهم من السطوح، ويجب تحطيم رؤوسهم لتصل إسرائيل إلى مآربها، ولأجل ذلك فإن الحكومة الإيرانية تقوم بإهانتنا خدمةً منها لمصالح إسرائيل ومخططاتها) (1)

1() صحيفة الإمام، ج 1، ص: 239.

ثم ذكر لهم بعض ما فعله الشاه الذي تحول إلى يزيد، فقال: (لقد شاهدتهم ـ يا أبناء قم المحترمين ـ كيف أن السلطة أجرت ذلك الاستفتاء ـ المفضوح ـ بالسلاح والتهديد، ذلك الاستفتاء الذي هو ضد مصالح الشعب الإيراني، ففي شوارع وأزقة قم التي هي مركز علماء الدين، وبجوار مرقد السيدة معصومة أنزلوا إلى الشوارع حفنة من الأوباش الأراذل ليقولوا للناس إن زمن التطفل قد انتهى، فهل إن طلاب العلوم الدينية الذين يقضون زهرة شبابهم وسنوات عمرهم في هذه الحجرات ويتقاضون رواتب شهرية تتراوح بين (40 ـ 100) تومان فقط أهؤلاء هم الطفيليون؟ أهؤلاء هم المعتاشون بجهود غيرهم؟ أليس الذين ينهبون ألف مليون تومان مرة واحدة هم الطفيليون والمعتاشون؟! أنحن نعتاش على الآخرين والمرحوم الشيخ عبد الكريم فارق الحياة وترك ديناً مقداره (600) ألف تومان هي مجموع رواتب الحوزات؛ أهو يعتاش على الآخرين؟ أليس الذين يجمعون الثروات في بنوك العالم من تعب الفقراء وكدّهم، ويبنون القصور ومع ذلك لا يريدون ترك هذا الشعب وشأنه، بل يواصلون السعي لنهب ثروات البلاد واقتسامها مع إسرائيل، أليس هؤلاء معتاشين على جهود الآخرين؟ على العالم أن يحكم في هذا الأمر. على الشعب أن يعلن من هو الطفيلي الذي يعتاش على جهود الآخرين وعملهم؟)[1]

ثم وجه خطابه بكل قوة للشاه، قائلا: (أنا أنصحك أيها الشاه بأن تكفَّ عن هذه الممارسات، أنا لا أرغب في أن يأتي يوم يشاء فيه أسيادك أن تزول فيفرح الناس بذلك، أنا لا أريد أن تلقى نفس مصير أبيك.. أيها المسكين لقد تجاوزت الخامسة والأربعين من العمر. فكّر قليلاً وتدبَّر فيما حولك. فكّر في عواقب الأمور. اعتبر بمصير أبيك. فلو صحّ ما يقال من أنك تعادي الإسلام وعلماء الدين فإنك على خطأ كبير، وإن كانوا يكتبون لك لتقرأ فتأمل فيما تقرأه. لماذا لا تعي ما تقول؟ هل إن العلماء نجسون؟ فلو كانوا كذلك فلماذا يقبل الناس أيديهم؟ هل أنا حيوان نجس؟! (بكاء الناس) آمل أن لا تكون قد قصدت ذلك وإلاّ فإن موقفنا منك سيكون أشد، وحسابك سيكون أشد أيضاً. فلن تستطيع البقاء بعد

---
[1] () المرجع السابق، ج 1، ص: 240.

هـذا، الشـعب لن يـدعك تواصـل هـذا النهج، هـل إن العلمـاء هم رجعيون؟ وأنت الرجعي الأسود قمت بثورة بيضاء؟ أية ثورة بيضاء هذه؟ لماذا تريد اسـتغفال النـاس إلى هـذه الدرجـة؟ لمـاذا تقـوم بقمع الناس وتهديدهم.. لقد أخبروني اليـوم بـأن عـدداً من وعـاظ طهران وخطبائها قد استدعوا إلى منظمة الأمن وطلب إليهم عدم التطرق في خطبهم إلى ثلاثـة مواضـيع: أولاً: أن لا يـذكروا الشـاه بسوء.. ثانياً: أن لا يهاجموا إسرائيل.. وثالثـاً: أن لا يكـرّروا عبـارة: إن الإسلام في خطر.. ومـا عـدا ذلـك فـإنَّهم أحـرارٌ فيمـا يريـدون قوله.. إنّ جميع مشاكلنا ومصـائبنا تكمن في هـذه النقـاط الثلاث. فلو تركناها فلن يبقى بيننا أي خلاف) [1]

إلى آخر خطابه الممتلئ بالقوة، وفي ذلك الوقت الذي كانت التهديـدات تأتيـه من كـل الجـوانب، لكنـه لم يكن يبـالي، ذلـك أن الشخصية القيادية لا يمكن أن تظهر إلا في أمثال تلك المواقف.

وقد كان لذلك الخطـاب آثـاره الممتـدة في وعي الإيرانـيين، والتي حضرتهم للثورة الكبرى، بعد ست عشر سنة، والتي تحققت فيها جميع تلك الشعارات على أرض الواقع.

وكان من الطبيعي بعد تلك المظاهرات الواسعة في اليومين العاشر والحادي عشر من المحرم في طهران، والخطـاب النـاري للإمام في عصـر اليـوم العاشـر من المحـرم في مسـجد مدرسـة الفيضية، أن يستعمل الشاه كل مـا لديـه من قـوة، ولـذلك شـنت أجهـزة الأمن حملـة اعتقـالات واسـعة، وألقت بأعـداد كبـيرة من أنصــار الإمــام الخميــني في الســجون، وكــان من بينهم الإمــام الخميني نفسه.

وهذا ما حصل أيضـا عنـدما تعرضـت المدرسـة الفيضـية إلى تلــك الحملــة الوحشــية في 22 آذار 1963م، حيث كــان هــدف النظام منها إسكات العلماء وإخـراجهم من السـاحة، وليكفـوا عن إلقاء البيانـات والخطابـات، ومن أجـل بث الـرعب في صـفوفهم، لكن الإمام الخميني لم يكن ليثنيه كل ذلك، بل إنه وفي ظـل تلـك الأحكام العرفية المعلنة أصدر بيانـا يقـول فيـه: (ليعي المسـلمون

[1] المرجع السابق، ج 1، ص: 241.

أن خطـر الكفـر يحيـق بالإسـلام، إذ يُفـرض الحصـار على بعض المراجع وعلمـاء الإسـلام، ويحبس بعضـهم الآخـر وتمسّ حرمتـه، فقـد أصـدرت الحكومـة أوامرهـا بهتـك حرمـة الحـوزات العلميـة، وضرب الطلبة العزل، ونهب أسواق المسلمين، وتحطيم واجهـات المحلات التجاريـة، ووضـعوا في طهـران سـماحة آيـة اللـه الخوانسـاري وسـماحة آيـة اللـه البهبهـاني تحت الإقامـة الجبريـة، وسجنوا عدداً من العلماء المحـترمين والوعـاظ المعظمين. وليس بوسعنا الاطلاع على أحـوالهم، فـإنّهم يزجـون بـالأراذل والأشـقياء للإساءة إلى العلماء ورجـال الـدين، ويحولـون دون توجّـه السـادة الطلاب والمبلغين إلى نواحي إيران لتبليغ الإسلام وتعليم الأحكام، إنهم يعاملوننا كعبيد القرون الوسطى، قسماً بالله المتعال أنّـني لا أطيـق هـذه الحيـاة.. إني لا أرى المـوت إلّا سـعادة والحيـاة مـع الظالمين إلّا برما.. ليت أزلامهم جاءوا وقبضوا علينا، ليسـقط عنـا التكليـف.. ليس لعلمـاء الإسـلام والشـعب المسـلم ذنب سـوى الدفاع عن القرآن وناموس الإسـلام واسـتقلال البلـد ومعارضـتهم الاستعمار)[1]

وهكذا نجـد حياتـه كلهـا ممتلئـة بنمـاذج البطولـة والشـجاعة، وفي جميـع المحـال، والـتي كـان لهـا آثارهـا في تلاميـذه وأتباعـه وشعبه.

ونفس الحال نجدها عند تلميذه الأكبر الإمام الخامنئي، الـذي كانت له مواقفه البطولية من أول الأيام الـتي بـدأت فيهـا شـرارة الثـورة في إيـران، أي بعـد انتفاضـة حزيـران عـام 1963 ضـد سـلطات الشـاه، فقـد تعـرض للسـجن، وفي عـام 1978 قـامت السلطات الشاهنشاهية بنفيه إلى أسوء مناطق إيران من الناحيـة المناخية وقضى فيها عاماً كاملا.

وفي السجن قام بتأسيس خلايا ثورية ساهمت بشـكل فعـال فيما بعد بتفجـير الانتفاضـة ضـد الشـاه والـتي اسـتمرت من عـام 1978 وحتى شباط عام 1979.

وفي عام 1981 تعرض إلى حادث اغتيال من قبل المجموعة

1() المرجع السابق، ج 1، ص: 154.

التي تطلق على نفسها اسم (مجاهدي خلق) وأسفر حادث الاغتيال عن إصابته بجروح بليغة في صدره ويديه، ومازالت آثار الإصابات موجودة في يده اليمنى.

وبعد حادث اغتيال محمد علي رجائي، وعلى الرغم من التهديد الشديد الذي يتعرض له حينها كل من يتصدى للمسؤولية إلا أن الإمام الخامنئي راح يشغل منصب رئاسة الجمهورية بعد عملية اقتراع حر فاز فيها بأغلبية الأصوات.

وهكذا نجد كل أصناف البذل والتضحية من جميع قادة الثورة الإسلامية؛ فقد تعرض المفكر والفيلسوف مطهري لإطلاق رصاص أودى بحياته، ومثله الدكتور مفتح، وانفجرت قنبلة في مقر الحزب الجمهوري الإسلامي مما أدى إلى استشهاد الدكتور بهشتي وأصيب حجة الإسلام رفسنجاني برصاص الغدر، لكنه نجا من الموت[1].

خامسا ـ القدرة التسييرية للقائد:

وهي من أهم صفات القائد، ذلك أنه قد تتوفر فيه جميع الصفات والملكات لكنه لا يستطيع التصرف وفقها، ووفق الظروف التي يمر بها، مثل ذلك الذي يكون لديه العلم الكثير، لكن ليس لديه القدرة على تطبيقه في المحال التي يتطلبها تطبيقه؛ فيصير علمه بذلك جهلا لا ينفعه، وقد يصير وبالا عليه.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الصفة عند ذكره للكيفية التي أدار بها طالوت معاركه في مواجهة جالوت، وكيف بدأ بامتحان جيشه، حتى لا يبرز للمعركة إلا الصادقون، والذين تحقق بهم النصر.

وقد توفرت هذه الصفة القيادية في كلا الإمامين الخميني والخامنئي، وتمثلت فيهما أحسن تمثيل، ولعل أكبر دليل على ذلك تلك النجاحات المتتالية التي لا تزال تتصاعد بعد أربعين سنة من الثورة، من دون أن يصيبها أي فتور أو هزيمة.

وقد أشار الإمام الخامنئي إلى هذه الصفة وأهميتها في

1() انظر: شعاع من رؤية آية الله الخامنئي للعلاقات الدولية (ص: 2)

خطبة مهمة عن الإمام الخميني، وكيف أدار الثورة الإسلامية الإيرانية، وقادها للنجاح، وذلك في كلمة له في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، في 4 نيسان 2015، وذلك في ضريحه بحضور حشود ضخمة من المحبين والزائرين[1].

وقد بدأ كلمته بالتحذير مما سماه [تحريف الإمام الخميني]، وهو التحريف الذي لم يمارسه الأعداء فقط، وإنما مارسه الأصدقاء أيضا بسبب عدم فهمهم لجوهر حركته، وكيفية إدارته لها.

وقد ذكر بعض وجوه ذلك التحريف، فقال: (لا ينبغي النظر إلى الإمام الخميني بصفته مجرد شخصيّة تاريخيّة محترمة، وهذا ما يسعى إليه البعض، حيث يعتبر بعضهم الإمام شخصية محترمة مرّت في تاريخ هذا البلد وكانت شخصيّة نشيطة نافعة في يوم من الأيام، وها هو قد فارق هذه الجماهير وارتحل عنها وانقضت أيامه! فما علينا والحال هذه إلا أن نحترم هذه الشخصية ونستذكرها بإجلال وإكبار ليس إلا؛ حيث يريد البعض أن يرى الإمام هكذا ويُعرّفه بهذه الطريقة ويشيع هذا الانطباع في شأنه؛ هذا خطأ!)[2]

ثم بين قيمة الإمام الخميني، وتجاوزه لهذه النظرة البسيطة؛ فقال: (إنّ الإمام هو تجسيد عيني للحركة العظيمة التي أطلقها الشعب الإيراني ونقل بها تاريخه من حال إلى حال، الإمام هو مؤسّس مدرسة فكرية وسياسية واجتماعية. لقد آمن الشعب الإيراني بهذه المدرسة وهذا الطريق وهذه الخارطة، وتحرك ضمن مسارها؛ وإن مواصلة هذا الطريق رهنٌ بالتعرف الصحيح إلى هذه الخارطة، ولا يتسنّى معرفة خارطة الطريق هذه إلا عبر معرفة الإمام التي نقصد بها معرفة أصول الإمام بشكل صحيح. من البديهي أنّ بحثنا حول مباني الإمام الفكريّة، لا في القرارات المرحليّة المختصّة بزمان أو مكان معين؛ البحث حول تلك

---

[1] () انظر نص الخطاب كاملا في: كلمة الإمام الخامنئي دام ظله في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

[2] () المرجع السابق.

الشاكلة الأساسيّة لفكر إمامنا العظيم؛ هذا ما نريد معرفته بشكل صحيح) (1)

وانطلاقا من هـذه المقدمـة المهمـة، والـتي تـبين دور الإمـام الخميـني في حفـظ أهـداف الثـورة، ولـو بعـد وفاتـه، راح الإمـام الخامنئي يصف القدرة التسييرية للإمام الخميني في إدارة الثـورة الإسلامية، وبدأ ذلك بذكر الصفة الكبرى التي أهلتـه لتلـك القيـادة الحكيمة، فقال: (لقـد كـان الإمـام فقيهًـا كبـيرًا؛ كـان فقيهًـا بـارزًا وكبيرًا وكذلك كان فيلسـوفًا وصـاحب رأي في العرفـان النظـري، وكان يُعدّ رائدًا في هذه المواضيع والمجالات الفنيّة والعلميّة، غــير أنّ شخصيّة الإمام البارزة لا ترتبـط بـأي واحـدة من هـذه الأمـور؛ وإنّما تجلّت شخصيّة الإمام الحقيقيّة في تحقّق آيـة ﴿وَجَاهِـدُوا فِي اللَّهِ حَـقَّ جِهَـادِهِ﴾ [الحج: 78] بمضـمونها وتجسـيدها، حيث خـاض الإمام الخميـني العظيم، بمـا ملـك من قـدرات وإمكانيّـات علميّـة بارزة، ميدان الجهاد في سبيل الله واستمر في هـذا الجهـاد حـتى آخر عمره، وأطلق حركة عظيمة؛ ليس في بلده وحسب، بــل في كـل أنحـاء منطقتنـا والعـالم الإسـلامي، وبمعـنى من المعـاني في أرجاء العالم كافة، وقد أسـفرت هـذه الحركـة عن نتـائج منقطعـة النظير) (2)

ثم بين المنجزات الكبرى للإمام الخميني، والـتي لخصـها في إنجازين عظيمين، أولهمـا (الإطاحـة بصـرح نظـام سـلطوي وراثي وظـالم غـير عقلاني حكم هـذا البلـد لآلاف السـنين، هـذا الهيكـل المهترئ الخاطئ؛ حيث يكون زمام الحكم بيد أفراد يتعاقبون عليه بصورة وراثية جيلًا بعد جيل، أو تتوارثه الأجيال المتعاقبـة بالسـيف وسلطة القوة العسكرية، خيّمت هـذه السـنّة المغلوطـة والفاقـدة للمنطق على البلد لآلاف السنين؛ لقد كان العمـل الكبـير والإنجـاز الأول للإمام إسقاط هذا البناء الخطأ، وتسـليم مقاليـد الأمـور إلى أبناء الشعب) (3)

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

والإنجاز الكبير الثاني ـ كما يذكر الإمام الخامنئي ـ هو (إقامة دولة ونظام مبني على أساس الإسلام، الأمر الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ الإسلام منذ صدر الإسلام الأول) (1)

ثم بين خصائص الحركة الخمينية، والفرق بينها وبين سائر الحركات، وأول تلك الخصائص أنها أصيلة، (تستند وتقوم على رؤية كونية وهي عبارة عن التوحيد، حيث كانت جميع تحركاته وكل منطقه مبنيًّا على التوحيد الذي هو البنية التحتية الأساسية لجميع الأفكار الإسلامية) (2)

ومن خصائصها [مواكبتها للعصر]، حيث أنها (تطرح القضايا التي تعاني منها المجتمعات البشرية والمجتمع الإيراني، وتشعر بها الجماهير، فمناهضة الاستبداد ومواجهة الاستكبار تحتل الصدارة في مدرسة الإمام الفكرية، وهذا ما كان يدركه الشعب الإيراني، وكذلك الشعوب المسلمة بل الشعوب غير المسلمة أيضا؛ ولهذا السبب فقد راجت هذه الدعوة وانتشرت في الأرجاء كافة) (3)

ومن خصائصها [الحيوية والنشاط]، حيث أنها (لم تكن كتقديم بعض الأفكار وطرح النظريات التنويرية ذات الكلمات الجميلة الجذابة في مقام البحث، وفاقدة للفاعلية في ميدان العمل.. فقد كان منطق الإمام وفكره ونهجه منطقا وفكرا ونهجا عمليًا يمكن تطبيقه في ساحة العمل، ولهذا السبب نجح وانتصر وتقدم إلى الإمام، لقد بدّلت هذه الحركة تاريخ بلدنا رأسًا على عقب) (4)

وبين الإمام الخامنئي مدى فاعلية الحركة الخمينية، فقال: (لقد كنا ـ نحن الشعب الإيراني ـ شعبًا خاضعًا غارقًا في اليأس

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

وضياع الأهداف، كنا شعبًا تابعًا قد فرضوا عليه التخلّف عمدًا؛ حيث كانوا يفرضون علينا فكرهم وثقافتهم أيضا، وكذلك كانوا ينهبون مواردنا الاقتصادية، ويفتحون علينا في الوقت ذاته سيلًا عَفِنًا من العادات البشعة والأخلاق السيئة؛ كنّا هكذا شعباً، فحوّلنا الإمام إلى شعبٍ متحفّز مندفعٍ حيويّ ومفعم بالأمل، شعب ذي أهداف سامية. ها هو الشعب الإيراني اليوم يتمتع بالنشاط والاندفاع والأمل ويتجه نحو الأهداف العليا) [1]

وانطلاقا من كل هذه المقدمات بين الإمام الخامنئي كيفية إكمال مسيرة الإمام الخميني، وتحقيق كل أهدافه التي كانت أكبر من أن تنفذ أثناء حياته، فقال: (إذا أراد الشعب الإيراني بلوغ هذه الأهداف، ومواصلة هذا الطريق، فإنّ عليه أن يعرف نهج الإمام الكبير وأصوله ومبادئه بشكل صحيح، وأن يحول دون تحريف شخصية الإمام الذي تعتبر تحريفًا لنهج الإمام وتحريفًا للصراط المستقيم الذي يسلكه الشعب الإيراني. فلو أضعنا نهج الإمام أو أودعناه في غياهب النسيان أو تعمّدنا ــ لا قدّر الله ــ إبعاده وإقصاءه، لتسبّب ذلك في أن يتلقى الشعب الإيراني صفعة كبيرة) [2]

وفي أثناء ذكره لهذه الأمور وغيرها استشهد ببعض المواقف التي تبين مدى قدرة الإمام الخميني على تسيير دفة سفينة الثورة الإسلامية سواء قبل انتصارها أو بعدها.

ومن الأمثلة التي ذكرها الطريقة التي أجاب بها الإمام الخميني على رسالة ريغان، حيث قال: (لقد كان الإمام يتعامل مع الأحداث دون مساومة ومجاملة، حيث نجده قد أجاب على رسالة ـ وهناك رسالتان كانتا قد بُعثتا إليه من قبل الزعماء المستكبرين في العالم أو التابعين لهم ــ وكانت ردوده في غاية الصراحة والحسم، وقد بُثّت حينها عبر الإذاعة والتلفاز في الجمهورية الإسلامية. فقد بيّن الإمام، وضمن التزامه بالأدب، مواقفه الصارمة والبيّنة في تلك الرسائل، وقد أجرى الإمام توكّله على

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

الله هذا كالدم في شرايين الشعب، فأضحى شعب إيران من المتّكلين على الله والمؤمنين بنصره والسائرين على هذا النهج.. وإنّ عدم ثقة الإمام بالمستكبرين وعدم التصديق بهم أدّى إلى أن لا يكترث بوعودهم أيضًا. فقد بعث الرئيس الأمريكي ريغان، وكان رئيسًا مقتدرًا، كتابًا إلى الإمام وأرسل إليه رسالة وأوفد إليه مبعوثًا، فلم يعبأ به الإمام ولم يجب على رسالته ولم يكترث به واعتبر وعده كأنْ لم يكن شيئًا مذكورًا) [1]

وهكذا كان في مواقفه من قوى الاستكبار العالمي، فقد كان لا يثق فيها، ولا في وعودها، وقد ذكر الإمام الخامنئي أن (إحدى الدول التابعة لأمريكا وعدت في مسألة نهاية الحرب المفروضة تسليم مئات بل آلاف المليارات، غير أنّ الإمام لم يأبه بذلك ولم يثق بهم) [2]

ثم ذكر أنه يسير على نفس مساره في هذا الجانب، فلا ثقة بوعود المستكبرين، ولا يمكن الاعتماد على تصريحاتهم في الاجتماعات الخاصة، بل ينبغي التخطيط بعيدا عن كل تلك الوعود، (علمًا بأنّ ذلك لا يعني قطع العلاقات مع العالم، فقد كان زعماء البلدان يبعثون إلى الإمام رسائل تهنئة في شتى المناسبات، والإمام بدوره أيضًا كان يجيب عن رسائلهم، فقد كانت مثل هذه العلاقات المبنية على أساس الأدب والاحترام قائمة في الأطر العادية، ولكن لم يكن هناك أي ثقة بالجبابرة والمستكبرين وأتباعهم وعملائهم) [3]

ونحب أن نضيف إلى ما ذكره الإمام الخامنئي من شواهد على القدرة التسييرية للإمام الخميني ذلك الموقف المصيري الذي حكاه عن نفسه عندما كان منفيا في باريس، وأراد العودة بعد أن رأى أن الضرورة تدعو إلى ذلك، لكن الكثير راح يثنيه عن العودة، لكنه لم يبال بذلك، وقد ذكر ذلك الموقف وأهميته، وكيف كشفت الأيام قيمته، فقال: (آنذاك كنت أعاني، وكانت الهجمات

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

تشن من كل الأطراف والتهديدات تنهـال من كـل حـدب وصـوب، من أمريكا، من إيران، كانوا يريدون منعي من العـودة إلى إيـران، وخططوا لتلك المؤامرات التي أحبطت بحمد لله، ومن يومها وإن لم أكن متأكدا إلى حد كبير، غير أنه رجح لـدي احتمـال قـوي بـأن القضية غير عادية وقد كانت كذلك بالفعـل.. ولهـذا فـإن كـل تلـك التهديدات والتوصيات التي وصلتني من الحكومة الإيرانية بواسطة الحكومة الفرنسـية والأمريكيـة بوسـائل مختلفـة، قـد عـززت من اعتقادي في أنهم يدبرون أمرا ما، وأن قلوبهم تمتلئ بـالخوف من عودتي إلى إيران، وأنهم يريدون تأخير هـذا الأمـر بـأي ثمن، حيث كانوا يرددون: (لا تتعجل الذهاب الآن!)، وكأنهم يريدون إظهار نوع من التعاطف معنا وحرصا على مصـالحنا، في حين كنت أعلم بـأن الأعداء لا يريدون مصلحتنا، إنهم يريدون تحقيق مصالحهم وحينمـا أدركت ذلك عزمت على العـودة وقلت يجب أن أعـود.. كمـا بعض الأصدقاء المحيطين أوصلوا إلينا مقترحاتهم من أن الـوقت لايـزال مبكرا للعودة إلى إيران، ولكني أدركت من إصرارهم بـأن الـوقت ليس مبكـرا وينبغي العـودة إلى إيـران الآن فهم يحـاولون تجميـع قواهم والقيام بمؤامرة ما.. وحينما وصـلت قـال بعض السـادة يـا حبذا لو لم تأت الآن، فالوقت لايزال مبكرا، ولكني كنت واثقاً بـأن الـوقت لم يكن مبكـرا، ولـو أننـا أمهلنـاهم وأخرنـا المجيء لكـان ممكنا أن يستغرق الأمر حـتى هـذا الـوقت، ولكـانوا قـاموا بتنفيـذ مخططاتهم ولعجزنا عن القيام بأي عمل بعد ذلك، وربمـا تتمكنـوا من منعنا من تحقيق ما حققناه.. لكني واسـتنادا إلى هـذه الأمـور، أدركت نتيجة ما قاموا بـه ومـا أرسـلوه من توصـيات، وأحسسـت بوجود أمر ما وحينما كـان رفـاقي يقولـون لي أرجئ أمـر عودتـك إلى إيران قليلا)[1]

سادسا ـ جاذبية للقائد:

وهي من أهم الصفات التي يتحلى بها القـادة الكبـار، والـذين يجـدون أنفسـهم محـل قابليـة كبـيرة من الجمـاهير، قـد يعرفـون سـببها، وقـد لا يعرفونـه، وهي الـتي أشـار إليهـا قولـه تعـالى عن رسول الله ﷺ: ﴿ وَرَفَعْنَـا لَـكَ ذِكْـرَكَ ﴾ [الشـرح: 4]، فهـذه الآيـة

[1] () صحيفة الإمام، ج6، ص: 226.

الكريمة كما تنطبق عليه ﷺ تنطبق على ورثته من الأئمة المطهرين أو نوابهم المهتدين بهديهم، والسائرين على خطهم.

وأشار إليها مبينا أسبابها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ [مريم: 96]؛ فهي تشير إلى أن تلك الجاذبية ليست اعتباطية، ولا غيبية مجردة عن الأسباب، وإنما هي مرتبطة بالأسباب، وأول أسبابها الإيمان والعمل الصالح.

وبناء على هذا، نرى أن أكبر أسباب نجاح الثورة الإسلامية الإيرانية تلك الجاذبية الخاصة التي حظي بها قادتها الكبار، نتيجة إخلاصهم وصدقهم مع الجماهير التي التفت بهم.

وأول من حظي بتلك الجاذبية الإمام الخميني، فكل من تحدث عن الثورة الإسلامية الإيرانية، ورأى مدى التفاف الإيرانيين حوله، وصدقهم معه، وصدقه معهم، ذكر أن روح الله الخميني هو روح الثورة، وأنه لولاه، ولولا تلك الجاذبية الخاصة التي كانت له في أوساط الجماهير ما انتصرت الثورة.

فقد أعاد ذلك لأذهان المفكرين وعلماء الاجتماع ما كتبه ماكس ويبر[1] حول أهمية كاريزمية القائد، ودورها في انتصار الثورات والحركات التغييرية؛ فهو يرى أن هناك ثلاثة أنواع من السلطة ذات صلة بثلاثة أنواع من السلوك: العقلاني، والتقليدي، والكاريزمي، وهي مقسمة على أساس السمة الخاصة بالدوافع التي تستمد وجودها من الإطاعة.

فالسلطة العقلانية تستند إلى الاعتقاد بقانونية الأوامر، وقانونية موقعية الأشخاص الذين يمارسون السلطة، حيث تبنى السلطة على الإيمان بقداسة التقاليد القديمة ومشروعية مَنْ تفوض إليهم مهمة ممارسة السلطة، بيد أن السلطة الكاريزمية تبنى على التضحية غير العادية إزاء الشخص الذي تكون قداسته أو قواه البطولية الشخصية، أو النظم الملهم الذي يتسم به، مبرراً

[1] () هو ماكسيميليان كارل إميل فيبر (1864 –1920) كان عالمًا ألمانيًا في الاقتصاد والسياسة، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة.

لذلك.

وقد ذكر أن القوة العقلانية تؤدي في البداية إلى تغيير المحيط الاجتماعي، ومن ثم تحول الرؤية الكونية للجماهير، أما الكاريزما فتحدث تحولاً في الحياة الباطنية للأفراد أولاً.

وهو ـ كما يقر بعدم إمكانية اعتبار جميع الثورات كاريزمية ـ إلا أنه يعتبر الكثير من الثورات الحديثة تتحلى بسمة الكاريزما، وبذلك يعتبر النفوذ الكاريزمي من أكثر الوسائل رواجاً لإسقاط الأنظمة التقليدية والقانونية، وبالتالي يتمتع بالقوة الثورية.

وبناء على ما كتبه حول الكاريزما، وكونها تشبه العلاقة الروحية بين المريد والقائد، وأنها لا تستند أحيانا كثيرة لأي أسس عقلانية أو تقليدية، وإنما تستند إلى العلاقة العاطفية والروحية، فسرت الكثير من الدراسات سر انتصار الثورة الإسلامية في جاذبية الإمام الخميني، أو كما عبر عن ذلك الإمام الخامنئي بقوله: (إن هذه الثورة بدون اسم الخميني لن تعرف في أي نقطة من العالم)

ومن تلك الدراسات ما كتبه د. منوجهر محمدي، والذي حاول أن يجمع للإمام الخميني بين تلك القوى جميعا، العقلانية والتقليدية والكاريزمية، مبينا أن كاريزمية الإمام الخميني لم تكن عاطفية مجردة، وإنما كانت تستند إلى سند عقلي متين.

وقد كتب في دراسة له حول الموضوع[1] يتساءل عن سر إخفاق النهضات السياسية الاجتماعية السابقة، أمثال الحركة الدستورية وحركة تأميم صناعة النفط، في تحقيق أهدافها على الرغم من شعبيتها، بل إنها أدّت في النهاية إلى اعتزال الجماهير الساحة، على خلاف ما حصل خلال الثورة الإسلامية، والتي انتصرت انتصارا كاسحا شاملا ـ على الرغم من كل الدعم الدولي الذي كان يحظى به النظام الشاهنشاهي ــ ومن دون اللجوء إلى

[1] () انظر ما كتبه د. منوجهر محمدي من كتب حول الثورة الإسلامية الإيرانية ومنها كتاب (دراسة حول الثورة الإسلامية)، وكتاب (الثورة الإسلامية مقارنة بالثورتين الفرنسية والروسية)، ومنها دراسة مهمة جدا بعنوان: العلاقة بين الإمام الخميني والشعب في الثورة، موقع دار الولاية للثقافة والإعلام، 14/08/2018، وهي التي رجعنا إليها هنا.

السلاح.

وقد رأى ـ للإجابة على تلك التساؤلات ــ أن أقـرب مـا يجيب عليها تتبـع أبعـاد قيـادة الإمـام الخميـني للثـورة، والـتي تجلت في ثلاث صـور، وثلاثـة أدوار: الإمـام الخميـني بصـفته قائـداً يتجلى بالكاريزميـة.. والإمـام الخميـني بصـفته زعيمـاً دينيـاً في موقـع المرجعية.. والإمام الخميني بصفته مرشداً وموجّهاً.

أما الدور الأول والصورة الأولى المرتبطة بـه، فهي [**الإمـام بصفته قائداً يتحلى بالكاريزمية**]، فأكثر البحوث ــ كمـا ذكـر د. منوجهر محمدي ـ تشير إلى دور الكاريزما التي كـان يتمتـع بهـا الإمام الخميني في انتصار الثورة.

ومن تلك الدراسة دراسة بعنوان (تقييم نظرية الكاريزمـا في تطابقها مع واقعية الثورة الإسلامية) حيث يقول كاتبها: (لا شك إذا ما تسنى لنا العثور على مصداق لنظرية ويبر حـول الكاريزمـا في عالمنـا المعاصـر، فـان قيـادة الإمـام الخميـني للثـورة الإسـلامية الإيرانية ستكون الأبرز في هذا المجال، ولهذا حظيت نظرية ويـبر، خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية والتحولات السياسية – الثقافية التي أعقبتها، بنوع من الإقبال من جديد، وان جانبـاً مهمـاً من الجهود الفكرية التي كرست لدراسة هذا الحـدث كـان متـأثراً بشكل مباشر وغير مباشر بالإنجازات الفكرية لماكس ويبر)[1]

وقد علق د. منـوجهر محمـدي على هـذا بقولـه: (لا شك في أن الإمام الخميني كان يتحلى بـأبرز سـمات الكاريزمـا، وان صـور الحب والمودة التي تكنها الجماهير لسماحته يمكن مشاهدتها بكل سهولة من خلال انشداد أبناء الشعب إليه، وقد تجلت نماذج لهـذه العلاقة والانشداد في مراسم اسـتقبال سـماحته أثنـاء عودتـه إلى إيـران، وأثنـاء خطابـات سـماحته، وحـتى بعـد رحيلـه في مراسـم تشييع جنازته، بيـد أنـه ومن خلال المزيـد من التأمـل، نـدرك بـأن العلاقة بين الإمـام والجمـاهير وقبـل أن تكـون علاقـة قائمـة على أساس سلطة ونفوذ كاريزما سماحة الإمام، إنما هي علاقة قائمـة

[1] () مقال: (تقييم الكاريزما مطابقة مع الثورة الإسلامية الإيرانية)، علي محمد حاضـري، مجموعة مقالات المؤتمر الدولي الثاني (الإمام الخميني وإحياء الفكر الديني)، الجزء الثالث.

على أساس المنطق والعقلانية)[1]

ثم علل ذلك، بأنه (طوال فترة قيادة الإمام لم يصدر عن سماحته موقفاً ما لم يتم إعداد الأرضية اللازمة لتهيئة أذهان الجماهير إليه، وتوضيح الدلائل التي دفعته إلى اتخاذ مثل هذا الموقف بكل صراحة وببيان بليغ ومعبر، والأكثر طرافة من ذلك هو أنه حتى في الحالات التي يكون لدى فئات كثيرة من أبناء الشعب فهماً آخر غير وجهة نظر الإمام، فإن مجرد تصريح أو تلويح من سماحته كان يكفي لإقناع الجماهير بالعدول عن موقفها، ومع ذلك، فما لم تقتنع الجماهير بحقيقة الموقف فإن سماحته لم يكن يلتزم الصمت فقط، وإنما كان يسمح للجماهير بالتعبير عن قناعاتها والتعرف على صحة مواقفها أو خطئها عملياً، علماً أن الإمام كان يلجأ إلى مثل هذا الموقف رغم الحب والود الذي كانت الجماهير تكنه لسماحته بحيث أنها كانت تستجيب على الفور لأي أوامر كان يصدرها سماحته دون أدنى تردد)[2]

وكل ذلك يشير إلى أن العلاقة بين القيادة والجماهير في الثورة الإسلامية لم تكن قائمة على الجانب الكاريزمي فقط، وإنما كانت قائمة على أسس عقلانية، أو بتعبير آخر وأكثر وضوحاً: (إن الإمام لم يحاول استغلال هذا الجانب كوسيلة لنفوذه وتسلطه على الجماهير، أو اتباع الجماهير وتقليدهم له تقليداً أعمى، مثلما فعل الكثير من القادة[3]، وإنما كان يستند إلى الحكمة والعقل لا

1() العلاقة بين الإمام الخميني والشعب في الثورة، موقع دار الولاية للثقافة والإعلام، 14/08/2018.

2() المرجع السابق.

3() من الأمثلة على ذلك ما حدث خلال الثورة الصينية بقيادة ما وتسي تونغ أثناء عملية التراجع والانسحاب التي عرفت بالمسيرة الطويلة، فقد تمت بأمر من مايوتسي تونغ، (وقد هلك خلال هذه المسيرة أكثر من خمسين ألف شخص من المائة ألف الذين كانوا يشكلون العمود الفقري لجيش ماوتسي تونغ)، وكان ذلك في وقت وعلى حد قول أحد اتباع ماوتسي تونغ: (إن الهدف من هذه الخطوة لم يكن مجرد الهروب من أمام قوات جيان كاي جك، ذلك أنه وبعد ستة أشهر حيث بدأ فصل الشتاء، قلل جيش كومين تانك، الذي كان يلاحق الفارين بضراوة، من ضغوطه، غير أن ماوتسي تونغ كان يفكر بمواصلة التراجع والانسحاب

إلى نفوذه العاطفي المجرد)

هذا عن الدور الأول والصورة المرتبطة به، أما الدور الثـاني، فهو [**الإمام الخميني بصفته مرجعاً دينياً**]، وهـذا مـا أكسـبه صفة أخرى، وجاذبية جديدة، تعطي للكاريزمية سـندا عقليـا ودينيـا بالإضـافة للسـند العـاطفي، وقـد لاحـظ هـذا من صـنف الثـورة الإسلامية الإيرانية بكونها ثورة شيعية، باعتبار أنه لم يكن يتـاح لهـا النجاح لو كانت في بيئة سنية لافتقادها لنظام المرجعية.

وهذا التصنيف وإن كانت تبدو عليـه ملامح اللغـة الطائفيـة إلا أنه يحمل الكثير من المعـاني الصـحيحة، أو كمـا عـبر عن ذلـك د. منوجهر محمدي بقوله: (من الواضح أن باب الاجتهاد مفتـوح لـدى المذهب الشيعي، وأن ذلك لم يؤد إلى نمو وازدهار الفقه الشيعي فقط، وإنما أضفى أهمية خاصة على مسألة الاجتهاد والتقليد لـدى التشيع من جـانبين: الأول، أن الفقهـاء يتمتعـون بـالخبرة والـوعي بالنسبة للأمور المتعلقة بالمسـائل الشـرعية ويتعـاطون معهـا من منطلق العدالة الإسلامية. والثاني، أن التقليد الديني يتسم بالتعبـد المقرون بالانتخـاب الـواعي، ولهـذا ينبغي للشـيعي إمـا أن يكـون مجتهداً مدركاً لكافة المسائل الفقهيـة والعلـوم المرتبطـة بهـا، أو مقلـداً للمجتهـد الجـامع للشـرائط من قبيـل العدالـة والفقاهـة وصاحب رسـالة عمليـة في الأحكـام الفقهيـة. ونظـراً لعـدم تـوفر إمكانيـة الاتصـال بمراجـع التقليـد للجميـع لأسـباب عديـدة، فمن الطـبيعي أن يضـطلع الروحـانيون بـدور الرابـط والناقـل لأفكـار وفتـاوى هـؤلاء المراجـع، ومن دون أن تكـون هنـاك سلسـلة من المراتب الخاصة، يضطلع الروحانيون بدور هام بمثابة وسـطاء بين كبار الزعماء الدينيين والجماهير، حيث يقومون باطلاع النـاس في المساجد ومن فوق المنابر على آراء وفتـاوى مراجـع الـدين، وفي الوقت نفسه إحاطة الزعماء الدينيين بمعاناة الناس وهمومهم)[1]

حتى يتسنى للشيوعيين الوصول إلى منطقة نائيـة وآمنـة. وكـان يخطـط لأن يعمـل في تلـك المنطقة النائية على إيجاد تشكيلات سليمة للحزب الشيوعي والقوات المناصرة له) [هـانري ماركانت، زردهاى سرخ، ترجمة هوشنك منتصرى، نقلا عن المرجع السابق]

1() دراسة حول الثورة الإسلامية، د. منوجهر محمدي.

ويدل لهذا ــ كما يذكر د. منوجهر محمدي ــ تاريخ إيران الحديث، فدور مراجع الدين في بلورة النهضات وانتصارها حظي بأهمية كبيرة للغاية، فبفضل الفتوى التي أصدرها الميرزا الشيرازي بتحريم التنباك، ألغيت بكل سهولة ومن دون إراقة دماء أو خلق إضراب، الاتفاقية الدولية حوله، واعتبارها تتعارض مع المصالح الوطنية.. وهكذا عندما أصدر مراجع التقليد حكم الجهاد ضد روسيا القيصرية مما اضطر الساسة المحليين والأجانب إلى تغيير مواقفهم، وبذلك (شكلت القوة الدينية الفائقة لمراجع الدين الشيعة سلاحاً ماضياً يتم اللجوء إليه للمضي قدماً بتحقيق الأهداف الوطنية والدينية كلما اقتضت الضرورة إلى ذلك، ومثل هذا يشبه إلى حد كبير القوة والسلطة التي يتحدث عنها ماكس ويبر تحت عنوان (السلطة والقوة التقليدية)[1]

وبناء على هذا يذكر د. منوجهر محمدي أن السمة الروحانية التي اتسمت بها شخصيات كبرى أمثال آية الله الكاشاني والشيخ فضل الله نوري، والسيد البهبهاني وآخرين، هي التي ساعدت في دفع الجماهير للتواجد في ساحة التحولات الاجتماعية خلال نهضات الحركة الدستورية وحركة تأميم صناعة النفط، لكن بسبب كون هؤلاء القادة لم يكونوا في موقع مرجع التقليد، لم يتمكنوا من الاستفادة بشكل كامل من اقتدار المرجعية في المضي قدماً بأهدافهم السياسية – الاجتماعية.

ومن الدراسات التي تؤكد هذا دراسة بعنوان (مؤسسة المرجعية في مرحلة النهضة والنظام)، والذي ذكر صاحبه فيها أن (شخصية الإمام الخميني كانت تتصف ببعدين، فمن جهة كان سماحته يعتبر مرجعاً للتقليد، ومن جهة أخرى، مصلحاً مناضلاً تحررياً، وفي كلمة واحدة هو (مرجع مصلح)، وان سرّ نجاح قيادة الإمام يكمن في هذا الجانب أيضاً.. ذلك أن نفوذ وشعبية الإمام قائمة على أساس (التقليد)، وأن لغة قيادة سماحته هي (لغة التكليف)، وأن الجماهير كانت قد أنست مع هذا الأساس ومع هذه اللغة منذ فترة طويلة)[2]

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () الثورة الإسلامية وجذورها، مقال: مؤسسة المرجعية في مرحلة النهضة والنظام،

ومن أمثلة استفادة الإمام الخميني من موقعه في المرجعية فتواه أثناء انطلاقة نضاله عام 1962، بتحريم مبدأ (التقية)، وإطلاق مقولته: (التقية حرام، ومن الواجب الكشف عن الحقائق)، والتي عبر عن تأثيرها الإمام الخامنئي بقوله: (كان للفتوى التي أصدرها الإمام (ره) سحر عجيب: (التقية حرام، وإظهار الحقائق واجب، ولو بلغ ما بلغ»، حيث قضت على كافة الذرائع التي كان يتشدق به بعض المرائين المهزومين)[1]

وقد كانت تلك الفتوى ردا على (الكثير من طلاب الراحة الذين يشيعون مصطلح التقية و(حرمة الإضرار بالنفس) لحض الناس على السكوت وغضّ الطرف عما يحدث، لكن الإمام بشجاعته المعهودة انتزع هذه الحربة من أيديهم عبر هذه الفتوى الجريئة التي سرعان ما انتشرت وترسخت في نفوس أبناء الشعب في شتى أرجاء البلاد، مما سد الطريق أمام لعب العناصر المشبوهة، ووضع الأمة وجهاً لوجه مع الحقائق بعد أن اعتبر من واجباتهم فضح وإشاعة وتوضيح خطر نظام الشاه على الإسلام واستقلال البلاد.. وقد كانت هذه الفتوى من أكثر الأمور تأثيراً على الأمة خاصة علماء الدين منهم، فقد بعثت فيهم حركة وحماساً قبل نظيرهما، ورسخت في أذهانهم فكرة الرفض القاطع لأية مساومة ورضوخ وتراجع)[2]

وهكذا كان لمرجعيته دورها الكبير في تحصين الثورة الإسلامية من الوقوع فيما وقعت فيه الكثير من الثورات من التحول إلى النزاع المسلح، وذلك من خلال امتناعه عن إصدار أي حكم أو فتوى تقضي بوجوب الجهاد والمواجهة المسلحة ضد نظام الشاه وأعوانه في ذروة نضال الشعب خلال العامين 78 – 1979، على الرغم من تحمس الثوريين للجهاد المسلح، إلا أن الإمام الخميني امتنع عن إصدار الفتوى[3].

هذا عن الدور الثاني والصورة المرتبطة به، أما الدور الثالث،

هدايت جليلي، نقلا عن المرجع السابق.

[1] () الإمام الخامنئي.. السيرة والمسيرة (ص: 32)

[2] () تاريخ ايران السياسي المعاصر (ص: 29)

فهو [**الإمام الخميني بصفته مرشداً وموجّهاً**]، وهو من أهم الأدوار، وربما كان أقربها لتمثيل الإمـام الخميـني، وتمثيـل خلافتـه من بعده، ولـذلك يطلـق على الـولي الفقيـه لقب [مرشـد الثـورة الإسلامية]، و(من خلال دراستنا لسيرة الإمـام الخميـني وارتباطـه بالجماهير سواء في المراحل التي سبقت الثـورة وبعـد انتصـارها، تستوقفنا ملاحظـة مهمـة وهي أن سـماحته في أغلب المواقـع لم يكن يمـارس نشـاطه بصـفته قائـداً يتمتـع بالكاريزمـا، أو باعتبـاره مرجعاً دينياً فحسب، وإنمـا بصـفته معلمـاً ومرشـداً أيضـاً. إذ كـان سماحته أسـتاذا نموذجيـاً في مضـمار التعليم والتربيـة سـواء على الصعيدين النظري والعملي معاً. فقد نجح بفضل أسـاليبه التربويـة أن يجعل من المجتمع الذي كان يغط على مدى سنوات متماديــة، بل طوال القرنين أو الثلاثة الأخيرة، في سبات وضعف وجهل وقد هيمن عليه نوع من التقاعس واللامبـالاة، جعـل من هـذا المجتمـع يقف في طليعة النهضة الدينية الكـبرى وأن يشـهد تحـولاً عظيمـاً)[1]

وسنتحدث بتفصيل عن هذا الدور في سائر الفصول، باعتبــار أنها جميعا تحاول أن تكتشف أسرار التوجيهات الحكيمة الـتي أدت بالثورة الإسلامية إلى الانتصار، وفي جميع المجالات.

3() دراسة حول الثورة الإسلامية، د. منوجهر محمدي.

1() المرجع السابق.

الفصل الثاني

الثورة الإسلامية.. والطاقات البشرية

الركن الثـاني من أركـان انتصـار الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، ومثلها انتصار أي ثورة، تـوفر الطاقـات البشـرية الـتي تنفـذ بدقـة تعاليم القيادة الحكيمة، لتصـل بهـا في الأخـير إلى تحقيـق النصـر الشامل؛ فبقـدر تـوفر تلـك الطاقـات، واسـتعداداتها للتضـحية في سبيل تحقيق النصر، بقدر ما تكون النتائج.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الركن عند حديثه عن قصـة طالوت، وكيف أن الجماهير هي التي طالبت به.. ولولاه لم يتحقق النصــر.. ولولاهــا لم يكن لطــالوت أن يــؤدي دوره في تحقيقــه، والقصـة تشـير بـذلك إلى تعـاون كلا الركـنين وانسـجامهما، حـتى يحققا الغاية الكبرى.

والقصة تشير كذلك إلى تلك الامتحانات التي قام بها طالوت من أجل التحقق من مدى استعداد الجمـاهير للتضـحية في سـبيل تحقيق النصر، وعندما وجد الثلـة الكافيـة دخـل المعركـة، وانتصـر فيها.

وهذه القصة تشبه كثـيرا قصـة الإمـام الخميـني مـع الشـعب الإيراني مع فارق بسيط، وهـو أن العـدد الـذي تجـاوب مـع القائـد الحكيم كان أكبر بكثير من تلك الأعـداد الـتي اسـتجابت لطـالوت؛ فقد قدم الشعب الإيراني ـ استجابة لوصايا وإرشادات قائده ـ كل غال ونفيس سواء قبل تحقيق النصر على النظـام الاسـتبدادي، أو بعد تحقيق النصر، وأثناء المواجهة مع قوى الاستكبار العالمي.

وقد أشار الإمام الخميني إلى ذلك التجاوب الشـعبي للثـورة، فقال: (لقد شعرت بالأمل حينما رأيت أن هذه الثورة شملت كافة فئات الشعب وشارك فيها حتى الوليد الصغير الذي ردد الشعارات ومصاصته في فمه.. حينما رأيت أن الأمر لم يقتصر على شــريحة اجتماعية واحدة بل شمل كافة الفئات وتخطى ذلك أيضا، شـعرت بالأمل لأنني عرفت أن هذا الأمر ليس من طاقة البشر، فمثل هذا

الأمر لا يتسنى لقيادة ما أو قوة ذاتية، إنها قضية إلهية، إنها قـدرة الله تبارك وتعالى الذي وجه الأمور بالطاقة الخاصة، وجعـل كافـة فئات الشعب تتكلم بلسان واحد وتتحرك نحـو هـدف واحـد وتـردد شعارا واحدا.. لما رأيت كل ذلك شعرت بالأمل)[1]

وربما تكون البداية التي انطلق فيهـا اختبـار الإمـام الخميـني للشعب الإيراني هي تلك الأيام التي بدأ فيها بنشر بياناتـه وفتـاواه قبل ما يقارب سبع عشر سنة من انتصار الثورة الإسـلامية؛ فمنـذ ذلك الحين، وطيلة تلك الفترة كانت جماهير الشعب الإيراني تلبي كل ما يطلبه، وتؤديه أحسن أداء، وقد جعله ذلك يصعد من طلباته إلى أن حقق النصر النهائي على الاستبداد، ثم حقـق النصـر بعـده على قوى الاستكبار العالمي.

ولو لم يكن لتلك الجماهير تلك الاستجابة النـادرة، أو لم يكن للإمـام الخميـني ذلـك اليقين بقـدرات شـعبه على التضـحية مـا استطاع كلاهما تحقيق النصر.

ولهـذا نـرى أن مـا ورد في الروايـة عن الإمـام الكـاظم من النبـوءة الغيبيـة المرتبطـة بـإيران، ليس لـه من مصـداق تـاريخي أقرب مما حصل بين الخميني وشعبه؛ فقد جاء في الرواية: (رجل من قم، يدعو النـاس إلى الحـق، يجتمـع معـه قـوم قلـوبهم كزبـر الحديـد، لا تـزلهم الريـاح العواصـف، لا يملـون من الحـرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون والعاقبة للمتقين)[2]

ومـع أن الروايـة ــ كسـائر الروايـات والأحـاديث المرتبطـة بـالنبوءات ــ لم تـذكر اسـم الرجـل، ولا زمانـه، ولكنـا ــ من خلال عرضها على التاريخ ـ لا نجد شخصـا تنطبـق عليـه كانطباقهـا على الإمام الخميني والشعب الإيـراني، واللـذين أثـني على كليهمـا في الرواية.

ويؤيـد هـذه الروايـة مـا ورد في تفسـير قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ

[1] () صحيفة الإمام، ج6، ص: 226.

[2] () بحار الأنـوار : 60 /ـ 216، وقـد نقلهـا صـاحب البحـار عن كتـاب تـاريخ قم لمؤلفـه الحسن بن محمد الحسن القمي الذي ألفه قبل أكثر من ألف سنة.

تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: 38]، فقد ورد في تفسيرها في مصادر السنة عن أبي هريرة أنه قال: تلا رسول الله هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾، قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان ــ أي سلمان الفارسي ــ ثم قال: (هذا وقومه)[1]

والآية واضحة في تهديد الله سبحانه وتعالى للعرب الذين نزل القرآن الكريم بين ظهرانيهم أنهم في حال توليهم وتخليهم عن الدور المناط بهم، سيتولى ذلك قوم آخرون، وأنهم سيؤدون الأمانة بصدق وإخلاص، وأنهم لن يكون أمثال القوم الأولين الذين شوهوا الرسالة.. وقد وضح رسول الله ﷺ في الحديث أن هؤلاء البدائل هم سلمان وقومه.

ومثل ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 3]، فقد أخبر رسول الله ﷺ أن مصداق هذه الآية منطبق على فارس، قال ابن كثير، وهو حافظ ومفسر من أكثر المدارس الحديثية تشددا مدرسة ابن تيمية: (وقوله: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ قال الإمام أبو عبد الله البخاري رحمه الله. حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان ثم قال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ــ أو: رجل ــ من هؤلاء)، ورواه مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، من طرق عن ثور بن زيد الديلي عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة، به)[2]

ويؤيد هذه الروايات المتفق على صحتها الكثير من الأحاديث الواردة في المصادر السنية، والتي تبين دور الفرس في حركة

[1] () رواه الترمذي، ح(3260)

[2] () تفسير ابن كثير، (8/ 116)

التاريخ، وأنهم سيحملون مشعل الإصلاح في الأمة، وكأنها تدعو العرب إلى التأسي بهم، وعدم التكبر عليهم، مثلما حصل في الواقع للأسف.

ومن تلك الأحاديث ما رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه [ذكر أصبهان] عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ ـ وذكرت عنده فارس ـ فقال: (فارس عصبتنا أهل البيت)[1]

وفي حديث آخر عن أبي هريرة قال: (ذكرت الموالي أو الأعاجم عند رسول الله ﷺ فقال: (والله لأنا أوثق بهم منكم، أو من بعضكم)[2]

وهذا يدل على اشتهار ذلك في الزمن الأول، حتى أنه روي أن الأشعث جاء إلى الإمام علي؛ فجعل يتخطى الرقاب حتى قرب منه، ثم قال له: يا أمير المؤمنين غلبتنا هذه الحمراء على قربك، يعني العجم، فركض المنبر برجله حتى قال صعصعة بن صوحان: ما لنا وللأشعث! ليقولن أمير المؤمنين اليوم في العرب قولاً لا يزال يذكر، فقال الإمام علي: (من عذيري من هؤلاء الضياطرة، يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمار، ويهجر قوما للذكر ! أفتأمرني أن أطردهم؟! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ليضربنكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً)[3]

ولهذا نرى الإمام الخميني يزكي الشعب الإيراني كل حين، ويعتبره السبب في كل ما حصل من انتصارات، ومن الأمثلة على ذلك قوله في خطاب له في 3 مارس 1979 م، في المدرسة الفيضية بمدينة قم المقدسة، وبعد فراق طويل دام أكثر من ستة عشر عاماً، بحضور جمع غفير من الإيرانيين، فقد قال في مقدمة خطابه: (إنني أشكر عواطفكم أيها الشعب الإيراني.. إنني لم أنسكم أيها الشعب المضطهد، وإنني غير قادر على إبداء الشكر

1() رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان (1/ 11) ، والديلمي (2/ 332)

2() رواه أبو نعيم في ذكر أصبهان، ص 12.

3() رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج : 20 / 284.

لكم، وأطلب من الله تبارك وتعالى الصحة والسعادة لشعب إيران.. فقد أحيا الشعب الإيراني الإسلام بروحه ودمه، وجدد الحياة للإسلام والمسلمين، وأسقط المساعي التي بذلها الاستعمار والأجانب)

ثم أشاد بالتضحيات التي قدموها؛ فقال: (يجب أن أشكر الشعب الإيراني، وأشكركم يا أبناء مدينة قم، إذ في قيامكم خلال السنتين الأخيرتين قضيتم على جميع مخططاتهم (مخططات الاستعمار) وطردتم عملاء الاستعمار من بلادكم، وسوف تطردون ما بقي منهم.. لقد قطعتم يد الاستعمار وقطعتم أيدي المستعمرين والقراصنة العالميين، بذلتم الدماء.. قدمتم الشباب، وكان هذا الدم وهؤلاء الشباب في سبيل الإسلام ولمصلحة الإسلام. وهو أعز من أن نخشى القتل أو استشهاد شبابنا في سبيله.. كان للإسلام شهداء كثيرين. فأمير المؤمنين شهيد الإسلام في سبيل الله، نحن لا نهاب القتل.. نحن لا نهاب الشهادة. أنت أيها الشعب الإيراني، أمَّنت بدمائك وشبابك، وقطعتم أيدي الأجانب فلكم المنة علينا جميعاً.. أنا ممنوناً لكم جميعاً.. أنا خادمكم جميعاً.. أنا لا أستطيع أن أشكر هذه النعمة التي منحتنا.. نحن لا نستطيع أن نقدم الشكر للشعب الغيور في جميع أنحاء إيران، لقد مهدتم الطريق إلى هذا الحد)

وكان يشيد بهذا كل حين قبل انتصار الثورة الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك قوله مخاطباً الطلبة الجامعيين في أمريكا وكندا في 17 رمضان 1395هـ: (إن نقطة الوضوح التي تزيدني في أواخر عمري أملاً تتركز في هذا الوعي واليقظة التي تسري في هذا الجيل الشباب، إنها روح سارية بكل سرعتها وهي بحول الله تعالى ستصل إلى نتائجها الحتمية فتقطع أيادي الأجانب وتبسط العدالة الإسلامية)[1]

ومثله ما ورد في بيان أصدره إلى عموم الشعب الإيراني عام 1972م يقول فيه: (إنكم تملكون طاقات شابّة عظيمة تستطيع أن توصل الإسلام والبلاد إلى أوج العظمة والعزة وتقطع أيدي الجناة عن البلاد الإسلامية وبلدكم أنتم، تلك الطاقة التي لو

1 () صحيفة الإمام، ج10 ، ص69 وكتاب نداء الثورة / ص198.

بذلت في طريق الحق لتحوّلت إلى طاقة أبدية واتصلت بالقدرة الإلهية الأبدية... فاستيقظوا وأيقظوا الغافلين.. عودوا أحياء وامنحوا الحياة للأموات، وانطلقوا تحت لواء التوحيد لتطووا ملف الاستعمار بنوعيه الأحمر والأسود)(1)

وهذه العقيدة التي كانت لدى الإمام الخميني في الشعب الإيراني ظلت معه إلى آخر أيام حياته، فقد كتب في وصيته يقول: (إنني أدّعي وبجرأة بأن الشعب الإيراني بجماهيره المليونية في عصرنا الحاضر أفضل من شعب الحجاز الذي عاصر رسول الله ﷺ ومن شعب الكوفة والعراق المعاصرين لأمير المؤمنين والحسين بن علي، فمسلمو الحجاز لم يطيعوا رسول الله ﷺ وتخلفوا عن جبهات الحرب بذرائع مختلفة حتى وبخهم الله تعالى بآيات من سورة التوبة وتوعدهم العذاب، وكم رموا الرسول ﷺ بالأكاذيب حتى أنه لعنهم من على المنبر.. أما أهل العراق والكوفة فلكثر ما أساءوا إلى أمير المؤمنين وتمردوا عليه، حتى صارت كتب الأخبار والسير تضج بشكاواه منهم، كذلك فإنهم وقفوا مع سيد الشهداء بين متردد عن الأقدام على الشهادة بين يديه، وبين هارب من المعركة أو قاعد عن القتال حتى وقعت بحقه تلك الجريمة التاريخية النكراء) (2)

وبعد أن ذكر هذا الواقع المزري الذي عاشه النبي ﷺ وورثته ذكر التضحيات التي قدمها الشعب الإيراني، فقال: (في حين أننا نرى اليوم أن الشعب الإيراني بكل فئاته ـ بدءاً بالقوى المسلحة النظامية وشبه النظامية وحرس الثورة وقوات التعبئة، مروراً بالقوى الشعبية من العشائر والمتطوعين والقوى المرابطة في جبهات القتال وخلفها ــ يقدمون التضحيات بكل شوق ولهفة ويسطرون أعظم الملاحم، ناهيك عما تقدمه الجماهير الكريمة من معونات قيمة في جميع أنحاء البلاد، وما يُرى من التفاؤل على وجوه المعوقين وذويهم وعوائل الشهداء مما يبعث على الحماس، وما يطلقونه من مقولات وما يفعلونه من أعمال ملؤها الشوق والاطمئنان دافعهم إلى ذلك كله عشقهم وحبهم وإيمانهم المطلق

1() المرجع السابق، ج10 ، ص65 وكتاب (الخميني والثورة) / ص102.

2() صحيفة الإمام، ج21، ص: 368.

بالله تعالى وبالإسلام والحياة الأبدية، والحال أنهم ليسوا في محضر رسول الله ﷺ المبارك ولا في محضر الإمام المعصوم، ليس لهم من دافع في ذلك سوى الإيمان بالغيب والاطمئنان له، وهذا هو سر التوفيق والنصر في إبعادهما المختلفة)[1]

ونحب أن نعقب على هذه الكلمة التي استعملها المغرضون وسيلة لتشويه الإمام الخميني، بأن ما ذكره لا حرج فيه من الناحية الشرعية، وليس في ذلك أي مساس بالنبوة، ولا قدسيتها، ذلك أن كل الأنبياء أدوا ما عليهم من أدوار، وعدم استجابة أقوامهم لهم، أو تقصيرهم في الاستجابة لا يعود للنبي، وإنما يعود للمقصرين، كما أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: (عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد)[2]

وقد علق بعض أولئك الذين يتهمون الإمام الخميني بسبب ذلك الخطاب على هذا الحديث بقوله: (فتصور هذا النبي يأتي ومعه رهيط، تصغير لقلة عددهم، فهذا النبي لا ينقصه إخلاص، ولا ينقصه علم، ولا ينقصه تأييد من الله تبارك وتعالى، ولا ينقصه معرفة بوسائل الدعوة، وطرق التأثير في الناس، فهذه الأمور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هم أكمل الناس فيها، ومع ذلك يأتي ومعه الرهيط، ومن هذا نأخذ فائدة مهمة، وهي: أن الهداية بيد الله عز وجل، وأن القلوب بيده، فالأنبياء يأتون إلى أقوامهم فما تفتح تلك القلوب، ليس نقصاً في ذلك النبي، ولا في أسلوبه، وإنما هؤلاء أعماهم الله عز وجل وأذلهم وأخزاهم، فحجبهم عن هذا النور، وعن هذا الهدى)[3]

وهذا التعليق هو أحسن جواب لمن يتهمون الإمام الخميني بالإساءة لجناب النبوة، بسبب إشادته بالشعب الإيراني، وعتابه لأولئك المقصرين في حق النبوة، مع أن النبي ﷺ نفسه أشاد بأمته من بعده، وبين فضلها، وفضل إيمانها بالغيب.

---

[1]() المرجع السابق، ج21، ص: 368.

[2]() رواه مسلم (220)

[3]() انظر: شرح كتاب رياض الصالحين، د. خالد بن عثمان السبت.

وهكذا نرى الإمام الخامنئي يذكر هذا الركن من أركان الانتصار، ويعتبر إيمان الإمام الخميني بقدرات الشعب الإيراني، واستثماره لها هي السبب في تحقق النصر، وذلك عند حديثه عن المبادئ التي استطاع بها الإمام الخميني أن يقود الثورة الإسلامية نحو النصر، حيث قال في كلمة له في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، في 4 نيسان 2015: (المبدأ والأصل الثالث هو الإيمان بإرادة الناس وقوتهم ورفض المركزية الحكومية، وهذا يمثل أحد الخطوط الرئيسية لحركة الإمام. فقد كانت ثمة محاولات، في تلك الأيام، نابعة عن رؤية خاطئة لإيكال جميع الأنشطة الاقتصادية في البلد إلى الحكومة، ولطالما كان الإمام يحذّر من ذلك ـ وقد انعكست هذه التحذيرات في كلماته بشكل جليّ ـ فكان يوصي بإيكال الأمور إلى الناس، حيث كان يثق بالشعب في القضايا الاقتصادية ويثق به في المسائل العسكرية)[1]

وهكذا ذكر استثماره لطاقة الجيش، وعدم تفكيكه له مثلما فعلت بعض الثورات، بل إنه استعمل كل الوسائل لتحويله إلى سند للثورة، ودعامة من دعامات نصرها، فقد قال: (على الجميع أن يلتفت إلى أنّ الإمام كان داعمًا للجيش منذ البداية، وهو الذي حال دون حلّ الجيش وتفكّكه، ولكن رغم ذلك أسّس قوّات الحرس الثوري، ومن بعدها شكّل التعبئة، وحوّل الحركة العسكرية إلى حركة جماهيرية)[2]

وهكذا ذكر استثماره للطاقات الشعبية في جهاد البناء، فقال: (استند الإمام الخميني إلى الناس في القضايا الاقتصادية، وفي الشؤون العسكرية، وفي المسائل العمرانية حيث أسس جهاد البناء على ضوء ذلك، وكذلك في الأمور الإعلامية) [3]

وذكر كيف كان الإمام الخميني يهتم بأصوات الشعب

---

[1] () انظر نص الخطاب كاملا في: كلمة الإمام الخامنئي دام ظله في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

[2] () المرجع السابق.

[3] () المرجع السابق.

ومطالبه، وفي أحلك الظروف، مع كونه كان مستغنيا عنها بسـبب الثقة التي أعطيت له؛ فقال: (وفوق كل ذلك في مجال الانتخابات وأصـوات النـاس وإسـهامهم في إدارة البلـد وهيكليـة نظامـه السياسي.. فطوال تلك الأعوام العشرة من قيادة الإمام الخميـني التي انقضت ثمانية أعوام منها في الحرب المفروضة، وفي قصف المدن والانشغال بقضايا الحرب، أجريت حـوالي عشـرة انتخابـات مختلفة في البلد، ولم يتغير موعد إجراء أي واحدة منها حتى ليوم واحد! حيث كان الإمام الخميني الكبير يصرّ على إقامة الانتخابـات في وقتها المقـرر، وفي كـل المراحـل والأوضـاع والظـروف. ولم يعلن الإمام حالة الطوارئ في أي يوم؛ الأمـر الـذي اعتـادت عليـه بعض البلـدان، لأنـه كـان يهتم بالانتخابـات، وكـان من أوائـل الحاضرين عند صناديق الاقتراع، كان الإمام يؤمن بالناس، ويحترم أصواتهم وأفكارهم وآراءهم وتشخيصهم بكل ما للكلمة من معنى، حتى أنه قد لا تتطابق أصوات الناس مع رأي الإمام أحيانًـا، إلّا أنّـه كان يحترم أصوات الشعب ويُجلّها ويُقيم لها وزنًا) [1]

وذكر نظرته الممتلئة بالتواضع لهم، فقال: (ولم يكتـف بـذلك في شأن الناس أيضًا، بل عرّفهم بـأنهم أوليـاء نعمـة المسـؤولين، ولطالما أكّـد أن أبنـاء الشـعب أوليـاء نعمتنـا، وأحيانًـا كـان يصـف نفسه بأنه خادم للشـعب قـائلًا: أن تسـمّوني خـادم الشـعب أحبّ إلي من أن تسـمّوني قائـده، وهـذه كلمـة كبـيرة، وهي تـدل على المكانة المرموقة للشعب وأفكاره وأصـواته ومشـاركته في رؤيـة الإمام. وقد لبّى الشعب نداء قائده خـير تلبيـة، فنــزل النـاس إلى السـاحات، وتفـانوا في الإيثـار بـالروح والقلب في الميـادين الـتي أشار إليها الإمام. وهذا أمرٌ متبادل، حيث كان الإمام يثـق بالنـاس، والناس تثق به أيضًا، كان الإمام يحب الناس، والناس يحبونه، هذه العلاقة المتبادلة هي أمر طبيعي) [2]

بناء على هذا نحاول في هذا الفصل بيان كيفية استثمار قـادة الثورة الإسلامية الإيرانية للطاقات الشعبية في تحقيق النصـر في جميع مستوياته، ابتداء من الجهاد ضد الطغاة والمستبدين، وانتهاء

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

بجهاد البناء وتأسيس الجمهورية الإسلامية بصيغتها التي تجمـع بين المثالية والواقعية.

وقـد رأينـا أنـه يمكن تقسـيم ذلـك إلى نـوعين كبـيرين من الاستثمار هما:

1 ـ الطاقات الشعبية وإشراكها في الثورة والبناء.

2 ـ الطاقات النخبوية وإشراكها في القيادة والتوجيه.

وهما بعدان مهمان جدا يدلان على مدى وعي الإمام الخميني بالواقع، وكيفية تحريكه، ذلك أن الكثير من الثورات، وخاصـة تلـك الـتي يغلب عليهـا طـابع الجماهيريـة، أو يغلب على قادتهـا طبيعـة الاستبداد، يرفضون وجـود أي نخبـة، بـل يقمعونهـا، بخلاف الثـورة الإسـلامية الـتي جمعت بين الجماهيريـة والنخبويـة، حيث أعطت لكـل منهمـا مجالـه الخـاص بـه، تنفيـذا لقولـه ﷺ: (أَنـزلوا النَّاس منازلهم)[1]

[1] () رواه أبـو داود في سـننه في الأدب بـرقم (4842)، وروي عن عائشـة قـالت: أمرنـا رسول الله ﷺ أَنْ نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم)، وذكره الحاكم في كتابه (معرفة علوم الحـديث) ص (49)، وروي مثله في المصادر الشيعية عن فقد روي أن رجلا جاءه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي إليك حاجة. فقال: اكتبها في الأرض، فإني أرى الضر فيـك بينـا، فكتب في الأرض: أنـا فقير محتاج، فقال الإمام علي: يا قنبر اكسه حلتين. فأنشأ الرجل يقول:

كسوتني حلة تبلى محاسنها ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا

إن نلت حسن ثنائي نلت مكرمة ... ولست تبقي بما قد نلته بدلا

إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه ... كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا

لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ... فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال الإمام علي: أعطوه مائة دينار، فقيل له: يا أمير المؤمنين، لقـد أغنيتـه، فقـال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنزلـوا النـاس منـازلهم، ثم قـال الإمـام علي: (إني لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم، ولا يشترون الأحرار بمعـروفهم!) [روضـة الـواعظين (ص 358)]

أولا ـ الطاقات الشعبية وإشراكها في الثورة والبناء:

من الأسس المهمة التي قامت عليها الثورة الإسلامية الإيرانية عدم استبداد قادته بالأمر، مثلما فعلت الكثير من الثورات بعد الانتصار، أو قبله؛ فالإمام الخميني والخامنئي ـ ومن خلال قيادتهما للثورة الإسلامية ـ يعتبران نفسيهما مجرد خادمين للشعب؛ فلذلك يوضحان بتفصيل شديد كل قضية يريدان طرحها على الشعب، ولا يكتفيان بذلك، بل يسمعان لما يقترحه، وينزلان أحيانا كثيرة عند رغبته.

ولهذا نرى الخطب والبيانات والحوارات الكثيرة لهما، بخلاف غيرهما من القادة، ولهذا نستغرب من الذين يحاولون فهم الثورة الإسلامية الإيرانية بعيدا عن قادتها مع العلم أنهم أولى بمن يتحدث عنها.

وهذا البعد هو الذي أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159]؛ فالآية الكريمة تخبر أن سر نجاح رسول الله ﷺ في تأليف قلوب أصحابه، هو رحمته بهم، ومشورته لهم على الرغم من استغنائه عن تلك المشورة.

ولهذا نرى الإمام الخميني كل حين يدعو الشعب إلى اعتبار نفسه المسؤول الأول في البلاد، وقد قال في خطاب الانتصار الذي أشرنا إليه في مقدمة الفصل: (لا تنتظروا من الحكومة أن تعمِّر كل شيء، الحكومة لوحدها غير قادرة على ذلك، لا تنتظروا من رجال الدين أن يعمروا الخراب، رجال الدين لوحدهم لا يستطيعون البناء، يجب أن يساعد الواحد منا الآخر، من الفلاح والعامل والصانع والعالِم، رجل الدين والجامعي، حتى الموظف والعسكري)[1]

ثم بين لهم أن جهودهم التي بذلوها في الثورة لتحقيق

[1] صحيفة الإمام، ج15، ص: 94.

الانتصار لا تكفي وحدها، بل عليهم مواصلة الجهد لتحقيق الدولة القوية، يقول: (الثورة الآن في وسط الطريق.. لقد طردتم اللصوص فقط (من بلادكم).. طردتم المفسدين، لكن الخرائب لا زالت باقية.. المهم أن هذه الخرائب التي تركوها لنا، نعمرها من جديد بالاستعانة بهممكم العظيمة وعزائمكم الراسخة.. انتبهوا.. كونوا على حذر.. المفسدون قد نصبوا لكم المكامن، الأجانب مترصدون لكم. إنهم لن يغفلوا عنكم، وعليكم أن لا تغفلوا عنهم، إنهم يرسمون لكم الخطط بطرق وأشكال مختلفة. بعد أن سقط النظام الشاهنشاهي المنحط، يريدون أن يعودوا ولكن بشكل آخر)[1]

وفي خطاب آخر له بتاريخ 28 محرم 1402 هـ بمناسبة الذكري السنوية لتأسيس قوات تعبئة المستضعفين (البسيج) دعا المؤسسات جميعا إلى التعاون مع الشعب لمواجهة كل المؤامرات، فقال: (على أبناء الشعب الكريم أن يتعاونوا لحل مشاكل البلاد الغالية، وألّا يدخروا جهداً لتحقيق أهداف الإسلام العظيم وأن يسعي كل مجموعة أو فريق في أي منتسب كانوا لبلوغ هذا الهدف الإسلامي السامي لأن القوى الجهنمية الكبرى تسعي من كل ناحية إلى هزيمة الجمهورية الإسلامية التي قطعت أيدي هذه القوى من نهب أموال هذا الشعب المظلوم.. على أعضاء المجلس أن يسرعوا بعد التحقيق والتدقيق ومراعاة الموازين الإسلامية وأن يستشيروا المتخصصين في الحالات التي تحتاج إلى رأيهم، وعلى مجلس صيانة الدستور أن يبدي الرأي بعد الأخذ بعين الاعتبار جميع الجوانب في إشرافه على القوانين التي يتم التصديق عليها سواء تلك التي تمس الأحكام الشرعية الأولية أو تلك التي تمس الأحكام الثانوية، وعلى المسؤولين في الحكومة أن يسرعوا في تنفيذ هذه القوانين وأن يشددوا في أمر عدم تجاوز حدود هذه القوانين وأن يسلموا المعتدين على القانون من أي صنف أو مجموعة كانوا إلى المحاكم ليواجهوا عقابهم وعلى مجلس القضاء أن يحل مشكلة القضاء في هذا العمل الشاق المضنى القيم بكل سرعة وأن يستدعي المعتدين على

[1] () المرجع السابق.

الموازين الإسلامية إلى المحاكم ويعاقبهم عقاباً شرعياً)[1]

ثم بين كيفية قيامهم بتحقيق تلك الأدوار، فقال: (على المقاتلين والقوات العسكرية المسلحة والمدنيين واللجان والقوات الشعبية من العشائر وسائر الشرائح أن تتعاون فيما بينها وأن تستعين بالاستخبارات الشعبية المليونية لتحقيق أهداف الحرب ومنع شرور المنافقين والمنحرفين وألا تدخر وسعاً في ذلك. وعلى جهاد البناء ومؤسسة المستضعفين ومؤسسة شؤون منكوبي الحرب والمشردين أن تزيد من جهودها البنّاءة. وعلى قوات تعبئة المستضعفين (البسيج) التي أبارك ذكرى تأسيسها للشعب الإيراني وللشباب الملتزمين المؤمنين أن تزيد من جهودها في تعليم الشباب والناشئة وتربيتهم، وعلى الكتاب والمثقفين الملتزمين ووسائل الإعلام أن يوسعوا من نشاطهم الإعلامي ويبطلوا الدعايات الواسعة التي يمارسها أعداء الجمهورية الإسلامية، وعلى مجلس الثورة الثقافية أن يسعي إلى فتح الجامعات لاستمرار عملها بالاستعانة بالمستضعفين والعلماء وعلى العلماء أن يلبّوا دعوة هذا المجلس في هذا الأمر الحيوي وعلى الشعب الإيراني الذي حقق هذه الثورة أن يتعاون مع مسؤولي الأمور في المشاكل الحربية والعسكرية والاقتصادية والثقافية) [2]

وهكذا أشار الإمام الخامنئي إلى ما قام به الإمام الخميني في هذا الجانب، فقال ـ عند بيانه للأصول التي استعملها الإمام الخميني للسير بالإيرانيين نحو الانتصار ـ: (الأصل الرابع في البُعد الداخلي هو دفاع الإمام ونصرته ودعمه للمحرومين والمستضعفين، حيث كان يرفض التميز والفروقات الاقتصادية رفضًا باتًا، ويواجه النزعة الأرستقراطية بمرارة، وكان مناصرًا حقيقيًا للعدالة الاجتماعية بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولعل الدفاع عن المستضعفين من أكثر المواضيع التي تناولها الإمام في كلماته، وهو من الخطوط البيّنة في رؤية الإمام، ومن الأصول المسلمة، حيث يدعو الجميع إلى العمل وبذل الجهد لاستئصال

[1] () المرجع السابق، ج15، ص: 337.

[2] () صحيفة الإمام، ج15، ص: 337.

الفقر، والسعي في مساعدة المحرومين لإنهاء حالة الحرمان، ومساندة المحرومين بكل وسعهم، وكان من جانب آخر يحذّر المسؤولين من التخلق بأخلاق أهل القصور والذي وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم أيضًا: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [إبراهيم: 45]، وكان يؤكد مرارًا على الاعتماد والثقة بوفاء الطبقات الضعيفة، ويكرّر القول بأن سكّان الأكواخ والفقراء والمحرومين هم الذين ملأوا الساحات رغم حرمانهم دون اعتراض، وهم الذين يحضرون في ميادين الخطر، بينما الطبقات المترفة هي أكثر من تبدي استياءها وتبرّمها حين تقع الحوادث وتظهر المشاكل في كثير من الأحيان.. لقد برزت قضية وفاء الطبقات المتوسطة والمحرومة من أبناء الشعب في رؤية الإمام وكان دومًا يؤكد عليها، كما وكان يشدّد على استخدام بيت المال بشكل صحيح، وتجنّب الإسراف، وهذه بدورها واحدة من الخطوط الأساسية المتمثلة بالعدالة الاجتماعية ومناصرة المحرومين والابتعاد عن النزعة الأرستقراطية والنزوع إلى البذخ والكماليات والعمل في هذا الاتجاه) (1)

بناء على هذا، سنذكر هنا بعض النماذج عن استثمار قادة الثورة الإسلامية للطاقات الشعبية المختلفة في تحقيق الانتصار أو في الحفاظ عليه.

1 ـ إشراك جميع الشعب في تحريك الثورة:

من أهم ميزات الثورة الإيرانية أنها ثورة شعبية بامتياز، ذلك أن المشاركين فيها لم يكونوا طرفا واحدا من أطراف الشعب، وإنما كانوا جميع الشعب، وبجميع شرائحه وطبقاته، ولذلك يرى من يشاهد الأشرطة الوثائقية التي تصور الثورة الإسلامية الحضور من كل الأصناف نساء ورجالا.. شبابا وكهولا وشيوخا.. ومن كل المستويات الاجتماعية من الفقراء والأغنياء، والمتعلمين وغيرهم..

وهكذا شارك الجميع بعد الثورة في كل القرارات المتخذة عبر الانتخابات الكثيرة التي دعا إليها قادة الجمهورية الإسلامية،

1() انظر: كلمة الإمام الخامنئي دام ظله في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

وفي أحلك الظـروف، وكـان المرشـحون فيهـا من أفـراد الشـعب البسطاء، والذين وصـلوا إلى كـل المؤسسـات من دون أن يحـول بينهم وبينها أي حائل.

وبما أنا اعتمدنا في هذا الكتاب خصوصا على شهادتي إمامي الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، باعتبارهمـا المـوجهين والمرشـدين والمحركين لكل الأحداث؛ فسنذكر هنـا مـا ذكـراه حـول مشـاركة الفئات الاجتماعية المختلفة.

أ ـ مشاركة المرأة في الثورة الإسلامية:

عند مطالعة خطب قادة الثورة الإسلامية الإيرانية أو بيانـاتهم المختلفة، نجد شهادات كثيرة على الدور العظيم الـذي قـامت بـه المرأة، إلى درجة اعتبارهـا ركنـا من أركـان الثـورة، وأنـه لم تكن الثورة لتنجح من دونها، بل إن الإمام الخميني يذهب إلى أبعـد من ذلك، فيقول: (لو جـردوا الأمم من النسـاء الشـجاعات والمربيـات للإنسان فسوف تهزم هذه الأمم وتؤول إلى الانحطاط)[1]

ولذلك وضع لها يومـا خاصـا بهـا، وبتكريمهـا، وهـو يـوم ولادة فاطمـة الزهـراء بنت رسـول اللـه ﷺ، وقـد قـال مبينـا سـر هـذا الاختيـار: (مبـارك للشـعب الإيـراني العظيم، وخصوصـاً النسـاء المحترمات، يـوم المـرأة المبـارك، اليـوم المجيـد لتلـك الجـوهرة اللامعة التي كانت على الأساس للفضائل الإنسانية والقيم العاليـة لخلافة الله في العالم)[2]

وفي خطبة له بتلـك المناسـبة في سـنة الانتصـار بتـاريخ 20 جمادى الثانية 1399 هـ قال مخاطبا النساء:(يـوم عظيم واجتمـاع كبير ومحل مبارك، يوم ولادة الزهراء المرضية، يوم المـرأة. يـوم انتصار المرأة، ويوم المـرأة القـدوة في العـالم.. إن للمـرأة دوراً كبيراً في المجتمع. المرأة هي مظهر تحقـق آمـال البشـر، المـرأة تربي جمعاً غفيراً من النساء والرجال العظماء.. يوم عظيم، اليوم

1() من حـديث في جمـع من نسـاء قم، بتـاريخ 6/ـ 3/1979، المـرأة في فكـر الإمـام الخميني (ص: 5)

2() الكلمات القصار صفحة 285..

ولادة امرأة تعـدل جميـع الرجـال، امـرأة نمـوذج للإنسـان، امـرأة تجلت فيها كل الحقيقة الإنسانية. إذا اليوم يوم عظيم. أنه يـومكن أيتها النساء)[1]

ثم ذكـر الأدوار الثوريـة للمـرأة الإيرانيـة، فقـال: (لقـد أثبتت النساء في عصرنا أنهن تعـدلن الرجـال في الجهـاد بـل متقـدمات عليهم.. إن نسـاء إيـران جاهـدن جهـاداً إنسـانياً عظيمـاً، وكـذلك جاهدن جهاداً مالياً كبيراً.. إن هـذه الطبقـة المحترمـة من النسـاء من أبناء جنوب طهران ومدينـة قم وبقيـة المـدن، هـذه السـيدات المحجبـات، هــذه المؤمنــات اللاتي يمثلن مظهــر العفــاف، كنّ ســابقات في النهضــة في الإيثــار بالمــال أيضــاً.. لقــد آثــرن المستضعفين بمجوهراتهن وحليّهن)[2]

ولم تقتصر مشاركتهن على ذلك، بل يذكر الإمام الخميني أن (مشــاركتهن في النهضــة أعظم من قيمــة أعمــال الرجـال، لقـد خـرجن بجلابيب العفـاف، واتحـدت أصـواتهن مـع الرجـال وحققن النصر، وقدّمن الآن للمستضعفين وبنية خالصة ما ادخرنه في أيام عمرهن.. إن لهذا قيمة، إن الأغنيـاء لـو دفعـوا الملايين لمـا كـانت قيمتها كهذه) [3]

وقال في خطاب آخـر في نفس المناسـبة ــ ردا على أولئـك الــذين يتصــورون أن المــرأة الــتي قــامت بــالثورة هي المــرأة المتحررة من القيم، لا الملتزمة بها ـ: (لقد رأينا أن العضو الفعّـال الذي يمكنه العمـل، والـذي عمـل لهـذه الثـورة وخـدمها، هـو أنتن [يقصد النساء الملتزمات].. أنتن اللاتي نـزلتن إلى الشـوارع بهـذا الوضع الذي أنتن عليه الآن وسرتن بالثورة قدماً.. أما اللاتي تربين على ثقافة النظام المبـاد، وسـاهمن في هـذه الثـورة، فهن اللاتي كان لهن وضـع يشـبه وضـعكن. أمـا البقيـة اللـواتي تمت تـربيتهن بذلك الشكل فلم يكن لهن اهتمـام بهـذه المسـائل. كمـا أن بعض الرجال أيضاً لم يكن لهم دور أبدا في هذه الثورة. وقد جـاءوا الآن

[1] () صحيفة الإمام، ج7، ص: 255.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 255.

[3] () المرجع السابق، ج7، ص: 255.

للاستيلاء على الغنائم. الآن وقد قامت هـذه الطبقـة المستضـعفة، الطبقة التي يعتبرها الآخرون ضعيفة وقد كـانت قويـة بحمـد اللـه، الطبقة الـتي يسـميها هـؤلاء بالطبقـة الثالثـة ــ وفي حقيقتهـا هي الطبقة الأولى وهم الطبقة الثالثة لجهنم بل السابعة ـ قامت هــذه الطبقة بالعمل من أجل خدمة البلد، وحطمت السد الكبير وفتحت الطريق. فتدفق الآن السادة من أمريكا وأروبا إلى هنا للاســتحواذ على الغنـائم. بعض النسـاء اللاتي لم يكن لهن دور أصـلًا في هـذه الأحـداث أتين الآن لجـني الثمـار.. أمـا أنتن فلا يوجـد لـديكن أيـة توقعـات، حفظكن اللــه ومنّ عليكن بالسـعادة، لقــد كنتن خــدم الإسـلام، وكـذلك الآن ولم تطـالبن بشـيء. لقـد قمتن بالخدمـة، وستقمن بها في المستقبل)[1]

وقال ردا على المغرضـين الـذين يتصـورون أن وضـع المـرأة الإيرانية في عهد الشاه كان أفضـل منـه بعـد انتصـار الثـورة: (إن المـرأة قـد ظلمت في مرحلـتين، الأولى في الجاهليـة، فـالمرأة كانت في الجاهلية مظلومـة، وقـد منّ الإسـلام على الإنسـان بـأن أنقــذ المــرأة من تلــك المظلوميــة الــتي كــانت تحت وطأتهــا.. والمرحلة الثانية لظلم المرأة كانت في إيران في عهد الشاه الأب والشاه الابن، حيث ظلمت المرأة تحت شعار تحرير المرأة.. لقــد أسـقطوا المـرأة من المقـام العزيـز والشـريف الـذي كـان لهـا، أسـقطوها من ذلـك المقـام المعنـوي وجعلوهـا سـلعة من جملـة السلع، وباسم الحرية، حرية النساء وحرية الرجال، سـلبوا الحريـة من الرجل والمرأة.. لقد أفسدوا أخلاق نساءنا وشبابنا.. لقـد كـان الشاه يرى بضرورة أن تحتل المرأة مكانهـا كــ (سـاحرة).. طبعـاً كان ينظر للمرأة بتلك العين الحيوانية التي كانت له، بتلك النظـرة المادية الوضيعة، يجب أن تكون ساحرة.. لقـد أسـقط المـرأة من مقام الإنسانية إلى مرتبة حيـوان، لقـد أنــزل المـرأة من مقامهـا بحجة أنه يريد إعطاء مقام لهـا.. لقـد جعـل من المـرأة دميـة في حين أن المرأة إنسان، بل إنسان عظيم، المرأة مربيّـة للمجتمـع.. المرأة مربيّة للإنسان.. سعادة وشقاء الـدول رهن وجـود المـرأة، فالمرأة بتربيتها الصحيحة تصنع الإنسان، وبتربيتها الصحيحة تحـيي

---

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 248.

المجتمع.. والمرأة يجب أن تكون مبدأ جميع السعادات)[1]

ثم ذكـر دور المـرأة الملتزمـة في الثـورة والتحريـر والنصر، فقال: (لقد شاهدتم وشـاهدنا نحن مـاذا صـنعت المـرأة في هـذه الثـورة. لقـد شـاهد التـاريخ أيـة نسـاء كُنَّ في الـدنيا، ومن هي المرأة.. وقد رأينا أية نساء ربّاهنَّ الإسلام، أية نساء ثـرن في هـذا العصـر، إن اللاتي نهضـن وسـاهمن في الثـورة هن النسـاء المحجبات في جنوب المدينة وفي قم وبقية المناطق.. أمـا اللاتي نشأن في ظـل الثقافـة الشاهنشـاهية، فلم يكن لهن دور أبـدا في هذه النهضة، لقد تم تربيتهن تربيـة فاسـدة وأبعـدوهن عن التربيـة الإسـلامية، وأمـا اللاتي تـربين بتربيـة إسـلامية فهنّ اللاتي قـدّمْنَ الـدماء، قـدّمن القتلى، تـدفقن إلى الشـوارع، وحققن النصـر للثورة.. إننا نعتبر نهضتنا مدينة للنساء.. كان الرجـال ينـزلون إلى الشوارع تبعاً للنساء.. كانت النساء تشـجع الرجـال، كـانت النسـاء في الصفوف الإمامية.. المرأة موجود بهذا المسـتوى تسـتطيع أن تحطم قوة شيطانية)[2]..

وهكذا نرى الإمام الخامنئي يشهد للمرأة بمشـاركتها الفعالـة في الثورة، وكونها سببا كبيرا من أسباب انتصارها، وأنها لها الحـق لـذلك في أن تنـال جميـع حقوقهـا الـتي طـالبت بهـا، ومن تلـك الخطابات قوله: (لقد باتت المرأة الإيرانية تخطو في مسار مميّـز ببركة الثورة الإسلامية.. المرأة الإيرانية قادرة اليوم على الـدخول في ميدان العلم وقطع أشواط في الحقـول العلميّـة مـع حفاظهـا على دين، عفّـة، تقـوى، وقـار، رصـانة، شخصـية وحرمـة المـرأة المسلمة أيضاً. كما أنّ المرأة باتت قادرة أيضـاً على الـدخول في ميدان العلوم والمعارف الدينيّة دون أن يقـف بوجههـا أيّ حـاجز.. المرأة في بلادنـا قـادرة اليـوم على إبـراز شخصـيّتها مـع حفاظهـا على رصـانتها ووقارهـا وحجابهـا الإسـلامي في ميـدان السياسـة والفعاليات السياسية والاجتماعية والجهادية ومدّ يد العون للشعب والثورة والمشاركة في مختلف الساحات)[3]

[1]() المرجع السابق، ج7، ص: 251.

[2]() المرجع السابق، ج7، ص: 252.

ثم قارن بين وضع المرأة بعد الثورة الإسلامية، وقبلها، فقال: (في النّظام السّابق، مع كون كثير من النساء أميّات ولا يدركن شيئاً من القضايا الاجتماعية ــ أي أنّهم لم يكونوا ليسمحوا لهنّ بالتعرّف على أيّ شيء ـ وقد كنّ أيضاً لا يبالين بمصير البلاد ولم يكنّ يدركن أبداً أنّ المرأة يمكن لها أن يكون لها تأثير على مصير البلاد، مع وجود هذه الأمور من حيث الظاهر، كنّ شبه أوروبيّات وفي بعض الأحيان كنّ تخطّين حالة النساء الغربيّات والأوروبيّات وكان من يراهنّ يظنّ أنّ هذه المرأة قد قدمت من بلد أوروبي ومن بيئة غربيّة إلى إيران؛ لكن عندما كنت تحدّثها قليلاً، كنت ترى أنّها امرأة غير مثقّفة أو تملك مستوى متدنّياً من الثقافة، كانوا يجبرون المرأة على صناعة شخصيّة وهميّة لنفسها من خلال إبراز نفسها وجذب العيون نحوها. لقد كان هذا انحطاطاً للمرأة ولم يكن تقدّماً. هل تمّ ارتكاب جريمة أعظم من هذه بحقّ المرأة بأن يقوموا بإشغال فكرها بالزينة والموضة والتفاخر والملابس والذهب ويجعلوا منها وسيلة يُستفاد منها في بلوغ العديد من الغايات وأن لا يسمحوا لها بدخول ميدان السياسة والأخلاق والتربية؟ هذا ما كان يتمّ تنفيذه في النظام السابق بدقّة وتخطيط) [1]

أما بعد الثورة الإسلامية، فقد تغير الوضع تماما ــ كما يذكر الإمام الخامنئي ـ حيث (جاءت الثورة وغيّرت نمط تعامل النساء وتوجّهات نساء بلادنا مئة وثمانين درجة؛ أي تمّت إدارة الظهر لتلك التوجهات والسير في اتجاه النور والنموّ والإدراك العلمي والأخلاقي والسياسي والمشاركة في الساحات وتنمية الشخصيّات البشرية وإفادة المجتمع بالمعنى الحقيقي للكلمة) [2]

ب ـ مشاركة المستضعفين في الثورة الإسلامية:

من أهم الأوصاف التي أطلقت على الثورة الإسلامية الإيرانية وأدقها كونها ثورة المستضعفين المحرومين، في مواجهة

3() خطاب للإمام الخامنئي بتاريخ ١٦/١/١٩٩٠.

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

المستبدين المستكبرين، ولا يزال هـذا الوصـف قائمـا على الـرغم من مــرور أربعين ســنة على انتصــار الثــورة، وعلى الــرغم من سقوط الشاه، ذلـك أن الاسـتكبار العـالمي لا يـزال يسـتعمل كـل وسائل المواجهة والحرب.

بالإضافة إلى أن مصـطلح [المستضـعفين] عنـد قـادة الثـورة الإسـلامية يتجـاوز الإيرانـيين، بـل يتعـداهم إلى جميـع مستضـعفي العالم، ولـذلك اعتـبرت الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة ثـورة عالميـة، وليست خاصة بدولة دون دولة، ولا بشعب دون شعب.

ولذلك نرى الإمام الخميني يخاطب مستضعفي العالم جميعا، بغض النظــر عن أديــانهم ومــذاهبهم، ليــأمرهم بالالتحــاق بــركب الثورة، ومواجهة الاستبداد والاستكبار، وهو ما أطلق عليه [تصـدير الثورة]، وهو لا يعني ذلك المفهوم الـذي أراده المغرضـون، وإنمـا يعـني دعـوة شـعوب العـالم إلى التحـرر من الاسـتكبار والهيمنـة، وخاصة الهيمنة الأمريكية التي أطلق عليها قادة الثــورة الإســلامية [الشيطان الأكبر]

وعند مطالعة خطب وبيانات وكتابات قـادة الثـورة الإسـلامية نجد اهتماما كبيرا بهذه الفئة، واعتبارهـا المحـرك الأعظم للثــورة، ولذلك لها الحق في كل غنائمها، كما عبر عن ذلك الإمام الخميـني بقوله في التحذير من إقصـاء المستضـعفين، وتقـريب الانتهـازيين الــذين لم يشــاركوا في الثــورة: (إن أول من لــه حــق على هــذا الشعب هو هذه الفئة التي تجلس هنا، وتلـك الطبقـة الـتي يمثلهـا هـؤلاء من نسـاء مشـهد المحترمـات وسـائر نسـاء إيـران. وفي الرجــال أيضــاً فــإن طبقــة العمــال والفلاحين وصــغار الكســبة والجامعيين المحرومين، الفئات المحرومين من طبقات المجتمــع، هؤلاء هم الذين دعموا هذه الثورة. والآن أيضاً فإن توقعـات هـؤلاء ليست كثيرة كتوقعات أولئك)[1]

ثم قال مخاطبا المسؤولين في الجمهورية الإسـلامية: (علينـا العمل من أجل طبقة العمال والموظفين، هذه الطبقــة الضـعيفة، الطبقــة الــتي تعتبرونهــا أنتم أدنى مــع أنهــا أعلى منكم جميعــاً،

[1] صحيفة الإمام، ج7، ص: 248.

وأفضل مقاماً، يجب على الحكومة العمل من أجلها) [1]

ثم خاطب أولئك الانتهازيين الذين يريدون أن يصلوا إلى السلطة على ظهور المستضعفين: (أنتم الذين تملكون الآلاف المؤلفة ولديكم الأموال في البنوك، وتملكون الشركات وأنواع التجارات.. ماذا تقولون وماذا تريدون؟ إن هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً هم الذين ساهموا في هذه الأحداث.. لقد شاهدت التلفزيون في ذلك اليوم حينما كان يعرض الناس الذين يسكنون الحفر في طهران. وعندما سئل أحدهم ماذا تفعلون هنا. قال: عندما يصبح الصباح نذهب مع أطفالنا إلى المظاهرات.. هذا المسكين الذي يسكن في الحفر كان يخرج في المظاهرات وساعد في انتصار الثورة.. فعلى الحكومة أن تعمل من أجل سكان الحفر هؤلاء.. أما أنتم فقد كنتم تجلسون جانباً، وأتيتم الآن تريدون تحصيل المكاسب! فليذهب هؤلاء الانتهازيون وشأنهم! حفظ الله تعالى هذه الطبقة)[2]

وفي خطاب آخر له ذكر دور المستضعفين في الثورات، وبعد المترفين عنها، فقال: (لقد أدرك أبناء شعبنا العزيز، الصادقون والمدافعون الحقيقيون عن القيم الإسلامية، بأن النضال لا يجتمع مع طلب الرخاء والدعة، وان أولئك الذين يتصورون عدم تعارض النضال من أجل استقلال وحرية المستضعفين والمحرومين، مع الرأسمالية وطلب الرخاء؛ إنما يجهلون أبجدية النضال.. إن هؤلاء الذين يتصورون إمكانية إصلاح الرأسماليين والمرفهين الذين يجهلون معنى الألم، بالنصيحة والموعظة والإرشاد وانضمامهم لصفوف المناضلين من أجل الحرية، أو تقديم العون لهم، إنما هم كمن يهرس الماء في الهاون.. إن كل من النضال والرخاء، الثورة وطلب الدعة، طلب الدنيا والبحث عن الآخرة، مقولتان لا تجتمعان مطلقاً. إن الذين يقفون معنا إلى النهاية هم الذين تجرعوا مرارة الفقر والحرمان والاستضعاف فقط. فالذين يفجرون الثورات ويعتبرون من حماتها الحقيقيين هم الفقراء

---

[1] المرجع السابق، ج7، ص: 248.

[2] المرجع السابق، ج7، ص: 249.

المؤمنون المحرومون)[1]

وفي خطاب آخر له عقب انتصار الثورة الإسلامية، بتاريخ 28 جمادى الثانية 1399 هـ وضح مفهومي (المستضعف) و(المستكبر)، فقال: ([المستكبرون] لا ينحصرون بالسلاطين، ولا ينحصرون برؤساء الدول، ولا ينحصرون بالحكومات الظالمة، بل للمستكبرين معنى أعم من ذلك وأحد مصاديقه هم الأجانب حيث يستضعفون الشعوب ويتعدون عليها ويظلمونها. ومن مصاديقه أيضاً هذه الحكومات الجائرة والملوك الظلمة الذين يستضعفون شعوبهم ويظلمونها. وكنتم مبتلين بذلك على مدى أكثر من خمسين عاماً وكنا نحن مبتلين أيضاً وجميع الشعب كان مبتلياً بذلك. لقد استضعفوا الشعب فكانوا ينظرون إليه من منظار الاستكبار ويتعدون عليه ويظلمونه. لقد ذهبوا ولن يعودوا أن شاء الله. اليوم قد منَّ الله تبارك وتعالى به علينا بالحرية والاستقلال، أنه يختبرنا بهذه الحرية والاستقلال. لقد منَّ علينا بالحرية لِيَر ماذا سنفعل بهذه الحرية، ومنَّ علينا بالاستقلال لينظر ما سنفعله بالاستقلال. هل سنكون من المستكبرين أيضاً أم من المستضعفين؟ كل فرد يمكن أن يكون مستكبراً ويمكن أن يكون مستضعفاً. فإذا تعديت على الذين تحت يدي حتى ولو كانوا بضعة أشخاص وظلمتهم، واستصغرتهم، استصغرت عباد الله، أكون مستكبراً ويكونوا مستضعفين. وأكون مشمولاً للمعنى الذي يتضمنه المستكبرون والمستضعفون. إنكم إذا استضعفتم الذين تحت سلطتكم وتعديتم عليهم لا سمح الله وظلمتموهم تصبحون مستكبرين أيضاً ويكون الذين تحت سلطتكم مستضعفين. فلا بد أن نرى كيف سنخرج من هذا الامتحان، كيف سنخرج من بوتقة هذا الاختبار؟ هل سنخرج مرفوعي الرؤوس أم منكسي الرؤوس؟ هل سنتعامل مع عباد الله بالشكل الذي أمرنا الله تبارك وتعالى به؟ الآن وقد أصبحنا أحراراً، فهل سنتخذ الحرية وسيلة لخدمة الخالق والمخلوق، أم نجعلها وسيلة لمخالفة الله والاستكبار على الناس؟)[2]

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 82.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 351.

وهذا التوضيح، وفي ذلك الوقت بالذات مهم جدا، لأنه يحفظ الثورة من أن تصبح وسيلة للأحقاد والأمراض، ذلك أن المستضعفين في الكثير من الثورات، يتحولون بسبب الانتصار إلى مستكبرين جدد، يمارسون نفس ما يمارسه المستكبرون الذين قضوا عليهم.

ولهذا اعتبر الإمام الخميني الانتصار امتحانا للتواضع، فقال: (لا يوجد أي فرق بيني أنا طالب العلوم الدينية وهؤلاء السادة أهل العلم وأنتم أبناء العشائر المحترمة والكسبة والعسكريين والإداريين والآخرين. إننا جميعاً مراقَبون الآن. مراقبة شديدة. أنه امتحان إلهي. أن النعم تكون أحياناً وسيلة للاختبار ليعمل الفاسدون الانتهازيّون عملهم ويستحقوا بذلك العذاب، ويعمل الشرفاء أيضاً أعمالهم الشريفة ويقوموا بخدمة أبناء وطنهم ليستحقوا السعادة.. إنه أمر صعب جداً أن ننجح في هذا الامتحان الذي وضعنا الله تبارك وتعالى فيه.. إن الأمر يحتاج إلى مراقبة شديدة لئلا نخرج من الامتحان لا سمح الله بنتائج سيئة.. إننا إذا خرجنا من الامتحان بنتائج سيئة فمن الممكن أن ترتفع عنا رعاية الله فنفقد الحرية ويُسلب منا الاستقلال.. إننا إذا عملنا بخلاف الموازين الإلهية واتخذنا هذه الحرية وسيلة للتعدي على المظلومين، فمن الممكن أن نعاقَب في هذه الدنيا.. وآمل أن نجازى في هذه الدنيا ولا يؤجل جزاؤنا إلى العالم الآخر! فالعقاب في العالم الآخر لا يشبه هذه العقوبات! إننا لا نستطيع تصور تلك العقوبات. إذا كنا مذنبين، إلهي! إذا كنا مذنبين، إذا اتخذنا هذه الحرية وسيلة للتعدي على المظلومين ولو على شخص واحد، للتعدي على الذين تحت سلطتنا ولو على شخص واحد، إلهي! عذّبنا في هذا العالم، ولا تؤجله إلى عالم آخر)[1]

وعلى نهج الإمام الخميني نرى الإمام الخامنئي يتحدث كثيرا عن المستضعفين، ويعتبر الحديث عنهم ونصرتهم من علامات التمسك بالإسلام المحمدي الأصيل، وقد ذكر قدوته في هذا، فقال: (النقطة الأولى والأهم في مباني الإمام الخميني ونظراته هي قضية الإسلام المحمدي الأصيل .. أي الإسلام المقارع للظلم، والإسلام المطالب بالعدالة، والإسلام المجاهد، والإسلام المناصر

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 353.

للمحـــرومين والفقـــراء، والإســـلام المـــدافع عن حقـــوق الحفـــاة والمعذبين والمستضـعفين. وفي مقابـل هـذا الإسـلام أورد الإمـام الخميــني مصــطلح [الإســلام الأمــريكي] في ثقافتنــا السياســية وقاموسنا السياسي. الإسلام الأمريكي يعني الإسلام الذي يقتصــر على التشريفات فيبتعد عن التطبيق، وهـو إسـلام عـدم الاكـتراث مقابـل الظلم، ومقابـل الجشـع، واللامبـالاة حيـال التطـاول على حقـوق المظلـومين، إنّـه إسـلام مسـاعدة العتـاة والمتعسـفين والأقوياء .. الإسلام الذي يتأقلم مع كل هـذه الأمـور. هـذا الإسـلام سمّاه الإمام: الإسلام الأمريكي)[1]

ج ـ مشاركة القوات المسلحة في الثورة الإسلامية:

من الملاحظـات المهمـة الـتي نجـدها في الثـورة الإسـلامية الإيرانية نتيجة التزامها بالإسـلام، وبقيـادة العلمـاء الحكمـاء، عـدم وجود صراع بين الشعب والقوات المسلحة مهما اختلف نوعها، بل إنها تحولت بعد الثورة مباشرة إلى خـادم للشـعب، بـل إن الكثـير من أفرادهــا شــارك في الثــورة من غــير أن يحولهــا إلى ثــورة عسكرية.

ولذلك نجد إشادة قادة الثورة الإسلامية بكل أطياف القــوات المسلحة، ومن الأمثلة على ذلـك مـا خـاطب بـه الإمـام الخميـني جمعا من منتسـبي مقـر الوحـدة البحريـة في الشـمال بتـاريخ 25 جمادى الأولى 1399 هـ عقب انتصار الثورة الإسلامية، مبينـا تلـك الخطط التي أراد بها الأعداء إحداث الشقاق بين الشعب والقوات المسلحة، فقال: (على قواتنـا أن تحـرص على وحـدتها؛ فـالقوات البحرية، والجوية، والبرية والشعب جميعهم بعضهم من بعض، كما أن قوى الأمن والقوى الشعبية قوة واحدة.. يجب على الجميـع أن يكونـوا معتصـمين بحبـل اللـه، فبالاعتصـام بحبـل اللـه انطلقنـا وانتصرنا، وسنواصل بـه مسـيرتنا أيضـا.. لقـد كـان لكم أنتم قـوى الأمن الداخلي دور كبير في هـذه النهضـة.. لقـد شـوَّهوا صـورتكم وعزلـوا الشـعب عنكم غـير أنكم كشـفتم عن حقيقتكم في هـذه النهضة، وأنكم مع الشعب ومـع الإسـلام. وقـد اسـتقبلكم الشـعب بأحضانه وسيستقبلكم.. إنكم لم تكونوا سابقاً في أي وقت وســط

[1] خطابات الخامنئي 2010، ص165.

هذه الجماعات التي ترونها الآن ولم تشاهدوا أنفسكم يوماً بين إخوانكم، فمن بركات هذه النهضة أنكم ترون أنفسكم اليوم وسط إخوانكم وفي أحضانهم.. وهذا توفيق كبير تحقق لنا.. بركة كبيرة من بركات هذه النهضة العظيمة أن يجد الإخوة أنفسهم إلى جوار بعض، ويشكلون صفاً واحداً، صفاً متراصاً من قوى الأمن وأبناء الشعب، إننا جميعاً في صف واحد ويجب أن نكون كذلك)[1]

ثم بين المستند الشرعي الذي جعله ــ وفي وقت اشتداد الخناق على الثورة ــ لا يرضى بتسليحها لتواجه الجيش، فقال: (إنه حكم الإسلام أن نكون جميعاً معتصمين بحبل الله.. يجب أن لا نكون مفترقين عن بعضنا بعضاً، التفكير بالفرقة تفكير خاطئ، لا تزعزعوا هذه الوحدة، لا تطفئوا هذه النهضة، لا تخونوا الإسلام.. على جميع القوى التكاتف والاتحاد ليتسنى لها الوقوف بوجه قوى الشيطان، قوى الأجانب.. لقد رأيتم كيف هزمتم القوى العظمى بوحدة الكلمة، حافظوا على هذه القدرة، إذا وقع ـ لا سمح الله ـ خلل في هذه القدرة فانتظروا الكارثة)[2]

وقال في خطاب له بعد الانتصار في جمع من منتسبي الشرطة: (لقد كانت الشرطة سابقاً منعزلة عنّا وعن علماء الدين وعن الشعب، أما اليوم فإنها بين الشعب ومن الشعب، والشعب أيضاً يريد من الشرطة أن تحرس المدن وتوفر الأمن له.. إن نظرة العلماء الأعلام إلى الشرطة نظرة جيدة، وكذلك بقية الفئات، إنهم يعتبرونهم إخوتهم.. إنني آمل أن تبقى وحدة الكلمة هذه بين جميع فئات الشعب، وأن تنطلق نهضتنا الإسلامية إلى الإمام معتمدة على وحدة الكلمة، وأن تنال جميع الفئات حقوقها مع استقرار حكومة العدل الإسلامي.. لا يتوهم الأجانب أنهم يستطيعون إيجاد خلل في وحدتنا الوطنية هذه.. هذه الوحدة الوطنية وحدة إلهية، تحققت بيد الله تبارك وتعالى.. إن الإسلام قائدنا، القرآن الكريم قائدنا.. وقد دعانا القرآن الكريم إلى الوحدة، دعانا الإسلام إلى الوحدة.. نحن نتبع الإسلام.. لقد فجر شعب إيران هذه الثورة وسار بها قدماً بوحدة الكلمة والاعتماد

---

[1] () صحيفة الإمام، ج7، ص: 78.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 78.

على الإسلام ولن يتخلى عن هذا السر.. لا تختلفوا، كونوا مع بعضكم إخوة متساوين)[1]

وقال في خطاب له لحرس الثورة الإسلامية: (إنني أشكر الشعب الإيراني عموماً، وحرس الثورة خاصة لاسيما أنتم حرس الثورة في طهران.. لقد كنتم الجنود الذين دافعوا عن إيران في اللحظات الصعبة، ووقفتم بوجه الذين أرادوا إخماد ثورتنا.. إننا وبعد الآن أيضاً نحتاج إلى قوة الحرس الكبيرة هذه.. إن الإسلام يتطلّع إلى هؤلاء الشباب ويتوقع منهم الكثير، يتوقع منهم النصرة والمعونة، يتوقع منهم إحباط تآمر المتآمرين)[2]

وقال ردا على تلك الشائعات التي يذكرها المغرضون من الفرقة بين الجيش والشعب: (نحن جميعاً ندعم الجيش ونحن جميعاً ندعم قادة الجيش، ولو قال أحد إن شعبنا ليس مع الجيش فهو كذب صريح، والدليل عليه هو أن الجيش هناك يقوم بواجبه. وجميع أبناء الشعب يخدمونه. الذين يقولون أن الجيش وعلماء الدين مختلفون مع بعضهم البعض، هم يكذبون لأن علماء الدين الأعزاء الذين جاءوا إلى هنا من مختلف أنحاء البلاد وجاؤوا الآن من قم ومشهد المركزين العلميين الكبيرين في البلاد جاؤوا إلى هنا بأسلحتهم وقد قدموا الشهداء والمجروحين ثم يذهبون إن شاء الله وينتصرون بمشيئة الله. جميع أبناء الشعب يجب أن يكونوا خلف الجيش وعلى الجيش أن يحافظ على الجبهات.. على الشعب وعلماء الدين والجامعة وعلماء الدين أن لا ينفصلوا عن بعضهم ولا ينسلخوا عن بعضهم لأن انسلاخهم عن بعضهم هو هلاك الشعب وهلاك الإسلام وهلاك البلاد)[3]

وهكذا شهد الإمام الخامنئي لهذه القوات بالثبات على قيم الثورة وحمايتها لها رغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها، يقول: (نشكر الله على أنّ قوّاتنا المسلّحة وقوّات الحرس عندنا، وجيش الجمهورية الإسلامية، وجميع منظّمات القوى المسلّحة، قد

---

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 80.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 81.

[3] () المرجع السابق، ج14، ص: 154.

ثبتت في هـذا الطريـق وأصـرّت عليـه، وتـركت تجـارب خالـدة للذكرى)[1]

وقـال في لقـاء مـع طلّاب الكلّيّـات الحربيّـة بجامعـة الإمـام الخميني للعلـوم البحريّـة: (إنّ القـوّات المسـلّحة هي رأس حربـة النظام الإسلاميّ والإلهيّ والحضارة الإلهية والإسلامية في مواجهة الأعـداء والأشـرار والحاقـدين. إنّ شـبابنا الأعـزّاء يعـبرون هـذا الميدان بحماسٍ وعشقٍ ومحبّة وبوعيٍ)[2]

وقـال مخاطبـا لهم: (لا شـكّ بـأنّ مواجهـة مسـتكبري زماننـا للإسـلام ولطلـوع هـذه الشـمس السـاطعة هي مواجهـةٌ سـتنتهي بانتصار الإسـلام. ويتحمّـل نظـام الجمهوريـة الإسـلامية مسـؤولية كبرى في هذا المجال، وأنتم أيّها الشـباب الأعـزّاء الـذين اجتمعتم في هـذا الميـدان وفي كـلّ القـوّات المسـلّحة تتحمّلـون قسـماً حسّاساً من هذه المسؤولية) [3]

وقــال مخاطبــا عــائلات القــوات المســلحة: (فلتعلم أُســر مجاهدينا العزيزة وزوجـاتهم، سـواء أكـانوا عناصـر الجيش أم من الحرس أم من التعبئة أم من القوّات الأمنيـة أم من العـاملين في وزارة الـدفاع من يعينـون ومن هـو شـريك حيـاتهم.. إنّ شـريك حيـاتكم هـو من الـذين لهم دورٌ حسّـاسٌ في هـذا البنـاء الرفيـع والشامخ، فهذا هو حال القوّات المسلّحة. وبتعبـير أمـير المؤمـنين [حصـون الرعيّـة]، إنهم حصـون الأمـة، الحصـون المعنويّـة للبلـد. ووجود القـوّات المسـلّحة المسـتقلّة الواعيـة المبتكـرة الشـجاعة المضحيّة هو أمانٌ لأيّ بلدٍ ولو لم يطلقـوا رصاصـة واحـدة، فـإنّهم يوقفون الأعداء في أمـاكنهم، فـالقوات المسـلّحة هي بمثـل هـذه الأهمية)[4]

1() خطابات الخامنئي 2012، ص174.

2() المرجع السابق، ص377.

3() المرجع السابق، ص377.

4() المرجع السابق، ص391.

2 ـ إشراك جميع الشعب في حفظ الثورة:

وذلك عن طريق الكثير من المؤسسات الـتي وفـرت لجميـع شرائح الشعب الإيراني البيئة المناسبة الـتي يسـاهم فيهـا بحفـظ ثورته، وعدم سرقتها، أو اختراق القوى الأجنبية لها.

ولعل أكبر مؤسسة شعبية تولت هـذا الـدور بكـل فعاليـة مـا يطلــق عليــه [قــوات التعبيــة]، وهي من أهم إبــداعات الثــورة الإسلامية الإيرانية، والتي لا نجد لها نظـيرا في العـالم، بـل ولا في التاريخ، وقد عرفهـا الإمـام الخـامنئي بقولـه: (إن للتعبئـة تعريفهـا المحدد: فالمراد منها هم أبناء الشعب الـذين يوجـدون في وسـط الساحة بأهداف إلهية سامية وبروح مثابرة لا تعرف الكلل والملـل وفي كل مكان يتطلب الأمـر، وينــزلون بكـل قـدراتهم وطاقـاتهم إلى الميدان، ولا يهابون المخاطر التي تعترض الطريق)[1]

وعرف الفرد المنتمي لهـذه المؤسسـة بقولـه: (التعبـوي هـو ذلك الشخص الذي أعدّ نفسه لهذه المهمة الشـاقة؛ ألا وهي بــذل النفس، بل وحتى بذل تلك الأمور التي قد تكـون أعـز من النفس؛ هذا هو معنى التعبئة)[2]

وبين أن أهم سمات هذه المؤسسة (الحضـور الواسـع الـذي يجب الحفـاظ عليـه، في مختلـف السـاحات العسـكرية والعلميـة والفنية من أمثال الشهيد السيد مرتضى آويني الـذي كـان تعبويـاً، إلى غــيره من الفنــانين الملــتزمين والمــوالين، ســواء في عــالم الفنــون التشــكيلية أو الشــعر أو الأدب ومــا إلى ذلــك، وكــذا في السـاحة التقنيـة، وأخـيراً في المسـائل الاقتصـادية الـتي أوصـيت رجال الحكومة في شأنها، وقلت لهم بأن قــوات التعبئـة مسـتعدة للحضور والمساهمة في ساحة الاقتصاد المقاوم)[3]

---

[1] كلمـة الإمـام الخـامنئي في لقـاء قـادة قـوات التعبئـة على أعتـاب يـوم التعبئـة في حسينية الإمام الخميني، 25/11/2015.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

واعتبرها من بركات الإمام الخميني، وسعه أفقه، وحكمته، فقال: (لقد تجلت حكمة إمامنا العظيم في الكثير من القضايا، وإيجاد قوات التعبئة واحدة من أبرز تلك القضايا)، وقال: (قوات التعبئة أعظم وأخلد تذكار لذلك الرجل العظيم الجليل)[1]

وقال ـ مبينا أهميتها في استمرارية الثورة ونجاحها ـ: (أصل القضيّة هو أنّ التعبئة بالمعنى الحقيقيّ للكلمة هي ظاهرة ثوريّة، ويجب على هذا الوطن وهذه الأمّة وهذه الثورة أنْ يتعاطوا مع هذه الظاهرة دائماً بجديّة ويعلموا قدَرها)[2]

ويبين الحكمة منها، وسر حفاظها على الثورة الإسلامية، مقارنا لها بغيرها من الثورات، فقال: (ظاهرة التعبئة ظاهرةٌ إبداعية، ولا يعني ذلك أن قوى المقاومة الشعبية لم يكن لها وجود في البلدان والبقاع الأخرى، فلقد كان لها وجود وهذا ما نعلمه، غير أن قوات المقاومة في شتى بلدان العالم شرقاً وغرباً غالباً ما تختص بفترات القمع والكبت والكفاح، وبعد انقضاء فترة الكفاح ـ سواء عبر إمساك فصائل المقاومة نفسها بزمام السلطة أو إمساك غيرها بمساعدتهم ـ تنتهي قوى المقاومة وينقضي أمد هذا التنظيم الشعبي، وهذه هي الحالة السائدة في العالم، والمعروفة لدى كل من له اطلاع بفصائل المقاومة الشعبية في شتى بلدان أفريقيا وأوروبا وآسيا)[3]

وضرب أمثلة على ذلك ببعض الثورات التي استطاعت أن تحقق النصر، ولكنها لم تستطع الحفاظ عليه بسبب فقدانها لقوات التعبئة، ومن بينها الثورة الجزائرية، ففي (فترة تسلط الفرنسيين على الجزائر مثلاً، تشكلت فصائل المقاومة الشعبية، وخاضت كفاحاً مريراً لسنوات طوال لربما يبلغ ثمانية إلى عشرة أعوام، وبذلوا جهودًا جبارة، ولكن بعد أن تأسست الحكومة الثورية، تبدّدت هذه الفصائل وتفرّق جمعها، حيث تربّع البعض

[1] () التعبئة (ص: 11)

[2] () المرجع السابق، ص10.

[3] () كلمة الإمام الخامنئي في لقاء قادة قوات التعبئة على أعتاب يوم التعبئة في حسينية الإمام الخميني، 25/11/2015.

منهم على كرسيّ الحكم، وشكّل البعض الآخر حزبـاً، وبالتـالي لم يبق شيء باسم فصائل المقاومة) [1]

ومثلها (في عهد الاحتلال الألماني لفرنسا مثلاً، حيث تبلـورت جماعات المقاومة من اليساريين واليميـنيّين والمعتـدلين، وأخـذت تمارس نضالها لفترات طويلة، ولكن بعـد انهيـار الاحتلال وتشـكيل الحكومة، انتهى تاريخ صلاحية هذه الجماعـات ولم يبـق أثـرٌ منهـا) [2]

وبين سبب ذلك الانحسار والذوبان لهذه القـوات بعـد تحقيـق النصر، وهو التوزع بين الوصول إلى السلطة، والوقوع في آفاتهـا، أو تأسيس أحزاب مواليـة أو معارضـة، والانصـراف بـذلك عن قيم الثورة وأهدافها، فقال: (أشرت إلى أنّهم إما كـانوا يجلسـون على سدّة الحكم، وحينما يصلون إلى السلطة يصابون بآفاتها، وهذا مـا شاهدته بالعيان في بعض البلدان. فإنّ أولئك الذين جاهدوا جهـاداً مريراً في الخنادق وعلى التراب والأرض لسـنوات حـتى الوصـول إلى السـلطة، أخـذوا ينتهجـون في فـترة حكمهم نفس مـا كـان ينتهجه مثلاً ذلك القائد البرتغالي الذي كان حاكمـاً على هـذا البلـد، ويتبعون نفس الأسلوب من دون أي فـارق، فقـد كـان الهـدف من النضال هو الوصـول إلى السـلطة، وهـذا مـا شـاهدته بنفسـي في مواطن متعددة حيث تتبدل حقيقتهم) [3]

أما غيرهم من الـذين لم يصـلوا إلى السـلطة، فـإنهم ــ كمـا يذكر الإمام الخـامنئي ــ (يشـكّلون الأحـزاب، كمـا هـو حـال بعض الأحزاب الموجودة في هذه الدول التي كان نضالها بدافع الوصول إلى السلطة، فإنّ الهدف الـذي تتوخـاه الأحـزاب الغربيـة وبتبعهـا الأحزاب الموجودة في كل العـالم هـو الإمسـاك بزمـام السـلطة، وهذا يعني أن الحزب يناضـل بغيـة الـتربع على كرسـي الحكم، ثم يشرع الحزب الآخر بالكفاح لانتزاع الحكم من يديه. وفي الحقيقـة فإن الأحزاب التي يُطلق عليها اليوم عنوان الحـزب في العـالم، لا

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع السابق.

[3] المرجع السابق.

تشكّل الأرضية لمتابعة المفاهيم والمعارف السامية التي يؤمن بها نفس ذلك الحزب، نظير ما كان يتبادر إلى أذهاننا في أوائل الثورة من مفهوم الحزب، فإن هذا غير رائج في العـالم المعاصـر، وإنمـا الهدف هو أن تتشكل فئة ـ كنـادٍ أو مجموعـة ــ وتسـعى للوصـول إلى السـلطة، وبعـد تحقيـق أهـدافها تقتفي آثـار نفس الحكومـة السابقة دونما فارق) [1]

وبنــاء على هــذا كلــه، (فــإن فصــائل المقاومــة تــؤول بعــد الانتصارات إلى الزوال والاضمحلال والانقراض) [2]

وهذا كله يخالف ما وقع في الثـورة الإسـلامية، والـتي جعلت (هذه الفصائل كالتيار الجاري والنبـع الفيـاض بعـد الانتصـار أيضـاً، وتزداد يوماً بعد آخـر تألّقـاً ووعيـاً، وتنــزل إلى مختلـف السـاحات التي يحتاج البلد إليها بصورة تنظيمية، وتنمو وتتكامـل من الناحيـة الكميـة والنوعيـة، وتتوصـل إلى مفـاهيم جديـدة، وتتمكن من أداء دورهـا في الصـراعات الـتي تتولّـد حـديثاً، كمـا هـو حـال قواتنـا التعبوية، فهذا ما لم يسبق له في العالم نظير ومثيل) [3]

وبين دورهــا الكبــير في إحبــاط كــل المــؤامرات، فقــال: (ومطالعة الواقع التاريخي الذي نشأت فيه قوات التعبئة يدل على ذلــك، فهي الــتي أحبطت كــل المــؤامرات المحاكــة ضــد الثــورة الإسلامية، وضـمنت لهـا الاسـتمرارية، وجعلت من تلـك الجمـاهير قوة منظمة، يمكن استخدامها في أي وقت) [4]

وبنـاء على هـذا كلـه نجـد الإمـام الخـامنئي يسـتمر على نهج أستاذه الإمام الخميـني في الاهتمـام بهـذه المؤسسـة وتطويرهـا، وقــد قــال في خطــاب لــه بمناســبة أسـبوع التعبئة[5]، وبحضــور

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

[3] () المرجع السابق.

[4] () المرجع السابق.

[5] () أسبوع التعبئة: إحدى المناسبات التي يتم إحياؤها سنويا من خلال الأنشطة والأعمال

خمسـين ألفـاً من قـادة التعبئـة من مختلـف أنحـاء البلاد بتـاريخ 20/11/2013 م مبينا ضرورتها: (إن التعبئة هي مصدر عزةٍ للبلاد والنظام.. لأن معنى التعبئة هو الحضور وسط النـاس في مجـالات النشـاطات الأساسـية للشـعب والبلاد.. إن كـل حكومـة وكـل بلـد يكون فيها الشعب حاضـراً ويتحـرك نحـو جهـة محـددة فانتصـارها سيكون حتمياً، هذا أمر مسلّم. تتعرض البلدان للضربات والهـزائم حين لا يكون الشعب حاضراً في الميدان وحينما لا يكـون الشـعب متحـدا في (ميـدان) العمـل. حيثمـا يحضـر الشـعب في الميـدان ويوجد اتحاد وانسـجام بين أفـراد الشـعب فـإن الانتصـار والتقـدّم حتميـان. التعبئـة هي نمـوذج كهـذا، هي مظهـر من هـذا الحضـور الشعبي في الميدان وتلاحم الشعوب فيما بينها، ينبغي النظـر إلى التعبئة بهذه الرؤية)[1]

ثم بين نجاح أفـراد التعبئـة في كـل الاختبـارات الـتي وضـعوا فيها، فقال: (بالنسبة إلى الصدق ـ الذي ذكرته في مطلـع كلامي ـ فإنّ التعبئة قـد أدّت امتحـان الصـدق، في الحـرب المفروضـة في الدفاع المقدّس الذي كـان الـزمن الصـعب للبلاد. وقـد نجحت في امتحان الصدق في كل الأمـاكن أثبتت منظمـة التعبئـة ومجموعـة التعبئـة بأنهـا تتحلى بالصـدق. وبـالطبع فإنـا رأينـا أن التعبئـة غـير محصورة بهذا العدد المنتسب إلى منظمة التعبئة، يوجد الكثير من الأشـخاص ممن قلـوبهم معكم، يشـجعونكم ويؤيـدونكم ويكنّـون الاحترام والتقدير لكم وهم ليسوا داخل منظمة التعبئة، فـإنهم من التعبئة أيضاً. أولئك الذين يعتقدون بقيمكم ويحترمونكم، يحـترمون جهودكم وخدماتكم وجهادكم، هم برأينا من التعبئة أيضاً) [2]

وذكر كيف أصبحت التعبئة محلا تجتمع فيه كل قوى الشـعب، لأداء دورها في الحفاظ على الثورة وقيمها، فقال: (اليوم ولحسن

المختلفة ومن ضمنها اللقاء السـنوي بالقائـد الأعلى الإمـام الخـامنئي، وقـد كـان لقـاء سـنة 2013 استثنائيا، حيث احتشد أكثر من خمسين ألف قائد تعبوي في مصـلى الإمـام الخميـني والمساحات المحيطة به، واستغرقت كلمة القائد ساعة وعشرين دقيقة.

1() خطابات الخامنئي 2013 (ص: 626)

2() المرجع السابق، (ص: 626)

الحظ، يوجد داخل مجموعة التعبئة شخصيات علمية بارزة، شخصيات فنية بارزة، شخصيات اجتماعية، شخصيات سياسية، ناشطون اجتماعيون، أفراد مؤثّرون في أوساط الناس، هم كُثر وليسوا قلّة، لقد كانت التعبئة وحتى اليوم مجموعة إنسانية تتجه نحو الرشد والتسامي، وينبغي أن تستمر هكذا أيضاً) [1]

وبعد توجيهاته لأفراد التعبئة بالالتزام بكل القيم التي قامت الثورة الإسلامية من أجلها، قال: (إن سلوككم أيها الأعزاء التعبويون، فرداً فرداً، أنتم أيها الشّباب وأيها الطاهرون، أصحاب القلوب الصافية والمنيرة، ينبغي أن يكون سلوك كل واحد منكم مع الناس بشكل يقول الآخرون عنده: هؤلاء هم الذين ربّاهم النظام الإسلاميّ، مصدر لجذب المحبّة والاحترام إلى النظام الإسلاميّ والجمهوريّة الإسلاميّة. هذه المستلزمات العملية والجهادية والاجتماعية هي أعمال يجب أن تُنجز، أي تقوية الخصال الحسنة في أنفسنا، التعامل الحنون والخدوم المحبب مع المحيط، العمل الجدّي في جميع الجبهات ــ جبهة العلم وكذلك جبهة الأنشطة والخدمات للناس، وجبهة العمل وجبهة السياسة وجبهة الإنتاج ـ حيثما كان لكم حضور فلنعمل بشكل جدّي دون إحساس بالتعب ومع تجنّب الكسل.. هذا الجمع العظيم ـ عشرات آلاف القادة ممن اجتمعتم اليوم هنا ـ باستطاعته أن يحرّك البلاد بالمعنى الحقيقي للكلمة في جميع الجهات الإيجابية وأن يكون مصدراً للاستقرار والثبات وعاملاً لهيبة النظام والحمد لله هو كذلك. إن التعبئة اليوم هي مصدر لهيبة النظام وافتخاره) [2]

وهكذا نرى الإمام الخميني يعبر عن قيمة التعبئة وأدوارها ورسالتها في خطب كثيرة، ومنها قوله في نداء له بتاريخ 12 ربيع الثاني 1409 هـ: (لا شك في أن تشكيل قوات التعبئة الشعبية في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كان من البركات والألطاف الإلهية التي منّ بها الله سبحانه على الشعب العزيز والثورة الإسلامية الإيرانية)(3)

[1] () المرجع السابق، (ص: 626)

[2] () المرجع السابق، (ص: 627)

ثم لخص أدواره الكبرى التي قام بها، فقال: (في خضم الأحداث المختلفة التي أعقبت انتصار الثورة لا سيما الحرب، نهضت المؤسسات والفصائل المختلفة بمهمة الدفاع عن البلد وصيانة الثورة الإسلامية، متفانية في الإيثار والتضحية والإخلاص والاندفاع نحو الشهادة. ولكن إذا أردنا حقاً إعطاء مصداق متكامل للإيثار والتضحية والإخلاص والعشق للإسلام ولذات الحق المقدسة، فليس هناك أصدق من قوات التعبئة والتعبويين.. التعبئة شجرة طيبة ونافعة ومثمرة يفوح من براعمها عبير ربيع الوصال وطراوة اليقين وحديث العشق.. التعبئة مدرسة العشق ومذهب الشاهدين والشهداء المجهولين حيث رفع أبناؤه من فوق مآذنه الشامخة آذان الشهادة والهداية.. التعبئة ميقات الحفاة ومعراج الفكر الإسلامي الطاهر، حيث حصل المتربون في أحضانه على الاسم والشهرة في السرّ والخفاء.. التعبئة لواء الله المخلص الذي وقّع بيان تأسيسه جميع المجاهدين من الأولين إلى الآخرين) (1)

بل إن الإمام الخميني لا يكتفي بكل تلك الأوصاف، وإنما يضيف إليها قوله: (إنني أتفاخر دائماً بإخلاص وصدق التعبويين وأطلب من الله تعالى أن يحشرني مع أحبائي التعبويين. فما أفخر به في هذه الدنيا هو أني أحد التعبويين) (2)

ثم حض الشعب الإيراني جميعا على أن يقتدي به في ذلك، ليسجل نفسه ضمن التعبويين الذين يحبطون كل المؤامرات، فقال: (إن الشعب الذي يحث الخطى على نهج الإسلام المحمدي الأصيل، ويناهض الاستكبار وعبادة المال والتحجر والقداسة الزائفة، يجب أن يكون جميع أبنائه من التعبويين، وأن يحرصوا على تعلّم فنون القتال، فالشعب العزيز والخالد هو الذي تتحلى الغالبية من أبنائه بالاستعداد العسكري المناسب لمواجهة

3() صحيفة الإمام، ج21، ص: 179.

1() المرجع السابق، ج21، ص: 179.

2() المرجع السابق، ج21، ص: 179.

المخاطر في اللحظات العصيبة)[1]

ثم بين قيمة الفكر التعبوي في تحصين الثورة، لا في إيران وحدها، بل في كل بلد يريد التحرر والسيادة، فقال: (باختصار، إذا ما خيمت أجواء الفكر التعبوي المؤنس على بلد ما، سيكون مصاناً من أطماع الأعداء والناهبين الدوليين، وإلا ينبغي توقع حادثة في كل لحظة)[2]

ثم بين المسؤوليات المناطة به، والتي لا تكتفي بعلاج مشاكل زمن دون آخر، فقال: (لقد برهنتم خلال الحرب المفروضة بأن الإسلام قادر على فتح العالم بالإدارة الصحيحة والجيدة. وعليه يجب أن تعلموا بأن مهمتكم لم تنتهِ بعد، الثورة الإسلامية العالمية بحاجة إلى تضحياتكم. وأن بوسع المسؤولين ومن خلال دعمكم ومساندتكم فقط البرهنة لجميع المتعطشين للحقيقة والصدق، بأنه بالإمكان تحقيق الحياة الكريمة المقرونة بالسلام والحرية، بمعزل عن أميركا والاتحاد السوفيتي أن تواجدكم في ميادين الصراع يؤدي إلى اجتثاث الجذور المعادية للثورة في مختلف المجالات) [3]

ثم ختم بيانه بقوله: (إنني أقبل أياديكم فرداً فرداً أنتم طلائع التحرر، وأعلم بأنه إذا ما غفل المسؤولون عنكم فسوف يصطلون بنار جهنم الإلهية.. أؤكد مرة أخرى، أن الغفلة عن تشكيل جيش العشرين مليون، ستقود للسقوط في شباك القوتين العظمتين.. إنني أتقدم بالشكر لكافة قوات التعبئة لا سيما قادتهم الأعزاء، ولن أنسى صالح الدعاء لأبناء الإسلام الأوفياء هؤلاء.. أسأل الله تعالى أن يمنّ على شهداء التعبئة الأعزاء المجهولين بنعمة مجاورة أهل البيت عليهم السلام، وأن يمن على المعاقين الأعزاء بالشفاء، وأن يعيد الأسرى والمفقودين الأعزاء إلى وطنهم سالمين، وأن يضاعف كل يوم من عظمة وشوكة هذا الوجود الشعبي المقدس، الذين هم أنصار الإسلام العزيز وأعوان حضرة

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 179.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 179.

[3] () المرجع السابق، ج21، ص: 179.

بقية الله الأعظم ـ أرواحنا لمقدمه الفداء ـ)[1]

وفي أثناء بيانه ذكر أهمية التحاق الطلبة جميعا بهذه المؤسسة الشعبية الضخمة، فقال: (إن أكثر التشكيلات ضرورة اليوم تعبئة الطلبة الجامعيين وطلبة العلوم الدينية؛ فمن واجب طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات الدفاع بكل قوة عن الثورة والإسلام انطلاقاً من مواقعهم، وينبغي لأبنائي التعبويين في هذين المركزين العلميين، أن يكونوا الحارس الأمين للمبدأ الخالد (اللا شرقية واللاغربية).. إن الجامعة والحوزة بحاجة اليوم إلى المزيد من الاتحاد والوحدة أكثر من أي موقع آخر. وعلى أبناء الثورة أن لا يسمحوا لأيادي أميركا وروسيا باختراق هذين الموقعين الحساسين مطلقاً. وأن البسيج وحده القادر على تحقيق هذا الأمر الهام. كما أن التوجيه العقائدي للبسيجيين يقع على عاتق هاتين القاعدتين العلميتين. إذ ينبغي للحوزة العلمية والجامعة وضع الأطر الأصيلة للإسلام المحمدي الأصيل تحت تصرف البسيجيين كافة) [2]

بل إن الأمم الخميني يتجاوز إيران ليدعو الأمة جميعا لتلتحق بهذه الفئة، لتقاوم كل مشاريع الهيمنة، يقول: (كما يجب على بسيجي العالم الإسلامي التفكير بتشكيل الحكومة الإسلامية الكبرى وهو أمر ممكن، لأن البسيج لا يقتصر وجوده على إيران الإسلامية. فلا بد من تشكيل خلايا المقاومة في مختلف أنحاء العالم والتصدي للشرق والغرب) [3]

ثانيا ــ الطاقات النخبوية وإشراكها في القيادة والتوجيه

من أهم المظاهر التي ميزت الثورة الإسلامية الإيرانية، وكانت سبب انتصارها وديمومتها كثرة قياداتها العلمية والفكرية التي استعملت كل الوسائل للتواصل مع الجماهير، وإقناعها بكل

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 181.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 182.

[3] () المرجع السابق، ج21، ص: 183.

حركة تقدم عليها، سواء لهدم ما بناه الطاغوت، أو لبناء ما قررتـه الثورة بناء على اختيارها للشريعة الإسلامية.

ولذلك يمكن اعتبار الثورة الإسلامية الإيرانيـة ثـورة علمائيـة، أو ثورة النخبة العلمية؛ فهي ليست مثل الكثير من الثـورات الـتي غلب عليها طابع المطالب المادية، وتحقيق الرفاه المعيشي، وإنما هي ثورة فكرية، منطلقة من قناعات دينية.

ولذلك كله كان القائمون عليها هم رجال المعـاني، كمـا عـبر الإمـام الخميـني عن ذلـك بقولـه في بعض خطبـه: (إن الـذين يستطيعون حماية بلدهم، والذين يستطيعون إنقاذ بلدهم وشعبهم، هم الـذين يملكـون المعنويـات، إذا لم تكن المعنويـات وكـان كـل شيء مرتبط بالماديـات، فحينئـذ أينمـا كـان العلـف أفضـل فـإنهم سيذهبون وراءه حتى ولو كانت أمريكا هي التي أعدَّته.. إن الـذين خانوا بلدنا ونهبـوا جميـع مـا نملكـه لا فـرق عنـدهم بين أن تكـون أمريكـا هي الـتي تقـدم لهم الإمكانـات الماديـة مثـل السـيارة والحديقة وغيرها أو أن يحصلوا عليها من طريـق صـحيح.. لا فـرق عندهم بين الطريق السليم وغير السليم.. إنهم يريدون سـيارة ولا فرق لديهم بين أن تصلهم عن طريق النبي أو أبي جهل؛ فلا شـأن لهم بالوسيلة وإنمـا المهم عنـدهم هـو السـيارة.. إن الـذين خـانوا بلدنا، وجروه للدمار، أولئك الذين كانوا يفتقرون إلى الإيمـان، ولـو كان يوجد بينهم شخص واحد مؤمن لما كان قـام بهـذه الأعمـال.. إن الـذين سـرقوا ونهبـوا وأفسـدوا مـا عنـدنا، كـانوا لا شـأن لهم بالإسـلام ولا اعتقـاد لهم بـه، ولا يعتقـدون بمـا وراء الطبيعـة، ولا يعتقـدون بالمعنويـات، كـانوا يقولـون إن الحيـاة هي هـذه الأيـام القلائل، فليكن كل شيء بشكل أفضل وأكثر رفاهية، وليحصل من أي طريق كان)[1]

ويدل لهذا ما وقـع في إيـران منـذ بدايـة ثورتهـا عـام 1963، حيث كـان الإمـام الخميـني وتلاميـذه المباشـرون هم القـدوة في تضـحياتهم لكـل من بعـدهم من الجمـاهير الـذين التحقـوا بـركب الثـورة، بعـد أن اقتنعـوا بـأن تكليفهم الشـرعي يتطلب منهم المشاركة فيها، والذود عنها.

---

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 334.

ونحب هنا ـ مثلما فعلنا في المبحث السابق ــ أن نـذكر بعض توجيهات قادة الثورة الإسلامية المرتبطة بهـذا الجـانب، لـنرى من خلالها كيف استطاعوا تجـييش تلـك الحشـود الكبـيرة من العلمـاء والأساتذة وطلبة العلم والنخبة المثقفة لتكون في مقدمة الثوار.

1 ـ دور علماء الدين في الثورة:

من خصائص الثورة الإيرانية أن محركها لم يكن الشـيوعيون، ولا الليبراليون، ولا أصحاب أي مدرسة من المدارس الفلسـفية أو الاجتماعية المعروفة، وإنما كان محركها علماء الدين، كما عبر عن ذلـك الإمـام الخميـني في بعض خطبـه بقولـه ــ ردا على الـذين ينسبون الثـورة للتيـارات اليسـارية وغيرهـا ــ: (إنكم أينمـا ذهبتهم ترون أن الذي دفع الناس للانخراط في الثـورة هم علمـاء الـدين، فلا تقفوا الآن معارضين لعلماء الـدين وتقولـوا: (الإسـلام من دون رجـل الـدين)؛ فالإسـلام من دون رجـل الـدين كـالطب من غـير طبيب.. الطب من دون طبيب معنـاه أننـا لا نريـد الطب.. وإلّا فلا يمكن أن يكـون هنـاك طب ولكن دون طـبيب. الإسـلام من دون العالم معناه إننـا لا نريـد الإسـلام. إنكم إذا حطمتم هـذا السـد لن تستطيعوا إنجاز أي من الأعمال ولـو اجتمعتم كلكم. علمـاء الـدين هم الذين يستطيعون العمل، ابحثوا، انظروا، ادرسوا هذه النهضة. انظروا من الذي كان يتقـدم بالنهضـة؟ أيـة فئـة كـانت مـؤثرة في الحركة أكثر من غيرها.. الجميع كانوا مـؤثرين، ولكن الـذي كـانت الجماهير تسير من وراءه، عامة الناس، المعيـار هـو الفلاح، البـائع الذي في السوق، المعيار هو هذا الشارع وهؤلاء الناس الــذين هم في الشارع، من الذي كان يعبئ هؤلاء ويهيئهم لهـذا العمـل؟ إنهم علماء الدين. طبعاً كان هناك آخرون ولكن علماء الـدين كـانوا في الطليعة. فلا تفكـروا أن تكتبـوا الآن في الصـحف: (سـيطر علمـاء الدين)، فإذا اعرض الناس عن مثل هـذه الصـحيفة، يـأتي الكتّـاب والصحفيون ويقولون: لقد وقفوا بوجـه الديمقراطيـة! لقـد وقفـوا بوجه الحرية!)[1]

وعبر عن ذلك أحد قادتها وشهدائها الكبار، الشـهيد مطهـري، وذلـك في محاضـرة لـه عن دور العلمـاء في الثـورة، والـرد على

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 276.

الـذين يتوهمـون تخلفهم عنهـا، حـتى يـتيحوا المجـال لليسـاريين وغيرهم لنيل المكاسب، فقد قال في ذلك: (سـيكون كلامي حـول موضوع مهم وهو دور علماء الدين قبـل الثـورة وبعـدها.. ومـع أن عملهم واضح بيِّن لا يخفى على أحد من أنهم يسيرون على الخـط الإسلامي لتحقيق الأهـداف السـامية كالقضـاء على الظلم وإقـرار العدالـة والإصـلاح في المجتمـع.. مـع ذلـك نجـد أن اليسـار دائمـاً يتساءل كيف أصبح علماء الدين ثواراً؟ إذ باعتقاد الفئات اليسـارية أن الطبقة المحرومة هي أساس الثـورة الشـعبية، ولـذا لا يتسـنى لرجال الدين قيادتها لأنهم على علاقة وثيقة بالحكم الشاهنشاهي، أمـا مسـيرهم مـع الثـوار فعلى أسـاس خطـة مـدبرة من الطبقـة الحاكمة لإنقاذ عرشها، بعد ما وجـدت نفسـها على شـفير الهاويـة لجأت إلى الروحانيين لاحتواء الثورة حتى يعيدوا للطبقـة الحاكمـة طريـق العـودة.. وأصـدرت منظمـة [طوفـان] السـرية نشـرة في شـباط سـنة 1979 في جريـدتها [حـزب العمـال والفلاحين الشـيوعيين الإيرانـيين]، وقـالت فيهـا: لا تنخـدعوا بهـؤلاء الرجـال الذين يُدعون رجال الدين، لأنهم من صـنع نظـام الشـاه ويريـدون حفظ هذا النظام.. كذلك نجد عند بعض المثقفين العجب والغرابـة في أن قيادة الثورة الإيرانيـة بأيـدي علمـاء الـدين فيحـاولون بأيـة وسيلة إلصاق التهم بأنهم عملاء للإنجلـيز والـروس.. وهـذا الاتهـام للعلماء الروحانيين نتج عنه فصل بينهم وبين بعض المدنيين، يقول أحد الكتـاب، وهـو ابتـدأ حياتـه الفكريـة مـع حـزب تـودة (الحـزب الشيوعي الإيراني) ثُمّ أصبح متدينا مع مـرور الأيـام في مقـال لـه سنة 1979: بأن السبب الرئيسي في هزيمة ثـورتي المشـروطية والوطنيـة بقيـادة [مصـدق] هـو الانفصـال الـذي حصـل من قبـل العلمانيين مع المؤمنين ورجال الـدين، ومحاولـة اسـتثمار جماعـة مصدق وحدهم بالسلطة بعد نجاح النهضة)[1]

وبعــد أن أورد مــا لا نــزال نســمعه من المحللين الــذين يتصورون أن العلماء وأصحاب العمائم سرقوا الثـورة من الشـعب والشيوعيين وغيرهم، بناء على مؤامرة مدروسة، قـال: (في هـذه الثورة كان يظن المثقفين بأن العـاملين الأساسـيين في المجتمـع والثورة هما العامل الاقتصادي والعامل السياسي.. ولم يستطيعوا

[1] () قضايا الجمهورية الإسلامية، مرتضى مطهري (ص: 33)

التوصل إلى وجود عامل آخر هو أمتن وأعمق جذوراً في المجتمع وأسبق وجوداً في الثورة من العاملين ألا وهو العامل الديني.. ولوجود تلك الأفكار المسمومة في المجتمع وطرحه على سبيل مسلمات أردت أن أركز على دور علماء الدين في إيران وضرورة بقائهم ونشاطهم لاستمرار وبقاء الثورة) [1]

ثم بين الخطأ الذي وقع فيه الذين استبعدوا العلماء الإيرانيين عن الثورة، وهو قياسهم البعيد لعلماء الشيعة على علماء السنة، مع الفارق الكبير بينهما في هذا المجال، ذلك أن علماء المدرسة السنية أو أكثرهم مرتبطون بالسلطة، نتيجة تقاضيهم لمرتباتهم منها، ونتيجة لعقائدهم في حكومة المستبد، بخلاف علماء الشيعة المرتبطين بالشعب، والمستقلين تماما عن السلطة، والمؤمنين بالحركة والثورة، فقال: (منذ فترة وجيزة أجريت موازنة بين علماء الدين الشيعة وبين علماء السنة، وقلت: إن النظريات والآراء الإصلاحية المطروحة من قبل علماء السنة أكثر مما هو المطروح من قبل علماء الشيعة، ومع ذلك لم يستطيعوا إيجاد حركات إصلاحية عميقة في المجتمع على عكس علماء الشيعة الذين تميزوا بإيجاد حركات إصلاحية كثيرة في المئة سنة الأخيرة.. إن أحد الأمريكيين الذين آمنوا بالإسلام ظاهراً كتب كتاباً عن تاريخ إيران الحديث جاء فيه: إن لعلماء الدين في إيران الدور الأساسي في نهضة المشروطية، وإن رجال الدين الشيعة كانوا دائما معارضين لسلاطين عائلة قاجار، وكانوا في طليعة الذين تصدوا لنفوذ الطبقة الحاكمة وللاستعمار البريطاني في إيران.. وفي النهضة التي حدثت لأجل تأميم شركة البترول الإيرانية وانتزاعها من أيدي الإنجليز، لم تكن لتنجح لولا ترأس آية الله خوانساري والكاشاني ومنظمة فدائيان إسلام لهذه الحركة بجانب مصدق رئيس الحكومة آنذاك.. ومنذ سنة 1963 إلى يومنا الحاضر كان ولا يزال علماء الدين هم الطليعة في قيادة الثورة الجماهيرية لأجل الإطاحة بالطاغوت، وإقامة الحكومة الإسلامية) [2]

---

[1] المرجع السابق، (ص: 34)

[2] المرجع السابق، (ص: 35)

وانطلاقا من هذه النماذج ذكر الأسباب الحقيقية لتزعم علماء الشيعة للحركات التحررية عبر التاريخ، فقال: (سبب ترأس علماء الدين الشيعة للحركات التحررية على مدى التاريخ يرجع إلى الثقافة الدينية الواسعة التي يتمتعون بها، هذه الثقافة المولدة دائماً للحركة وللثورات، إذ أن النبع الذي تغترف منه هو علم الإمام علي وتتغذى من أفكاره، وتقتدي بأفعاله.. وهذه العناصر المولدة للحركة الدائمة لا توجد عند غيرنا.. والسبب الثاني أن علماء الشيعة، بل الطائفة الشيعية بشكل عام، كانت ولا زالت منذ فجر التاريخ معارضة للسلاطين والملوك، فينكرون أحقيتهم في الحكم ويسلبون الشريعة في تسلطهم على رقاب الناس.. كذلك إن علماءنا تميزوا بمعنويات رفيعة مستندة على الإيمان بالله وبالإسلام قولاً وفعلاً والذي يصر على إحقاق الحق والعدالة للناس أجمعين والمساواة بين أفراد المجتمع، فلذلك استند علماؤنا على الناس لأنهم طالبوا أن يعيش الناس حياة سعيدة في حرية وعدل ومساواة وأنهم لم يساعدوا الحكام على ظلمهم وعلى جورهم لأنهم لم يكونوا جزءاً من الدولة.. لذلك لاحظنا أن أبا يوسف القاضي في عهد هارون الرشيد لم يكن يتمتع بشعبية لأنه مشى مع السلطة، بينما نرى شعبية الإمام محمد عبده كثيراً جداً، وكذلك المصلح الكبير الشيخ محمد شلتوت المصري فإنهم عارضوا السلطة لأنها جائرة ورفضوا السير إلاّ تحت راية الإسلام كانت لهم الشعبية الواسعة والتأثير على الناس.. فالروحانية الشيعية قامت منذ البدء على استقلال عن القدرات الحاكمة، وهذه الاستقلالية عند أولئك العلماء جعلتهم رأس الحركات الثورية التحررية)[3]

وعندما نطلع على وثائق الثورة الإسلامية الإيرانية، ومنذ بداية انطلاقتها عام 1963 نلاحظ ما ذكره الشهيد مطهري، وبكل وضوح، ذلك أنه كثيرا ما يذكر الإمام الخميني المؤامرة على العلماء والمدارس الدينية حتى لا يبقى لها أي دور في السياسة، ويرد كثيرا على من يسميهم علماء السوء الذين يدعون إلى إبعاد العلماء عن السياسة، وسنرى بعض النماذج عن ذلك من خلال العناوين التالية.

---

[3] المرجع السابق، (ص: 35)

أ ـ التحذير من إبعاد العلماء عن السياسة:

ونلاحظ هذا المعنى كثيرا في خطبه وبياناته، حيث يعتبر الإمام الخميني العلماء والمدارس الدينية قبل الثورة وبعدها هي المحرك والضامن والمرشد والموجه والمحافظ على نقاء الثورة ونجاحها.

ومن الأمثلة على خطاباته في هذا المجال قوله في خطاب له بتاريخ 3 جمادى الثانية 1387 هـ حين كان بالنجف الأشرف، وبمناسبة هجوم السافاك على المدارس الدينية في قم: (إن مخطط حكّام طهران أبعد غوراً مما نتصوره، فهم يهدفون من وراء إغلاق المدرسة الفيضية واعتقال العلماء والطلاب، تدمير الحوزة العلمية في قم، والقضاء على الإسلام والعلماء، فهم لا يريدون الإسلام ولا العلماء، لأنهم يرون في العلماء والإسلام عقبة أمام تنفيذ أوامر أسيادهم داخل البلاد، وربط إيران بالخارج كلياً) [1]

ثم بين أن العلماء الإيرانيين وطلبتهم واعون جدا لكل ما يخطط لهم، فقال: (الحمد لله الشعب واعٍ وعلماء الدين يدركون واجباتهم أيضاً؛ فالاستعمار عاجز عن إقصاء علماء الدين وخداعهم، وبوحي من هذه اليقظة سيتمكنون ـ إن شاء الله ـ من قطع الأيادي الخائنة للإسلام والبلاد) [2]

وهكذا دعا العلماء إلى المشاركة بعد نجاح الثورة الإسلامية في كل ما يؤدي إلى تحقيق غاياتها، ففي خطاب له بتاريخ 21 شوال 1399 هـ قال موجها خطابه للعلماء: (من الأشياء الأكثر أهمية، والتي تقع مسؤوليتها على عاتق علماء الدين في تصوري، تتمثل في تحقيق مصداقية الجمهورية الإسلامية. لقد صوت الجميع في الاستفتاء لصالح الجمهورية الإسلامية، فإذا تم التعامل داخل الجمهورية الإسلامية بشكل مخالف للموازين ـ لا قدر الله ـ فإنه سيتم الطعن في مصداقيتها في الخارج، لاسيما وأن أعداء الإسلام وأعداء علماء الدين كُثر، وهم يتربصون لأي خطأ أو عيب

[1] () صحيفة الإمام، ج2، ص: 143.

[2] () المرجع السابق، ج2، ص: 143.

في النظام الإسلامي، ويقومـون بتضـخيمه، حـتى يبـدو للنـاس أن النظـام الإسـلامي نظـام شـبيه بالنظـام الملكي السـابق، وأنـه دكتاتوري أكثر من النظام السابق)[1]

ثم دعاهم إلى عدم الالتفات إلى أولئك الذين يدعون العلمـاء إلى اعتزال السياسة، فقال: (نحن لدينا مشاكل داخـل البلاد ومـع الأجـانب، وبين بعض الـذين لا يـروق لهم أن يتـولى رجـال الـدين بعض المسـؤوليات ويطـالبونهم بـالتفرغ للمسـاجد والصـلاة وأن يتركوا شؤون الحكم لهم)[2]

وحكى لهم عن نفسـه، وأنـه تعـرض لمثـل هـذا عنـدما كـان معتقلا، فقال: (لازلت أتذكر، بأنه عندما تقـرر اطلاق سـراحي من السجن، جـاءوا إلي وأخـذوني إلى غرفـة واسـعة وفخمـة، وهنـاك رأيت رئيس جهاز الأمن آنذاك، حسن بـاكروان ــ الـذي قتـل فيمـا بعد ـ فبدأ يتكلم عن السياسة ويصفها بأنها كذب وخـداع وتضـليل، وفي آخر المطاف قال: (إنهـا مهنـة لعينـة دعوهـا لنـا)، فقلت لـه: حسناً إنها لكم، فإذا كانت السياسة كما تقول فإنهـا لكم.. فـذهبوا ونشروا في الصحف خبرا يقول: لقد توصـلنا إلى تفـاهم مـع فلان من الناس على أن لا يتدخل في السياسـة.. وفي أول خطـاب لي بعد ذلك قلت بأن القضية كانت أوضحت حقيقة ما جرى) [3]

ثم ذكر لهم أن مـا جـرى لـه قبـل الثـورة هـو مـا يجـري لهم بعدها، فقال: (والآن أيضاً يريد هؤلاء أن يقولـوا: إن السياسـة هي هـذه الأمـور، وعلى العلمـاء الأفاضـل أن لا يخـادعوا ويضـللوا، ويذهبوا إلى المسجد ويضـعوا العمامـة على رؤوسـهم لكي يصـلوا ويشـرحوا بضـع المسـائل الفقهيـة للنـاس ويرجعـوا إلى منـازلهم مكرمين، ونحن أيضـا سـنكنّ لهم الاحـترام.. إن معـنى قـولهم أن اتركوا الحكومة لنا، لأنكم لسـتم أهلًا لهـذه الأمـور ونحن سـنتولى إدارتها. في الواقع، هذا هو منطقهم) [4]

---

[1] () المرجع السابق، ج9، ص: 389.

[2] () المرجع السابق، ج9، ص: 389.

[3] () المرجع السابق، ج9، ص: 389.

ثم بين لهم الأيديولوجية التي تنطلق منها أمثال هذه الدعوات، فقال: (إن الكثير من هؤلاء يخافون من الإسلام ومنكم لأنكم دعاة للإسلام وتتطلعون لنشر الإسلام في العالم. إنهم، وقبل أن تنطلق هذه النهضة كانوا يخافون من الإسلام وأتباعه، لذلك حاولوا تحقير جميع الأديان بنظر الناس، وكانوا يقولون بأن الدين مخدر للمجتمع، وقصدهم بأن هذه الأديان هي من إبداع السلاطين وأصحاب النفوذ لتخدير الناس، مثل الأفيون تماماً، حتى يستولوا على ثرواتهم دون أي مقاومة. وكانوا ينعتون علماء الدين بوعاظ السلاطين وأنهم من صنع الإنجليز)[1]

ثم بين لهم أن المؤامرة التي تستهدفهم لا تزال قائمة، بل إنها تشتد، خاصة بعد أن تحقق النصر، فقال: (لقد رأوا بأم أعينهم في هذه النهضة كيف أن الإسلام يملك القدرة الكافية للنصر على القوى العظمى حتى ولو كان أعزلًا، وأن رجال الدين يحظون بدعم الشعب وتأييدهم، وبوسعهم القيام بأي عمل يريدون القيام به. والآن بعد أن شاهدوا هذا بأم أعينهم، تضاعف خوفهم مئات المرات وشرعوا يتخبطون ويحاولون الإساءة إلى سمعتكم أمام الناس كي ينفضوا عنكم، وليظهروكم بأنكم لم تكونوا شيئاً، والآن بعد أن أصبحت السلطة في أيديكم لم يتغير فيكم شيء. فهدفهم أن يقولوا بأن رجال الدين لم يستطيعوا يوما فعل شيء، والآن بعد أن أصبح كل شيء في أيديهم فإنهم أعجز من أن يفعلوا شيئاً!! فإذا سرتم خطوة واحدة على المسار غير الصحيح حاولوا تضخيم الأمر مئات المرات، وذكروا ذلك في وسائل إعلامهم وصحفهم في الخارج والداخل معاً)[2]

وفي خطاب آخر له ذكر المخططات الاستعمارية الموجهة لعزل العلماء عن السياسة، حتى يتسنى لهم تمرير كل مشاريعهم، فقال: (قامت الأيدي المشبوهة للمستعمرين من خلال أشخاص ومجموعات نفذت إلى الفئات المختلفة للشعوب

4() المرجع السابق، ج9، ص: 389.

1() المرجع السابق، ج9، ص: 390.

2() المرجع السابق، ج9، ص: 391.

الإسلامية وقامت بتنفيذ برامج طيلة سنوات طويلـة. ومـع الأسـف فقد تم وقدّم ثماره الخبيثـة إلى الشـعوب. وهـو أن علمـاء الـدين يجب أن يعزلوا في المسـاجد والحجـرات والزوايـا وكـل همهم أن يــذهب شــيوخهم من المنـــزل إلى المســجد ومن المســجد إلى المنـزل، وأن يكونوا منفصلين عن المجتمع لا يهمهم ما يجري فيه من أمور. حتى أن التدخل في الأمور الاجتماعية والسياســية للبلاد كان عاراً يخالف عدالة ومنـزلة علماء الـدين! وكـان واجب علمـاء الـدين الشـبان هـو القعـود في زوايـا المـدارس والغـرف الرطبـة والاقتصار على تحصيل العلوم، والعلوم الـتي لا ترتبـط بـالمجتمع، ولا ترتبط بسياسـة المجتمـع. حـتى أن لبـاس العسـكرية كـان من جملة الأشياء التي لو أن رجل الدين لبسـها لأخرجـه عن العدالـة! والتدخل في الأمور السياسية كان قد روّج لـه أنـه يخـالف منــزلة علماء الـدين؛ وفلان إذا كـان سياسـياً يجب إخراجـه من مجموعـة علماء الدين. كان هذا أمراً خطط له من أجل عـزل علمـاء الـدين وجرهم إلى زوايا الانعزال وغرف المدارس وزوايا المسجد واقتنـع به أكثر علماء الدين، والأكثرية الساحقة للأمة. وإذا كان هناك أمــر يتعلق بالسياسة أو المجتمـع أو المشـاكل السياسـية والاجتماعيـة للإسلام والبلد الإسلامي؛ فلا يجوز لرجل الدين أن يتدخل فيه! هذا الأمر أخذ من أوروبا لأن هؤلاء أيضاً قاموا بعـزل علمـاء دينهم من أجـل أن يقومـوا بـأي عمـل في حـق الشـعوب دون أن يوجـد من يقول لهم لماذا قمتم بهذا العمـل. هنـا أيضـاً في بلـدنا، وفي البلاد الإسلامية الأخرى، نفس المخطط. لو تدخل علماء الـدين في أمـر سياسي معين فـان الشـعب كـان يؤاخـذهم، ونفس علمـاء الـدين يؤاخذونهم. يجب أن يكونوا منعـزلين عن السياسـة وعن مصـائب الإسلام والمسـلمين ويجب أن توكـل هـذه الأمـور إلى السـلاطين وعمالهم. كانت هذه خطة رسمت منذ فترة طويلة واستفادوا منها فوائد كبرى)[1]

ثم بين لهم دور الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة في إحبـاط هـذه المؤامرة بسبب تلك المواقف الطيبة الشجاعة من العلماء، فقال: (اليوم حصل في شعبنا تغير كبير، وقد تفضل اللـه بعنايتـه فأوجـد هذا التحول بقدرته وقد حدث مثل هذا التحول عنـد علمـاء الـدين.

[1] () المرجع السابق، ج14، ص: 148.

الآن هم يشاركون في الجهاد إلى جانب المجاهدين ويقدمون الضحايا والشهداء ويظهرون بين حشود الناس بالسلاح وقد زال حاجز عدم تدخل علماء الدين بالأمور الاجتماعية والسياسية والحربية. بحمد الله أنتم أيها السادة وجميع علماء البلاد وجميع طلاب العلوم الدينية وعلماء الدين موجودون في ساحة الأحداث وتشاركون إخوانكم في الحرس وإخوتهم، في الجيش، في الجبهات وتضحون) (1)

ب ـ التحذير من تشويه علماء الدين:

ونلاحظ هذا كثيرا في خطب الإمام الخميني وبياناته، وهو يعتبرها من أخطر الوسائل التي يستعملها المغرضون الحاقدون لينفروا من العلماء، أو ليصوروهم بصورة المستبدين، أو كما عبر بعض الإعلاميين العرب عن ذلك بقوله في برنامج له ببعض القنوات الفضائية التي تبث سمومها وحقدها على إيران: (ذهبت القبعات وجاءت العمائم)

وقد أشار الإمام الخميني إلى دوافع ذلك التشويه، والذي تولى كبره المستعمرون والمستبدون، فقال: (من جهة ثانية أمعن أولئك الخبراء في دراسة نفسية الناس فرأوا أن أبناء الشرق سيما المسلمين وبالأخص الشيعة يولون علماء الدين احتراما خاصا ويتبعونهم. فماذا يفعلون حتى يفصلوا علماء الدين عن الناس؟ وضعوا خطة تقضي بإسقاط هيبة علماء الدين أمام الناس) (2)

ثم ذكر لهم ما مارسه الشاه من أساليب التشويه، فقال: (أنتم لم تكونوا في عهد رضا شاه، أكثركم لم يكن موجودا، أما أنا فقد أدركت ذلك العهد ومن هم في عمري الآن يتذكرون ذلك العهد ويتذكرون كيف أنهم وطبقا لخطة وضعت في الخارج حاصروا عالم الدين إلى حد أنه لم يكن قادرا حتى التنفس، وقد رسمت لعالم الدين صورة جعلت الناس لا يقبلون حتى أن يقلوه بسياراتهم! لقد فصلوا بين الناس وبين علماء الدين. غاية ما في

1() المرجع السابق، ج14، ص: 148.

2() المرجع السابق، ج6، ص: 44.

الأمر أن مخططهم لم ينجح، أرادوا أن يحققوا ذلك ولكنهم عجزوا عنه رغم كل مساعيهم ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَـاكِرِينَ﴾ [آل عمـران: 54]، ولكن خطتهم نجحت في مجال آخر وهـو فصـل علمـاء الـدين عن الجامعات، فلم يكن يحق لعالم الدين التحـدث عن الجامعـة حـتى فيما بيننا، ولم أر جامعيا يـذهب إلى علمـاء الـدين، فهـو يـرى في عالم الـدين موجـودا مضـرا جـاء بـه الإنجلـيز إلى هنـا.. لقـد كنت شاهدا على مثل هذه الأمور. فذات مرة وقبـل عـدة سـنوات كنت مع اثنين من أبناء العلماء المحـترمين في حافلـة يسـتقلها آخـرون وسمعت احدهم يقول لصاحبه لم أر مثل هـذه الأجسـاد منـذ مـدة مشيرا إلينا، ثم قال له بعد ذلك بان هؤلاء قد جاء بهم الإنجليز إلى النجف والى سائر الأماكن كي يضلوا الناس.. فالجامعي يـرى بـان علماء الدين إما أن يكونوا وعاظ للسلاطين أو مرتبطين بالإنجليز! ولا أدري مـا هـو رأيكم في هـذا الجـامعي هـل هـو متغـرب.. لقـد فصلوا فئات الأمة بعضها عن بعض وحققـوا أغراضـهم من عمليـة الفصل هذه)[1]

وأشار الإمام الخميني إلى بعض تلك المحاولات إلى تشويهه، وتصويره بصوره المستبد، فقال ـ في خطابـه للعلمـاء محـذرا لهم من أن يعطـوا الذريعـة لأمثـال هـؤلاء ــ: (البارحـة التقيت إحـدى المراسلات الصحفيات، وكان أحد السـادة يقـترح أن تـأتي للقـائي لأوضح لها بعض الأمور، فهي تريـد أن تؤلـف كتابـاً ــ كـانت امـرأة أجنبية [2] ـ وأحد الأمور التي سألت عنها وأجبتها، قالت: إنني حين أراك أراك إنساناً هادئاً، ولا يبدو أنك غير ذلك، ولكنهم في الخـارج يصورونك بشكل آخر، فقلت لها بأني أعرف بـأنهم يقولـون: إنـني هتلر، واليوم أحضروا لي صورة لهتلر وهو يقـف واضـعاً يديـه على خصـره، وقـاموا بتلفيـق صـورة لي وأنـا شـاهر سـيفي عاليـاً لكي أقطع الرقاب.. قلت لها: أعلم كل هذا وقد قـالوا عـني غـير ذلـك، وبإمكانك أن تذهبي إلى الناس وتسأليهم عن صحة هذه القصص.. بعـدها قـالت: ألسـتم متأسـفين لأنهم كتبـوا هـذه الأشـياء عنكم.. فقلت: أنا متأسف من هذه الناحيـة وهي كيـف يمكن لإنسـان، من

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 44.

[2] () هي السيدة فالاجي الصحفية الإيطالية المعروفة.

المفترض أن يكون لديه إنسانية، أن يكون ضالًا إلى هذه الدرجة ويكتب أشياء لا أساس لها من الصحة لأجل مصالحه، فهذا مدعاة للتأسف بالفعل، والإسلام قد جاء ليرشد الجميع ويهديهم، الإرشاد بالطبع لطريق الصواب، وأنا متأسف لأن الناس هم هكذا، ولكن في الوقت نفسه نحن لا نتوقع منهم أن يكتبوا عنا غير هذه الأشياء. فقد أوقفناهم عن سرقة ثرواتنا.. إن أبناء الجمهورية الإسلامية الإيرانية قطعوا دابر هؤلاء عن ثرواتنا، ولهذا فإننا لا نتوقع منهم الثناء والمديح، فليقولوا ما يشاؤون، ونحن ليس علينا إلا أن نواصل طريقنا)[1]

وفي خطاب آخر له ذكر المؤامرات التي تستهدف العلماء، لتقضي على الدين بالقضاء عليهم، فقال: (أعزائي، إخوتي، أخواتي! لتنتبه جميع فئات الشعب إلى التيارات المنشغلة بالعمل على تصوير علماء الدين في أعين الناس بشكل آخر والتي تعمل على فصل الناس عن علماء الدين وفصل الجامعة عن علماء الدين وتحقيق أهدافها. ولو من خلال إيجاد نظام يحكم الشعب بأساليب ماكرة؛ نظام له مظهر إسلامي بحيث يصيح أكثر منكم، ولكن هو في الباطن منافق يعمل خلافاً لمصالح البلاد.. اليوم الحيل الشيطانية للقوى الكبرى تعمل لفصل الشعب عن علماء الدين وفصل علماء الدين عن الشعب وعن الجامعة وعن الشباب. وهذه هي الخطة التي يريدون من خلالها عزل علماء الدين في الحجرات والمساجد ليتسنى لهم القيام بما يحلو لهم.. هؤلاء الذين ينتقدون علماء الدين أين هم، وفي أي زاوية؟ الذين هجموا عند الثورة على مخازن الأسلحة ليسرقوها، والآن الأسلحة في أيديهم وعندما بدأت الحرب فانهم جلسوا جانباً ينتظرون أن ينتصر العراق أو دولة أخرى ليلتحقوا بهم.. علماء الدين عندنا حاضرون دائماً في الساحة. شهداؤهم الآن في مقابل عيني حاضرون. ونفس علماء الدين الشبان قد رجعوا من الجبهة بأسلحتهم. هؤلاء الذين ينتقدون علماء الدين، في أي جبهة هم؟ ومن من الشهداء قدّموا؟ فليأتوا وليعرضوه.. لقد قاموا بنهب الأسلحة وجلسوا جانباً ينتظرون أن تتم هزيمة إيران. وصالحوهم ـ إذا كان بينهم صالح ـ يريدون الاستفادة لصالحهم وأن يتنحى هؤلاء

---

[1] () صحيفة الإمام، ج9، ص: 391.

الذين قدموا الدماء جانباً ليتسنى لهم الحصول على المكاسب التي حققها أولئك. المنحرفون لا يعتقدون بالإسلام ولا بعلماء الدين ولا الجامعة)[1]

وهكذا يرد في الكثير من خطبه على تلك المقولات التي يرسلها الشيوعيون وغيرهم من أن الدين أفيون الشعوب، وأن العلماء جنود السلطان، ومن ذلك قوله في بعض خطبه: (يوجد الآن الكثير من الأمور التي تستطيع شغل فكر شبابنا اليوم، ومن هذه الأمور تشويه صورة الإسلام في نظر الشباب، لأنهم يخشون دور الدين في تقوية هؤلاء الشباب. ولأن علماء الدين يقفون في مواجهة هؤلاء المغرضين لذا راحوا يهاجمونهم متهمينهم بأنهم وعاظ السلاطين. بيد أن البلاط هو الذي كان يعمل على إيجاد هؤلاء المعممين كي يتسنى له نهب ثروات الشعب ويقوم هؤلاء بالمدح والثناء له. وكانوا يفعلون كل ذلك من أجل إبعاد الناس عن الإسلام وعن علمائه، ويجرونهم من هاتين القوتين)[2]

ثم ضرب الأمثلة الكثيرة التي تدل على خطأ أمثال هذه المقولات، فقال: (إن كل التحركات المعارضة للسلاطين التي ظهرت خلال المئة سنة الأخيرة كان منشؤها علماء الدين. ولابد أنكم تذكرون أن قضية (التنباك ـ التبغ) كانت في بداياتها من قبل علماء الدين في إيران والعراق وفتوى المرحوم الميرزا الشيرازي التي لاقت أصداءً واسعة لدى العلماء في طهران وكذلك الناس الذين أظهروا ميلهم وولائهم لعلمائهم والالتزام بالفتوى والضغط على النظام المستبد للعودة إلى مرحلة المشروطة، وطبعاً لم يتسن لمرحلة المشروطة أن تتحقق كما كان يتطلع إليها الشعب. وفي عهد رضا شاه كما أذكر ويذكر ذلك الشخص (يشير إلى أحد الموجودين) والقليل منكم، كانت هناك محاولات كثيرة للقيام على الحكم، وكل تلك المحاولات قام بها علماء الدين. كما أن الثورة التي حدثت في أذربيجان كانت على يد علماء الدين، ولكن على كل حال كانت القوة والقدرة في أيديهم، وقاموا بنفي كل من حاول القيام عليهم وفي الفترات الأخيرة أسقط عنهم حكم

---

[1] () صحيفة الإمام ، ج14، ص: 149.

[2] () المرجع السابق، ج9، ص: 137.

النفي، وكان أحدهم المرحوم السيد الميرزا آغا صادق الذي أتى إلى قم وبقى فيها حتى وفاته. وكان هناك محاولة أخرى قام بها جمع من علماء خراسان وعرفت باسم قضية مسجد كوهر شاد، ولكن تم اعتقالهم ونقلوا إلى طهران حيث حوكموا فيها وسجنوا. ومحاولة أخرى قام بها علماء أصفهان حين أتوا إلى قم ودعوا كافة الأطراف إلى الانضمام اليهم، القدرة كانت في أيدي السلاطين حيث قضوا على هذه المحاولة أيضاً. ففي تلك الفترة لم يكن الوعي قد أخذ شكله الصحيح في نفوس الشعب. حتى في أيامنا هذه، تعرضت المدارس العلمية للهجوم، وهذه المدرسة الفيضية تعرضت عدة مرات للهجوم، كسروا الأبواب والنوافذ وأحرقوا الكتب والعمائم، وتعاملوا بوحشية مع كل من كان فيها، وقد حدث كل ذلك من اجل إبعاد الشعب عن الإسلام وعلمائه)[1]

ج ـ تحذير العلماء من تشويه الإسلام:

ونلاحظ هذا كثيرا في خطب الإمام الخميني وبياناته، وبناء عليه كان يدعو العلماء كل حين إلى مراعاة تصرفاتهم، حتى لو كانت ضمن دائرة المباحات، والأشياء العادية، حتى لا يعطوا الفرصة للمغرضين، ومن ذلك قوله في خطابه لهم: (مثلما أن مقامكم رفيع وعظيم، فإن مسؤوليتكم عظيمة أيضاً وجسيمة بقدر عظمة منزلتكم وسموها، فإذا افترضتم أن لجنة ما تعمل تحت إشراف بعض السادة وكان أحد السيئين في هذه اللجنة، فإن خصومنا لن يقولوا إن شخصاً سيئا في هذه اللجنة، بل إن علماء الدين لا يقولون إن هذه حال اللجنة وإنما عالم الدين هو هكذا، لذلك فإن مصداقية عالم الدين مرهونة بأعمالنا، طبعاً هي كذلك دائماً ولكن اليوم أكثر من أي وقت مضى؛ فقد كانت موجودة في زمان الطاغوت، ونحن لم نقم بأي شيء وأنتم كذلك وقد كنا نقبع تحت مظلة الظلم، وأن المظلوم محبوب، وكانت المظلومية تجلب المحبة. والآن أقيمت الجمهورية إسلامية، وزال نظام الطاغوت، ومن المفترض أن النظام قد أصبح إنسانياً إسلامياً. وأنتم تصدون لبعض الأمور لكي تساعدوا هذه النهضة، فالآن ليس كما كان عليه الوضع سابقاً بأنه إذا حققنا شيئاً فلأننا كنا مظلومين، فلقد كنا مظلومين ومحبوبين، والناس لم يكونوا

[1] () المرجع السابق، ج9، ص: 138.

يجرؤون على النقاش. أما الآن فقد تغير الوضع، وأصبح الناس يناقشون الأمور، فإذا ما ترأس أحدكم لجنة ما وقام أحد أعضاء اللجنة بعمل غير لائق فإن المخالفين لأهل العلم سيقولون بأن عالم الدين هو هكذا، سيقولون إن رجال الدين جميعهم هكذا. وسوف تصدق الناس الشائعات والدعايات عندما يعاد تكرارها باستمرار)[1]

وفي خطاب آخر له بتاريخ 9 شعبان 1399 هـ وجهه للعلماء والحرس الثوري، باعتبارهما الحامي الأكبر للثورة الإسلامية، أشار إلى هذا المعنى، فقال: (يحضر في هذا المجلس الحرس والعلماء والطبقات الأخرى ويقلقني ذلك الشيء الذي إذا قُلته سيُقلق السادة الحاضرين، وهو أنه في هذا الوقت الذي أوصلت فيه همة جميع الطبقات والفئات هذه الثورة إلى هذه المكانة، ودحرت العدوّ وكفّت يد الأجانب يواجهنا خطر أسوأ من تلك الأخطار المحدقة بنا. وذلك الخطر يأتينا من طائفتين هما الشيوخ والحرس الذين يعدّ رجال الدين جزءاً منهم أيضاً فأولئك هم حرس الإسلام كذلك، والآخرون حرسه أيضاً، بل كلّ الأمّة يجب أن تكون حرس الإسلام كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته.. ذلك الخطر الذي يقلقني الآن ـ وأنا أكرّرهُ على كل جماعة تأتي إلى هنا ــ ليس هو أن نهزم، فالهزيمة ليست خطراً، فأكثرهم باءوا بالهزيمة في المعارك حتى الرسول نفسه غُلِب أحياناً، وهُزِمَ أمير المؤمنين في الحرب مع معاوية.. ولو أن ذاك النظام الذي كان وثرنا عليه وقمتم عليه هُزِمنا ـ فرضاً ـ لما كان به بأس، ولو كانوا قد قتلونا من أجل الإسلام، لما فاتنا شيء)[2]

ثم بين لهم أن الخوف أكبر من أن يرتبط بالهزيمة ذات المصدر الخارجي، وإنما الخوف من الهزيمة ذات المصدر الداخلي، حين يتحول العلماء والحرس إلى أداة لتشويه الدين، قال: (ما يوجب القلق الآن ينبع من هاتين الطائفتين، وهم علماء الدين الذين هم حرس الإسلام والقرآن من صدر الإسلام حتّى الآن، والحرس الإسلامي أضيفوا إليهم اللجان ومحاكم الثورة

---

[1] () المرجع السابق، ج9، ص: 392.

[2] () المرجع السابق، ج8، ص: 317.

الإسلامية، فلو لا سمح الله صدرت أعمال مخالفة للمألوف في نظر العالم عن هؤلاء الذين هم في نظام الإسلام الآن.. لو صدر عنا أو عنكم أو عن اللجان أو المحاكم الثورة الإسلامية هذه الأعمال، لصارت سبباً لأولئك المعادين لنا وهم كثرة كاثرة في الخارج، وفي الداخل أيضاً، وهم يبحثون عن زلّة نزلّها، ويجعلون الواحدَ علينا ألفاً، ويُذيعونه في صحف الخارج ومجلاته، ويشيرون إليه في الداخل قائلين: هذا هو النظام الإسلامي، هؤلاء حرّاسه، وهؤلاء شيوخه، وهؤلاء العاملون في أسواقه، وهذه طبقاته، ويُزلزلون مدرستنا. ويُعرفون الإسلام بأن هؤلاء هم حرس الإسلام، وأن اليوم جمهورية إسلامية، ولكنها لا تختلف عن النظام السابق، ففي ذلك الوقت كان محمد رضا بهلوي ومنظّمة الأمن يخالفون، والآن الشيوخ والحرس ومحاكم الثورة واللجان يخالفون، ومن هذا يظهر أن الإسلام مثل سائر الأنظمة أيضاً. لا يقولون بأنني خالفتُ، أو أن السيّد خالف أو أنتم خالفتم. يقولون: الآن نظام إسلامي وجمهورية إسلامية)[1]

ثم بين لهم أن تشويه الثورة أخطر من كل أنواع الهزائم، لأنه لا يرتبط بالمشوهين فقط، وإنما بالإسلام جميعا، قال: (هذا خطر هو مصيبة من أدْهى المصائب. ما كان في قتل سيّد الشهداء من إشكال، لأنّه رآهم يقضون على الدّين، فأحياهُ بشهادته، استشهد هو، وأحيا الإسلام، ودفن النظام الطاغوتي لمعاوية وابنه.. وإذ رأى سيد الشهداء هؤلاء يكدّرون الإسلام، ويرتكبون الخلاف ويظلمون باسم الخلافة الإسلامية، ويتردّد هذا في الدنيا أن خليفة رسول الله يرتكب هذه الأعمال رأى واجبه أن يُقبل على الشهادة ويمحو آثار معاوية وابنه. فالقتلُ، الشهادةُ لسيد الشهداء لم تكن شيئاً مضرّاً بالإسلام، بل كان نفعاً له، فقد أحيا الإسلام. فلو قُتلنا نحن جميعاً في هذه الثورة التي ثرناها وهذا السبيل الذي سلكناهُ معارضة ونضالًا، لما كان في ذلك إشكال لأننا سلكنا سبيلنا الذي يجب وقتلنا في سبيل الإسلام. ما كان الإسلام في خطر، بل كان يزداد حيوية. أما الآن وقد آل إلينا وطردتم الخصم، وقبضتم على مقاليد بلادكم، فإنّه لو صدر عنكم خلاف الشرع ــ لا سمح الله ــ واختلف الشيوخ فيما بينهم في

[1] () المرجع السابق، ج8، ص: 318.

البلاد، وعـارض بعضـهم بعضـاَ، واختلـف الحـرس، وشـهر أحـدهم بندقيتـه على الآخـر، واختلفت اللجـان، ولم تقبـل المحـاكم على القضايا على ما يجب، فإنّ الناس لا يقولـون اليـوم: هـذا سـافاكي فعل كذا، وإنما يقولون: هذا شيخ، وهـؤلاء هم الشـيوخ. وهـذا هـو اسـتبداد العمامـة والمـداس، ويشـان ديننـا لا أنفسـنا، نحن لسـنا مهمّين، المهمّ إلا يلوّث ديننا.. فهـؤلاء الـذين يضـعوننا تحت النظـر وضعاً غاية في كمال الدقـة وهم أعـداؤنا وأعـداء الإسـلام أيضـاً لا يقولـون: فلان ارتكب سـوءاً، وإنمـا يقولـون: صـار النظـام الآن إسلامياً، وهؤلاء الذين يدعون قائلين: نحن حرس الإسلام وحماتـه، رجال الدين يقولون أيضاً: نحن حرس الإسلام، وهذا وضعهم، وهـو يدلّ على أن الإسلام هكذا، يظهرون الأمـر بـأن هـذا هـو الإسـلام، وأن الشيوخ كـانوا يكـذبون في أن الإسـلام دين التقـدّم. هـذه هي الغُصّة)[1]

وهكذا نراه يردد وصيته للفقهاء، والتي يـذكرها كثـيرا، والـتي يحذرهم فيها من اسـتغلال فـرص مـا يعطى لهم من الولايـات في البعد عن التواضع والزهد والورع، فيقـول: (إيـاكم والانحـراف عن خطّكم هذا والانخراط في مجالات أنتم بغنى عنهـا كـأن يتخـذ كـل عـالم دين أربعـة من الحـراس الشخصـيين أو أن يؤسـس مكتبـاً ويتخذ له عدداً من الحراس ويقوم بفعل ما يشـاء. لـو فعلتم ذلـك ستكون الفتنة الكبرى ويكون الأوغـاد قـد نجحـوا في حـرفكم عن المسـير الصـحيح وبهـذا سـيتذمر الكثـيرون من وجـودكم في المؤسسات والمحاكم. وستصـبح نظـرتهم سـوداوية تجـاهكم ولن يروا إلّا أخطاءكم فحسب)[2]

وهو لا يكتفي بذلك، بل يدعو إلى أن يلتزم العلماء وخصوصـا من أنيطت بهم بعض المسـؤوليات، بتحـري الزهـد والـورع، وألا يراهم الناس بصورة الظلمة والمستبدين، ففي خطـاب لـه بتـاريخ 27 شوال 1405 هـ في الاجتماع السنوي الثالث لمجلس الخـبراء قال: (من أهم المسائل التي أريد التـذكير بهـا هي المسـألة الـتي ترتبط بالروحانيين والمسؤولين في البلاد وتقلقـني دائمـاً وهي أن

[1] () المرجع السابق، ج8، ص: 319.

[2] () المرجع السابق، ج13، ص: 19.

لا يقلق منا هذا الشعب الذي ضحى بكل شيء وخدم الإسلام ومنّ علينا بذلك، بسبب أعمالنا، لأن ما توقعه الناس منا وما يزالون يتوقعونه ومن أجله ساروا وراءنا ووراءكم وروجوا الإسلام وأقاموا الجمهورية الإسلامية وأزاحوا الطاغوت وقضوا عليه، هو كيفية معيشة أهل العلم بحيث لو رأى الناس لا سمح الله أن السادة قد غيّروا أوضاعهم وأنشأوا العمارات وصارت تحركاتهم غير مناسبة لشأنهم فسيزول ما كانوا يحسونه في قلوبهم نحو علماء الدين، وأن هذا الزوال يساوي زوال الإسلام والجمهورية الإسلامية. ولا يخفى أن هناك مجموعة معرّضة لخطر فعليهم المحافظة على أنفسهم، فلا تتصوروا أنكم عندما تأتون مصحوبين بعددٍ من السيارات تزداد منزلتكم عند الناس، إن ما يجلب انتباه عامة الناس ويوافق أمزجتهم وأذواقهم هو بساطة عيشكم كما كان زعماء الإسلام والنبيّ وأمير المؤمنين وأئمتنا يعيشون عيشة بسيطة وعادية بل دون العادية، وأولئك الذين أقاموا الجمهورية الإسلامية هم الناس العاديون وأما أولئك الذين يجلسون في البروج فلم يكن لهم أي دور في هذه الأمور، فأصحاب السوق، المزارعون وعمّال المصانع والطبقات الضعيفة في الحساب الدنيوي والأقوياء في الحساب الأخروي ينتظرون منا أن نعيش هكذا، فلو انحرفت نفوس الناس عنا لا سمح الله فلن يلحق الضرر بنا وحدنا بل بالإسلام أيضا، وعلينا أن نحافظ على الذين حافظوا على الجمهورية الإسلامية وسيحفظونها فيما بعد، وأن حفظها يتم بأن نعيش بشكل عادي بسيط وأولئك الذين يريدون أن يحافظوا على أنفسهم عليهم أن يعلموا بأنهم يمكنهم بواسطة سيارة (پيكان) أن يحفظوا أنفسهم أفضل من أية سيارة أخرى، إما أئمة الجمعة والجماعة فمن الممكن أن يتعرضوا للاعتداء فيما لو خرجوا بشكل اعتيادي فيجب حفظهم بالمقدار الذي لا يتجاوز الحدّ بحيث أن أراد إمام الجمعة الخروج فالشوارع تخلى من المارة ويثار الضجيج، فمثل هذه الأمور تحطّ من كرامتهم لدى الناس)[1]

ثم خاطبهم خطاب العارف الزاهد، فقال: (إن كرامتكم وعظمتكم أيها السادة ليست بالدنيا بل بالآخرة وأن تكونوا وجهاء

1() المرجع السابق، ج19، ص: 282.

عند الله وهذا أمر مهم في حفظ الجمهورية الإسلامية، وعلينا أن نكون حذرين، وعلى أهل العلم ورجال الدولة والمسؤولين أن يكونوا أكثر حذراً، لأنَّ الجميع يبحثون عن نقطة ضعف لدينا وخصوصاً لدى أهل العلم ليذيعوها في كل مكان، وعلينا أن نعيش بشكل لو سلبناه فلا نتحسر عليه لا مثل رئيس جمهورية أمريكا الذي لو سلبه لمات من الحسرة غمّاً) [1]

د ـ التحذير من علماء السوء:

ذلك أن كل الثورات ابتليت بهذا النوع من العلماء، والذين لا يكتفون بعدم الانضمام لصفوف الثوار، أو السكوت عن مناصرتهم، أو الوقوف موقف الحياد، وإنما يضيفون إلى ذلك كله الانضمام إلى صفوف الأعداء، قبل الثورة، وبعدها.

ولهذا حظي هذا الصنف باهتمام كبير من قادة الثورة الإسلامية، بل إن الإمام الخميني كتب بعض كتبه في الرد عليهم، وخاصة على أولئك الذين يدعون الفقهاء إلى اعتزال السياسة، أو يعتبرون عدم شرعية الولي الفقيه.

بل إن بعضهم ـ كما يذكر تاريخ الثورة الإيرانية ــ راح ينضم إلى صفوف أعداء الثورة، ويزكيهم، على الرغم من انتماءاتهم للمعسكرات الغربية، في نفس الوقت الذي يشتد فيه على إخوانه من العلماء الفقهاء، وخاصة الإمام الخميني.

وقد سمى الإمام الخميني هذا النوع من العلماء بالقشريين، حيث يقول عنهم: (إن المجتمع الإسلامي اليوم مُبتلى بمجموعة من القشريين كذباً والذين يعملون على إيقاف مسيرة الإسلام والمسلمين، يوجّهون الضربات للإسلام باسم الإسلام نفسه)[2]

وسماهم [وعاظ السلاطين]، كقوله في نداء له قبل الانتصار بتاريخ 21 شعبان 1398 هـ مخاطبا الشعب الإيراني: (على أئمة الجماعة ـ دامت بركاتهم ـ أن يدعوا الخطباء الملتزمين والمحبِّين للحركة الإسلامية، ليتولوا تنوير الناس بأهداف نبيلة، ويتجنبوا

---

[1] () المرجع السابق، ج19، ص: 282.

[2] () المرجع السابق، ج10 / ص361.

دعوة وعاظ السلاطين ومن يختارون مواضيع تنصبّ في مصلحة النظام الظالم سواء عن علم أو جهل، ليحجبوا بذلك عن الشعب قضاياه المصيرية الراهنة، ويبتعدوا عن الخطباء الذين يختارهم عملاء الحكومة، ويجعلوا التضحية في سبيل الإسلام ومصالح المسلمين في رأس أعمالهم)[1]

وهو يعتبرهم أخطر من سلاطين الجور أنفسهم، فيقول: (لقد أصبح بعض العملاء المخلصين للقوى الكبرى الغافلين عن الله، يمثلون أمريكا المجرمة وسائر القوى الناهبة، حيث يهاجمون هذا الشعب المظلوم من الداخل والخارج بأسلحتهم وبأشياء أسوأ من السلاح الناري ويريدون الإطاحة بالثورة الإسلامية والإجهاض على الإسلام الغالي ولا يتورعون عن إلصاق أية تهمة أو افتراء إلى الشعب الذي لا يفكر إلّا بأحكام الإسلام والقرآن الكريم. وقاموا بقمع هذه الثورة الإسلامية بذرائع واهية، أن من يمتلك السلاح الناري من بينهم مثل صدام حسين يهاجمنا بهذا السلاح ومن لا يملكون هذا السلاح يهاجمون شعبنا المظلوم بأقلامهم السامة التي تفوق السلاح الناري في الإجرام ــ أن إيجاد الاختلاف بين المسلمين من الجرائم التي تنتفع بها القوى الكبرى وقد تم التخطيط لإيجاد هذه الخلافات بين المذاهب الإسلامية على أيدي عملاء القوى الكبرى الغافلين عن الله ومن ضمنهم وعاظ السلاطين الذين هم أسوأ حالًا من سلاطين الجور أنفسهم حيث يوسعون كل يوم دائرته ويتشدقون به ويقدمون في كل مرحلة مشروعاً لإيجاد الخلاف بهدف تقويض وحدة المسلمين من الأساس)[2]

وهكذا نجده يعتبرهم أحفادا لـ (بلعم بن باعوراء)، حيث يقول في العلماء الذين وقفوا مع الاستكبار العالمي ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية: (في منطق الاستكبار العالمي كل من يحاول أن يتبرأ من الكفر والشرك سوف يتهم بالشرك، ويفتي أصحاب الفتيا من أحفاد (بلعم بن باعوراء) بكفره وقتله؛ ففي النهاية يجب أن يتجلى في تاريخ الإسلام سيف الكفر والنفاق الذي تستر وراء

[1] () المرجع السابق، ج15، ص: 150.

[2] () المرجع السابق، ج15، ص: 150.

لباس الإحرام الكاذب لليزيـدين والمـأجورين من بـني أميـة عليهم لعنـة اللـه وأمعن في قتـل وسـحق أفضـل أبنـاء نـبي الإسـلام الصـادقين، سـيدنا أبي عبـد اللـه الحسـين عليـه السلام وأنصـاره الأوفيـاء، أن يتجلى ثانيـة من أكمـام الـوارثين لبـني سـفيان ليحـز الحناجر الطـاهرة والمطهـرة لأنصـار الحسـين عليهم السـلام في ذلـك الطقس الحـار في كـربلاء الحجـاز وفي مـذبح الحـرم. وأن يكيلوا لهم الاتهامات ذاتها التي كالها اليزيـديون إلى أبنـاء الإسـلام الصادقين حيث نعتوهم بالخوارج والملحدين والمشـركين واهـدروا دمائهم)[1]

ويقــول في موضــع آخــر: (واليــوم حيث تحــاول طائفــة من المسلمين، من إيران وغيرها، استغلال هذا الاجتمـاع العـام لطـرح القضــايا الإســلامية وتــداول همــوم المســلمين ومعانــاتهم وبحث القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافيـة الـتي تعـنيهم، والمتـاعب التي أوجدتها القوى الكبرى لهم والمعاناة التي خلقتهـا الحكومـات لهم؛ فإننا نجدهم يعارضونها بكل مـا أوتـوا من قـوة. لقـد أظهـروا الحج في صورة هزيلة، واقنعـوا النـاس بـأن الأمـر لا يتعـدى هـذه المناسك الصورية. حتى أن بعض وعاظ السـلاطين يحـاول تكفـير إيران واعتبار الإيرانيين غير مسلمين لأنهم يعارضون أميركـا. لأنـه في تصوره ليس هناك ذنب يخــرج الإنســان من الإســلام أكــبر من التطـــاول على أمريكـــا وإســـرائيل.. هـــذه هي معانـــاتكم أيهـــا المسلمون)[2]

ويقــول في موضــع آخــر: (إن الكتّــاب والخطبــاء ووعــاظ السلاطين يقدمون العون للقوى الكبرى في تحقيق أهـدافها فيمـا يجلس المســـــلمون يتفرجـــــون.. أليس من واجب المســـــلمين الاعتراض على كـل ذلـك؟ هـل المسـلمون وحـدهم؟ ألا ينبغي أن نتعظ من تـاريخ رسـول اللـه حيث كـان رجلًا واحـداً واسـتطاع أن ينجز كل هذه الأعمال العظيمة؟ ألا ينبغي لنا أن نتعظ من التاريخ، حيث نهض موسى وفعـل مـا فعـل مـع فرعـون؟. يجب أن نتعـظ. فيوم واجه رسول الله الأعـداء كـان وحيـداً، حـتى عشـيرته كـانت

[1] المرجع السابق، ج21، ص: 74.

[2] المرجع السابق، ج17، ص: 168.

تعاديه. غير أن الاتكال على الله تعالى والفناء في الله، هما اللذان مكّناه من تحقيق أهدافه. فليس بوسع الإنسان أن يكون أنانياً وعبداً لله في وقت واحد. لا يمكن أن ينظر الإنسان إلى مصالحه ومصالح الإسلام في وقت واحد. فلا بد من الاختيار إما أن يكون ربانياً أو شيطانياً. إنهما طريقان، وعليكم أن توعوا الناس للتخلص من هذه الأهواء النفسانية)[1]

وغيرها من النصوص الكثيرة التي لا تقل عن حملته الشديدة على الاستبداد والاستكبار العالمي، ذلك أن علماء السوء يمثلون مددا خطيرا لكليهما.

2 ـ دور النخبة المثقفة في الثورة:

لم يكتف قادة الثورة الإسلامية الإيرانية بالاهتمام بالعلماء، وتوجيههم لخدمة الثورة، والدعوة لها، والحفاظ عليها، وإنما أضافوا إليهم إشراك كل المثقفين سواء كانوا أدباء أو فنانين أو غيرهم، لعلمهم أنه لا يمكن أن يكتمل دور العلماء ما لم يسانده دور هذه الطبقة من المثقفين، والتي قد يكون لها من الحضور في بعض الأوساط الجماهيرية ما لا يكون للعلماء أنفسهم.

ولهذا نشطت في إيران قبل الثورة وبعدها ما يمكن أن يطلق عليه [الثورة الثقافية]، وهي ثورة تواجه المشاريع الثقافية الأمريكية والبريطانية، والتي كانت تهدف إلى استعمال الثقافة وسيلة لتحقيق التبعية الغربية، فقد كان (لأمريكا الحصة الأكبر من عدد الطلبة الإيرانيين الدارسين في الخارج)

وقد كان الهدف من رعاية هؤلاء الطلبة والاهتمام بهم، تحضيرهم ليصبحوا المتحكمين في إيران، مثلما يتحكم أصحاب الجنسيات المزدوجة في غيرها من البلاد.

لكن الثورة الإسلامية قطعت عليهم هذا الطريق، حيث تبنت الثقافة والمثقفين، وحولتهم إلى جنود يخدمون الثورة، ويضحون في سبيلها.

ومن أهم الشهادات في ذلك ما قاله الإمام الخميني في نداء

---

[1] () المرجع السابق، ج17، ص: 171.

له بتاريخ 9 صفر 1409 هـ، قال فيه: (إن الدماء الطاهرة لمئات الفنانين الحكماء، التي أريقت في جبهات العشق والشهادة والشرف والعزة؛ ثروة لا تنضب للفن الذي ينبغي له دائماً وبما يتناسب مع عظمة وجمالية الثورة الإسلامية، أن يعطّر مشام أرواح طلاب جمال الحق، العاشقة للجمال) [1]

ثم ذكر في النداء أن الشريعة الإسلامية لا تتعارض مع الفن، بل هو وسيلة من وسائل تبليغه وشرحه والدعوة إليه، يقول: (إن الفن الذي يحظى بموافقة القرآن هو الذي يجسد الإسلام المحمدي الأصيل، إسلام أئمة الهدى عليهم السلام، إسلام ممن تلوت على ظهورهم السياط طوال تاريخ الحرمان المؤلم والمخجل.. إن الفن الجميل والطاهر هو الذي يدحض الرأسمالية الحديثة والشيوعية مصاصة الدماء، والذي يناهض إسلام الرخاء والتجمل، إسلام الالتقاط، إسلام المساومة والعبودية، إسلام المرفهين عديمي الألم، وبكلمة واحدة الإسلام الأميركي) [2]

ثم بين المضامين التي يحملها الفن الإسلامي، وهي المضامين التي حققتها السينما الإيرانية في إبداعاتها الكثيرة والمتواصلة، فقال: (الفن في مدرسة العشق يهدي إلى النقاط العمياء المبهمة للمعضلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.. الفن في العرفان الإسلامي تجسيد واضح للعدالة والشرف والإنصاف وتجلي لآلام الجياع المغضوب عليهم من قبل أصحاب السلطة والثروة.. الفن في نهجه الواقعي تصوير للطفيليين الذين يتلذذون بامتصاص دماء الثقافة الإسلامية الأصيلة، ثقافة العدالة والصدق.. فلا بد من التوجه إلى الفن الذي يعلّم مقارعة الناهبين الدوليين الشرقيين والغربيين وعلى رأسهم أميركا وروسيا) [3]

ثم دعا الفنانين إلى أداء هذا الدور في خدمة الثورة الإسلامية، فقال: (إن بوسع فنانينا الاضطلاع بمسؤولياتهم وأداء

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 134.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 134.

[3] () المرجع السابق، ج21، ص: 134.

الأمانة الملقاة على عاتقهم، عندما يطمئنـوا إلى أن أبنـاء شـعبهم حققوا حياتهم الخالدة في إطـار دينهم فقـط وفقـط ودون الاتكـاء على الغير) [1]

ثم قدم شهادتهم في حقهم، فقال: (وهكـذا كـان فنانونـا في جبهات دفاعنا المقدس، حتى التحقوا بالرفيق الأعلى. حيث قـاتلوا في سبيل الله ومن أجل عزة وسعادة شعبهم، وفضـحوا من خلال تحقيقهم النصر للإسلام العزيز، جميع أدعياء الفن الذين لا يعرفون معنىً للألم. حشرهم خالقهم إلى جوار رحمته)[2]

وهكـذا نجـده في خطابـات كثـيرة يشـيد بـالفن الإسـلامي والثقافة الإسلامية الأصيلة، ويدعو إلى إحيائهما، وهو خلاف ما كان يتصوره المغرضون الذين كانوا يتوهمون أن الدولـة الـتي يحكمهـا الفقهاء دولة جافة ـ مثل دولة طالبان وداعش ـ لا تعترف بالفنون، ولا بالثقافة.

ومن الأمثلـة على ذلـك قولـه في خطـاب لـه بتـاريخ 11 ذي الحجة 1399 هـ: (أيها العاملون على تربية جيل الشباب وتنشـئته، ليكن جل اهتمامكم غسل أدمغة وعقول هؤلاء الشباب ممـا علـق فيهـا من الغـرب وحضـارته المزيفـة. أفهمـوهم بـأنكم أنفسـكم أصحاب مفاخر، أصحاب حضارة، ولديكم كل شيء. أفهموهم بـأن عليهم أن يعتمدوا على أنفسهم في صنع كل شيء، فالذي نصـنعه بأيدينا وإن كـان قليـل الجـودة، فهـو أفضـل من أن نمـد يـدنا إلى أعـدائنا لنحصـل على الكامـل.. كلي أمـل بـأن يسـتيقظ شـبابنا وأسـاتذة الجامعـات وكتابنـا ومفكرونـا، ونعـوض عمـا فاتنـا.. لقـد اسـتغفلنا الأجـانب وغيّـروا عقولنـا، لـذا علينـا أن نعمـل معـاً على نصرة هذه الثورة، الكتّـاب بمـا يكتبـون، والخطبـاء بمـا يتحـدثون، والصحف والمجلات بنشرها مواضـيع تنفـع الشـعب والبلاد، لا كمـا نجده في بعض الصحف ـ التي أطالع بعضها أحيانـاً ــ فإنـك تجـدها من أولها إلى آخرها مليئة بالمواضيع المسيئة لتطلعـات الشـعب.. إن ثمة جماعة لا تريد للثورة أن تواصل مسيرتها وتحقق أهـدافها،

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 134.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 134.

لأن منافعهم ومصالحهم مرتبطة بهيمنـة الغـرب وإدارة البلاد على يـد جماعـة من الخونـة والأوغـاد، أمّـا بالنسـبة لمجموعـة الكتـاب والمفكـرين وأسـاتذة الجامعـات والمعلمين وكـل من يشـاطرهم الرأي، لا سيما شريحة الشباب، ممن يحرصون على مستقبل هـذا البلـد واسـتقلاله، فلا بـد لهم أن يستحضـروا في أذهـانهم هـذا المعنى، وهو أننا بشر، ولنا ثقافتنا وحضارتنا، وأننا قادرون على أن نربي ونعلّم، ونبني ونصنع ونعمل. والآن وقـد قطعت أيـدي هـؤلاء الخونة وأسيادهم من المستعمرين الطـامعين، فقـد أن الأوان لأن نصـلح أنفسـنا، ونـربي ونعـد شـبابنا لأنهم عمـاد هـذه البلاد ومن سـيحفظونها ويـديرون شـؤونها في المسـتقبل. يجب تـربيتهم وإعدادهم جيداً)(1)

وعلى هـذا المنهج في الاهتمـام بالثقافـة والفن سـار الإمـام الخامنئي الذي وصلت إيران في عهده إلى أوج انتصاراتها الثقافية والفنيـة، وقـد قـال في خطـاب تـوجيهي لـه إلى رئيس مؤسسـة الإذاعة والتلفزيون وعدد من المخرجين والكتّاب والفنـانين بتـاريخ 20/ 07/1431هـ مبينا الدور العظيم الذي تقوم به هذه المؤسسة في خدمة الثـورة: (التلفزيـون والإذاعـة بنظـري وخصوصـاً قسـم البرامج التمثيلية ـ المسلسلات والأفلام ـ هو اليوم بالنسبة لنا أكثر أهمية من أي وقت مضى.. فـالفنون التمثيليـة مهمـة جـداً، ومـدى التأثير الذي تحدثه وبناؤها للثقافـة واسـعٌ جـداً، ونحن اليـوم كأمّـة حيّة لها كلمتهـا وتشـعر بهويتهـا ووجودهـا لنـا أعـداء كبـار ونواجـه عـداوات من مختلـف الأنـواع وبأسـاليب متعـددة، منهـا مـا يتعلـق باستخدام الفنون وأكثرها الفنون التمثيلية. وهـذا يـدلّ على أهميـة أن نولي كأمة حيّة وكجماعة لها كلمتها في العـالم وهـدفها قضـية الفنـون التمثيليـة الاهتمـام الكـافي لهـا ونبـذل لأجلهـا الرسـاميل الماديـة والمعنويـة. لهـذا فـإنني في الحقيقـة أولي أهميـة لهـذا الموضوع. اليـوم للإذاعـة والتلفزيـون دورٌ مهم، وكـذلك يقـع على عاتقهما تكليف كبـير. وأنتم أصـدقائي الأعـزاء الـذين تتولـون أحـد أكثر القطاعات في الإذاعة والتلفزيون حساسـية، لـديكم دورٌ مهم جداً في حاضـر ومسـتقبل بلـدكم. إننـا نعتـبر التلفزيـون والإذاعـة أساس مركز الهداية الفكرية. وما قاله الإمام إنها الجامعة الكبرى

1() المرجع السابق، ج10، ص: 321.

للبلــد لم يكن من موقــع المجاملــة، فهــذا الأمــر هــو هكــذا في الحقيقة، إنها جامعة كبرى)[1]

ثم بين المضامين التي ينبغي أن تحملها الثقافة والفنــون في ظل الثورة الإسلامية، فقال: (نحن نريد أن يفيض من هـذه القمّـة وهذا المنبع زلال المعارف الإلهية والإنسانية والسياسية الصــحيحة ودروس الحياة المتنوعة على الشعب، هذا ما نتوقعـه من الإذاعـة والتلفزيون) [2]

ثم ضرب لهم نموذجا على ذلك، فقال: (انظروا إلى مسلسل كمسلسل النبي يوسف، وهـو مسلسـل أُنتج وتمت مراعـاة جميـع الجهات الشرعية وغيرها فيه، فإنه يبيّن سيرة أحد الأنبياء وأساس العمـل فيـه مبـنيّ على العفـاف، وليس على الأسـاس الـرائج في الأفلام العالمية، من العشـق والشـهوة وأمثالهمـا. وفيمـا بعـد يتم الإقبال عليه بهذا الشكل في أنحاء العـالم الإسـلامي ــ ولعلـه في بعض مناطق غير العالم الإسلامي) [3]

وبعد أن قدم الكثير من التوجيهات المرتبطة بالجوانب الفنية والرسالية، شهد لهم بخدمتهم للثـورة الإسـلامية ومبادئهـا، فقـال: (إنــني مــدرك لقيمــة وقــدر العمــل التمــثيلي. وأعلم أن وراء كــل دقيقــة بــل كــل ثانيــة من هــذا الفيلم أو ذاك المسلســل الــذي أنتجتمــوه الكثــير من الفكــر والابتكــار والإبــداع والفن والســعي والتعب وأحياناً السهر الطويل. وبـالطبع فـإن أغلب من يشـاهدون هذه الأفلام لا يعلمون ذلـك، يشـاهدون هـذا الفيلم مـدة سـاعة أو عـدة سـاعات أو يُعـرض عليهم هـذا المسلسـل، ولكن وراء هـذه الساعة أو الساعات عالم كبير من الأعمـال المنجـزة ومن ابتكـار الشخصـية إلى كتابـة الفيلم إلى إيجـاد المخـرجين والاتفـاق معهم وإلى العاملين في الإنتاج والماكيـاج واللبـاس والـديكور والتصـوير وما إلى ذلك وإلى المرحلة الأخيرة والعرض. فكم من عاملٍ فـني قد شارك هنا، وكم من يدٍ وأنامل فنان تعمل هنـاك، وكم من ذهنٍ

[1] خطابات الخامنئي 2010، ص231.

[2] خطابات الخامنئي 2010، ص232.

[3] المرجع السابق، ص232.

خلاق في حال شغل، هذا ما نعرفه.. وفي الواقع إن مقتضى تكليفنا هو التقدير والشكر لكم) [1]

وفي لقاء له مع مدراء وفناني الدفاع المقدس ذكر الكثير من الشهادات الدالة على المدى الذي ساهموا به في خدمة الثورة الإسلامية، ومن ذلك قوله: (أرحب بالإخوة والأخوات الأعزاء ومقاتلي الجبهة الثقافية للدفاع المقدس والأعزاء الذين حملوا أرواحهم وأفكارهم وفنّهم وقلوبهم وطاقاتهم الثقافية إلى هذه الساحة إضافة إلى التضحية بأبدانهم وأجسادهم في ساحة هذا الاختبار العظيم للشعب الإيراني، وزادوا ثروة الشعب الإيراني ورصيده أكثر فأكثر)[2]

ثم بين دور الثورة وما بعدها في ظهور الكثير من الطاقات المبدعة في المجالات المختلفة، فقال: (مرحلة الحرب هذه خلقت لنا الكثير من الفنانين والشخصيات البارزة! إن مسؤولية هذا الركب العظيم تعود مرة أخرى بعد انتهاء الحرب وهنا لا تقتصر المسؤولية على ثمانية أعوام فحسب، بل يمكنها أن تمتد إلى ثمانين عاماً أخرى أيضا)[3]

أما بخصوص مواجهة الحرب الناعمة، فقد اعتبر أن الفنانين والمفكرين فيها أشبه بالقوات المسلحة في الحرب العسكرية، ولذلك دعا وسائل الإعلام الإسلامية والإعلاميين والفنانين الإسلاميين إلى رفع كفاءة وجاذبية الفن والإعلام الإسلامي الأصيل كي يضاهي ما تقدمه وسائل الإعلام الأمريكية والغربية، موجها نحو تقديم نموذج إسلامي للحياة الطيبة المتوازنة معنويا وماديا بمواجهة نموذج الاستهلاك والإباحية الذي تقدمه أمريكا والذي يروج عبر المسلسلات التلفزيونية والإنترنت، كما أوجب العمل على تأسيس وتصميم نماذج واستراتيجيات إعلامية، وأن لا يبقى العمل بعقلية رد الفعل والتكتيك، أي عقلية الدفاع ورفع الظلم

---

1 () المرجع السابق، ص233.

2 () كلمة الإمام الخامنئي إلى مدراء و فنانين الدفاع المقدس، موقع الإمام الخامنئي.

3 () المرجع السابق.

فحسب[4].

هذه نماذج عن استثمار قادة الثـورة الإسـلامية لكـل أطيـاف المجتمع، سواء قبل الانتصار أو بعده، ولذلك نرى الجميـع يشـارك الآن في استمرارية الثورة، ومواجهة كل أصناف الحروب الموجهة لها، حتى صار لأبسط الناس في المجتمع الإيراني إرثه الخاص بـه من الثورة، مصداقا لقولـه تعـالى: ﴿ وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور: 55]

4() رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة (ص: 59)

الفصل الثالث

الثورة الإسلامية.. والمطالب الشرعية.

الركن الثالث من أركـان انتصـار الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، ومثلهـا انتصـار أي ثـورة، تـوفر المطـالب الشـرعية الـتي تقنـع الجمـاهير بـالنهوض والحركـة من أجـل تحقيقهـا، ذلـك أن تلـك المطـالب تعتـبر الـدافع الأكـبر المحـرك للثـوار، وبقـدر صـدقها وشرعيتها ووضوحها تكون مصداقية الثورة وشرعيتها.

وقد أشار القـرآن الكـريم إلى هـذا الـركن في كـل المواضـع الـتي تتحـدث عن الحركـة التغييريـة الـتي قـام بهـا الأنبيـاء عليهم السلام، وبذلك فهو كله عبارة عن تلـك المطـالب الشـرعية الـتي جاء الأنبياء جميعا لتحقيقها في الواقع.

فشعيب عليه السلام عنـدما نـادى في قومـه قـائلا: ﴿ يَـاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِـيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْـرٍ وَإِنِّي أَخَـافُ عَلَيْكُمْ عَـذَابَ يَـوْمٍ مُحِيـطٍ (84) وَيَـاقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْـطِ وَلَا تَبْخَسُـوا النَّاسَ أَشْـيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَـــوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـــدِينَ (85) بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْـــرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86) ﴾ [هود: 84 ـ 87] كـان يـدعو إلى تغيير جذري بين شعبه، يبدأ من تصـحيح عقائـدهم، ثم يشـمل بعد ذلك كـل جـوانب حيـاتهم السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة وغيرها.

وهكذا عندما قـال لـوط عليـه السـلام لقومـه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَـأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَـدٍ مِنَ الْعَـالَمِينَ (28) أَئِنَّكُمْ لَتَـأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ [العنكبـوت: 28ـ 29]، كان يدعو إلى حركة تغييرية تبدأ بالأخلاق، وتنتهي بكـل جوانب الحياة.

وهكذا عندما قال صالح عليه السلام لقومه: ﴿ يَـاقَوْمِ اعْبُـدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْـتَعْمَرَكُمْ فِيهَـا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، وقــال

لهم: ﴿وَاذْكُـرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَـاءَ مِنْ بَعْـدِ عَـادٍ وَبَـوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَـاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَـوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِـدِينَ ﴾ [الأعـراف: 74]، وكـان يـدعوهم بذلك إلى تغيير حياتهم جميعـا، حـتى بيـوتهم لتنسـجم مـع شـريعة الله، والفطرة التي فطرهم الله عليها.

وهكذا عندما أرسل موسى وهارون عليهما السلام لفرعــون، كانـا يحملـون معهمـا مطـالب تغييريـة كبـيرة، ترتبـط بالمصـريين والإسرائيليين، وقد عبر عنها موسى عليه السلام عند قوله لقومه: ﴿اذْكُـرُوا نِعْمَـةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَـاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَـوْنَ يَسُـومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَـاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (6) وَإِذْ تَـأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَـكَرْتُمْ لَأَزِيـدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) ﴾ [إبراهيم: 6 ـ 8]

وهكـذا كـانت حركـات جميـع الأنبيـاء وورثتهم عليهم الصـلاة والسلام تحمل أمثال هذه المطالب الشرعية، وبذلك فإن كل تلـك الدعوات دعوات ثورية، لأنها ثارت على كل الانحرافات، ابتداء من الانحرافـات العقديـة، وانتهـاء بالانحرافـات السـلوكية والاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية وغيرها.

ولهذا نرى قادة الثورة الإسـلامية يشـبهون حـركتهم وثـورتهم بحركـة الأنبيـاء عليهم السـلام، لكونهـا لم تنهض لأجـل مطـالب بسيطة ترتبط بتحسين المعيشة فقط، وإنما لكونها ثـورة شـاملة، تبدأ بتصحيح الأفكار، وتنتهي بالعدالة في جميع مجالاتها ومراتبها.

ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميـني أثنـاء ردوده على من يردد شعار [الدين أفيون الشعوب]: (لقد اختار الله أنبياءه من الفئـات المستضـعفة الفقـيرة، ووضـعهم في مواجهـة الظـالمين، وهـذا يفنّـد مـا يقولـه المغرضـون من أن الأنبيـاء صـنيعة الأغنيـاء والمستكبرين.. إن البعض يطلق مثل هذه الخرافـات، ودليلـه بـأن الأنبياء جاءوا لاستغفال الناس وإعطائهم الوعود المجانيـة ولإتاحـة الفرصـــة أمـــام الظـــالمين كي ينهبـــوا ويســـرقوا تعب هـــؤلاء الموعودين.. ولكن التاريخ الإسلامي، وهو تـاريخ ليس ببعيـد، يثبت عكس ذلك، يثبت أن الأنبيـاء جـاءوا لإيقـاظ النـاس وحضـهم على النهوض ضد الظلم والظالمين.. لقد رأينا وعلى مر التاريخ بأن من

كان يقوم بتوعية وتجهيز من حوله للقيام على مستعبديهم وعلى ظالميهم كان دائماً واحد من أبناء الطبقات الدنيا، وهذا يثبت خطأ مقولة أن الأنبياء صنيعة المستكبرين، فقد قام موسى ضد فرعون، والرسول الأكرم ضد قريش التي كان بيدها كل شيء آنذاك، والرسول ومن حوله هم الضعفاء، وهذا كل على مرأى ومسمع من الجميع. فكيف يتجرأ البعض على اتهام الأنبياء، نعوذ بالله)[1]

ولهذا نراه يدعو مستضعفي العالم مهما اختلفت دياناتهم إلى الاقتداء بأنبيائهم في الثورة، فيقول: (إن جميع الأنبياء الذين نهضوا في هذا العالم المادي إذ لا يعلم أسرارهم الغيبية إلا الله تصدوا للطاغوت منذ البداية، وقد شكل ذلك طليعة أهدافهم، ويجب أن يكون ذلك قدوة للمسلمين الذين هم مسلمون حقاً ومتمسكون بنبي الإسلام وأهل بيت العصمة والطهارة، وكذلك لأتباع الأديان الأخرى الذين ينبغي لهم الاقتداء بأنبيائهم وترجمة سيرتهم.. فما الذي قام به موسى بن عمران وما هي سيرته؟ وما الذي فعله إبراهيم الخليل وما هي سيرته؟ جميع الأنبياء نهضوا لمواجهة الجور ومقابلة الظلم.. الجميع كانت نهضتهم تتسم بهذا المعنى، ومن هنا علينا أن نقتدي بهم، أن ننهض في مواجهة الظلم)[2]

وهكذا يذكر الإمام الخميني أثناء رده على تلك المقولات ما ورد ذكره في القرآن الكريم من أن أتباع الأنبياء كانوا من المستضعفين، وأن دور الأنبياء كان نصرتهم والوقوف معهم، وإخراجهم من ضعفهم، لا الوقوف مع المستكبرين، كما قال تعالى مخبرا عن أتباع نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ [هود: 27]

وهكذا كل أتباع الأنبياء عليهم السلام، كما قال الإمام

1() صحيفة الإمام، ج9، ص: 136.

2() المرجع السابق، ج21، ص: 11.

الخميني: (إذا رجعنا إلى تاريخ الإسلام سنجد بأنـه انطلـق من بين الناس الضعفاء وكل من لحق بركب الإسلام كان مستضعفاً ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُـولًا مِنْ أَنْفُسِـهِمْ ﴾ [آل عمـران: 164]، فقـد كـان الرسـول بين النـاس، ويأكـل ويشـرب معهم ويعيش في المسجد مثلهم ومن هناك جهز الجيوش وقضـى على تلك القـوى المسـتكبرة، فقـد اسـتطاع الإسـلام أن يحـد من ظلمهم وأوقفهم عن التعدي على الضعفاء) (1)

وهو يذكر كل حين بالظروف القاسية الشـديدة الـتي عاشـها رسول الله ﷺ، وهو يحمل رسالته التغييرية الشاملة، والـتي يمكن لمن نظـر فيهـا أن يـرى مـدى ثوريـة الأنبيـاء، وبعـدهم عن تلـك المقولات التي استلهمها أصـحابها من علمـاء السـوء، ثم طبقوهـا على الأنبياء عليهم السلام، يقول الإمام الخميني: (هذا أمر يعرفـه الجميع، فالجميع يعرف كيـف عـاش النـبي ﷺ وأين ربّتـه أمـه في الصحراء، وحين دخل على مجتمعـه كـان دائمـاً تحت سـلطة كبـار قومه، ولم يكن يسـتطيع العيش بهـذه الطريقـة وكـان يلتجئ إلى الغار في مكة، وبعد ذلـك كـان ينشـر دعوتـه بسـرية تامـة وحـتى عندما ذهب إلى المدينة التف حوله الفقراء والمستضعفون، وحين بنوا مسجداً لم يكن كالمساجد التي نبنيهـا اليـوم، بـل كـان عبـارة عن سور من السعف وجذوع النخيل ليستمدوا منهـا الظـل، وكـان ثمة مكان آخر كان يقال له الصفة كان مرتفعا قليلا وأرضه رمليـة ولم يكن مفروشا بالسجاد مثل مساجد هذه الأيـام، وحـتى أنـه لم يكن مفروشا بالحصير، وكانوا ينامون ويعيشون فيها. وبـالرغم من تلك الظروف الصعبة، فقـد وقفـوا إلى جـانب النـبي ﷺ وانتصـروا على قريش والمستكبرين الظالمين. غـير أن هـؤلاء يـرددون مثـل هذه المزاعم فهي لأن كل الويلات التي حلت عليهم كـانت بـوحي من الأديان)(2)

وبناء على هذا يرى الإمام الخميني أن تلك المقولـة، والقـوى التي تقف خلفها (عندما تهجم على الأديان تستهدف الإسلام أصلًا، لأنها تخشـاه، فالإسـلام هـو الوحيـد الـذي يتصـدى لظلمهـا ونهبهـا

(1) المرجع السابق، ج9، ص: 137.

(2) المرجع السابق، ج9، ص: 137.

خيرات الشعوب وثرواتها) [1]

وهكذا يرى الإمـام الخميـني أن ورثـة الأنبيـاء عليهم السـلام، والذين مثلهم في الإسلام أئمة أهل البيت كانوا خير مصداق لتلـك الثورة ولمطالبهـا الشـرعية، يقـول في ذلـك: (لقـد قضـى الإمـام الحسين سيد الشهداء سلام الله عليـه عمـره الشـريف في النهي عن المنكـر والتصـدي للظـالم والمفاسـد الـتي أشـاعها الحكم الجائر.. ضحى بعمره الشـريف من أجـل مقارعـة حكومـة الجـور، وسيادة المعروف وإزالـة المنكـر.. وهكـذا الإمـام صـاحب الزمـان سلام الله عليه وأرواحنا فداه ينهض من أجل ذلك) [2]

ثم دعا شيعة العالم، بل كل من يزعم لنفسه أنه محب لأهـل الـبيت بالاقتـداء بهم في ذلـك، يقـول: (يجب أن نتصـدى لهم [للطواغيت] مثلما فعل سيد الشهداء سلام الله عليه حيث ضـحى بنفسه وأبنائه وأهل بيته وبكـل مـا يملـك في وقت كـان يعلم بـأن الأمر سينتهي إلى ما انتهى عليـه، فالـذي يتأمـل في كلامـه سـلام الله عليه منذ خروجه من المدينة ودخوله مكة وخروجه منها، يـرى بأنه كان يدرك تماماً مـا هـو قـادم عليـه. فلم تكن القضـية مجـرد استطلاع للأمر، وإنما تقدم لاسـتلام الحكم.. وأن تحركـه كـان من أجل هذا المعنى بالأساس، وهذا فخـر لـه. ويخطئ من يتصـور أن الإمام سيد الشهداء لم ينهض من أجل الحكم.. لقد نهض من أجل أن يكون الحكم بأيدي من هم أمثال سيد الشهداء، أن يكون بأيدي شيعة سيد الشهداء)[3]

وبناء على هذا كلـه يعتـبر الإمـام الخميـني الثـورة الإسـلامية الإيرانية، ومنذ يومها الأول امتدادا لحركة الأنبيـاء وورثتهم، ولـذلك فإن مطالبها هي نفس مطـالبهم، وهي مطـالب شـاملة لا تقتصـر على تلك المطالب المادية المحدودة، يقـول في ذلـك: (لقـد بـذل الأنبياء والأولياء ما بوسعهم، وأدوا ما عليهم، وأن ما في هذه الدنيا من خيرٍ وبركات هو بفضلهم وبفضل الجهود التي بذلوها والمشاق

---

[1] () المرجع السابق، ج9، ص: 137.

[2] () المرجع السابق، ج9، ص: 137.

[3] () المرجع السابق، ج21، ص: 11.

التي تحملوها في سبيل إصلاح البشر وهدايتهم؛ فعلينا أن لا ننظـر إلى الأمـور من منظـار مـادي بحت، وأن لا نقتصـر في تقييمنـا لمسائل، النصر والهزيمة، والربح والخسارة، على المعايير المادية فحسب، بل علينا أن نجعل معاييرنا معايير إلهية، ونقيّم الأمور من حيث النصر والهزيمة على ضوء هذه المعايير؛ فإننا لو انتصرنا في هـذا الميـدان الإلهي، وفي هـذا الصـراط الإنسـاني المسـتقيم، فسنكون نحن الغالبين حتى لو قام العالم بأسره ضدنا، وحـتى لـو قتلنا وأُبدنا عن آخرنا، لأن المعيـار ليس هـو المعيـار المـادي، وأن العالم ليس مجرد هـذا العـالم الطـبيعي المـادي الـذي نتحسسـه، فهناك عوالم إلى ما شـاء اللـه، منهـا أتينـا وإليهـا نعـود، ومـا هـذا العالم الذي نعيش فيه إلا أدناها مرتبة، فالميزان هو هـذا الميـدان وهـذا الصـراط، والمعيـار الحقيقي للإنسـان بمـا هـو إنسـان في انتصاره وهزيمته وربحه وخسرانه هو هـذا الصـراط ومـدى السـير فيه لا الطبيعة وكل ما هو مادي. ولـو أنّـا وفقنـا للسـير على نفس هذا الصراط، الذي سـار عليـه الأنبيـاء والمرسـلون عليهم السـلام من قبل لانتصرنا كما انتصـروا هم رغم التعـذيب والقتـل والحـرق والنفي الـذي تعرضـوا لـه؛ فقـد انتصـر الأنبيـاء في هـذا الطريـق، طريـــق الإنســـان، في حين أن أعـــداءهم أعـــداء الإنســـانية من الطـواغيت والفراعنـة، خسـروا في هـذا الميـدان ليخسـروا بـذلك إنسانيتهم، وليسقطوا إلى مهاوي الحيوانية والشـيطانية، رغم كـل الجاه والملك، ورغم جميـع الانتصـارات والمكاسـب الماديـة الـتي حققوها، لأنهم في الأصل لم يخطـوا في هـذا المسـير، ولأنهم في الأصـل محجوبـةٌ قلـوبهم عن درك غـير المـادي والحيـواني من الأمور)[1]

بناء على هذا نحاول في هذا الفصـل التعـرف على المطـالب الحقيقية للثورة الإسلامية الإيرانية، ومن خلال تصريحات قادتها، لا من خلال المصادر الأجنبية التي راحت تطبق معاييرها الذاتية على ثورة لم تفهمها، ولم تفهم أصولها ولا مصادرها.

ومعرفتنا لهذه المطالب بدقـة وموضـوعية هـو أكـبر رد على أولئك الذين تصوروا أن علماء الدين سرقوا الثورة من الشيوعيين أو غيرهم، فالثورة من بدايتها على يد الإمام الخميني، وطيلـة كـل

[1] () المرجع السابق، ج13، ص: 225.

سنوات المحنة، كانت ثورة إسلامية، ذات شعارات إسلامية، ومطالب إسلامية.

وقد رأينا من خلال استقراء مقولات إمامي الثورة الإسلامية الإمام الخميني، والإمام الخامنئي، وغيرهما من قادة الثورة الإسلامية، أنه يمكن حصر مطالبها في أربعة مطالب:

1 ــ مواجهة التحريفات التي مست الدين من جوانبه المختلفة، وهي مقدمة أساسية لكل المطالب التالية، ذلك أن الحاجز دون تحقيق الثورة بصيغتها الإسلامية هي تلك التحريفات والمفاهيم الخاطئة المرتبطة بالدين، لذلك كان البدء بالتصحيح الديني مقدمة لتحقيق سائر المطالب.

2 ـ مواجهة الاستبداد، فالثورة الإسلامية الإيرانية قامت في وجه الاستبداد الذي لم يبدأ من عهد الشاه فقط، وإنما بدأ منذ العهود السابقة، حتى العهود الإسلامية، والتي كان التسلط فيها لا يقل عن التسلط الشاهنشاهي.

3 ـ مواجهة الاستكبار العالمي، والذي أعلن حربه على الثورة الإسلامية من أول يوم، وحاول تشويهها وتحريفها بكل الوسائل، ولا يزال يمارس ذلك، وهي من المطالب التي تعطي البعد العالمي للثورة الإسلامية، وتجعل من إيران مجرد مركز وبداية لها.

4 ـ تحقيق الإسلام في الواقع بأبعاده المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

أولا ـ الثورة الإسلامية، ومواجهة التحريفات:

وهذا هو المطلب الأول الذي تكفل قادة الثورة الإسلامية الإيرانية بتوضيحه وشرحه وإقناع الأمة به، والذي يمكن اعتباره أكبر تصحيح ديني وقع في التاريخ، ذلك أن كل المجددين والدعاة اقتصرت أعمالهم على طرح مشاريع نظرية، لم يعطها الواقع بعدها العملي، وبذلك بقيت مجرد طروحات ومشاريع، بخلاف ما فعلته الثورة الإسلامية، والتي تجسدت فيها كل المشاريع التجديدية، وبأبهى صورها.

ولهـذا نـرى قـادة الثـورة الإسـلامية يشـيرون كـل حين إلى التحريفات التي وقعت في الدين، فأبعدتـه عن ممارسـة دوره في شؤون الحياة، بل إن الإمـام الخـامنئي يعتـبر هـذا الجـانب الأصـل الأول الذي قامت عليه حركة الإمام الخميني، حيث قـال: (الأصـل الأول في مدرسـة الإمـام هـو إثبـات الإسـلام المحمـدي الأصـيل، ورفض الإسلام الأمريكي؛ فقـد وضـع الإمـام الإسـلام الأصـيل في قبال الإسلام الأمريكي) [1]

ثم وضح الإسلام الأمريكي، فقال: (إنه في عصرنا وفي عصر الإمـام وفي جميـع العصـور لا يخـرج عن اتجـاهين: الأول الإسـلام العلماني، والآخر الإسلام المتحجر.. ومن هنـا لطالمـا رأينـا الإمـام يُدخل الذين يحملون رؤية علمانيـة ويفصـلون المجتمـع والسـلوك الاجتماعي للناس عن الـدين الإسـلامي في عـداد الـذين ينظـرون إلى الدين بنظرة متحجرة رجعية يستعصي على المجدّدين فهمها، والنظرة المتعصـبة لأسـس خاطئـة، ولطالمـا وضـعهم الإمـام إلى جانب بعضـهم بعضـاً. ولـو أجلتم بأبصـاركم لوجـدتم أن كلا هـذين التيارين موجـود في العـالم الإسـلامي، وكلاهمـا مـدعوم من قبـل قوى الهيمنة في العالم ومن قبل أمريكا. واليوم أيضًا نجـد أمريكـا وإسرائيل تدعمان تيارات منحرفـة كـداعش والقاعـدة وأمثالهمـا، وتساندان في الوقت ذاته التيارات الإسلامية في اسـمها والغريبـة في عملها تجاه الإسلام والفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية)[2]

ثم بين الأصـول الـتي يقـوم عليهـا هـذا الإسـلام المحمـدي الأصيل الذي دعا إليه الإمام الخميني، فقال: (إنّ الإسـلام الأصـيل من منظار الإمام الخميـني هـو إسـلام قـائم على أسـاس الكتـاب والسنَّة، ويمكن اسـتنباطه والتوصـل إليـه من خلال رؤيـة واضـحة ومعرفة الزمان والمكان والاستعانة بآلية ومنهجيـة علميـة مقبولـة ومتكاملـة في الحـوزات العلميـة. وليس الأمـر بحيث يتم التغافـل عن طريقة الاستنباط، ويكون بوسع أيّ أحـد إمكانيـة الرجـوع إلى القرآن واستنباط أسس الحركة الاجتماعيـة منـه، بـل توجـد لـذلك

[1] () كلمـة الإمـام الخـامنئي دام ظلـه في الـذكرى السادسـة والعشـرين لرحيـل الإمـام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

[2] () المرجع السابق.

آلية ومنهجية عملية ومدروسة، وهناك من يستطيع النهوض بهذا الأمر. هذا هو الإسلام الأصيل في رؤية إمامنا الكبير. علمًا بأنه لا يستطيع النهوض بهذه المهمة كل من هو عارف باستخدام هذه الآلية والمنهجية، بل يحتاج أيضا إلى رؤية واضحة ومعرفة بالزمان والمكان ومعرفة بمتطلبات العصر للمجتمعات البشرية والإسلامية، وكذلك معرفة العدو، ومعرفة أساليب عدائه، عند ذاك يمكن تحديد الإسلام الأصيل ومعرفته والتعريف به) [1]

وفي مقابل هذا الإسلام هناك قراءات متعددة للإسلام، ولكنها مملوءة بالأهواء، يقول الإمام الخامنئي: (إن إسلام وعّاظ السلاطين ــ ولطالما عبّر الإمام عنه بهذا التعبير ــ والإسلام الداعشي من جانب، والإسلام الذي لا يعبأ بجرائم الصهاينة وجرائم الأميركيين من جانب آخر؛ الإسلام الذي يَشْخَص ببصره نحو أمريكا والقوى العظمى ويكون رهن إشارتها، كلاهما يصبّان في مجرى واحد، وينتهيان إلى مصدر واحد، ومرفوضان في رؤية الإمام. فإن الإسلام الذي يرسمه الإمام الخميني لنا، يقف في مواجهة كل هذه الأنماط. والذي يتَّبع الإمام ويسير على نهجه لابد أن يرسم حدودًا تفصله عن الإسلام المتحجر والإسلام العلماني، ولابد أن يكتشف الإسلام الأصيل ويتحرك وفقه. هذه هي واحدة من مبادئ الإمام وهي ليست من تلك الأمور التي ذكرها الإمام لمرة واحدة، وإنما هي منتشرة في جميع آثاره وكلماته) [2]

هذا ما ذكره الإمام الخامنئي حول دور الإمام الخميني في التصحيح الديني ومواجهة التحريفات، وهو ما نجده كثيرا عند مطالعتنا لخطبه وبياناته قبل الانتصار وبعده، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض خطاباته: (إنهم يعارضون الإسلام الحقيقي ويتطلعون إلى إسلام مشوه يتماشى مع مآربهم، من خلال التلاعب بالحقائق الإسلامية وبما جاء به رسول الله ﷺ والتدخل في شؤون الوحي المنزل أيضاً) [3]

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

[3] () صحيفة الإمام، ج10، ص: 337.

ثم أشار إلى تلك النظرة الأحادية التجزيئية للإسلام، والتي كانت سبب كل ما حصل للمسلمين من مصائب، يقول: (لقد أشرت إلى هذا الأمر مراراً عندما كنت في النجف وبعد ما أتيت إلى هنا، وهو أن مجتمعنا يعاني من وجود أفراد وعلماء ينظرون إلى الإسلام من بعد واحد. فالعرفاء يقبلون الإسلام، إلا انهم يرجعون كل الأمور والقضايا إلى المعاني العرفانية ولا يولون قضايا الساعة أي اهتمام. لدرجة أنهم إذا ما رأوا آية أو حديث عن الجهاد، أولوها إلى (جهاد النفس). إنهم ينظرون إلى الإسلام نظرة أخرى ويفهمونه فهماً يفقده شموليته وتعدد أبعاده. طبعاً كان هؤلاء أناسٌ صالحين ولكن كانوا ينظرون إلى الإسلام من بعد واحد. ومؤخراً ابتلينا بفئة أخرى على العكس من الفئة السابقة بحيث ينكر أصحابها كل المعنويات ويتشبثون بالماديات! يدّعون الإسلام غير أن توحيدهم واعتقادهم بالبعثة والنبوة والإمامة والمعاد يخالف تعاليم الإسلام تماماً، وأن نشوء هذا النوع من التفكير لم يكن حديثاً بل يمتد إلى عشر أو خمس عشرة سنة مضت، أو إلى بدايات تأسيس الحوزة العلمية في قم. إن بعض هؤلاء وكانوا من المعممين قالوا لي مرة: لقد توصلنا إلى قناعة بأن المعاد والجزاء هما هذا العالم ذاته. والواضح أن عددهم قد زاد اليوم كثيراً) [1]

وهكذا يذكر الإمام الخميني أن الكثير راح يضع إسلاما يعجنه بأهوائه وآرائه، ويطرحه للناس باعتباره الإسلام الأصيل، يقول: (البعض يدعي الإسلام في يومنا هذا أكثر منكم، وهؤلاء لا يعنون الإسلام الذي جاء به رسول الله ﷺ، بل يعتقدون بإسلام آخر من صنع أنفسهم. فتراهم ينادون بالإسلام الذي يؤمنون به ويحرصون عليه) [2]

وهكذا نرى الإمام الخامنئي يحذر من تلك التحريفات التي حاول الاستكبار العالمي أن يصور بها الإسلام، مستغلا تلك الحركات التي لم تهضم الإسلام جيدا، ففي خطاب موجه له للشعوب العربية في بداية ما يسمى [الربيع العربي] أطلق هذه

---

[1] () المرجع السابق، ج10، ص: 337.

[2] () المرجع السابق، ج10، ص: 337.

التحذيرات التي دل عليها الواقع بعد ذلك، فقد قال: (الغرب يقترح عليكم نموذجين: [الإسلام التكفيري] و[الإسلام العلماني]، وسوف يواصل التلويح بذلك كي لا يستقوي الإسلام الأصولي المعتدل والعقلاني بين ثورات المنطقة. استعيدوا تعريف الكلمات مرة أخرى وبدقّة)

ثم خاطبهم محذرا: (إذا كانت [الديمقراطية] بمعنى الشعبية والانتخابات الحرة في إطار أصول الثورات فلتكونوا جميعاً ديمقراطيين. وإذا كانت بمعنى السقوط في شراك الليبرالية الديمقراطية التقليدية ومن الدرجة الثانية فلا يكن أحد ديمقراطياً.. و[السلفية] إذا كانت تعني العودة إلى أصول القرآن والسنة، والتمسك بالقيم الأصيلة، ومكافحة الخرافات والانحرافات، وإحياء الشريعة، ورفض التغرّب فلتكونوا جميعاً سلفيين، وإذا كانت بمعنى التعصّب والتحجّر، والعنف في العلاقة بين الأديان أو المذاهب الإسلامية، فإنّها لا تنسجم مع روح التجديد والسماحة والعقلانية التي هي من أركان الفكر والحضارة الإسلامية، بل ستكون داعية لرواج العلمانية، والتخلّي عن الدين) [1]

ثم دعا إلى نبذ كل تلك الطروحات التي يشجع عليها معسكر الاستكبار، فقال: (كونوا متشائمين من الإسلام الذي تطلبه واشنطن ولندن وباريس، سواء من النوع العلماني المتغرّب، أو من نوعه المتحجّر والعنيف. لا تثقوا بإسلام يتحمّل الكيان الصهيوني لكنه يواجه المذاهب الإسلامية الأخرى دونما رحمة، ويمدّ يد الصلح تجاه أمريكا والناتو، لكنه يعمد في الداخل إلى إشعال الحروب القبلية والمذهبية. وراء هذا الإسلام من هم أشداء على المؤمنين رحماء بالكافرين.. كونوا متشائمين من الإسلام الأمريكي والبريطاني إذ إنّه يدفعكم إلى شَرَك الرأسمالية الغربية والروح الاستهلاكية والانحطاط الأخلاقي) [2]

ثم بين أن اللين الذي يبديه المستكبرون للإسلام لين مخادع،

---

[1] خطابات الخامنئي 2012، ص69.

[2] خطابات الخامنئي 2012، ص69.

لأن المقصد منه جرهم إلى التبعية الغربية، وتحريف الإسلام ليتناسب معها، يقول: (في العقود الماضية كانت النخب وكذلك الحكام يفخرون بمقدار قوة تبعيتهم لفرنسا وبريطانيا وأمريكا أو الاتحاد السوفيتي السابق، وكانوا يفرون من النموذج الإسلامي، والأمر اليوم على عكس ذلك) [1]

بناء على هذا نجد في أطروحات قادة الثورة الإسلامية، وخصوصا الإمامين الخميني والخامنئي ما يحقق ـ نظريا وعمليا ـ مفهوم [الإسلام المحمدي الأصيل] الذي يتعالى على الطائفية، ويواجه الاستبداد، ويتولى الفقيه فيه زمام الأمور، ولا يكتفي بالتقوقع على الذات، وإنما يسعى لتحرير العالم، وتصديره للبشرية جميعا.

وهذه المعاني الأربعة هي التي يمكن اعتبارها الأسس الكبرى التي يقوم عليها التصحيح الديني الذي جاء به الإمام الخميني، وتلاميذه من قادة الثورة الإسلامية الإيرانية، ومن تبعهم من القيادات الفكرية في العالم الإسلامي، وسنشرح بعض مقولاتهم في ذلك من خلال العناوين التالية:

1 ـ التصحيح الديني والوحدة:

من خلال استقراء ما كتبه أو صرح به قادة الفكر الإسلامي في القديم والحديث لا نجد جهة اهتمت بالوحدة الإسلامية مثل اهتمام قادة الثورة الإسلامية الإيرانية بها، فكلهم وخصوصا الإمامان الخميني والخامنئي لا يكادون يجلسون مجلسا، أو يدلون بحديث، إلا ويضمنونه الدعوة للوحدة الإسلامية، والتعالي على الطائفية والعرقية وكل الحواجز الجغرافية.

ولهذا نجد الإمام الخميني في جميع خطبه وبياناته يتحدث باسم الإسلام، لا باسم الشيعة، ويدعو إلى نصرة الإسلام، لا إلى نصرة المذهب.. بل إنه ــ حتى عند ذكره لأئمة أهل البيت ـ يذكرهم باعتبارهم ورثة للنبوة، وأنهم بذلك حق للأمة جميعا.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في خطاب له عقب الانتصار:

---

[1] المرجع السابق، ص69.

(الوحدة أساس يجنّب الشعب من الوقوع في الزلل.. وآمل أن ينتبه أولئك الذين يضعون العراقيل في طريق الإسلام وفي طريق أهداف المسلمين، ويفهموا أن هذه الأعمال مناهضة لمصالح البلد.. فاليوم شعبنا بحاجة إلى وحدة الكلمة، بحاجة لأن يخطو بكافة فئاته معاً إلى الإمام، وهؤلاء الذين يتآمرون ويبثون النفاق بين فئات الشعب، ليقم كبراء القوم وعقلاؤهم بنصيحتهم، ويعلموهم أن جميع هذه الأعمال هي خدمة لمصالح الأعداء وتجلب الضرر لمصالح الإسلام والمسلمين.. آمل أن يستيقظ الجميع، ويعلموا أنه يجب أن نتّحد معاً، فاليوم نواجه المصائب، القوى الكبرى تواجهنا، المؤامرات تحاك علينا فإذا اتّحدنا لن يمسنا السوء)[1]

وبين في خطاب آخر دور انتشار المفاهيم الوحدوية في انتصار الثورة الإسلامية، فقال: (نحن جربنا في السنتين أو الثلاث سنوات الماضية بأنه عندما لم يكن عندنا توجه إلى الله تبارك وتعالى مجتمعين، حتى لو أننا كان عندنا توجه كأفراد لم نكن نستطيع أن نعمل شيئاً؛ كنا تحت الظلم والضغط وكان الناهبون قد هجموا علينا من كل حدب وصوب وكنا نحن في قبضتهم وقبضة عملائهم وقضينا وقتاً عصيباً ومليئاً بالمصائب إلى أن رأينا كيف ثار الشعب الإيراني وشرع بالنهضة وشيئاً فشيئاً خرج من حالة التفرقة إلى الوحدة وصار الهدف واحداً وصارت الأبدان والأرواح مجتمعة في الشوارع وفي كل أنحاء البلاد وكان مطلبهم هو الإسلام والله، ورفضوا الظلم والظالمين الذين كانوا يريدون نهب هذه البلاد ونهبوها لسنوات طويلة واستمروا بهذا النهب، أنعم الله تبارك وتعالى علينا وعليكم وعلى جميع الشعب باتحاد الأجسام واتحاد الأرواح عندما خرجتم إلى الشوارع صغاراً وكباراً، وكان المقصد واحداً وكان نداء الجميع (الله أكبر) وكان شعار الجميع هو الموت للظلمة والناهبين، ونحن نريد الإسلام، ونريد الجمهورية الإسلامية، الجمهورية الإسلامية التي فيها الحرية والاستقلال. يجب علينا أن لا ننسى الاجتماع الذي حصل في إيران، وأن نجعل من هذا التحول العظيم عبرة وقدوة لنا)[2]

ودعا إلى استمرار تلك الوحدة حتى يستمر النصر معها،

[1] () صحيفة الإمام، ج11، ص: 379.

فقال: (انتبهوا إلى أن ما نصرنا نحن بأيد خالية هو اتحاد الأبدان واتحاد الأرواح ووحدة الكلمة ووحدة الهدف.. ولقد كان نفس هؤلاء الناس قبل عشرين سنة موجودين وكانوا عرضة لاعتداء الأجانب وعملاء الأجانب ولم يكونوا قادرين على أن يقوموا بشيء. نفس هؤلاء تغيروا بعناية الله تبارك وتعالى إلى كائن لا يمكن الإضرار به من خلال الوحدة الشاملة في الروح والجسم. هؤلاء أنفسهم تحولوا من تلك الحالة إلى حالة أخرى، حققوا من خلالها النصر. نصراً كان كالمعجزة. انتصاراً لم يكن أحد يتوقعه أبدا، أن يمكن خلال هذه المدة القليلة بهذه الأتعاب التي لا تعد شيئاً مقابل الشيء الذي تحقق. وهو الشيء الذي يجب أن نسميه معجزة. بناءً عليه يجب علينا جميعاً أن ننتبه إلى هذه اللافتة الكبيرة التي في أنحاء إيران والمنعكسة في (الله أكبر) و(الحرية والاستقلال والجمهورية الإسلامية) يجب أن تبقى هذه اللافتة نصب أعيننا وأن تبقى مثالنا وحتى النهاية؛ وأن تنتقل هذه المواضيع إلى الأجيال الآتية منكم إلى الأجيال القادمة وبمشيئة الله، حتى لا يمكنهم في أي وقت من التاريخ في الأجيال القادمة أن يتسلطوا علينا)(1)

وهو لا يكتفي بطرح نظرياته في الوحدة، وإنما يضيف إليها المناهج العملية لتحقيقها، ومن ذلك قوله في خطاب مفعم بالمعاني الوحدوية العميقة: (آمل أن تؤدي اجتماعات الأبدان هذه إلى اجتماع الأرواح وذلك هو المهم.. تشكيل الندوات جيد جداً، الدعوة إلى الوحدة مهمة جداً، ولكن هذه الندوات وهذه الاجتماعات الظاهرية يجب أن تكون في طريق تحقق اجتماع روحاني واجتماع عقلائي واجتماع روحي واجتماع هادف، لا يكفي أن نجتمع نحن وأنتم في هذا المكان أو ذاك في حين نغفل عن الهدف الذي هو هدف الإسلام وأمر به الله تبارك وتعالى وبعث جميع الأنبياء من أجله.. يجب على الأقوال أن توصل الإنسان إلى المعنويات وأن توصله إلى توحيد الكلمة وكلمة التوحيد. من السهل أن نعقد ندوات واجتماعات وأن يكون في تلك المجالس

2() المرجع السابق، ج14، ص: 125.

1() المرجع السابق، ج14، ص: 126.

جميع فئات الشعب من علماء الدين والعسكريين والاتحادات الإسلامية. هذا أمر سهل ولكنه لا يكفي للوصول إلى الهدف)[1]

وانطلاقا من هذا دعا إلى تفعيل الوحدة الحقيقية، لا مجرد الوحدة الظاهرة السطحية، التي وصف الله تعالى بها اليهود، فقال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ [الحشر: 14]، وبين لهم طريقة تفادي ذلك، فقال: (يجب أن تكون في هذه الاجتماعات جهود من أجل الوصول إلى الوحدة الحقيقية التي هي من مقومات الشعب المسلم وهي ما اهتم به أنبياء العالم وما أمر به الله تبارك وتعالى ومتابعتها حتى تحققها) [2]

وبين الطريق لذلك، وهو التربية الأخلاقية وفق المنهج القرآني، قال: (اعملوا على أن تكون الاجتماعات التي تعقدونها والندوات التي تقيمونها حافلة بالأجواء المعنوية من جميع الجهات وفي كل مكان، انتبهوا إلى تربية الأنبياء، أنتم تقرؤون في القرآن الكريم ــ في أول سورة من القرآن الكريم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] حيث تشير إلى كلمة رب، ومبدأ التربية في أول القرآن الكريم. وقد كلّفنا عدة مرات في اليوم والليلة أن نقرأها في الصلاة وأن ننتبه إلى أن قضية التربية والربوبية ـ والتي تختص في درجتها العليا بالله تبارك وتعالى وتبعاً لذلك تنعكس في الأنبياء العظام ومن خلالهم إلى سائر الناس ــ هذه من الأهمية بمكان بحيث جاء بعد (.. الله..) (.. رب العالمين..). وأيضا تقرأون في هذه السورة نفسها أن غاية التربية هي الحركة في الصراط المستقيم.. ومنتهى الصراط المستقيم هو الكمال المطلق وهو الله.. لقد دُعينا إلى أن نكون تحت تربية الأنبياء وتحت تربية عظماء الأولياء ليقوموا بهدايتنا إلى الطريق المستقيم، وأن نطلب يومياً عدة مرات من الله تبارك وتعالى أن يهدينا إلى الصراط المستقيم، لا إلى اليسار ولا إلى اليمين: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]، يجب أن ننتبه إلى هذا المعنى وهو أن الإنسان موجود إذا ترك لينشأ على رسله فإنه سيكون أسوا الموجودات وأحط الموجودات، وإذا كنا خاضعين للتربية وطوينا

---

[1] المرجع السابق، ج14، ص: 123.

[2] المرجع السابق، ج14، ص: 123.

الصراط المستقيم فإننا نصل إلى مكان لا نستطيع أن نتخيله حيث بحر العظمة وبحر الكبرياء.. هذه الندوات يجب أن يكون وراءها تفكر، وراءها تدبر، وراءها أن ننتبه إلى وحدة الكلمة ووحدة الكلمة هي (الله). ليجتمعوا في (الله) وإذا اجتمع الناس في كلمة (الله) المباركة وحطّموا جميع الأصنام فانهم يصلون إلى جميع المقاصد العالية ـ سواء مقاصد البشر في هذه الدنيا وفي المجتمعات البشرية أم المقاصد العليا في الآخرة)[1]

وبناء على هذا كله كانت الثورة الإسلامية الإيرانية ــ قبل الانتصار وبعده ـ نموذجا فريدا للدولة التي لا يعلو فيها إلا اسم الإسلام بعيدا عن كل مظاهر الطائفية، وقد رددنا في الجزء السابق من هذه السلسلة على تلك الأطروحات الطائفية المغرضة التي تتخذ من تلك المادة في الدستور الإيراني والتي تنص على أن المذهب الرسمي في إيران هو المذهب الجعفري الاثنا عشري، ويذكرون أنها مادة طائفية[2].

وهؤلاء الذين يذكرون هذا، لا يعرفون المذهب الجعفري، ولا الأصول التي يعتمد عليها، ولا الفروع التي نشأت عنها، ولو أنهم طالعوها من كتب الفقه القديمة والحديثة لعرفوا أن هذا المذهب، وخاصة في شؤون الحياة المختلفة، لا يختلف كثيرا عن سائر المذاهب، بل هو يتفق معها في أكثر الفروع، بالإضافة إلى أنه يمنح مساحة كبيرة للاجتهاد المبني على القواعد الشرعية، والذي لا يخالف النصوص القطعية من الكتاب والسنة.

بالإضافة إلى ذلك، فإننا نرى كل دولة من دول العالم الإسلامي تعتمد مذهبا رسميا، مع كونها قد يكون فيها مذاهب أخرى، ومن الأمثلة على ذلك، أن السعودية ـ عبر هيئاتها الدينية الرسمية ـ تتبنى المذهب الحنبلي بل السلفي المغالي، مع وجود شيعة كثيرين فيها.

بالإضافة إلى ذلك كله، فإن قادة الثورة الإسلامية قبل الثورة وبعدها يحذرون من كل الدعوات الطائفية، ويعتبرون أن

---

[1] () المرجع السابق، ج14، ص: 125.

[2] () انظر: إيران نظام وقيم (ص: 124)

المسلمين جميعا إخوة، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في خطاب للإمام الخميني بتاريخ 8 ربيع الأول 1399 هـ أمام أساتذة وطلاب الحوزة العلمية في قم يحثهم فيه على استعمال كل الوسائل لمواجهة الطائفية، ونشر قيم الأخوة الإسلامية.

ومما ورد فيه قوله: (إننا نعلن عن تضامننا مع كافة الأقليات الدينية، ونعلن عن تآخينا مع الإخوة من أبناء السنة، فأعداء الإسلام هم الذين يريدون إيقاع الفرقة والخلاف بيننا وبين إخواننا، إن أعداء الإسلام أو المغفلين ــ وهم منهم ــ هم الذين يريدون إيقاع الفرقة في هذا الوقت بين الجانبين.. إننا نعلن وحدة كلمة المسلمين، ولو توحدت كلمة المسلمين لما أمكن للأجانب أن يتسلطوا عليهم، فالفرقة بين المسلمين هي التي أدت إلى هيمنة الأجانب علينا.. إن الفرقة بين المسلمين كانت منذ البدء على أيدي أشخاص جاهلين ولازلنا نعاني منهم حتى الآن، ويجب على جميع المسلمين أن يتحدوا، فالظرف حساس للغاية، ونحن نقف بين الحياة والموت.. إن بلادنا الآن إما أن تبقى إلى الأبد تحت نير الاستعمار والاستبداد أو تتمكن من إنقاذ نفسها، ولو أنكم لم تحفظوا وحدة كلمتكم فإنكم ستبقون في هذا البلاء إلى الأبد)[1]

ثم دعا العلماء وطلبة العلم إلى الانتشار في كل النواحي لبث هذه المفاهيم، وتوحيد المسلمين، تحت ظل الإسلام، لا تحت ظلال الطائفية، فقال: (أيها السادة! إننا مسؤولون جميعاً، وإن علماء الدين يقفون في الطليعة، وعليهم أن ينتشروا في البلاد وفي الأماكن النائية، عليهم أن يذهبوا إلى القرى والقصبات وأن ينقلوا هذه الأمور التي نطرحها، فمن الممكن أن يستغفل الناس في المناطق النائية وأن تنتشر السموم هناك، فهؤلاء لا يتمكنون من بث الأكاذيب في طهران أو سائر المراكز الهامة في البلاد، لكنهم يبثون في القرى والقصبات البعيدة بعض الشائعات الكاذبة بشكل خفي، كأن يقولوا مثلا بأنه يجب القضاء على الأقليات الدينية تحت ظل الحكومة الإسلامية! وهذا مخالف للإسلام، فالإسلام يحترم الأقليات الدينية، إن الإسلام يعتبر الأقليات الدينية الموجودة في بلادنا فئات محترمة. كذلك لا يفرق الإسلام أبدا بين الشيعة والسنة، فلا ينبغي التفريق بين الشيعة والسنة، عليكم

[1] صحيفة الإمام، ج6، ص: 71.

الحفاظ على وحدة الكلمة.. لقد أوصانا الأئمة الأطهار بان نتعاضد فيما بيننا وأن نحفظ مجتمعنا وأن من يسعى إلى بث الاضطراب في هذا المجتمع إما جاهل أو مغرض ولا ينبغي الاستماع لكلامه.. وعلى إخواننا السنة أن لا يكترثوا لهذه الدعايات التي يطلقها أعداء الإسلام، فنحن إخوانهم، نحن وإياهم إخوة، وهذه البلاد للجميع، للأقليات الدينية، ولإخواننا من أهل السنة، لنا جميعاً)[1]

وهكذا يذكر الإمام الخميني كل حين أن الاستبداد الذي وقع في التاريخ هو الذي شجع الخلاف بين كلا المدرستين، ففي خطبة له بتاريخ 9 ربيع الأول 1399 هـ بحضور بعض مشايخ المدرسة السنية قال فيه: (إن الاختلاف بين أتباع الطائفتين والمذهبين يعود في جذوره إلى صدر الإسلام، إذ سعى آنذاك الخلفاء الأمويون والعباسيون إلى إيجاد الفرقة والخلاف، فكانوا يعقدون المجالس لتكريس الاختلاف، ورويدا رويدا أدى هذا الاختلاف إلى ظهور حالة التنافس بين عوام السنة وعوام الشيعة وإلا فلا عوام السنة عملوا ويعملون بسنة رسول الله ﷺ، ولا عوام الشيعة اتبعوا الأئمة الأطهار)[2]

ثم بين أن أئمة أهل البيت لم يكونوا يشعرون بأي تميز طائفي، بل كانوا يحرصون على الوحدة الإسلامية، ويدعون إليها، ويحضون أتباعهم على التزامها، يقول: (لقد سعى أئمتنا الأطهار إلى وضع الجميع في إطار المجتمع، فكانوا يصلون معهم، ويمشون خلف جنائزهم، ولكن الأمور اختلفت تدريجيا وقام المتجبرون بمثل هذه الأعمال لإشغال الطائفتين ببعضهما كي يتسنى لهم أن يفعلوا ما يشاءون) [3]

ثم ذكر ـ كنموذج لذلك ـ ما حصل في إيران من استغلال الأجانب للخلاف السني الشيعي في بث الفرقة بين المسلمين، فقال: (قبل ما يقرب من ثلاثمائة عام تم تنفيذ سياسة أجنبية في إيران وفي الشرق استهدفت في الغالب تحقيق مثل هذه الأمور،

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 72.

[2] () المرجع السابق، ج6، ص: 81.

[3] () المرجع السابق، ج6، ص: 81.

فقد عكف خبرائهم على دراسة الطائفتين وبعض الشخصيات ونفسيات الناس بالإضافة إلى جوانب القضايا المادية المتعلقة بنا وحاولوا استغلالنا من طريقين: ماديا وكما ترون فقد استغلونا، ونفسياً من خلال التركيز على توسيع شقة الخلاف بيننا، وترون كيف أنه إذا تفوه أحد بكلمة واحدة فإنهم يجعلونها نارا على علم، فينشرونها ويطبعونها، وهذا ليس من فعل شخص عادي.. إنه عمل الحكومات والأجانب الذين يسعون إلى نشر ذلك وتوسيع نطاقه) [1]

ثم بين أن الثورة الإسلامية الإيرانية تسعى لإعادة الأمور إلى نصابها، وإحياء الوحدة الإسلامية، ونزع فتيل الصراع بين كلا الطائفتين، فقال: (نحن معا كيان واحد غير قابل للتفكيك، وإن الاختلاف بين المذهبين لا ينبغي أن يتحول إلى خلاف في أساس الإسلام، فالإسلام أسمى من أن يؤدي الاختلاف فيه إلى ظهور مسلك كذائي فيه.. إننا نرى الأخطار تهدد الإسلام، لذا علينا جميعا أن نتكاتف ونتجنب تلك الاشتباهات التي ارتكبت في الماضي، وأن نقطع الأيدي التي تريد أن تفرقنا عن بعضنا) [2]

ثم قال ـ مخاطبا علماء السنة الذين حضروا خطابه ـ بكل تواضع وأدب: (إنني آمل أن نتمكن من تجاوز هذه الفرقة بمساعيكم وجهودكم أنتم أيها العلماء في مناطقهم، وجهودنا نحن طلبة العلوم الدينية هنا؛ فالاختلافات موجودة حتى بيننا نحن: كالاختلاف بين الإخباريين والمجتهدين وهو باب من أبواب الاختلاف، والاختلاف بين الصوفية والمتشرعة، وأخيرا بين الأحزاب بعضها مع بعض، أو بين الجامعيين وطلبة العلوم الدينية، كل هذا موجود، وهم يسعون إلى تكريس تلك الاختلافات كي نبقى مشغولين بأنفسنا، وهم يقضون على ما لدينا من اعتبار، فهم ينهبون ثرواتنا على الصعيد المادي وما لدينا من معنويات على الصعيد المعنوي، إلا أن شعبنا قد استيقظ الآن، سواء في أوساطكم وذلك ببركة وجودكم أنتم، أو في أوساطنا ببركة وجود

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 81.

[2] () المرجع السابق، ج6، ص: 81.

علماء الدين هنا) (1)

ثم ختم خطابه بقوله: (أنا خادم للجميع، وقد جئنا لإنقاذ الإسلام مما هو عليه من وضع، وإنقاذ المسلمين مما هم عليه من فرقة) (2)

وهكذا نرى الإمام الخامنئي يحض على الوحدة الإسلامية كل حين، وخطبه وبياناته ومواقفه العلمية فيها كثيرة جدا، وقد عبر عن رؤيته لها بقوله: (يجب أن لا تكون هناك فوارق بين الشعوب. يجب أن يكون الشعور بالتعاطف والتضامن بين الشعوب الأثر الأول للوحدة الإسلامية. حينما يفرح شعب تفرح له باقي الشعوب، وحينما يكون حزيناً تحزن له باقي الشعوب. وحينما يكون في مأزق يرى الآخرون أنفسهم أنّ لهم نصيباً في ذلك المأزق، وحينما يستنصرهم شعب يهبّ الآخرون لنُصرته ويأتون إليه؛ هذا هو واجبنا. وهو ما سوف يحصل ويتقدّم.. تقارُب القلوب هذا مهمّ جداً. مسائل السنّة والشيعة وصراعات السنّة والشيعة أمور يريد أعداء الإسلام اليوم التركيز عليها.. إنّ الذين يتحدّثون حول التشيّع والذين يتحدّثون حول التسنُّن لا يؤمنون بالسنّة ولا بالشيعة ولا بعظماء الإسلام ولا بعلماء الإسلام المعاصرين، إنّما لهم أهداف أخرى، يجب التغلّب على كلّ هؤلاء، وتأمين الوحدة، وستكون الوحدة إن شاء الله رصيداً ودعامة لانتصار العالم الإسلاميّ)(3)

ويقول في خطاب آخر له مبينا دور الأعداء في بث الفرقة بين المسلمين: (إنّ أهم ما يتوسّل به العدوّ اليوم لمواجهة الصحوة الإسلاميّة هو إيجاد الخلافات، فيجعل المسلم يقف مقابل المسلم، ويجعل المسلم يقتل أخاه المسلم، ويشغلهم بعضهم ببعض. فأيّ شيء أفضل لأعداء الاستقلال الإسلاميّ من أن يشغلوا المسلمين ببعضهم بعضاً؟)(4)

1() المرجع السابق، ج6، ص: 81.

2() المرجع السابق، ج6، ص: 81.

3() خطابات الخامنئي 2011، ص58.

ثم أكـد لهم هـذا بـالمؤامرات الـتي نفـذوها لتشـويه الثـورة الإسلامية الإيرانية، والتنفير منها، فقـال: (فمنـذ اليـوم الأوّل الـذي انتصرت فيه الثورة الإسلاميّة في إيـران، اتّبـع هـذا العـدوّ سياسـة إثارة الخلافات بين شعبنا وداخل بلدنا. لكنّ الجمهوريّـة الإسـلاميّة وقفت بحزم قاطع مقابل هذه القضيّة. وقد عملـوا على الخلافـات المذهبيّة على مستوى الدّول الإسلاميّة، لكن الجمهوريّة الإسـلاميّة رفعت راية الوحدة الإسلاميّة. هذا ما أعلنّاه، وتحدّث إمامنا الجليل عن هذا الأمر مـرّات ومـرّات، وأكّـد شـعب إيـران وكـرّر في زمن (الإمام) وما بعـده: أننـا نـؤمن بـالأخوّة الإسـلاميّة. إنّنـا نـرفض أيّ شقاق بين المسلمين. وهـذه هي النقطـة المقابلـة تمامـاً لأعمـال الأعداء الذين يستغلّون أيّة ظاهرة صغيرة من أجل إيجاد الخلافات بين المسلمين) [1]

ثم ضرب لهم الأمثلة على ما حصل في العالم الإسـلامي من مـآس في فـترة الحـراك العـربي بسـبب إحـداث الخلافـات واستثمارها، يقول: (لو نظرتم لرأيتم اليوم كيف أنّ سياسة أعـداء الصحوة الإسلاميّة في بلدان شـمال أفريقيـا هي عبـارة عن إيجـاد الخلافات. هذه هي سياسة الاستكبار، أن يجعـل الجميـع يتنـازعون ويقتتلون.. علاج هـذا المـرض هـو شـعور الوحـدة بين المسـلمين، فعلى الشـعوب المسـلمة أن تتّحـد فيمـا بينهـا. يجب أن يتعاضـد الجميـع ويمـدّوا أيـديهم لبعضـهم بعضـاً داخـل كـل بلـد أو بين الجماعات المختلفة والمذاهب المتعدّدة والأجنحـة المختلفـة. وأن لا يجعلـوا الخلافـات الفكريـة والعقائديـة والسياسـيّة والسـلائقية والحزبيـة حاكمـة على تحرّكـاتهم الأساسـية، كي يتمكّنـوا من الوقوف مقابـل العـدوّ، فلا طريـق سـوى هـذا. هـا هم يسـتعملون أنواع الحيل من أجل إيجاد الخلافـات وأنتم تـرون. عنـدما ينشـغل المسـلمون بالخلافـات فيمـا بينهم تصـبح قضـيّة فلسـطين على الهـامش، وكـذلك تتهمّش عنـدهم قضـيّة الصـمود مقابـل سياسـة الاستكبار والنهب الأمريكي والغربي، اللذين يجـدان عنـدها فرصـةً

[4] المرجع السابق، ص37.

[1] المرجع السابق، ص37.

لتنفيذ مخطّطاتهم)[1]

ويضـرب لهم المثـل بمـا حصـل من مـؤامرات الأعـداء في إفريقيا وغيرها، فيقول: (يشاهد اليوم أنّ الغربيّين قد بدأوا بحركـة جديدة في أفريقيا من أجل الهيمنة على شـعوبها وللعـودة مجـدّداً إلى سـاحة حيـاتهم. فعنـدما تشـتعل نـيران الخلافـات يجـد العـدوّ فرصة لتنفيذ كلّ ما يريد. أنتم ترون أيّة فجائع يصنعون في جارتنـا باكستان بحجّة الاختلافات، وترون كيف يتقاتـل النّـاس فيمـا بينهم في سوريا. وتشاهدون كيف أنّهم يخمدون صوت الشـعب بصـورة كاملة في البحرين، وهم يقاطعون شـعباً من جميـع الجّهـات، وفي مصر وفي المناطق الأخـرى كيـف يجعلـون الشـعب يتواجـه فيمـا بينه. إنّها سياساتٌ يمكن أن نجد لها دوافع شخصيّة واعتقاديّة عنـد الأشخاص، لكنّها على صعيد التخطيط الكامل هي خطّة العدوّ) [2]

ثم ذكر الحل الذي يقضي على الخلافات، ويعيـد للأمـة قوتهـا ووحـدتها، فقـال: (إنّ كـلّ حركـة اختلافيـة بـأيّ شـكل كـانت: بين الشـعوب المسـلمة، أو بين أبنـاء أيّـة دولـة، هي لعبٌ في الملعب الـذي حـدّده العـدوّ وهي إعانـة لهـذا العـدوّ. يجب أن نأخـذ قضـيّة الوحدة بجدّية، النّخب السياسيّة والدينيّة والجامعيّة والحوزويّة في كلّ مكان بالدرجة الأولى. وعلى الجميع في بلدنا أن يأخذوا قضـية الوحدة بجدّيّة. فإيجاد الخلافات المذهبيّة بين الجماعـات المسـلمة المختلفة هـو خطـرٌ كبـير. لـو اسـتطاع الأعـداء أن يشـعلوا نـيران الخلافات المذهبيّة في أيّ مكان فإنّ إخمادها سـيكون من أصـعب الأعمال. يجب الحؤول دون حصولها، وهذا لا يتحقّـق إلا بالمبـادرة والمجاهـدة والإخلاص من قبـل النّخب في أيّ بلـدٍ. وعلى العلمـاء والجامعيين والسياسيّين وكل من له تـأثير ونفـوذ أن يـبيّن للنـاس خطّة العدوّ وينشـر الـوعي بين النـاس فيمـا يتعلّـق بتفـاؤل العـدوّ بإيجاد الخلافات بين الناس، وبين الـدّول الإسـلاميّة، وبين الأجنحـة الإسـلاميّة، وبين السـنّة والشّـيعة، وبين التيّـارات المختلفــة في المذاهب الإسلاميّة المتعدّدة.. هذا هو الخطر العظيم الذي يسـعى فيه الأعداء. وللإنكليز في هذا المجال بـاعٌ طويـل. ونحن نقـرأ في

---

[1] المرجع السابق، ص38.

[2] المرجع السابق، ص38.

سيرتهم على مرّ التاريخ ونرى أيّة أفاعيل قاموا بها من أجل إيجاد الخلافات. فهم خبراء والآخرون يتعلّمون منهم. يسعون لإيجاد الخلافات. فيجب الحذر. ولا ينبغي الاعتماد على المشاعر السطحية لإخماد هذه النيران، فمثل هذا يسوّد مصير الشعوب، ويغرقها بالتعاسة والبؤس، ويجعل أعداء الإسلام والمسلمين وأعداء الاستقلال يحقّقون ما يريدون وينفّذ خطّتهم، فيجب الصحوة واليقظة) [1]

2 ـ التصحيح الديني والعدالة:

لعل من أهم الأعمال التي قام بها الإمام الخميني، والتي تفوق انتصاره في الثورة الإسلامية نفسها تحطيمه لتلك التصورات التي كان ينشرها العلمانيون والليبراليون والشيوعيون عن كون الدين أفيون الشعوب، وأن رجال الدين ليس لهم دور سوى خدمة الاستبداد، وتوسيع عمر سلاطين الجور.

وقد ساعدهم على ذلك الواقع التاريخي للأديان بما فيها التاريخ الإسلامي نفسه، والذي وقف فيه أكثر الفقهاء، وخاصة من المدرسة السنية مع السلطان، واعتبروا الخروج عليه بدعة وضلالة.

وهكذا كان نظراؤهم من المدرسة الشيعية الذين اعتبروا أي راية قبل راية الإمام المهدي راية ضلالة، ولذلك اكتفوا بالانتظار السلبي إلى أن يأتي المخلص الموعود الذي يخرجهم من المستبدين.

لكن الإمام الخميني جاء بنظرية مخالفة تماما لكلا النظريتين: السنية والشيعية، حيث اعتبر من وظائف الرسل الكبرى الوقوف في وجوه الطواغيت، وتحقيق الإسلام في الواقع، والتمهيد لدولة المهدي، وتحويل الانتظار السلبي إلى انتظار إيجابي، يجعل من كل فرد من الأمة جنديا لإمامه في حضوره أو غيابه.

وكل هذه النظريات التصحيحية جعلت له الكثير من الأعداء

---

[1] المرجع السابق، ص38.

من رجال الـدين الـذين تصـوروه مبتـدعا لكونـه أخـرج الـدين من مجاله المحدود الذي يتصورونه إلى المجـال الأوسـع الـذي يشـمل الحياة جميعا.

وسنسوق هنا بعض ما دعا إليه في خطبـه وبياناتـه المرتبطـة بالثورة الإسلامية، بعد أن شرحنا ذلك بتفصيل في الجـزء السـابق من هذه السلسلة، والذي تعرض للعدل بمفهومه الواسع باعتبـاره قيمة من القيم الكـبرى الـتي قـامت عليهـا الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانية.

فقد جاء في حـديث توعـوي لـه في بدايـة الثـورة الإسـلامية الأولى، أي قبل نفيه هذه الكلمات الممتلئة بالقوة، والـتي تخـالف التقية التي اعتمدها الكثير من أعلام الشيعة والسنة: (إننـا نـرفض الحياة في ظل حكومة الجبابرة والظالمين، وعلى استعداد لتحمل كـل الصـعاب، وانتم أيضـا ينبغي أن تسـتعدوا لـذلك، إن كنتم روحانيين حقاً، عليكم أن لا تخافوا ولا تقلقوا، ثبتوا قلوبكم، أعـدّوا أنفسكم للقتل، للسجن، للجندية، للضرب والشتم والإهانة، لتحمل المصائب التي تنتظركم في سبيل الدفاع عن الإسلام والاستقلال. شـدّوا الأحزمـة جيـداً، تـأهَّبوا للسـجن والنفي والالتحـاق بالخدمـة العسكرية وسماع الكلمات النابية، فلا تخافوا ولا تقلقـوا. فـاذا مـا شـتموني، فلمـاذا تتـألّمون أنتم؟ لمـاذا تقلقـون؟ لمـاذا تجمعـون المنشورات؟)[1]

ثم بين لهم أن هـذا هـو التأسـي الحقيقي بأئمـة أهـل الـبيت، فقال: (هل أنا أفضل من أمـير المؤمـنين عليـه السـلام؟ فكم من السنوات شتم فيها معاوية علياً من فـوق المنـابر، وصـبر الإمـام؟ وهل كان الإمام علي يتحدث بغـير هـذا الـذي نتحـدث فيـه؟ ونحن نقول: ينبغي تطبيق أحكام القرآن في بلدنا، الإمام أيضا كان يـردد هذا الكلام، فهـل انتم أسـمى من أصـحاب أمـير المؤمـنين الـذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الدين؟ لقد عُرِّض أئمتنا وعظمـاء ديننـا والأئمـة المعصـومين عليهم السـلام للهتـك والضـرب والاستشـهاد والسجن والسم، في سبيل الدفاع عن الإسـلام، فقـد وقـف أتبـاع علي وفاطمة وأبناؤهم الروحيون والنسبيون في وجه حكام الجـور

1() الحديث بتاريخ : 23 شوال 1382 هـ ، انظر: صحيفة الإمام، ج1، ص: 170.

دوماً) (1)

ثم راح يذكرهم بما فعله أتباع الأئمة، فقال: (عمـار بن ياسـر أمضـي عمـره المبـارك في المواجهـة حـتى استشـهد في سـن التسـعين على يـد الفئـة الباغيـة. وميثم التمـار، لسـان الإسـلام الناطق، الذي بقي يتحـدث ويتحـدث حـتى قطـع جلاوزة معاويـة ـ عليه اللعنة ـ لسانه، وقطعوا يديه، وعـذبوه أسـوأ أنـواع التعـذيب) (2)

ثم ذكـر لهم الانتفاضـات والثـورات المباركـة الـتي قـام بهـا السـادة والأشـراف على مـر التـاريخ، فقـال: (لقـد انتفض أبنـاء فاطمة سلام اللـه عليهـا على مـرّ تـاريخ الإسـلام على السـلطات الجائرة والظالمة، ودافعـوا عن الإسـلام، تجرعـوا الآلام، وتحمّلـوا الكلام النابي والسب والشتم، وقُطعت رؤوسهم، وقتّلوا قتلًا عاماً، واستُشهدوا، ومـع كـل ذلـك قـاموا، وثبتـوا، ولم يسـمحوا للخبثـاء بالقضاء على الإسلام ومحو أحكام الله) (3)

ثم دعا كل من يحب هؤلاء، ويـزعم التبعيـة لهم إلى الاقتـداء بهم، فقال: (أيها الفاطميون.. إن أبناء فاطمة أحيـاء وللـه الحمـد، موجـودون في قم ومشـهد والنجـف وفي سـائر البلاد، وهـؤلاء لا يجلسـون يتفرجـون كي تـرتكب الحكومـات كـل خيانـة تحلـو لهـا وتعمل على تضييع أحكام القرآن. فما دام أبنـاء فاطمـة على قيـد الحيـاة، لن يسـمحوا للاعتـداء على مقدسـات الإسـلام، وإتاحـة مقـدرات المسـلمين لليهـود وإسـرائيل.. أيهـا الفـاطميون! هبّـوا لنصرة الإسلام.. لقد أكملت هذا العام الثالثة والستين من عمـري. وكان الرسـول الأكـرم ﷺ تـوفي في الثالثـة والسـتين، واستشـهد الإمام علي في الثالثة والستين، نحن أتباع الرسول الأكرم، وأتبـاع الإمام أمير المؤمنين، وأتباع الإمام أبي عبدالله الحسين، ومن يتبع هؤلاء العظماء لن ينتابه الخوف مطلقاً، فالخوف من سـمة أولئـك الـذين لا يؤمنـون بالعـالم الآخـر، الهمّ والغم من سـمات مَن ليس

(1) المرجع السابق، ج1، ص: 170.

(2) المرجع السابق، ج1، ص: 171.

(3) المرجع السابق، ج1، ص: 171.

لهم غير هذه الدنيا فحسب، والدنيا غاية آمالهم. إما الذين يؤمنون بأن لهم جنة النعيم والمقام الكريم، فمِمَّ يخافون؟)[1]

وهكذا نراه في كل أحاديثه يرده على تلك المفاهيم المغلوطة التي يشيعها التحريف السني والشيعي للموقف من الاستبداد والصبر عليه دون مواجهته، بل إنه يدعو إلى مواجهته والتضحية في سبيل ذلك بكل شيء.

وفي خطاب له بتاريخ 13 ذو الحجة 1404 هـ دعا الشعب الإيراني إلى التأسي برسول الله ﷺ في سنته الحقيقية، لا تلك التي شوهها المحرفون، فقال: (إنَّ على شعبنا أن يضع النبيّ الأكرم ﷺ أمام ناظريه.. لقد نهض النبيّ ﷺ وقام وثبت على مبدئه وتحمّل الصعوبات الكثيرة، تحمّلها في مكة وفي الحصار في شعب أبي طالب وفي المدينة بعد ذلك قضى حياته بالعذاب والمصاعب وحتى على فراش الموت نراه قد أصدر أمره ببعث جيش أسامة.. علينا إذا أن نتحمّل مصائب ومؤامرات القوى الكبرى، نحن مكلفون بتنفيذ الأوامر الإلهية، وعلينا أن لا نخشى المصاعب. هل تراجع النبيّ الأكرم ﷺ أمام الصعوبات التي اعترضته؟ هل خضع للمساومة والاستسلام؟، فعلينا نحن الذين نواصل عمل الأنبياء والنبيّ الأكرم ﷺ، أن نثبت ونقاوم، حتى يستقر الإسلام وتتحقق العدالة وترفع عنا أيدي الظالمين. الناس على عهد الرسول الأكرم ﷺ وأصحابه قد قاوموا ولم يبالوا بالصعوبات حتى انتصروا، ونحن عند ما دخلنا هذا الميدان وصمّمنا على القيام بهذا العمل العظيم علينا أن نتحمّل كل ما يعترض سبيلنا من عقبات)[2]

وهكذا دعاهم في خطابه إلى التأسي بالأنبياء عليهم السلام باعتبارهم المثل الأعلى، فقال: (الشعب ثار وعليه حماية ثورته. عليهم أن يأخذوا بنظر الاعتبار الأنبياء والنبيّ الأكرم ﷺ، وإبراهيم (عليهم السلام جميعاً) ويتأسوا بهم وينعموا النظر في المعارضات التي واجهوها وليجدوا أنهم لم يتخلّوا عن أهدافهم، فإن كنا نحن

[1] () المرجع السابق، ج1، ص: 171.

[2] () المرجع السابق، ج19، ص: 51.

المسلمين نسير على خطاهم ونقتفي آثارهم ليس فقط بإقامة الصلاة والعكوف في المساجد بل بالجهاد والنضال من أجل حفظ أساس الإسلام، فعلينا الثبات إلى الأبد والتقدم نحو الإمام)[1]

وهكذا يتحدث كثيرا وبتفصيل على الانتظار الحقيقي للإمام المهدي، ويرد على تلك المفاهيم السلبية التي جعلت من الانتظار مرحلة للكسل والتواكل والتقاعد، ففي خطاب له بتاريخ 15 شعبان 1408 هـ بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي قال: (البعض يرى انتظار الفرج في أن يجلس في المسجد أو الحسينية أو المنزل، ويدعو الله تعالى لفرج الإمام الحجة صاحب الزمان سلام الله عليه.. إن من لديهم مثل هذا التصور هم أناس صالحون، بل أن بعض الذين أعرفهم كان إنساناً صالحاً للغاية وقد اشترى له حصاناً وكان عنده سيفاً، وكان على أهبة الاستعداد في انتظار الإمام صاحب الأمر سلام الله عليه.. فأمثال هؤلاء كانوا يعلمون واجباتهم الشرعية، وكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن الأمر كان يقف عند هذا الحد. وفيما عدا ذلك لا يصدر منهم شيئاً ولم يكونوا يفكرون بفعل شيء فيما يخص هذا الأمر الهام.. وعلى صعيد آخر ثمة جماعة ترى في انتظار الفرج بأن تدير ظهرها لكل ما يجري من حولها. فلا شأن لها بما يجري على الشعوب وما يعاني منه شعبنا، وكل همها هو العمل بواجباتها الدينية وفيما عدا ذلك فهو من مهام صاحب الزمان الذي سيأتي ويصحح كل شيء بنفسه. إذ يقول أفراد هذه الجماعة: نحن غير مسؤولين عما يجري وكل ما علينا هو أن ندعو لظهور صاحب الزمان. هؤلاء أيضاً كانوا أفراداً صالحين) [2]

بل إن الأمر ـ كما يذكر الإمام الخميني ـ تجاوز ذلك كله، فقد ظهر من يستحسن زيادة المعاصي والجور، ويتصور أن ذلك هو التمهيد الحقيقي للإمام المهدي، يقول: (فئة ثالثة كانت تقول: حسناً، يجب أن يمتلئ العالم بالمعاصي حتى يمهد لظهور الإمام صاحب الأمر. يجب أن لا ننهى عن المنكر ولا نأمر بالمعروف وترك الناس يفعلون ما يشاءون لكي تزداد المعاصي ويقترب

[1] () المرجع السابق، ج19، ص: 52.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 18.

الفرج. بل هناك فئة تؤمن بأكثر من هـذا إذ تقـول: يجب التشـجيع على المعاصي وارتكاب الذنوب حتى تمتلئ الدنيا ظلماً وجوراً مما يمهد لظهور الإمام الحجـة سـلام اللـه عليـه، وبطبيعـة الحـال بين هـؤلاء أنـاس منحرفـون وبينهم سـذج أيضـاً، وكـان المنحرفـون يتطلعون إلى تحقيق أهداف خاصة)[1]

وبناء على هذا نرى كل أحاديثه تنصب حول الانتظار الإيجابي، وبيـان كيفيتـه ومنهجـه والطـرق الـتي تـؤدي لـه، ويـرد على تلـك المفاهيم التي يشيعها المنكرون على الجمهورية الإسلامية، والـتي تصـورها بمثابـة المسـتعجل الـذي أراد أن يـؤدي وظـائف الإمـام المهدي قبل ظهوره، ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض خطبه: (علينا في مثل هذه الأيام، أيام اللـه، أن ننتبـه ونعمـل على إعـداد أنفسنا لظهور الإمام.. وعلينا أن نعد أنفسـنا بحيث إذا كتب لنـا أن نلقاه إن شاء الله، نلقـاه بوجـه ابيض. وعلى جميـع الأجهـزة الـتي تمـارس مهامهـا في البلاد ــ وآمـل أن يتسـع ذلـك ليشـمل سـائر البلدان ـ الاهتمام بهذا المعنى وإعداد أنفسهم للقاء الإمام المهدي سلام الله عليه)[2]

ثم راح يفصل كيفية الاستعداد لكـل جهـة من جهـات الدولـة، وبدأ بمسؤولية وسائل الإعلام لأهميتهـا وخطورتهـا، فقـال: (ينبغي لمؤسسة الإذاعة والتلفزيـون، كمـا ذكـرت كـراراً، أن تتحـول إلى مركــز تعليمي تربــوي.. لابــد لهــا من النهــوض بمســؤولية إعــداد الشعب من خلال برامج تعليمية وتربويـة. علينـا أن ننتبـه إلى هـذا المعنى وهو أننا نعيش في عصر وفي وقت تمكن الشعب الإيراني من تحقيــق بعض تطلعاتــه المتمثلــة في العدالــة. حيث بســطوا العدالة الاجتماعية بشكل عام وقطعوا أيدي الأشــرار. والآن ينبغي لهذه الأجهزة التي كـانت في خدمـة الظـالمين وفي خدمـة حكـام الجور وإذا كان هناك أشخاص كـانوا يعملـون لصـالح حكـام الجـور في العهـد السـابق، فعليهم أن يعوضـوا الآن عن المعاصـي الـتي ارتكبوها في ذلك الوقت.. إن القناة التي ينبغي أن ترى النــور عن قريب تعتبر مركزاً لبسط العدالة، وجهازاً تعليمياً بمعنـاه الحقيقي،

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 19.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 386.

وليعلم الجميع أن شبابنا حيثما كانوا، بقـوا يتلقـون تعليمـاً مشـوهاً طيلة خمسين عاماً، ليس فقط في الجامعات التي كانت متدهورة للغايـة، بـل في كـل مكـان. لأنـه عنـدما يمـارس التلفـاز والراديـو والصـحافة والمجلات الإفسـاد، فإنهـا ستنشـر الفسـاد في كافـة أوساط الشعب. فحـتى الشـباب الـذين كـانوا في الـبراري عنـدما كانوا يسمعون هذه الأشياء أو كانوا يقـرأون هـذه الصـحف أحيانـاً كانوا ينحرفون نحو الفساد، والآن ينبغي التعويض عن ذلـك. ينبغي أن يعوضوا عن المعاصي التي ارتكبوها) [1]

وهكـذا (الحـال بالنسـبة للمقـالات الـتي تكتب في الصـحف وتقرأ، ينبغي أن تتحول إلى قضايا ذات أهـداف تربويـة.. فلا ينبغي للصحافة أن تكتب شيئاً يؤدي إلى إثارة المواطنين وانحرافهم. ولا ينبغي للإذاعـــة أن تعمـــل ذلـــك. عليهم أن يمارســـوا دورهم في الإرشـاد وأن يوجّهـوا أنظـار الشـعب إلى العـدو الـذي يـتربص بنـا الدوائر، فالعدو يتربص وقوع أي أزمـة، فيجب سـد الطريـق أمـام أي توتر)[2]

وهكذا كان للولي الفقيه ـ باعتباره نائبا للإمام المهدي ـ دوره الكبير في التحضير لذلك الظهور المبارك الذي يتحقـق بـه العـدل الشامل الذي يبدأ بعدالة الأخلاق، وينتهي بالعدالة الاجتماعية.

3 ـ التصحيح الديني والشريعة:

بنـــاء على تلـــك المفـــاهيم الخاطئـــة للـــدين، والـــتي اهتم المستبدون طيلة التـاريخ الإسـلامي بإشـاعتها، أصـبحت الشـريعة الإسلامية قاصرة على الحياة الشخصـية والأسـرية وبعض القضـايا الاجتماعية، أما الجوانب السياسية والاقتصادية وغيرها، فقد أزيلت من الشـريعة تمامـا، بـل وضـع بـدلها مـا يؤيـد كـل أحكـام الجـور والاستبداد.

ولـذلك كـان لأطروحـات قـادة الثـورة الإسـلامية المرتبطـة بتطـبيق الشـريعة، وولايـة الفقيـه دورا مهمـا في عـرض الإسـلام

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 386.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 388.

المحمدي الأصيل، الذي تشمل تشريعاته شؤون الحياة جميعا.

ولهذا نـرى الإمـام الخميـني يسـتعرض تلـك المقـولات الـتي تعطـل الشـريعة في البيئـتين السـنية والشـيعية، بحجج مختلفـة، ويبين تهافتها، وتعارضها مع الإسلام المحمدي الأصيل.

ومن أمثلـة أقوالـه الموجهـة للـذين يتبنـون تلـك المقـولات، ويزعمـون في نفس الـوقت أنهم يطبقـون سـنة رسـول اللـه ﷺ وسـنة أصـحابه: (إذا أراد المسـلمون متابعـة سـيرة الرسـول ﷺ وتحقـق العـزة والعظمـة الـتي كـان يتحلى بهـا الرسـول الأكـرم وأصحابه وكافـة فئـات المسـلمين في صـدر الإسـلام، وأن يجـدوا العزة لأنفسهم، فإن تلك السيرة تتلخص بالالتفـاف حـول الإسـلام الذي يمنح أتباعه قدرة وشجاعة ما فوق الطبيعـة، فالشـيء الـذي أدركه شعبنا مع وجـود حالـة الضـعف والتشـتت، هـو ذات الشـيء الذي أدركـه المسـلمون في صـدر الإسـلام ألا وهـو الاعتمـاد على الإيمان ووحدة الكلمة والصف)[1]

وهكـذا نـراه يـرد على أولئـك الـذين يزعمـون لأنفسـهم أنهم أتباع أئمة أهل البيت، بينمـا يقصـرون في اتبـاع سـننهم في ذلـك، وهو يستعرض أخطر مقولاتهم، والتي تعتمد على بعض الروايـات، ويرد عليها ردا مفصلا، فيقـول: (كـانت هنـاك فئـة تـؤمن بـأن كـل حكومة تقـوم في عصـر الغيبـة هي حكومـة باطلـة وتتعـارض مـع الإسـلام، وأمثـال هـؤلاء أن لم يكونـوا ألعوبـة، فهم أنـاس غـرتهم بعض الأحاديث الواردة بهذا الشأن نظـير: إن أيـة رايـة ترفـع قبـل ظهور صاحب الأمر، هي راية باطلة. وكانوا يتصورون ذلك في أيـة حكومة.. في حين أن أمثال هـذه الأحـاديث تشـير إلى أن كـل مَنْ رفع راية إلى جانب راية الإمام المهدي، تحت عنـوان (المهدويـة)، فهو باطل)

ثم بين تعـارض مـا فهمـوه من تلـك الأحـاديث مـع القـرآن الكريم، فقال: (لنفرض أن أمثال هذه الأحاديث موجودة. ألا يعـني ذلك أن التكليف قـد سـقط عنـا؟ ألا يتعـارض هـذا مـع ضـروريات الإسلام، مع القرآن، بأن نـدعو إلى ارتكـاب المعاصـي حـتى يـأتي

[1] () المرجع السابق، ج9، ص: 219.

صاحب الأمـر؟ لأجـل أي شـيء يـأتي صـاحب الأمـر؟ يـأتي لنشـر العدل وبسط القسط، يأتي من أجل القضاء على الفسـاد. إننـا إذا لم نَنْـهَ عن المنكـــر ولا نـــأمر بـــالمعروف، ونعمـــل على إشـــاعة المعاصـي، إنمـا نعمـل خلافـاً لنص القـرآن الكـريم. فعنـدما يـأتي الإمام المنتظر ماذا يفعل؟ يأتي من أجل أداء هـذه الأعمـال. وفي الوقت الحاضر، أليس لدى الإنسان تكليـف؟ هـل تكليـف الإنسـان أن يدعو الناس للفساد؟ إن علينا حسب تصور هذه الجماعة الـتي بعض أفرادها ألعوبة وبعضهم جهلة أن نجلس ونـدعو لصـدام. وأن كـل من يـدعو على صـدام فانـه يسـاعد في تـأخير ظهـور الإمـام المهدي. وأن الـذين يـدعون لصـدام إنمـا يفعلـون ذلـك كي يـزداد الفساد.. علينا أن ندعو لأميركا وللاتحـاد السـوفيتي ولأذنـابهم من أمثال صدام كي يمتلئ العـالم بـالظلم والجـور ويسـاعد ذلـك في ظهور الإمام الحجة. وإذا ما ظهـر الإمـام يعمـل على إزالـة الظلم والجور. فما نقـوم بـه ونـدعو لزيـادة الظلم والجـور، يـأتي الإمـام المهدي ويعمل على إزالته؟)[1]

ثم بين أن الانتظار الإيجابي يسـتدعي التمهيـد لـذلك الظهـور المبـارك، يقـول: (الحقيقـة هي أن علينـا أن نعمـل للقضـاء على الظلم والجور في أي مكان من العالم إذا كان في مقدورنا ذلـك.. إن تكليفنا الشرعي يدعونا إلى ذلك ولكن ليس بمقدورنا. وسيأتي الإمام المهدي ليملأ الأرض قسطاً وعـدلًا، غـير أن ذلـك لا يسـقط التكليف عنكم بأن تكفوا عن أداء واجبكم. نحن لدينا تكليف) [2]

وبناء على هذا، فإن تأسيس الحكومة الإسـلامية الـتي تطبـق الشريعة، هو التكليف الشرعي الذي على المنتظـر أن يحققـه في الواقع، يقول: (مَنْ يقـول بعـدم ضـرورة الحكومـة فهـذا يعـني أن تكون هناك فوضى. فإذا مـا غـابت الحكومـة فسـوف يعم الفسـاد البلاد بنحو ليس له حدود. فأي عاقل يقبل أن يظلم الناس بعضهم البعض الآخر كي يمهدوا لظهـور صـاحب الزمـان!! ومـاذا سـيفعل صـــاحب الزمـــان حين يـــأتي؟ أليس القضـــاء على الظلم وبســـط العدالة. فالإنسـان أن لم يكن سـفيهاً ولا مغرضـاً ولم يكن ألعوبـة

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 18.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 18.

بيد الآخرين، لن يقبل بمثل هذه الأفكار) [1]

وهو يذكر أن مصدر كل هذه التحريفـات هي قـوى الاسـتبداد في القـديم والحـديث، والـتي حـولت من تلـك المفـاهيم أفيونـا للشعوب، يقول: (حقيقة الأمـر هي أن السياسـة تقـف وراء ذلـك. مثلما لقنوا الشعوب، لقنوا المسـلمين وجمـوع غفـيرة من سـكان الأرض بان السياسـة ليسـت من شـأنكم، أذهبـوا أنتم إلى عملكم واتركوا السياسة لأهلهـا.. إن مثـل هـذا الكلام الـذي يـدعو النـاس للتخلي عن السياســة وتركهــا إلى الظلمــة، تركهــا إلى أميركــا والاتحاد السوفيتي وأمثالهما كي يتسنى لهم نهب ثرواتنا وخيراتنـا، كي يتسـنى لهم أن ينهبـوا ثـروات المسـلمين والمستضـعفين، إن مثـل هـذا الكلام تخريـف وسـذاجة. وقـد ضـحكوا بـه على عقـول الناس، بأن اتركوا السياسة لنا واذهبوا أنتم إلى مساجدكم)[2]

ويعقب على ذلــك بــرفض كــل الروايــات الــتي تــدعو إلى السـلبية، لمعارضـتها للقـرآن الكـريم، يقـول: (إن هـؤلاء الـذين يقولون ببطلان كل راية ترفع وكـل حكومـة تقـوم، يتصـورون بـأن قيـام كـل حكومـة هـو خلاف لانتظـار الفـرج. إنهم لا يفقهـون مـا يقولون، وإنما تم تلقينهم بـأن يقولـوا مثـل هـذا الكلام.. إن غيـاب الحكومة يعني أن يتكالب الناس على بعضهم البعض. يقتل بعضهم البعض، ويتصرفون بما يتعارض ونص القرآن الكريم.. فإذا فرضــنا بأن هناك مـائتي حـديث في هـذا البـاب، فإننـا نضـرب بهـا عـرض الحائط لأنها تتعارض مع نص القرآن الكريم.. إن كـل حـديث ينص على عـدم وجـوب النهي عن المنكـر، يجب أن يضـرب بـه عـرض الحائط. لأنه لا يمكن العمل بهـذا النـوع من الأحـاديث، وإن هـؤلاء الأغبيـاء لا يعـون مـاذا يقولـون: كـل حكومـة تقـوم هي حكومـة باطلـة!!. بـل لقـد سـمعت أن بعض هـؤلاء يـدعو إلى الكـف عن تهذيب الأخلاق في إيران اليوم، فلم تعد هناك ضـرورة لمثـل هـذا الكلام!!. وهذا يعني أن يكون أسـتاذ الأخلاق في جمـع من الأنـاس الفاسـدين، وأن تكـون أبـواب الحانـات مشـرعة ومراكـز الفسـاد ناشطة. لأنه إذا كانت البيئة صالحة فلا حاجـة لتهـذيب الأخلاق. إن

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 19.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 20.

مثل هذه الدعوات إن لم تكن مغرضة فهي غبية وبلهاء. بيد أن هؤلاء يدركون جيداً ماذا يفعلون ويتطلعون إلى عزلنا عن هذا العالم) [1]

ثم بين أن مصاديق تلك الأحاديث في حال صحتها، لا تنطبق على الوضع في إيران، ولا في الدول الإسلامية، وإنما في العالم أجمع، لأن دور الإمام المهدي هو نشر العدل في جميع العالم، يقول: (أجل، ليس بمقدورنا أن نعمل على سيادة العدل في العالم أجمع، ولو كان بمقدورنا ذلك لفعلنا. ولأننا لا نستطيع أن نفعل ذلك فلا بد من ظهور الإمام المنتظر. العالم اليوم يسوده الظلم ونحن في نقطة من هذا العالم. وإذا كان بمقدورنا التصدي للظلم يجب أن لا نتهاون في ذلك، لأنه واجبنا. الإسلام والقرآن حدد مسؤولياتنا وسن لنا واجباتنا ولكن لا نستطيع نشر العدل في العالم بأسره ولا بد من ظهوره سلام الله عليه. ولكن يجب أن نمهد الطريق له. يجب أن نوفر الأسباب التي تعجل في ظهوره. علينا أن نعمل على تهيئة العالم لظهور الإمام المهدي الموعود سلام الله عليه) [2]

بالإضافة إلى ذلك، فإن دور الإمام المهدي ـ كما يذكر الإمام الخميني ـ هو تحقيق العدل بمفهومه الشامل الواسع، يقول: (إن هذه العدالة ليست كما نفهمها نحن ولا تقتصر على إيجاد حكومة عادلة خالية من الجور بل تتعدى إلى ما هو أكثر من هذا المعنى. معنى يملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت جوراً، هو أن الأرض ملئت جورا وهي تزداد سوءاً، فجميع النفوس الموجودة تعاني من الانحراف. حتى نفوس الشخصيات المتكاملة تعاني من الانحراف ولو من حيث لا تعلم. فالأخلاق يعتريها الانحراف، والعقائد يعتريها الانحراف والأعمال يعتريها الانحراف. ولا يخفى الانحراف في الأعمال التي يقوم بها الإنسان. أنه مأمور بان يعالج كل معوج وأن يعيد كل الانحرافات إلى جادة الاعتدال، ليصدق حقاً (يملأ الأرض عدلًا بعدما ملئت جوراً) [3]

---

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 21.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 22.

وبين الإمام الخميني أن تلك الأفكار السلبية دخيلة على الإسلام، ولا علاقة لها به، بل هي من إنتاج الحكام المستبدين، يقول: (على أية حال إن كل هذه المصائب دخيلة على المسلمين وأن القوى الخارجية تعمل على إشاعتها لكي يتسنى لها نهب ثرواتنا والقضاء على عزة المسلمين. وللأسف إن الكثير من المسلمين آمنوا بذلك.. لكننا عازمون على تمهيد الطريق لظهوره إن شاء الله)[1]

وهكذا نراه في خطاب آخر له يدعو إلى مطالعة كتب الفقه والحديث، والاطلاع على ما فيها من أبواب مرتبطة بالحياة جميعا، وتعطيلها هو تعطيل للشريعة، يقول في ذلك: (أحد إبعاد شخصية الإنسان، أنه يريد أن يعيش حياة اجتماعية في هذه الدنيا المادية، يريد أن يقيم حكومة، يريد تأسيس أشياء أخرى مثلا ترتبط بجانبه المادي، الإسلام ينطوي على قوانين لذلك أيضا، فقد وردت من الآيات والروايات في السياسة ما لم يرد مثله في العبادة مثلا.. لاحظوا أن هناك اكثر من خمسين كتابا فقهيا، سبعة أو ثمانية منها ترتبط بالعبادات والباقي يرتبط بالسياسة والاجتماع والمعاشرة وأمثالها. ونحن تركنا كل ذلك جانبا وتمسكنا ببعد واحد، تمسكنا بأضعف الأبعاد) [2]

وأخبر أن ذلك من تأثير المفاهيم المنحرفة التي أدخلت للإسلام، يقول: (لقد عرضوا الإسلام بصورة مشوهة بدرجة صدقنا نحن أيضا بان الإسلام لا علاقة له بالسياسة! السياسة لقيصر والمحراب لعالم الدين وإن كانوا لا يتركون المحراب لنا) [3]

ثم يردد شعاره الذي يذكره كل حين: (الإسلام دين السياسة، الإسلام له حكومة، أقرأوا عهد الأمير (الإمام علي) وكتابه إلى

---

[3]() وذلك في حديث متلفز له بتاريخ 15 شعبان 1400 هـ، بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي، صحيفة الإمام، ج12، ص: 385.

[1]() المرجع السابق، ج21، ص: 21.

[2]() المرجع السابق، ج6، ص: 41.

[3]() المرجع السابق، ج6، ص: 42.

مالك الأشتر، سوف ترون على ماذا ينطوي الإسلام، طالعوا أوامر الرسول وأوامر الإمام علي في الحروب وفي السياسة ولاحظوا على ماذا تنطوي.. إن لدينا كل هذه الثروات لكننا غير مؤهلين للاستفادة منها، لدينا الثروة، لدينا كل شيء ولكننا لم نبلغ مستوى الاستفادة منها، تماما كما هو حال إيران التي تمتلك كل شيء إلا انهم يعطونه للغير. إن كتبنا وتراثنا الإسلامي غني وينطوي على كل شيء ولكن خبرائهم عرضوا الإسلام علينا بصورة مشوهة.. إن الإسلام له نظام حكم، لا كما هو حال هذه الأنظمة، في الإسلام حكومة، في الإسلام إمامة، فيه خلافة، فقد شكل نبي الإسلام حكومة، وكانت للأمير (الإمام علي) حكومة وولاة، كان لديه كل شيء. كان لهما جيش وقواعد عسكرية ينظم على أساسها الجيش، كان لديهم كل شيء.. لقد قرأنا كل ذلك ولكن ولكثرة ما أوحي إلينا ولكثرة ما قيل لنا اهتموا بشؤونكم واهتموا بصلاتكم ولا شأن لكم بما يفعل أولئك، لكثرة ما قيل لنا ما شأنكم والسياسة، فقد وصل الأمر إلى هذا الحد الذي يجعلنا اليوم نجتمع لإقامة مأتم ها هنا!)[1]

ثم بين أن ذلك كله سياسية استعمارية مدروسة، يقول: (منذ ذلك الحين الذي فتح فيه طريق أوروبا نحو آسيا والشرق وخبرائهم يدرسون ويطالعون، فهم واعون وانا وأنت كنا في نوم عميق في مدارسنا! لقد درسوا أراضي إيران شبرا شبرا ولديهم الآن خرائط عن كل بقعة فيها نفط وكل بقعة فيها نحاس. لقد جاء هؤلاء الخبراء إلى هذه الصحارى القاحلة على ظهر الجمال وذهبوا بحثا عن ثرواتنا وسجلوا كل ما وجدوه.. كذلك كانت مطالعاتهم فيما يتعلق بنا، فادركوا بعد دراسات مطولة بان الأمر الذي يمكن أن يقف بوجههم هو الإسلام وخدمة الإسلام، لذا فقد ضربوا الإسلام وعزلوه حتى عن الأمة الإسلامية وعن خدام القرآن، فحتى بعض خدمة القرآن لا يمكنك أفهامهم بان الإسلام دين سياسة، فربما اعتبروا هذا الأمر نقصا في الإسلام!) [2]

ولا يكتفي الإمام الخميني بهذه التصحيحات المرتبطة

1() المرجع السابق، ج6، ص: 43.

2() المرجع السابق، ج6، ص: 43.

بالجوانب السياسية، وإنما يدعو إلى تصحيح كل الجوانب التي دخلها الانحراف، ومن أهمها ذلك التقصير في الجوانب الأخلاقية والإيمانية، ولذلك دعا إلى إصلاح الحوزة بحيث تهتم بهذه الجوانب.

ومن الأمثلة على ذلك قوله: (يجب أن تحظى الأخلاق في كل زمان ومكان بالاهتمام البالغ. وأعتقد أنه يجب أن يكون لكل شخص منا حوزة كبيرة أو صغيرة، فيلقي درساً في الأخلاق بمقدار دقيقة أو دقيقتين عند البدء أو الاختتام كي ينشأ طلبة العلوم الدينية على الأخلاق الإسلامية)[1]

لكنه مع هذا كله كان يدعو دائما إلى الحفاظ على الفقه والتراث والاهتمام بهما، وبالطريقة التقليدية التي تخرج منها العلماء السابقون، وهذا بعد مهم جدا في شخصيته، فهو ليس كالذين دعوا إلى طرح كل التراث، ورمي كل الأساليب القديمة بحجة التجديد، وإنما جمع بينهما، جمع بين التجديد والمعاصرة في نفس الوقت.

ومن أقواله في ذلك: (حوزات الفقه هذه، هي التي حافظت على الإسلام على مدى ألف وبضع مئات من السنين. لقد بدأ علماؤنا مسيرتهم في الحفاظ على الفقه في عهد الأئمة الأطهار ومازالوا يواصلون جهادهم في الحفاظ على الفقه الإسلامي اليوم. إذا إياكم أن تظنوا بأن الدخول في عالم السياسة سيكون مسوّغا لترك الفقه، بل على العكس تماماً، عليكم متابعة الدراسة وترسيخ أركان الفقه أكثر فأكثر. ومن جهة أخرى على أئمة المساجد أن يتابعوا دورهم في إرشاد الشعب وهدايته. وعلى الخطباء أيضاً أن يحافظوا على منابرهم لوعظ الناس وإرشادهم، وفي نفس الوقت عليهم أن لا يغفلوا عما يجري من حولهم. كي لا نغفل عن أساس حفظ الإسلام فتقل منزلة الفقه في الحوزات العلمية. الفقهاء هم حصون الإسلام المنيعة وهم الذين حفظوا الإسلام. يجب أن يكون اهتمام الحوزة بالفقه أكثر من أي شيء آخر. ولو زالت حوزات الفقه أو تم تضعيفها ـ لا سمح الله ـ لانهارت الرابطة بين الفقهاء والناس. وفي الحقيقة فإن الذي

---

[1] () المرجع السابق، ج20، ص: 159.

حفظ هذه الرابطة وهذه الصلة؛ هم الفقهاء أنفسهم. ولو جاء أشخاص إلى الحوزات واقترحوا بأن لا يكون الفقه بكل هذه التفاصيل، ويدعون إلى الانصراف إلى أمور أخرى على أنها أكثر أهمية، فهؤلاء على خطأ كبير ولعلهم يعملون لمصلحة جماعة معينة)[1]

وهكذا يدعو إلى الحفاظ على كل الإيجابيات الموجودة في المناهج السابقة على عكس الثورات الاستئصالية التي تستغل نجاحها في القضاء على كل قديم، يقول الإمام الخميني: (يجب أن يبقى الفقه على قوته السابقة وإلى جانب الفقه، يجب الاهتمام بسائر العلوم. فالفقهاء كانوا علماء أخلاق يدعون الناس والعلماء وأرباب العلم للتحلي بالأخلاق الكريمة، وعلماء عرفان يدعون الناس إليه ولكن الفقه يبقى الأساس) [2]

وهكذا يدعو في حديث آخر إلى الحفاظ على التراث الفقهي والاهتمام به وطلب العلم من خلاله، وعدم الاغترار بالتجديدات التي قد تضره، فيقول: (على السادة العلماء الأعلام والأساتذة المحترمين الذين ينشدون خير الإسلام والدولة الإسلامية أن يحذروا بشدة لئلا تخدعهم المظاهر والشكليات وينحرف اهتمامهم عن الأهداف الأساسية والمهمة للحوزات العلمية المتمثلة في الاشتغال بالعلوم الإسلامية الشائعة لا سيما الفقه على طريقة السلف الصالح. وحذار من أن يحول ــ لا سمح الله ــ الاشتغال بالمبادئ والمقدمات دون تحقق الغاية الأصلية وهي بقاء ونمو بحوث العلوم الإسلامية لا سيما الفقه على طريقة السلف الصالح وعظماء المشايخ أمثال (شيخ الطائفة) ونظرائه، ومن المتأخرين أمثال (صاحب الجواهر) والشيخ الأعظم (الأنصاري)، فإذا ما فقد الإسلام ـ لا سمح الله ـ كل شيء وبقي فقهه بالطريقة الموروثة عن الفقهاء العظام، فإنه باستطاعته أن يواصل نهجه وطريقه، ولكن إذا ما توفر له كل شيء وضاع منه فقهه على طريقة السلف الصالح هذه، فإنه لا يستطيع مواصلة طريق الحق وسوف

---

[1] () المرجع السابق، ج13، ص: 18.

[2] () المرجع السابق، ج13، ص: 18.

يمنى بالانحراف)[1]

4 ـ التصحيح الديني والانفتاح:

من أهم المفاهيم الدينية التي أحياها الإمام الخميني بين المسلمين، بل في العالم أجمع، ذلك الانفتاح الذي جعله لا يكتفي بإصلاح بلده، ولا في حصر مشروعه وثورته فيها، وإنما في تعميمها على العالم أجمع.

وبذلك يكون قد طبق كلا خاصيتي الإسلام: شموليته، حين دعا إلى تطبيق الإسلام في جميع المجالات.. وعالميته حين دعا إلى بث مفاهيمه في جميع العالم، ابتداء من العالم الإسلامي.

كما طبق كل خواصه الأخرى، من الواقعية والربانية وغيرها، كما رأينا ذلك في الجزء السابق، حيث حول من النظم الإسلامية نظما واقعية، وليست مجرد أطروحات نظرية.

وأحاديثه في هذا الجانب كثيرة جدا، ومن أمثلتها قوله ـ مخاطبا مسؤولي الجمهورية الإسلامية ـ: (وليعلم مسؤولونا بأن ثورتنا غير محدودة بحدود ايران، بل إن ثورة الشعب الإيراني هي نقطة انطلاقة ثورة العالم الإسلامي الكبرى التي يحمل لوائها الإمام الحجة أرواحنا فداه.. وليعلم المسؤولون بأنه إذا ما أعاقتهم المسائل الاقتصادية والمادية عن أداء المهام الملقاة على عاتقهم ولو للحظة واحدة، فسيترتب على ذلك خطر عظيم وخيانة كبرى. لذا يجب على حكومة الجمهورية الإسلامية أن تبذل كل ما في وسعها في تلبية احتياجات الشعب على أفضل نحو، غير أن ذلك لا يعني التغافل عن أهداف الثورة العظيمة المتمثلة في إقامة حكومة الإسلام العالمية)[2]

وفي خطاب آخر له، وضح السياسة الإيرانية في هذا الجانب، فقال: (يجب أن نسعى بكل وجودنا للتواصل مع شعوب العالم ومتابعة قضايا المسلمين وهمومهم ودعم المناضلين والجياع والمحرومين، وان نعتبر ذلك من مبادئ سياستنا الخارجية.. إننا

---

[1] () المرجع السابق، ج17، ص: 260.

[2] () المرجع السابق، ج21، ص: 297.

نعلن بـأن الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة تعتـبر نفسـها الحـامي والملاذ للمسـلمين الأحـرار في العـالم. وباعتبارهـا حصـناً منيعـاً لا يقهر، تعمل إيـران على توفـير احتياجـات جنـد الإسـلام وتـوعيتهم بالمباني العقائدية والتربويـة للإسـلام، وبأصـول وأسـاليب النضـال ضد أنظمة الكفر والشرك)([1])

وبناء على هذا كان الإمام الخميني يرسل خطاباته للمسلمين في جميـع أنحـاء العـالم، باعتبـاره ولي أمـرهم، ومن الأمثلـة على ذلك قوله في خطاب موجه للحجيج قال: (وعليكم أن تأخذوا بنظر الاعتبار أن هذا التجمع الكبير، الذي يحدث بأمر الله تعالى كل عام في هذه الأرض المقدسة، يوجب عليكم أيتهـا الشـعوب الإسـلامية أن تبذلوا جهودكم في طريق أهداف الإسلام المقدسة، والأهــداف السامية للشريعة المطهرة، وفي طريق تقدم وسـمو المسـلمين، وتضامن المجتمع الإسلامي وتلاحمه. عليكم أن تتحـدوا في الفكـر وتتحالفوا في طريق الاسـتقلال، واستئصـال سـرطان الاسـتعمار. وان تستمعوا إلى مشاكل الشعوب المسلمة من لسان أهالي كـل بلد، ولا تألوا جهداً في طريق حل مشاكلهم. وأن تجدوا حلًا لفقراء البلاد الإســلامية ومســاكينها. وتفكــروا في طريــق لتحريــر ارض فلسطين المسلمة من مخـالب الصـهيونية العـدو اللـدود للإسـلام والإنســانية. ولا تغفلــوا عن مســاعدة الرجــال المضــحين الــذين يناضلون في سبيل تحرير فلسطين، والتعاون معهم)([2])

وهو يذكر كل حين أن هذا الانفتاح على العالم هو الذي يحقق أهداف النبوة، يقول: (ذلك اليوم الذي تتحقق فيه أهـداف الإسـلام وأهداف نبي الإسلام في جميـع الـدول الإسـلامية سـيكون مباركـاً وأن لا يكون ذلـك مجـرد شـعار فقـط لا يتعـدى الألفـاظ. في هـذا الوقت الذي صار فيه تغير كبير من حيث الدول الإسـلامية ويقظـة المستضعفين واستقلال كثير من الدول. نحن المسلمون من حيث العـدد من أكـبر الأعـداد إذا كنـا معـاً وثرواتنـا من أكـبر الـثروات وأفرادنا أشخاص عظام وبارزون آمل أن نجتمع بالوحدة الإسلامية وتحت رايـة تعـاليم القـرآن، وفي نفس الـوقت الـذي نتمتـع فيـه

---

[1]() المرجع السابق، ج21، ص: 86.

[2]() المرجع السابق، ج2، ص: 304.

بالاستقلال في دولنا نكون جميعنا مجتمعين تحت راية الإسلام والتوحيد ولا نفسح المجال للقوى الكبرى للتحكم بدولنا بحيث نكون نحن تحت راية دولهم تابعين لهم)[1]

وفي حديث له ــ بمناسبة شهادة مرتضى مطهري ــ قال مخاطبا بعض زواره الذين جاءوا لتعزيته، بعد أن تحدث عن الشهادة والتضحية ودورها في إقامة العدل: (لقد كانت هذه النهضة من أجل الهدف الإسلامي، وليس إيران فقط، غاية الأمر أن نقطه البداية كانت من إيران وجميع المسلمين شركاء في هذا الهدف.. إن النهضة كانت من أجل إقامة العدل، فلابد من القول بأن الجميع شارك فيها، ولأنها من أجل إحياء الإسلام فالمسلمون شركاء فيها أيضاً.. ولذلك فإنه يجب على جميع المسلمين أن يساهموا وبصوت واحد في هذه النهضة الإسلامية العظيمة، عسى أن يتحقق لدى الشعوب المعنى الذي تحقق في إيران، وهو التضحية في سبيل الإسلام، ووحدة جميع فئات الشعب من أجل نجاح أهداف الإسلام، وإذا تحققت مثل هذه الوحدة للكلمة مع هذا الهدف الكبير ألا وهو إقامة العدل، إذا ما تحقق ذلك، في الدول الإسلامية الكبيرة فإنها ستكون قوة عظيمة ولن تستطيع أية قوة الوقوف في وجهها حتى ولو كانت قوة عظمى)[2]

وفي خطاب آخر له بتاريخ 8 جمادى الأولى 1399 هـ أمام وفد من دول عربية مختلفة قال: (لا تتوقعوا أن تقوم الحكومات بعمل لصالحكم. لقد نصحت الحكومات العربية لأكثر من 15 عاما وحثثتهم على الوحدة لإنقاذ القدس، إلا أن ذلك لم يؤثر فيهم مطلقاً، لان مثل هذه الأمور لا تخطر على بالهم أبدا وهم إذا ما تحدثوا حول عن ذلك فحديثهم يشبه إلى حد كبير الاحاديث التي كان يتبجح بها الشاه المخلوع فيما يتعلق بالتقدم والحضارة الكبرى.. فهؤلاء لا يخطر على بالهم التفكير بالشعوب، وعلى الشعوب ذاتها أن تفكر بمصالحها. ولو تقرر أن نقف بانتظار ما تقوم به الحكومات من أجلنا لبقينا على حالنا من التخلف ولبقي الشاه المخلوع يحكمنا. لقد واجهنا نحن بقوة الإيمان التي تحققت

[1] () المرجع السابق، ج14، ص: 23.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 153.

لشعبنا، واجهنا تلك القوى وانتصرنا بحمد الله وقضينا عليهم)

ثم بين لهم ضـرورة النهضـة والثـورة على الاسـتبداد والظلم لتحقيق المشروع الإسـلامي في كـل البلاد الإسـلامية، فقـال: (إذا أردتم التغلب على مشـــاكلكم، إذا أردتم إنقـــاذ القـــدس وإنقـــاذ فلسطين وإنقاذ مصر وسائر الدول العربية من أيدي هؤلاء العملاء ومن أيدي الأجانب، فـان على الشـعوب أن تنهض، على الشـعوب أن تقوم بهـذا الأمـر وأن لا تبقى بانتظـار قيـام الحكومـات بـذلك، فتلك الحكومات لا تتحرك الا لما يحقق مصالحها)[1]

وبين لهم ضـــرورة التضـــحية لتحقيـــق ذلـــك، فقـــال: (على الشعوب أن تثور، على الشعوب أن تدرك أن سرّ النصر يكمن في تمــني الشــهادة، وفي الأعــراض عن الحيــاة الماديــة والدنيويــة والحيوانية. إنه السر الذي يمكّن الشعوب من التقـدم السـر الـذي أشار إليه القرآن وجعل العـرب، أضـعف النـاس آنـذاك، يبسـطون سيطرتهم على بقاع كثيرة)

ودعــاهم إلى الرجــوع للقــرآن الكــريم والإســلام المحمــدي الأصيل، لأنه الكفيل بتوفير كل الشروط المؤدية إلى ذلك، يقــول: (لقد صاغ القرآن الإنسان، صاغ إنسانا إلهيا يمكنه الانطلاق بقـدرة إلهية والتغلب على أقوى الإمبراطوريات في اقل من نصف قرن.. علينا أن نعثر على هذا السـر، علينـا أن نتبـع القـرآن، ينبغي إيجـاد الإنسان القرآني، وعلى الشعوب أن تسـتلهم القـرآن حـتى تتمكن من التقدم.. ولـو أن الشـعوب أرادت انتظـار النتـائج من الألاعيب السياسية، والاجتماعات العادية والجلسات التي تعقـدها المحافـل السياسية، فانهم لن يحققوا شـيئا أبـدا.. على الجميـع أن يتوحـدوا ويصـبحوا نموذجـاً للإنسـان الإلهي المجاهـد في سـبيل اللـه، فـاذا اصبحوا كذلك سيتقدمون.. إنني أوصي كافة الشعوب والمسـلمين والعــرب الراغــبين في التغلب على مشــاكلهم أن يــتربوا تربيــة إسلامية وأن يتحركوا طبقا لنهج الإسلام وأن يكون القرآن هـاديهم وإمـامهم. إذا أصـبحت الأمـور كـذلك فـانهم سـيتغلبون على كافـة العقبات. وفي غير ذلك وإذا أرادوا التحرك طبقا للموازين العاديــة والمعادلات السياسية فـان الحكومـات مسـلطة عليهم والشـعوب

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 397.

لن تحقق شيئا يذكر)[1]

ثانيا ـ الثورة الإسلامية، ومواجهة الاستبداد:

المطلب الثـاني، والـذي نجـد حضـوره القـوي في خطب وبيانات قادة الثورة الإسلامية، هو مواجهـة الاسـتبداد الـذي كـانت تعاني منه إيران في عهد نظام الشاه.

وقد استعمل هؤلاء القادة، وخصوصا الإمام الخميـني والإمـام الخـامنئي كـل مـا يصـلهم من معلومـات وحقـائق لبيـان الأضـرار الكبيرة الـتي يلحقهـا النظـام المسـتبد بحيـاة النـاس، وفي جميـع مجالاتها المادية والمعنوية.

ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميني في بعض خطبـه: (عليّ أن أقول ـ ولعلكم أيها السـادة تعرفـون أفضـل مـني ــ بـأن الأسرة البهلوية لم تبق شـيئا تقريبـا لإيـران خلال الخمسـين عامـا من حكمها الأسود، أي أنها قضت على ثرواتنـا البشـرية والماديـة. فالجامعات التي ينبغي أن تعد لنا الطاقات البشرية جعلت بشـكل متخلف، وأمروا أن لا يسمحوا بإعـداد إنسـان كامـل ومفيـد فيهـا. وأما ثرواتنا المادية التي تزخر بها أراضينا كالنفط فقد أعطوه لهذا وذاك واخذوا في مقابله مـا لا ينفعنـا، بـل إنهم أقـاموا في مقابلـه قواعد لأمريكا. أي أنهم اعطوا نفطنـا وجلبـوا في قبالـه أسـلحة لا نحسن استخدامها لعدم وجود خبراء لدينا كي يأتوا بخبرائهم، وكـل ذلك تحت ذريعة التسـلح والاسـتعداد لمواجهـة دول العـالم.. كـان ذلك حتى يقولون للاتحاد السوفيتي إذا ما اعترض على إقامة تلـك القواعد بأن هذه القواعـد قواعـد إيرانيـة وأن الأسـلحة الموجـودة فيهـا هي من أمـوال النفـط، لكن الحقيقـة غـير ذلـك ولم تكن الأسـلحة بـأموال النفـط بـل إنهم اسـتولوا على نفطنـا وأقـاموا لأنفسـهم قواعـد هنـا. وهـذه احـدى الجـرائم الـتي يجب أن يثبتهـا التاريخ)[2]

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 398.

[2] () ألقي الخطاب بتاريخ 8 ربيـع الأول 1399 هــ بطهـران، المدرسـة العلويـة، صـحيفة الإمام، ج6، ص: 68.

فهذا الخطاب يلخص الكثير من المعاني التي كـان يسـتعملها قادة الثورة الإسلامية لبيان واقع الاسـتبداد الممـارس على إيـران من طرف الشاه، والقوى العالمية التي تدعمـه، ومن خلالـه يمكن اكتشاف نوعين من الاستبداد، أو أثرين كبيرين من آثاره.

أولهما: الآثار المادية للاستبداد، والمرتبطة بالاقتصاد والتضيق على معيشة الناس ومكاسبهم.

ثانيهمـا: الآثـار المعنويـة للاسـتبداد، والمرتبطـة بالسـلوك والأخلاق والنواحي الثقافية والاجتماعية وغيرها.

وقـد أشـار إلى كلا النـوعين من الاسـتبداد قولـه تعـالى في الإخبـار عن جـرائم فرعـون: ﴿إِنَّ فِرْعَـوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَـلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4]؛ فالآيـة الكريمـة تشـير إلى ممارسات المستبدين في كل الأزمنـة، والـتي لا تشـمل الجـوانب المادية فقط، وإنما تشمل الجوانب المعنويـة أيضـا، بـالتفريق بين الناس، وإشاعة المنكرات بينهم.

وبناء على هذا، سنحاول في هذا المطلب ذكـر بعض أحـاديث قادة الثورة الإسلامية في ذلك، لنبين من خلالها أمرين:

أولهما: مـدى عدالـة تلـك المطـالب وشـرعيتها، وذلـك مـا يعطي للثورة مصداقية كبيرة.

ثانيهما: مـدى إدراك قـادة الثـورة الإسـلامية للواقـع الـذي يعيشه الناس، ومشاركتهم فيه، واستثمارهم له.

1 ـ المضار المادية للاستبداد:

ونتيجة لوضوحها وأهميتها وارتباطها بحياة النـاس، نـرى قـادة الثـورة الإسـلامية يهتمـون بعرضـها كـل حين، وربمـا تكـون بدايـة الثـورة قـد انطلقت منهـا، وذلـك عنـدما أعلن الشـاه مـا يسـمى بالثورة البيضـاء (9/1/1963م)، والـتي اسـتطاع علمـاء الـدين أن يكتشفوا ما ينجر عنهـا من مخـاطر تمس الاقتصـاد الإيـراني، كمـا تمس بنيته الاجتماعية، وتجعله تابعا للغرب.

وقد فعلوا ذلك على الرغم من أنها تبدو للوهلـة الأولى حلـولا ناجعة للأوضـاع الاقتصـادية المترديـة في البلاد، لكن تلـك النظـرة السطحية تتجاهل عمق الفساد المرتبط بالمؤسسات الـتي كلفت بـإدارة تلـك الثـورة، والـتي يمكن أن تحـول منهـا وسـيلة للابـتزاز والنهب والسرقة والتغريب.

وقد كان موقف علماء الدين حازما من تلك الثورة لمعرفتهم بما سيؤول إليه تطبيقها، وقد ذكر المؤرخون أن آية الله روح اللـه كمال وند ـ وهو من علماء خرم آباد ـ التقى بالشـاه بعـد اجتماعـه بعلماء قم، وأبلغه معارضة علماء قم لما يُسمى بالإصلاحات والتي هي مخالفة للإسلام، لكن الشاه كان يعتـبر بقـاءه مرهونـاً بعمليـة الاستفتاء التي فُرضت عليه، كما أنه لم يكن يتوقع ظهور شخصـية بارزة في المؤسسة الدينية لتقف في وجهه، ولهـذا فقـد أبلـغ آيـة الله كمال وند أن هذه المواد يجب أن تطبق، وقال(: إن لم أطبـق هذه المواد فسأنتهي، وسيتسلّم السلطة أُناس لا يؤمنـون بكم ولا بنهجكم، بـل سـيهدمون هـذا المسـجد على رؤوسـكم ويقضـون عليكم)(1)

وربما يكون هذا الموقـف من العلمـاء هـو الـذي أثـار الشـاه، وجعلـه يشـعر بخطـر المؤسسـة الدينيـة في قم، ولهـذا حـاول أن يحتـال عليهم، وقـال: (إذا وافـق علمـاء الـدين على برنـامجي الإصلاحي هذا ولم يضعوا العقبات في طريقه؛ فأنـا أعـدهم بـأنني سـألبي أي طلب أو حاجـة لهم فيمـا يخص الحـوزة!)، ثم قـال: (عليهم أن يتعلمـوا حب الملـك من علمـاء السـنّة الـذين يـدعون لملوكهم بعد كل صلاة، لكن ما الذي يفعله علماؤنا) (2)

فردّ كمال وند عليـه بقولـه: (إن علمـاء السـنة هم موظفـون لدى الحكومة، ودعاؤهم لرؤسائهم وملوكهم هو جزء من واجباتهم الإدارية. أما علماء الشيعة فلم يكونوا في يوم من الأيام مـوظفين لدى الحكومة أبداً)

وفي ذلك الحين برز موقـف الإمـام الخميـني، وبـدأت ثورتـه

1() تاريخ ايران السياسي (ص: 19)

2() المرجع السابق، (ص: 20)

بفعل مواجهته القوية لها، وقد جعل الكثير يلتف به بسبب ذلك الموقف، في نفس الوقت الذي جلب له عداء الشاه، مما عرضه للاعتقال والنفي.

ومن الأمثلة على مواقفه حيال تلك الثورة قوله في حديث له يحذر فيه من عواقب الاستفتاء الشعبي على مشروع الشاه، وذلك بحضور آية الله روح الله كمال وند، وعدد من علماء قم: (لينتبه السادة أن المستقبل سيكون مظلماً مع الوضع الذي استجد، وأن مسؤوليتنا ثقيلة وصعبة، فالحوادث التي نراها تعرض اسم الإسلام إلى خطر الفناء، وقد حيكت مؤامرة دقيقة ضد الإسلام، وضد أمة الإسلام وضد استقلال إيران. ولابد من الالتفات إلى أن هذه الحادثة لا يمكن مقارنتها مع فتنة (اللائحة) والتعامل معها بالمعيار نفسه، فتلك الفتنة كانت ترتبط ــ فيما يبدو ـ بالوزارة الممسكة بزمام الأمور، وأن مواجهتنا كانت تستهدف تلل الوزارة. كما أن الهزيمة التي حدثت إنما حدثت لوزارة في دولة وهزيمة الوزارة، بل حتى سقوطها، ليس بالأمر الجدي للنظام الحاكم، فسقوط الوزارة لا يعرض أسس النظام للانهيار، بل إنه قد يكون أحياناً علاجاً تلجأ إليه الأنظمة لتحكيم استقرارها وحفظ وجودها، غير أن الأمر في هذه المرة مختلف تماماً، فطرف الصراع الذي يجب أن يقف إزاءنا لنخاطبه ونحاسبه هذه المرّة، هو الشاه نفسه الذي يعيش خيار الحياة أو الموت. فكما صّرح هو أن تراجعه في هذه المسألة يعني سقوطه وهلاكه، فهو مكلف بتنفيذ هذا المشروع بأي ثمن ليس فقط لا يفكر بالتراجع، بل سيقمع كلّ معارضة بكل ما يملك من قدرة ووحشية. ولذا لا يتوقّع تراجع النظام في هذه المرة مثلما حصل في فتنة المجالس المحلية)[1]

لكنه ـ مع بيانه لخطورة المعارضة ــ راح يدعو لها باعتبارها التكليف الشرعي المرتبط بذلك الوقت، فقال: (غير أنه في الوقت ذاته علينا أن نعلم أن المعارضة والكفاح من واجباتنا الضرورية، لأن الخطر الذي يهدد عامة الشعب أكبر من أن نستطيع الوقوف منه موقف اللامبالاة والتجاهل.. لقد أقدمت السلطة على مؤامرة واسعة وشاملة، وقامت بسلسلة من

[1] () صحيفة الإمام، ج1، ص: 146.

الأعمال الخادعة والمضللة لاستغفال الشعب وخداعة. فاذا لم نسع نحن في المقابل إلى توعية أبناء الشعب، والحيلولة دون وقوعهم في الشراك المنصوبة لهم من قبل الاستعمار، فسوف تتعرض الأمة الإسلامية للفناء. وستصبح ضحية للخديعة والانحراف. وفي هذه الحالة لن يقضى على علماء الإسلام ــ لا سمح الله ـ فحسب، بل سيكونون مسؤولين بين يدي الله ـ تبارك وتعالى ـ وسيعاقبون لأنهم رأوا الهوة بأعينهم، ولم يبادروا لتحذير العُمي من السقوط فيها، فضلًا عن أنهم سيقعون ضحية للخديعة والانحراف)[1]

ثم بين نوع المسؤولية المناطة بهم في ذلك الموقف، وهي التي طبقها في حياته الثورية جميعا، فقال: (إذا ما استطعنا أن نوقظ الشعب، ونطلعه على مؤامرات الشاه هذه، وسعينا للحيلولة دون انطلاء الحيلة عليهم، وتخديرهم من الوقوع تحت تأثير خطط الشاه الخادعة، فسوف نهزمه بالتأكيد.. إننا لا نريد دخول حرب آلية تحتدم فيها الدبابات والمدافع، فيقول البعض: إن ذلك ليس في وسعنا، وماذا يمكن للقبضة الخالية أن تفعل مقابل السلاح.. إن أعظم عمل يتسنى لنا أداؤه هو توعية الشعب وإيقاظه، وحينها سترون القوة العظيمة التي ستتوفر علينا وليس بوسع المدفع والدبابة منافستها، وفي الوقت نفسه الطريق محفوفة بالمخاطر ومعقدة، وعلى الذين يرون تكليفهم الشرعي يكمن في استمرار المواجهة، تقويم الأمور مختلف أبعادها وعواقبها المحتملة، ليروا مدى قدرتهم على المقاومة والثبات في المصائب والشدائد التي من الممكن أن تصيبهم في هذا السبيل)[2]

وهذه الخطة التي ذكرها أمام العلماء لمواجهة الشاه هي التي استخدمها بعد ذلك في الثورة عليه، ولهذا نراه كثيرا ما يذكر الجوانب الاقتصادية وإسراف الشاه وضنك المعيشة التي يعاني منها الشعب، وذلك مما جعله ممثلا للشعب، ومطالبه المشروعة.

---

[1] () المرجع السابق، ج1، ص: 147.

[2] () المرجع السابق، ج1، ص: 148.

وللأسف نجد أمثال تلك الدعوات في البلاد العربية، وفي ذلك الحين يتولاها الكثير من الشيوعيين، نتيجة انصراف الإسلاميين عن الاهتمام بأمثال هذه الأمور.

ومن النماذج على ذلك، ما ورد في حديث له عن جرائم الأسرة البهلوية خلال خمسة عقود، وذلك في جمع من العلماء ومن الإيرانيين المقيمين في دولة الإمارات العربية المتحدة وبعض الإماراتيين ــ وذلك بغرض إطلاعهم على الواقع الإيراني إبان عهد الشاه، ومن قبله من المستبدين: (تعلمون انهم قضوا على زراعتنا بشكل كامل، ونحن الآن محتاجون للآخرين في جميع المجالات، لقد قضوا على ثروتنا الحيوانية وسلموا مراتعنا إلى الأجانب أو انهم أجّروها لهم. أمموا غاباتنا فمنعوا عنها أبناء الشعب وسلّموها للأجانب، هذا ما فعله النظام البهلوي. ضعوا يدكم الآن على أي مكان في البلاد فستجدونه مدمر. لقد تركوا لنا خربة وحملوا كل ما لدينا وذهبوا. وهذه الحكومة ترث خرابة يعمها الدمار وينبغي إعادة بناءها من الأساس.. لقد مارسوا تضليلا إعلاميا كبيرا بحيث أن دول الخليج كانت تعتقد بان رحيل الشاه سيؤدي إلى اضطراب العالم اجمع! وفي إيران أيضا ثمة حثالة لا تزال تعتقد بذلك وهؤلاء سيفهمون لاحقا ماذا صنعت هذه الأسرة بهذا الشعب. لقد نهبوا ثروات الشعب وأخذوها معهم. ففي عهد رضا شاه نقلت حقائب كثيرة مليئة بالمجوهرات معه حينما وضعوه في سفينة ونفوه. أخذوه بسفينة هو والمجوهرات إلى بريطانيا! وفي عهد هذا وقبل أن يذهب جمعت هذه الأشياء الثمينة ونقلت، جمعت المجوهرات ونقلت، لقد نهبوا كل شيء تقريبا)[1]

ثم تحدث عما فعله المستبدون بالنفط الإيراني، وهو حديث يكرره كثيرا، وفي المجالس المختلفة، لأهميته ودوره في التوعية والتنوير، يقول: (إن أهم الثروات التي يمتلكها هذا البلد هو النفط، الذي يعتبر ثروة للبلاد وينبغي أن تنتفع به الأجيال القادمة، ولكن لو أن هذا الشاه بقي عشرين عاما أخرى لما بقيت قطرة نفط واحدة. فهو ذاته كان يقول باننا لا نملك نفطا لأكثر من عشرين وبضعة أعوام.. ذلك لانهم فتحوا أنابيب النفط وسلموها للغير

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 233.

وماذا أخذوا في مقابله مثلا من أمريكا التي تعتبر النمـوذج البـارز، أعطوها النفـط وفي المقابـل أقـاموا قاعـدة لهـا، لا انهم أعطونـا أسلحة! هذا هو ظاهر القضية أعطونا أسـلحة في مقابـل النفـط.. أعطونا أسلحة! أسلحة لا يمكننـا اسـتعمالها! ليس هنـاك من أحـد في بلادنـا الآن يتقن اسـتخدام هـذه الأسـلحة، لقـد اعطـوا هـذا الأسلحة لتكون قاعدة لهم فاذا ما نشبت حرب بينهم وبين الاتحـاد السوفيتي فان إيران ستكون قاعـدة لهم. وقـد أقـاموا العديـد من القواعـد. أخـذوا النفـط وفي المقابـل اعطـوا عوضـا لتحقيـق مصالحهم! فاصبح كلاهمـا في جيـوبهم. لقـد ارتكبـوا خيانـة كهـذه بحق هذه البلاد) [1]

وهكذا نراه يتحدث كثيرا عما فعله الاستبداد بالزراعة، وكيـف حـول إيـران إلى دولـة تسـتورد طعامهـا من غيرهـا بسـبب سـوء تسييره لهذا الجانب الاقتصادي المهم، ومن الأمثلة على ذلك قوله في خطاب له بتاريخ 25 شوال 1399 هـ أمام أسر شهداء الثـورة الإسلامية: (إنهم ـ يقصد الشـاه ومن معـه ــ كـانوا يريـدون خـداع الناس بأن يفرّحوا أنفسهم بأنّ بلادنـا سـوف تكـون صـناعية وأننـا سـوف نصـل إلى مسـتوى القـوى العظمى بعـد سـنة أو سـنتين ونصبح مثل اليابان.. اليابان التي سبقت أميركـا في صـناعتها.. إن هؤلاء الذين كانوا يقولون بأننا سنكون مثل اليابان، مـاذا عملـوا؟.. إن ذلك الذي كـان ينبغي أن يكـون في إيـران والـذي هـو أسـاس اقتصـاد البلاد، أي الزراعـة، قـد دمـرت، وحينمـا دمـرت الزراعـة برزت مشكلات أخرى)

ثم يفصل في ذكر تلك المشاكل التي انجرت عن ذلـك، ممـا يدل على ما ذكرناه سابقا من علمه التام بكـل مـا تقتضـيه قيادتـه من علوم، ومن تلك المشاكل ما عبر عنها بقوله: (إننا تحولنـا إلى سوق لاستيراد البضائع الأميركية، وهـذا يعـني أن الحنطـة والغلات الأخرى التي كانت بكميات كبيرة لديهم وإذا لم يتم بيعهـا لابـد من التخلص منها إما بإحراقها أو إلقائهـا في البحـر، كـانوا يبيعونهـا لنـا بأسعار باهظة ويستولوا على أموالنا) [2]

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 234.

[2] () المرجع السابق، ج10، ص: 11.

ومنها ما عبر عنه بقوله: (والمشكلة الأخرى، أنها دفعت الفلاحين للهجرة من أنحاء إيران إلى طهران والمدن الأخرى. فهذه الأحياء الفقيرة التي ترونها في اطراف طهران، والتي تتكون من الأكواخ وبيوت الصفيح، كان أبناؤها يعملون في الزراعة. ولما تم تدمير الزراعة، ترك هؤلاء أراضيهم على أمل أن يجدوا العيش الرغيد في المدن الكبرى. فكم كانوا مغفلين.. إن هؤلاء المعدمين الذين يعيش كل عشرة منهم في جحر صغير، ولا أدري هل رأيتم جحورهم أم لا؟ لقد رأيتها مرة أو أكثر في التلفزيون وهي تبعث على الأسف لأنها ليست أكثر من جحر كان يخرج منه الأطفال والكبار. هؤلاء هم المزارعون الذين أرادوا أن يجعلوا منهم أسيادا. لقد دمروا حياتهم بالكامل.. لقد قضوا على الزراعة تحت شعار إننا نريد إلغاء الإقطاعية وتحويل الرعية إلى أسياد!) [1]

ثم بين الإمكانات الزراعية لإيران عندما تجد حسن التسيير، فقال: (إن بلدنا من حيث الزراعة كان بوسعه أن يحقق الاكتفاء الذاتي، بل ويصدر الفائض لأنه يمتلك أراضي زراعية شاسعة وخصبة. فإذا وجدت زراعة صحيحة في هذا البلد، يمكن القول بأن أذربيجان وحدها تكفي لتوفير احتياجات البلد، ويجب تصدير الفائض منها. والشيء نفسه يصدق على إقليم خراسان) [2]

ثم يذكر بأسف ما حصل لإيران بسبب تلك السياسات الاقتصادية الفاشلة، فقال: (لقد كانوا يتبجحون في عهده ــ ولا أعلم هل قرأتم في الصحف أم لا؟ ــ بأننا استوردنا القمح والشعير! لقد سحقوا البلد من هذه الجهة وهم يصرخون بأننا اشترينا القمح والشعير من أميركا ولن نموت هذا العام من الجوع!) [3]

2 ـ المضار المعنوية للاستبداد:

[1] المرجع السابق، ج10، ص: 12.

[2] المرجع السابق، ج10، ص: 12.

[3] المرجع السابق، ج10، ص: 12.

باعتبار أن الثورة الإسلامية الإيرانية ثورة شاملة، لا تهدف فقط إلى تحقيق الرفاه، ولا العدالة الاجتماعية، وإنما تريد أن تطبق القيم الإسلامية في الواقع بجميع مجالاته، نلاحظ اهتمام قادتها، بآثار الاستبداد على القيم والأخلاق والثقافة ونحوها.

ومن يتتبع كلمات إمامي الثورة الإسلامية الخميني والخامنئي يجد هذا النوع من الاهتمام، بحيث لا يكاد يخلو خطاب أو بيان أو رسالة تصدر عنهم، إلا وتتضمن هذه الجوانب.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في خطاب له بتاريخ 25 شوال 1399 هـ، قال فيه: (لقد قلتم بأن ثقافتنا تعاني من نقص، ترى أي مكان لدينا لا يعاني من نقص؟! لقد سعوا كي لا يدعوا هذه البلاد تنمو إنسانياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، وكانت مهمتهم على مرّ التاريخ وخلال السنوات الخمسين ونيف الأخيرة (من حكم الأسرة البهلوية) تتمثل في إبقائنا متخلفين، ولم يسمحوا لنا بامتلاك جامعة أو مدرسة ثانوية أو أي مركز يتخرج منه الواعون من الناس)[1]

ثم ذكر كيف احتال رضا خان على الشعب بتظاهره بالتدين في البداية، ثم محاربته له، مثلما يفعل الكثير من الطواغيت، فقال: (لقد جاء رضا خان أول الأمر بوجه إسلامي، فكان يحضر مجالس العزاء في شهر محرم، وبعد أن قويت شوكته بدأ بممارسة الدور الذي أنيط به وكانت أولى مهامه القضاء على علماء الدين، فالمدرسة الفيضية التي كانت كل غرفها تغص بالطلبة آنذاك أصبح فيها طالبان أو ثلاثة، لم يكونوا يستطيعون البقاء في الغرف نهاراً فكانوا يتوجهون قبل طلوع الشمس إلى الحدائق العامة بالمدينة ويرجعون في أواخر الليل، لأن قوات الشرطة تأخذهم لتجريدهم من زيهم الديني.. أما بالنسبة للجامعات، ونظراً إلى أنهم لم يكن بمقدورهم اتباع الأسلوب نفسه، فقد لجأوا للتعامل معها عن طريق الدعايات، وتعليم المعلومات التي تخالف المنهج الصحيح، لعدم قدرتهم على مهاجمتها بذلك الشكل. وكانت لديهم خطط استعمارية، إذ كانوا يعتقدون أن هاتين القوتين (علماء الدين والجامعيين) إذا ما

[1] () المرجع السابق، ج10، ص: 9.

امتلكوا القدرة فإن من الممكن أن يلتحق بهم سائر أبناء الشعب ولا يسمحون بتنفيذ الخطط، ومن هنا كانت أولى خططهم القضاء على علماء الدين والجامعيين!) [1]

وهكذا يذكر عن الشاه(محمد رضا) بأنه مارس نفس أساليب المستبدين قبله، فقال: (إنهم عطلوا الطاقات الإنسانية في هذه البلاد وعملوا على تخلفها. وقد روي لي أن الشهادات التي كانت تمنح لشبابنا الموجودين في أميركا وأوروبا في عهده، تختلف عن تلك التي يمنحونها لطلبتهم! إنهم كانوا يمنحون الشهادات لشبابنا بسرعة (وإن لم يتعلموا شيئاً)، بينما كانوا يدققون كثيراً بالنسبة لشبابهم. وربما قيل لي هذا مراراً! فلماذا؟ لكي لا يسمحوا لنا بامتلاك تلك القوة، إنهم يخشون هذه القدرة كما هم يخشون علماء الدين والجامعيين) [2]

وهكذا يذكر ما فعله الشاه مستعينا بالغرب لإفساد المجتمع تحت اسم الحرية، يقول: (لقد حدث الآن تحول في بلادنا والحمد لله، فتلاحظون أن النساء قد أدركن أن شعار (حرية المرأة وحرية الرجل) كله تضليل وخداع! فلم يكن الرجال أحرارا ولا النساء، ولا كانت الإذاعة حرة ولا الصحافة! والحرية التي كانوا يريدونها للبلاد كانت تجر الشباب نحو الفساد. ولازال البعض من الكتّاب يقترحون مثل هذه الحرية! إنني أسمّي هذه الحرية، الحرية المستوردة الاستعمارية، أي إنهم يقدمون هذه الحرية هدية للبلدان التي يريدون ربطها بالغير، فالهيروويين مباح والخمور مباحة وأماكن الفساد حرة، وكان من طهران حتى شميران ـ كما قيل ـ مئات أماكن الفساد بأسوأ أشكاله! كل ذلك مباح.. أما حرية القلم والبيان فلا! أن الحرية التي يتحدثون عنها هي أن تكون محلات بيع الخمور أكثر من محلات بيع الكتب، وذلك لجر شبابنا نحو مراكز الفحشاء.. وعندما يكون الطريق مفتوحاً والإعلام مسخراً فإن الشباب يساقون إلى ذلك الاتجاه، وعندما تساق الجماعات التي ينبغي أن تكون مؤثرة لصالح البلاد نحو الرذيلة،

[1] () المرجع السابق، ج10، ص: 9.

[2] () المرجع السابق، ج10، ص: 10.

فسوف لن تتمكن من التفكير فيمن ينهب نفطنا) [1]

ثم يـرد على تلـك المفـاهيم الخاطئـة الـتي كـان ينشـرها المستبدون، والتي يربطون فيها الحضارة بالانحراف أو بـالتغريب، فيقول: (إن الروحانية لا تعـارض التقدميـة، وإنمـا تعـارض تقدميـة محمد رضا وتعارض (بوابة الحضارة) هذه الـتي دمـرت مـا عنـدنا! وتعـارض الحريـة الـتي يتحـدث الشـاه عنهـا، أي (حريـة المـرأة والرجـل) ولا تعـارض حريـة البيـان والقلم ولا الـوعي والصـناعة!. أسسوا الصناعة، فمن يعارضكم؟! أما قضية معامل صـهر الحديـد والتي أقاموها قبل عدة سنوات، وها هم يقولون الآن بأنه إذا أردنا أن لا نتضرر فلابد من العمل لعدة سنوات أخـرى! إننـا رأينـا منهم سوءاً، وإننا كمن لدغته الحية فصار يخاف من الحبـل الأبلـق! إننـا نخاف من اقتراحاتهم لأننا رأينا منهم سوءاً، إننا لم نـرهم يومـاً مـا يسـعون لتعليمنـا الصـناعة! فيمـا دمـروا من جهـة أخـرى زراعتنـا وثقافتنا، وجعلوا جيشنا تابعاً، وفروا بما يمكنهم حمله من أموالنـا) [2]

وهكذا يرد على تلك المفاهيم التي تربـط الثقافـة بـالتغريب، ويـبين أن الإسـلام لا يعـارض الثقافـة ولا الفنـون، وإنمـا يعـارض الفساد، يقـول: (إنّ مـا يخالفـه الإسـلام هـو اسـتدراج النـاس إلى الشهوات (النفسية). فإذا تكلم علمـاء الإسـلام عمـا آلت إليـه دور السينما، ذلك لأن السينما الموجودة في إيـران اليـوم هي لإفسـاد جيـل الشـباب. فـإن كـانت السـينما أخلاقيـة وعلميـة، من الـذي يمنعهـا؟! ولكننـا نـرى بـدءاً بالسـينما حـتى المـدارس في بلادنـا استعمارية! فإننا نغلق أبوابها! إن صار المسجد أحيانا كـذلك نسـد بابه أيضا! إن النبي الأكرم ﷺ هدم مسجداً اتخذوه ضراراً وقد بني لمعارضة الرسول ﷺ، وكان يقوم بالدعاية اللاأخلاقية وأمثال ذلـك فاذا كان هناك مسـجداً يسـتغل للإضـرار بالإسـلام ولم يتسـن لنـا إصلاحه، فإننا سنعمل على إغلاقه، فما ظنك لـو كـانت احـدى دور السينما تمارس ذلـك؟ فنحن عنـدما نعـارض السـينما نعـارض في الحقيقة السينما المنحرفة وليس السينما بصـورة مطلقـة.. لمـاذا

[1] () المرجع السابق، ج10، ص: 11.

[2] () المرجع السابق، ج10، ص: 13.

نعارض السينما؟ فإذا كانت السينما أخلاقيـة ولتربيـة شـبابنا، فهي إحدى طرق التربية، وإنها كالمعلم أو المدرسة)[1]

وعلى هذا المنهج نرى الإمام الخامنئي يذكر ـ بتفصيل شـديد ـ كل الجرائم التي مارسها الاستبداد في إيـران لتحطيم المجتمـع، وتيسير استعباده واستغلاله بعد ذلك.

ونحب أن نسـوق هنـا بعض مـا ذكـره من ذلـك، لنـبين مـدى إدراك قادة الثورة الإسلامية لجذور الفسـاد، وعلاجهم الحكيم لهـا، وتذكيرهم الشعب الإيراني كل حين بما وقع له سابقا، حتى لا يقـع في نفس الفخـاخ لاحقـا، أو كمـا عـبر الإمـام الخـامنئي عن ذلـك بقولـه: (التـأريخ عنصـر ينبغي أن نتعلمـه، فـإذا أردنـا أن نتلمس موقعنا في الوقت الحاضر، ونعرف أين نحن الآن، علينـا أن نحيـط بالتاريخ، نعرفه ونعيه، الإحاطة بالتأريخ، بإدراكـه ومعرفتـه ووعيـه، أمر مهم)[2]

ولهـذا نـراه يـذكر الخطـط الـتي وقعت في التـاريخ الإيـراني لإبعـاده عن العلم والتطـور التقـني، واسـتدراجه للفسـاد، ثم نهب ثرواته بعد ذلك، لأن الفساد المعنوي هو الطريق الأقـرب للفسـاد المادي.

يقول مؤرخا لذلك: (نحن بلد عاش تخلفاً مريعـاً عن مسـتوى التقـدم العلمي والتكنولـوجي في العـالم ومـا شـهده العـالم من تطـوّر. وقـد نــزل بهـذا البلـد من قبـل السـلاطين خلال القـرنين الماضيين ظلماً فادحاً فقد تركونا نتخلـف عن القافلـة، ولم يـدعوا العلم والثقافـة والمعـارف تنفـذ إلى البلـد بشـكل سـليم، فناصـر الدين شاه القاجاري على سبيل المثال، كان يبغض اسـم القـانون ويتنفر منه، وكـان يكـره للإنسـان أن يغـادر إلى الخـارج ثم يعـود، وينفر من تدفق المعارف والمعلومات من الخارج. وكل مـا حصـل إنهم بادروا لأيام قلائل لممارسة بعض الأعمال بدوافع طارئة، بيــد أنهم تراجعوا عنها حينما قدّروا بأنها يمكن أن تعود عليهـا بالضـرر،

---

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 32.

[2] () تضاد الثورة الإسلامية مع النظام السلطوي العالمي، ص22.

وبذلك أبقونا بمنأى عن المعارف والعلوم)[1]

ثم يذكر ما حصل في عهد الأسرة البهلويــة، فقــال: (حين آل الأمر إلى أسرة بهلوي، ازداد الحال سوءاً، إذ جـرّت هـذه الأسـرة الشعب إلى الشهوات، وسلطت عليه تلـك التيـارات الفاسـدة من الثقافة الغربية، وعملت على إشاعتها بـدلاً من الضـروب المفيـدة في تلك الثقافة.. حينما ذهبنا إلى أوروبا وأخـذنا منهم العلم، عـدنا إلى بلـدنا بمواصـفات جديـدة حيث أضـحت شخصـيتنا شخصـية شهوية.. بلا وجدان وضمير.. فاقدة للإرادة، تاركة للـدين. فمـا هي يا ترى المنافع التي تعود على الناس من هذا العلم؟ ومن الحالات الأُخرى إن بعضهم ذهب إلى أوروبا وأفاد من علومها فعلاً، ولكنهم عندما عادوا لم ينفعوا بلـدهم بشـيء، بـل بقيت البلاد على حالهـا. هـذه أيضـاً من سـيئات ذلـك العهـد. وهي من سـيئات السـلاطين الذين مسكوا زمام البلد لقرنين على الأقـل، ولم يكونـوا يفهمـون شيئاً، سـوى مصـالحهم الذاتيـة الخاصـة.. لقـد وقـف الشـعب في مكانه دون أن يتقدم في العلوم، مع جميع مـا يتحلى بـه من ذكـاء وخلفية في العلم والثقافة، بـدءاً من عهـد فتح علي شـاه ومحمـد علي شاه وناصر الدين شاه وانتهاء بالمجرمين الكبيرين رضا خـان وولده محمد رضا، حتى سبقه الآخرون في مضـمار التقـدم سـواء كانوا من منافسيه وأعدائـه أو من الشـعوب الأخـرى الـتي قطعت شوط التقدم مرقاة بعد أخرى)[2]

ويـذكر كيـف سـعت كـل الممالـك الاسـتبدادية الـتي حكمت إيران إلى إزالة كل القيم الـتي تربطـه بدينـه، فقـال: (إذا اطلعتم على تأريخ أواخر العهد القاجاري لـرأيتم كـثرة المسـيحيين الـذين جاءوا من أوروبا إلى إيران بهدف التنصير. وقـد كـان مثلهم كمثـل اللص المبتدئ، فلم يوفقوا، لأنهم لم يحسنوا اختيار المنطقة الـتي يمكن للمسيحية أن تـروج فيهـا.. طـبيعي لا نسـتطيع أن نقـول أن أصحاب الرساميل والشركات العالميـة والنـاهبين الـدوليين، كـانوا يعتقـدون حقـاً بالسـيّد المسـيح؛ فمن أين لهم أن يعرفـوا السـيّد

---

[1] () خطاب السيد القائد في لقائه لمجموعة من الحوزويين والجامعيين. 28/9/1369..

[2] () حديث السيد القائد في لقائه مع مسؤولي محافظة جهار محال وبختياري، في شـهر كرد، 16/7/1371..

المسيح؟ بل كان أول سعيهم حينما يحطون في محيط اجتماعي يظهر المجتمع فيه عقله بثقافته الوطنية ويدافع عن حيثيته، أن يستأصلوا تلك الثقافة. تماماً كما تفعل عدة من الجنود حينما تهجم على قلعة محصنة، فهي تتعرض أولاً لقواعد القلعة، فتنهار الجدران بعد ذلك تلقائياً. فهم يفعلون كلّ ما يقود إلى إضعاف جدران القلعة، ويمكن أن يبادروا إلى تنويم أهل القلعة (استغفالهم)[1]

وهذا ما فعلته الأسرة البهلوية، يقول: (وحين آل الأمر على أُسرة بهلوي، فقد ارتكبوا من الفعال ما هو أسوأ بكثير مما ارتكب في العهد القاجاري. فأسرة بهلوي ضربت على قواعد الثقافة الذاتية الخاصة للشعب وزلزلت أركانها، وأنشبت أظافر التخريب فيها، حتى حلت الثقافة المستوردة بدلاً من الثقافة الخاصة، ونفذت في أغلب مرافق حياتنا وشؤونها.. كان شعبنا ملتزماً على طوال قرون الحضارة الإسلامية، برعاية الآداب في طبيعة العلاقة بين المرأة والرجل.. لكنهم مارسوا كل الأساليب لتحطيمها.. لقد كانت مجالس الأشراف وبلاطات الملوك والأمراء ومن يقع على شاكلتهم، هي وحدها التي تشهد مجالس اللذة والطرب والفحشاء، حيث تمضي الليالي الحمراء حتى الصباح بهذه الخطايا.. لقد سعى الأوروبيون ــ الذين لا تغلق باراتهم طوال الليل والنهار ـ أن يدفعوا مجتمعنا صوب هذه العادات المشؤومة الفاسدة. حينما تعودون إلى تاريخ أوروبا، تجدونه مكتظا دوماً وبجميع عهوده وسنيه وأشواط تمدنه بالفساد. وقد أرادوا أن يدفعوا بهذا النهج إلى البلد، ففعلوا كلّ ما بمقدورهم أن يفعلوه)[2]

ثم أشار إلى بعض الفضائح التي قام بها الملوك المستبدون في إيران، بغية تحطيم المجتمع، وسلخه من هويته، فقال: (لكم أن تلاحظوا الآن **مقدار الفضيحة** التي تنطوي عليها ممارسة ملك قام باستبدال الزي الوطني لشعبه مرَّة واحدة دفعةً! إذا

---

[1] () حديث السيد القائد في لقائه مع العاملين في أجهزة الاتصال الجامعي..

[2] () حديث القائد في لقائه مع العاملين في أجهزة الاتصال الجمعي ورؤساء مناطق التربية والتعليم. 21/5/1371..

ذهبتم إلى أقصى نقاط الدنيا، كالهند مثلاً تجدون أن الشعوب لها زيَّها الوطني وهي تفتخر به، ولا تشعر بالخجل أو العار منه. ولكن هؤلاء غيّروا الزي الوطني ومنعوه مرة واحدة، لماذا؟ زعموا أن الإنسان لا يكون عالماً مع هذا الزي! في حين نجد أن أبرز العلماء الإيرانيين، الذي لا زالت آثاره تدرس في أوروبا، عاش بهذه الثقافة وأمضى حياته بهذا الزي.. لقد استبدلوا الزي الوطني ومنعوا ارتداء الحجاب. وقالوا إنّ المرأة لا تستطيع أن تتحوّل إلى عالمة مع الحجاب (العباءة) ولا يمكن أن يكون لها مشاركة في الفعاليات الاجتماعية!)[1]

وهكذا ذكر جرائم الأسرة البهلوية الكثيرة في حق المجتمع الإيراني، فقال: (لقد وضع رضا خان ـ هذا الطاغية الأمي المتجبر ـ نفسه أُلعوبة بيد الأعداء. فغيّر الزي الوطني واستبدل الكثير من الآداب والسنن السائدة بين الشعب، ومنع مزاولة الفعل الديني، وزوى بالدين جانباً.. مارس جميع هذه الفعال بالقوة ـ كما تعلمون جميعاً ـ وتحوّل إلى شخصية محبوبة لدى الغرب، لم يكن محبوباً من قبل الرأي العام في الغرب، أو أبناء الشعوب الغربية، وإنما أضحى محبوباً من قبل السلطويين والساسة الغربيين)[2]

وبذلك أتاحت هذه الأسرة ــ كما يذكر الإمام الخامنئي ـ الفرصة للغزو الثقافي بجميع مظاهره وصوره، يقول: (من هذا الموقع انطلق الغزو الثقافي ضدّ الإسلام والشعب الإيراني، واكتسب أشكالاً مختلفة. وقد اتخذ الغزو أبعاداً خطيرة في السنوات الأخيرة في عهد أسرة بهلوي البغيضة، وبالتحديد في الفترة بين 20ـ 30 سنة الأخيرة، مما لا يسعنا الآن توضيحه)[3]

ثم يوضح أن القصد الأكبر من الثورة الإسلامية هو مواجهة هذا النوع من الاستبداد، والذي لا يقل خطرا عن الاستبداد الاقتصادي، يقول: (.. يعنينا أن نشير إلى أن الثورة الإسلامية جاءت لتكون بمثابة ضربة محكمة في صدر العدو، اضطرته

1() تضاد الثورة الإسلامية مع النظام السلطوي العالمي (ص: 26)

2() المرجع السابق، (ص: 27)

3() المرجع السابق، (ص: 28)

للتراجع، ومن ثم أذنت بتوقف عجلة الغزو.. شاهدتم أوائل الثـورة التحوّل المفاجئ الذي حلّ بالشعب، حيث شهدنا تغييرات أساسية في أخلاقيــات النــاس، حصــلت في غضــون مــدة قصــيرة من الانتصار.. تضاءل الطمـع وتجلّت روح الإغضـاء والعفـو والتجـاوز.. كما اتسعت روح التعاون.. حصلت انعطافه كبـيرة صـوب الـدين.. ازدادت القناعة وقتـل الإسـراف.. أخـذ شـبابنا يفكـرون بالفعاليـة والعمل.. كثير من الذين اعتادوا الحيـاة في المـدن قفلـوا عائـدين إلى القرى، وكان لسان حالهم: لنذهب إلى القـرى ونعمـل ونتتج.. قلّت الأعمال الكاذبة التي كانت تنشب كالعشب الضار في الحيـاة الاقتصادية للناس.. لقد ارتبط هذا التحوّل الثقافي بالسنين الأولى من عمـر الثـورة، بمعـنى أنـه اقـترن مـع توقـف جهـود العـدو عن الاستمرار بغرس الثقافـة والأخلاقيـات الفاسـدة. شـهدنا في تلـك المـدّة نوعـاً من التوجـه الخـاص نحـو الإسـلام.. صـوب الثقافـة والأخلاق والآداب، حتى نبضت في ضمائر شعبنا مجـدداً الخُلقيـات الإسلامية)[1]

ثالثا ـ الثورة الإسلامية، ومواجهة الاستكبار:

المطلب الثالث، والـذي يـدل على عالميـة الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، وكـون قادتهـا لا يفكـرون في تخليص إيـران فقـط من استبداد الشاه، وإنما في تخليص جميـع المستضـعفين في العـالم، مواجهــة الاســتكبار والمســتكبرين في أي مكــان، وخصوصــا إذا تعرضوا للمستضعفين.

ولذلك نرى الثورة الإسلامية إلى الآن، وبعـد أربعين سـنة من انتصارها، تحمل نفس الشعارات الثورية، وتلقب أمريكا الشـيطان الأكبر، وتدعو بالموت لها ولإسرائيل ولجميع قوى الطغيـان، وذلـك لكون تلك الشعارات لم تكن مجـرد شـعارات ثوريـة، وإنمـا كـانت معاني حقيقية.

وهكذا نرى قادة الثـورة الإسـلامية ومسـؤوليها يتحـدثون كـل حين عن الممارسات الاستكبارية في إيـران أو غيرهـا من الـدول،

[1] () حديث القائد في لقائه مـع العـاملين في أجهـزة الاتصـال الجمعي ورؤسـاء منـاطق التربية والتعليم، 21/5/1371..

وذلك حتى يملؤوا الشعب الإيراني ببغض المستكبرين والحذر منهم وعدم الانسياق وراء مخططاتهم، وهي تدل على وعي كبير وتفكير استشرافي كبير، ذلك أن المستكبرين الذين نهبوا ثروات الإيرانيين في عهد الاستبداد، وحاصروها وحاربوها بعد الانتصار، لا يمكنهم أن يتخلوا أبدا عن مطامعهم وكيدهم ومكرهم، لذلك كان وعي الشعب بجبروتهم ضروريا حتى يتجنب الوقوع في حيلهم، مثلما وقع للشعوب العربية التي استطاعت بالثورة على المستعمر أن تتخلص منه، ولكنها ــ وبسبب عدم اهتمامها بهذا البعد ـ أعادت المستعمر من جديد، وبأثواب أخرى، لا تقل قتامة عن الأثواب السابقة.

وقد اعتبر الإمام الخامنئي هذا النوع من المواجهة من الأصول الكبرى التي قامت عليها مدرسة الإمام الخميني، حيث قال: (الأصل الخامس يرتبط بالبُعد الخارجي، حيث كان الإمام يقف بصراحة في الجبهة المناهضة للقوى الدولية المتغطرسة والمستكبرة دونما مراعاة ومجاملة. وحين يقف عتاة العالم والمستكبرين والقوى المتسلطة في مواجهة المظلومين، كان الإمام إلى جانب المظلومين، ويصرّح بذلك دون مواربة وتقية. وكان مدافعًا جادًا عن المظلومين، ومقاوما لا يهون في عدائه للمستكبرين.. إن مصطلح [الشيطان الأكبر] في وصف أمريكا كان إبداعا مدهشًا من إبداعات الإمام، ولهذا التعبير [الشيطان الأكبر] امتدادات معرفية وعملية كثيرة. إذ أنّ تعاملك سيكون واضحًا ومشاعرك ستكون جلية في حق ذلك الشخص أو الطرف الذي تعتبره شيطانًا. وكان الإمام يحمل نفس هذا الشعور تجاه أمريكا حتى آخر حياته، إلى جانب استخدامه تعبير الشيطان الأكبر، فإنه كان يؤمن به إيمانًا راسخًا) (1)

بناء على هذا سنذكر هنا موقفين مهمين من قادة الثورة الإسلامية يتعلقان بهذا الجانب، ابتدأ معهما من أيام الثورة الأولى، ولا يزال موجودا إلى الآن، وهما:

1 ـ التحذير من مؤامرات الاستكبار العالمي.

(1) كلمة الإمام الخامنئي دام ظله في الذكرى السادسة والعشرين لرحيل الإمام الخميني، شبكة المعارف الإسلامية.

2 ـ الوقوف مع المستضعفين ودعوتهم لمواجهة الاستكبار.

وســنتحدث عن بعض التفاصــيل المرتبطــة بهمــا من خلال العنوانين التاليين:

1 ـ التحذير من مؤامرات الاستكبار العالمي:

من خلال مطالعتنا للواقـع الإسـلامي لا نجـد أمـة من النـاس تمثلت فيها كل تلك الآيات التي تدعو إلى البراءة من المستكبرين وعدم موالاتهم، مثلما نراه في إيران وقادتها، والـذين كلفهم ذلـك الموقف الكثير من التضحيات، ومع ذلك لم يهتمـوا ولم يبـالوا، ولا يزالون إلى الآن يرفعون راية التبري من الاستكبار.

وسر ذلك التبري يرجع إلى يقينهم بأن كـل المـؤامرات الـتي حصلت لإيران، أو حصلت للعالم الإسلامي سببتها تلك القوى التي أمرت الأمة بألا تداهنها، أو تستسلم لها، ولهذا نرى الإمام الخميني وغــيره من قــادة الثــورة الإســلامية يؤمنــون بنظريــة المــؤامرة، ويشرحونها بكل دقة، حتى تفرق الشعوب بين أصدقائها وأعدائها.

ومن الأمثلة على ذلـك مـا جـاء في خطـاب للإمـام الخميـني فترة نفيه في باريس، أمام جمع من الطلبة والإيرانيين، فقـد قـال فيه: (إن أوضاع البلدان الإسلامية سيما تلك التي تمتلـك الـثروات كإيران ـ التي تعد في طليعة هذه البلـدان ــ كـانت موضـع دراسـة القوى الكبرى، فهؤلاء السياح الـذين قصـدوا الشـرق منـذ حـوالي ثلاثمائـة سـنة، كـانوا مبعـوثين سياسـيين جـاءوا لدراسـة البلـدان الشرقية، فدرسوا جميع المدن والقرى والثروات الطبيعية دراسـة دقيقة حتى الصحاري والفيافي التي تخلوا من الماء والزرع تماماً، ذهبوا إليها على الابل ودرسوها ووضعوا الخرائط لها وتعرفوا على مكامنهـا من الـذهب والنحـاس والنفـط والغـاز.. درسـوها بدقـة ورسـموا الخرائـط وحـددوا الأمـاكن ومـا يفيـدهم وسـجلوا حولهـا الملاحظات)[1]

وقد كانت دراستهم الدقيقة والمفصلة لواقـع لتلـك البلـدان ـ كما يذكر الإمـام الخميـني ــ مقدمـة للتعـرف على مـواطن قوتهـا

---

[1] صحيفة الإمام، ج4، ص: 18.

وضعفها، تمهيدا لنهب ثرواتها، يقول في ذلك: (مع مرور الوقت ازدادت خبراتهم ومعلوماتهم، حتى أن معلوماتهم باتت اكثر من معلومات الأهالي انفسهم. وقد سجلوا كلّ ما عرفوا عن نفسيات قبائلنا التي كانت في إيران مثل قبيلة البختيارية والقشقائية والشاهسونية. ورسم الخبراء خرائط جميع القرى من القرى الجبلية النائية إلى بقية القرى، وأينما وجدوا ما يمكن ابتلاعه سجلوه واعدوا انفسهم لنهبه)[1]

ثم ذكر عن نفسه أنه كان في همدان، فجاءه أحد الأصدقاء بخريطة كبيرة، عينت عليها جميع قرى همدان، وكانت عليها نقاط كثيرة. وقال له: إن هذه النقاط الملوّنة إشارة إلى وجود المناجم في هذه الأماكن لم يستخرج منها شيء لحد الآن.

وكان أخطر ما في تلك المعلومات ــ كما يذكر الإمام الخميني ـ ما يرتبط بالتمهيد للاستعمار والسلب والنهب، يقول: (ثم قاموا بعد ذلك بدراسات نفسية لكيفية الوصول إلى تلك المناجم الغنية في البلاد الإسلامية دون أن يواجهوا معارضة، ودرسوا هذا المجال كثيراً. وقد وجد هؤلاء في البلاد الإسلامية أمرين يشكلان حائلًا وسدّاً أمام أهدافهم وطموحاتهم. الأول هو أساس الإسلام. فان طبّق الإسلام كما هو وكما أراده الله تبارك وتعالى فسيقضي على المستعمرين. والآخر هو علماء المسلمين، فان كانوا أقوياء لا يستطيع أولئك الاستغلال كما يحلو لهم. فالعلماء على صلة بجميع طبقات الشعب، وإذا كان بين الشعب من يتمتع بالقدرة فهو من هؤلاء، ولذلك مهدوا لتحطيم هذين السدين بيد الشعب، من خلال الدعاية التي قاموا بها منذ الأزمنة السابقة. فاذا ما حطموا هذين السدين الخطيرين، فان ما عداهما من الأخطار يمكن التغلب عليها بسهولة)[2]

أما مخططاتهم المرتبطة بالجانب الأول، فهي تحويل الإسلام من دين يتعلق بمظاهر الحياة جميعا إلى دين مرتبط بالأحوال الشخصية فقط، مثلما هو الحال في المسيحية وغيرها من

---

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 19.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 20.

الأديان، يقول: (أما فيما يتعلق بالإسلام، فقد أشاعوا أولا بان الإسلام رسالة ترتبط بالدعاء وبعلاقة الناس بالخالق ولا شأن للإسلام بالحكومة ولا بالسياسة. وقد توسعوا في هذه الدعاية إلى الحد الذي اعتقد كثير من العلماء قائلين: ما شأن عالم الدين والسياسة؟ وما شأنه بالحكومة ونظام الحكم؟ فليذهب العالم إلى المسجد يصلي صلاته ويدرّس دروسه ويعلّم الناس الآداب الشرعية) [1]

وسبب ذلك ـ كما يذكر ـ هو أنهم (رأوا أن صلاة علماء الدين والصلاة في الإسلام لا تضرّ بهم؛ فلا يكون لهم شأن بالنفط، وليصلوا ما شاءوا حتى يتعبوا. وليدرسوا وليناظروا ما شاءوا، ولا شأن لهم بتنفيذ السياسة الاستعمارية هنا. وقد بالغوا في أسماع الناس هذه الدعاية حتى اعتادوا عليها تقريباً. ولازال الاعتقاد بأنه ليس من شأن العلماء التدخل بالسياسة وبحث وضع الحكومة وما يعمل هؤلاء الظلمة بالناس) [2]

ولم يكتف المستكبرون بذلك ــ كما يذكر الإمام الخميني ـ وإنما راحوا يصورون الدين بكونه مخدر الشعوب، وأنه يدعو للرجعية والتخلف، و(بالتدريج اعتقد الجميع حتى المسلمون انفسهم وبعض علماء الدين وطلبة العلوم الدينية بأن ما يرجع إلى الف عام ونيف لا يمكن تطبيقه اليوم.. وهكذا عرّفوا الإسلام للمجتمعات الإسلامية. كما بدأوا بالدعاية ضد علماء الدين وطلبة العلوم الدينية أيضا، بأنهم أشخاص عاطلين وليس لديهم عمل سوى اخذ أموال الناس والعيش بها) [3]

والخميني يرد بشدة على هذه الدعاوى التي أسس عليها المستكبرون غزوهم للعالم الإسلامي بالمطالبة بالعودة إلى أصول الدين ومصادره ومحال القدوة منه، فيقول: (يجب علينا مطالعة القرآن ولو مطالعة عابرة ــ إذ لا ضرورة للتدقيق فيه ـ لنرى هل أن الأنبياء الذين كانوا يدعون الناس (إلى دينهم) قد

[1] المرجع السابق، ج4، ص: 20.

[2] المرجع السابق، ج4، ص: 21.

[3] المرجع السابق، ج4، ص: 22.

أضعفوا جمهور الناس؟ هل كانوا يخدعونهم؟ هل كانوا عملاء للقوى الكبرى؟.. ولنطالع القرآن نفسه مرة أخرى لنرى هل أن القرآن جاء لتعليمنا الأوراد والأدعية والأحراز وأمثال ذلك. أم انهم لم يفهموا؟ فإذا طالعتم القرآن ستجدون أنه يدعو إلى التحرك والنشاط اكثر من بقية الأمور. ستشاهدون عدداً كبيراً من الآيات تحرّض الناس على القتال. قتال مَن؟ ذوي القوى. وفيه آيات كثيرة حول كيفية الحرب. إذ كانت الحروب في صدر الإسلام بين ذوي القدرة ونبي الإسلام ﷺ.. القرآن كتاب يحث على التحرك اكثر من أي شيء آخر. كتاب يبعث الحركة في الناس. القرآن اخرج الناس من الخمود إلى الحركة وجعلهم يواجهون الطغاة) [1]

ثم ضرب النماذج على ذلك بمواقف رسول الله ﷺ وإخوانه من الأنبياء من المستكبرين، فقال: (والرسول الأكرم ﷺ ـ عندما كان في الحجاز ــ واجه أصحاب القدرة، حيث كان بعضهم من التجار ذوي النفوذ والقدرة في مكة، وبعضهم من أثرياء الطائف كأبي سفيان وأمثاله الذين كانوا يعيشون كالسلاطين والأمراء وكانوا يمتلكون كلّ شيء. إذ تصدى نبي الإسلام ﷺ لهم. وعندما قدم المدينة لم يكن مع المثرين لتخدير المجتمع، بل كان مع الفقراء لإيقاظهم. وقد أثار الفقراء على الأغنياء الذين كانوا يبتلعون أموال الناس ويظلمونهم. لقد كانت حروب الرسول ﷺ كثيرة وكلها كانت مع أصحاب القدرة والمثرين والظلمة.. وإذا القينا نظرة إلى ما قبل ذلك، لرأينا سيدنا موسى عليه السلام حمل عصاه وواجه فرعون، لا أن سلطان مصر أرسله لتخدير الناس. بل أثار الناس على فرعون عصره بالعصا وبدعوته.. أما النبي إبراهيم عليه السلام فقد رفع فأسه وحطّم أصنام النبلاء وتصدى للإشراف من اجل عامة الناس والحيلولة دون ظلمهم. وقد كانت الأمور المعنوية ـ دون ريب ـ المنطلق الأساس في هذه الدعوات. ولكنهم عندما كانوا يرون أن هناك ظلماً يمارس في المجتمع، كانوا يرون أن من الواجب عليهم مواجهة الحكّام الظلمة ومحاربتهم) [2]

---

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 22.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 22.

ثم يذكر أن المستكبرين ـ على الرغم من كل تلك البراهين ـ نجحوا في تخدير الشعوب، (فقد غفل المسلمون عن مسؤولياتهم نتيجة لدعايات هؤلاء، حيث هبّ المسلمون لمحاربة الإسلام دون أن يلتفتوا إلى ذلك.. فهذا هو معنى من يقول ما علاقة الإسلام بواقع الحياة.. إنها حرب مع الإسلام. أنه جهل بالإسلام. إن من يقول ما شأن الإسلام والسياسة؟ هو حرب ضد الإسلام وعدم فهم له، فمثل هذه المسألة مطروحة بين المسلمين انفسهم، وكأن حرب قامت وتقام ضد الإسلام) [1]

وهكذا يذكر للمسلمين جميعا والشيعة خصوصا بأن أئمة أهل البيت كانوا جميعا محاربين للاستكبار، ويستعملون كل الوسائل لمواجهته، يقول: (في الوقت الذي كان أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) حاكماً كان قد ابتلي بالحرب الداخلية ورأى أن لم يقم بهذه الحرب فسيقضي معاوية على الإسلام. إذ كان معاوية حاكماً في الشام وكان يحيا كالسلاطين، لديه جيش وكافة الإمكانات. وكان الإمام علي بن أبي طالب على رأس السلطة الروحية وسيد الروحانيين، وحينما يأتي ليقاتل، يأتي للإعمار والتعريف بالخلافة، فانه لا يعمل على تخدير الناس كي يأتي أصحاب القدرة والنفوذ لابتلاع هؤلاء الفقراء.. وقد قاتل أيضا. ومع مَن؟ مع معاوية الجالس في الشام. إذ أن وجوده كان يهدد الإسلام، وكان يعمل على استعباد الناس وظلمهم)[2]

وهكذا ـ كما يذكر الإمام الخميني ــ فعل سائر الأئمة، فقد (قُتل أئمتنا جميعاً لانهم كانوا يعارضون جهاز الظلم الحاكم، ولو أنهم جلسوا في بيوتهم يدعون الناس لحكم بني أمية وبني العباس لكانوا محترمين ومبجلين. غير أن أئمتنا رأوا أن ليس بوسعهم حشد الجيوش لعدم توفر مستلزمات ذلك، لذا لجأوا إلى العمل السري، مما دفع السلطات إلى سجنهم. حتى أن احدهم امضى عشر سنوات في الحبس. فهل كانوا يسجنونهم لصلاتهم وصيامهم؟ وهل سجنوا الإمام موسى بن جعفر لأنه كان يصلي ويصوم؟ أم أنه كان يدعو الناس لأتباع هارون الرشيد، والتزام

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 22.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 23.

الصمت مهما رأوا من ظلمه؟ أم أن الموضوع لم يكن كذلك. انهم كانوا يسجنون هؤلاء ويقتلونهم ويبعدونهم، لانهم كـانوا يـرون فيهم خطراً يهدد الحكومة. ولهذا سجنوهم وقتلوهم ونفوهم) [1]

وهكذا يذكر عن العلماء الربانيين الذين تحققوا بمعاني الـدين الأصيل، يقول: (لقـد كـان علمـاء الـدين يعارضـون دائمـاً أصـحاب السلطة. فإذا رأيتم أحيانا شخصاً أو عدة أشخاص داهنـوا أصـحاب السلطة، فانه إما منحرف وليس له علاقة بالإسلام. أو أنه يرى أن الظروف غير مواتية ليعمل بتلك الصورة) [2]

وهكذا نجد الإمام الخميني في كل خطبه يـدعو إلى مواجهـة الاسـتكبار والحـذر منـه ومن مخططاتـه، ويعتـبر ذلـك من أركـان الدين الكبرى، ولذلك لم يكن يثق أبـدا في أي شـيء يصـدر منـه، ومن الجهات المنتسبة إليه، وذلـك مـا يفسـر الكثـير من مواقفـه، ومن أمثلتها موقفه من الاقتراحـات المتواليـة للمنظمـات الدوليـة ووفود الوساطة، لوقف إطلاق النار، خلال الحـرب المفروضـة من قبــل النظــام العــراقي الصــدامي على إيــران، والــذي يتخــذه المغرضون ذريعـة لكيـل الكثـير من التهم لإيـران وللـولي الفقيـه، دون فهم لما كان يجري بالضبط وسـنتحدث عنـه عنـد حـديثنا عن الموقف من الاستكبار العالمي..

ذلك أن صدام حسين المدعوم من قـوى الاسـتكبار العـالمي لم يكن يتصور أن يجد تلك المواجهة، ولا أن يقع في تلـك الحـرب الطويلة، بل كان يتصور أنه سـيفتح المنـاطق الـتي حـددها وخلال ثلاثة أيام فقط، ثم إنهاء الحرب بعد ذلك مباشـرة، مـع المكاسـب التي يحصل عليها..

وكان الأصل في تلك المنظمات الدولية أن تسـتنكر العـدوان السافر على إيـران، لكنهـا بـدل ذلـك راحت تضـغط عليهـا لقبـول وقـف إطلاق النـار، والـذي لم يكن يعـني في ذلـك الـوقت سـوى تمهيـد الطريــق لينــال صــدام وأعــداء الثــورة مــا لم يسـتطيعوا الحصول عليه خلال الحرب.

1() المرجع السابق، ج4، ص: 24.

2() المرجع السابق، ج4، ص: 25.

وقد أشار الإمام الخميني إلى سبب عدم موافقته على وقـف إطلاق النار، فقال: (إنكم رأيتم ورأينا كيف أن صدّام وبعد كل هذه الجرائم وإراقة الدماء، وقتلـه للأبريـاء يطـالب الآن بوقـف لإطلاق النار، طبعاً هذه حال كل مجرم معتـدٍ بعـد ارتكابـه المجـازر، فإنـه يرغب بتهدئة الأوضاع لفترة من الزمن، كيما يتسنى له الاسـتمرار في سفك الدماء، بعد إعادة تأهيل جيشه ومده بالعتاد الجديـد، من خلال الدعم الذي يتلقاه من الأشرار والمجرمين من أمثالـه، ولكن شعبنا وقواتنا المسلحة لن يتوقفوا عن القتال حتى تحقيـق النصـر النهـائي والانتقـام للجـرائم الـتي ارتكبهـا حـزب البعث الكـافر وسيسـتمرون في الحـرب ببسـالة ولن يعتنـوا بـألاعيب اللصـوص الدوليين ولن يولوها أي أهمية)(3)

وكان هذا الموقف في منتهى الحكمة، ذلك أنه لو قبل الإمـام الخميني وقف إطلاق النار في ذلك الوقت، فهو يعني بقاء الاعتداء الصـدامي في عمـق الـتراب الإيـراني، حيث تضـطر حينئـذ إيـران لإعطاء امتيازات، لتحرير كل شبر من أراضيها المحتلة، وتستجدى من المجامع العالمية ذلك، يقول الإمام الخميني: (أنتم تعلمون أننا منذ أن بدأت هذه الحرب وحتى الآن، سواء في ذلـك اليـوم الـذي كان صدام يدق فيه طبل القادسية وسواء اليوم، حيث لم يعـد لـه اسم، ورحل إلى حيث يعلم الله، إن قضايانا كـانت قضـايا واحـدة؛ والسبب في ذلك أن القضايا التي قلناهـا لم تكن قضـايا كنـا نريـد فرضها، لقد كانت قضايا عنـدما نعرضـها على جميـع عقلاء العـالم وجميع مقاتلي العالم، فإنهم يتقبلونها.. لقد كنـا نقـول منـذ البـدء: إنكم اجتحتم بيتنـا، ومـدننا، وبلـدنا، هاجمتمونـا ودخلتم على حين غفلة بلدنا وتسببتم في كل ذلك الدمار، وارتكبتم كل تلك الجـرائم وكل تلك المذابح، وعليكم أن تخرجوا.. أي إنسان يمكن أن يقـول أن هذا الشرط، هو شرط مفروض؟ لقـد دخـل لص بيتنـا، وسـرق أثاثنا، وجمعها، ثم يقول: تعالوا لنتصـالح، وهـذه الأمـوال لي! هـذه هي الحقيقة؛ لقد كانوا لصوصاً اجتاحوا هذا البلد ونهبوا كل ما كان في هذه المدن.. كـل ذلـك الخـراب غـير المعهـود في أي مكـان.. ونحن نقـول إنكم دخلتم بلـدنا وارتكبتم كـل هـذه الجـرائم، وانتم تدعوننا الآن لأن نتصالح؛ إذا تصالحنا فإن هـذا يعـني أن خوزسـتان

---

(3) المرجع السابق، ج13، ص: 200.

لكم، وأن المقدار الذي نهبتموه لكم. كلا، أبداً، فلا أحد يقبل بذلك، نحن نقول إن عليكم أن تخرجوا دون قيد وشـرط.. فـإن أردتم أن يكون هناك تفاهم، فعليكم أن تخرجوا)[1]

ومثل هذا الموقف موقفه من العلاقة مع أمريكـا بعـد انتصـار الثورة الإسلامية، فعلى الرغم من وجود بعض الثـوار الـذين كـانوا يتمنون استمرار العلاقـة معهـا كـان للإمـام الخميـني رأي مخـالف تماما، وقد وضح موقفه ذلك الإمام الخامنئي، فقـال: (كـان هنـاك منذ بداية انتصار الثورة الإسلامية عـدد من الأفـراد لا يلتفتـون إلى دور أمريكـا في تقويـة دعـائم النظـام الطـاغوتي البهلـوي الـذي أسـقطه الشـعب الإيـراني. فقـد أطـاح أبنـاء الشـعب بالنظـام الطـاغوتي، غـير أن هنـاك جماعـة كـانت توافـق على وجـود الأمريكـيين ومواصـلة نشـاط الإدارة الأمريكيـة أو نشـاط بعض مؤسساتها وأجهزتهـا في داخـل البلـد! حـول هـذا الموضـوع كـان الاختلاف الأصـلي بين الحكومـة المؤقتـة وبين الإمـام الخميـني الكبير، وهذا ما كنّا نشـاهده عن كثب. إذ أنهم لم يتفطّنـوا إلى أن أمريكا هي المساند والمموّن للنظام الطاغوتي، وعلى الـرغم من سـقوط هـذا النظـام، فـإن ذلـك الجهـاز الـداعم لـه مـازال قائمًـا نشيطًا، ولو أتيحت له الفرصة وفسح له المجال، لاسـتعاد نشـاطه ثانية ولوجّه ضرباته ولبدأ يبحث عن نقاط الضـعف لينفـذ ويتسـلل من خلالها. هذه قضـية لم يتنبّهـوا لهـا، لكنهـا كـانت واضـحة لـدى الإمام. ومن هنا فإن مواقفه تجاه احتلال وكر التجسس (السـفارة الأمريكية في طهران) كانت نابعة من هذه الرؤيـة وهـذا المنظـار. وإن الـذين لم يلتفتـوا إلى هـذه النقطـة في العـالم قـد تلقـوا الضربات والخسائر جراء ذلك، ولا نرغب هنا بلوم أحد أو الشـماتة به، إلا أنها ضربات تلقاها البعض لأنهم أسـقطوا الأنظمـة الرجعيـة والمسـتكبرة، ولكنهم تجـاهلوا الجهـات الداعمـة لهـا. وقـد شـاهد الإمام الخميني هـذه الجهـات الداعمـة منـذ اليـوم الأول وواجههـا، ولذلك كانت له مواقفه ضـد أمريكـا والأجهـزة السياسـية والأمنيـة الأمريكية والتي استمرت حتى آخر عمره الشريف)[2]

1() المرجع السابق، ج16، ص: 242.

2() كلمة الإمام الخامنئي في الذكرى السادسة والعشـرين لرحيـل الإمـام الخميـني 4-

وهكذا كانت مواقفه كلها ـ قبل الانتصار وبعده ـ في مواجهة الاستكبار العالمي، يقول الإمام الخامنئي: (وفي المقابل دعم الإمام الخميني الجليل على مدى هذه الأعوام الطويلة فلسطين ودافع عنها، كما دافع عن أفغانستان أيضًا. ففي اليوم الذي دخل الاتحاد السوفياتي أفغانستان، ورغم أننا كنا نعاني في مواجهة عداوة أمريكا لنا ـ والحكومات في مثل هذه الظروف حينما تعادي طرفًا غالبًا ما تتصالح وتنسجم مع الطرف الآخر ــ بيد أن إمامنا العظيم اتخذ موقفًا حاسمًا ضد الاتحاد السوفياتي، وهو موقف لم تتخذه حتى بعض الحكومات ذات الميول الغربية، ولكن الإمام دعم شعب أفغانستان دون أية ملاحظة ومجاملة، ودعم شعب لبنان، ودعم الفلسطينيين بكل موّدة وصفاء. هذا هو منطق الإمام الخميني في خصوص مواجهة الاستكبار. وبهذا المنطق يمكن اليوم تشخيص قضايا العالم وفهم الموقف السليم)[1]

وهكذا يذكر الإمام الخامنئي ما حصل في عصره من أحداث مشابهة، والتي استفاد فيها من مواقف الإمام الخميني، وطبق فيها نفس أصوله، فيقول: (إننا في الوقت الراهن، وبنفس القدر الذي نعارض به السلوك الهمجي الغاشم لتنظيم داعش في العراق وسورية، فإنّنا نعارض السلوك الظالم للشرطة الفيدرالية الأمريكية داخل أمريكا، وكلاهما شبيهان ببعضهما بعضا، وبنفس الدرجة التي نعارض بها الحصار الظالم ضد أهالي غزة المظلومين، نعارض قصف الشعب اليمني المظلوم الذي لا مأوى له، وبنفس القدر الذي نعارض به التشدد ضد الشعب البحريني، نعارض هجمات الطائرات الأمريكية من دون طيار ضد شعبي أفغانستان وباكستان) [2]

ثم بين الأصل الذي تعتمد عليه هذه المواقف جميعا، فقال: (هذا المنطق هو منطق الإمام الخميني. ففي أيّ موضع يحلّ الظلم فيه يظهر هناك طرفان: ظالم ومظلوم، نحن نكون

2015-06، موقع التعبئة التربوية.

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

للمظلوم عونًا وللظالم خصمًا، وهذا موقف كان الإمام الخميني يتخذه بكل صراحة، ويعتبر من خطوطه الرئيسية.. واليوم أيضًا وللسبب ذاته تعتبر قضية فلسطين بالنسبة لنا قضية أساسية، وليعلم الجميع ذلك. فإن قضية فلسطين لن تخرج من لائحة قضايا نظام الجمهورية الإسلامية. قضية فلسطين هي ساحة جهاد إسلامي واجب وضروري، وما من حدث يمكنه فصلنا عن القضية الفلسطينية. قد يكون البعض ممن يوجد في الساحة الفلسطينية لا يعمل بواجباته، وهؤلاء لهم حساب آخر، إلا أن شعب فلسطين والمجاهدين الفلسطينيين هم موضع تأييدنا ودعمنا) [1]

وهكذا نجد الشواهد الكثيرة التي تفسر كل مواقف الثورة الإسلامية، وهي تدل على الوعي العظيم للإمام الخميني والإمام الخامنئي، والذي جعلهما يحذران في كل مواقف؛ فلا يقدما على شيء إلا بعد دراسة وتأن غير مبالين بمن يحاول صرفهما عما يقتضيه التكليف الشرعي.

ونحب أن نرد هنا على تلك الشبهة التي يذكرها المغرضون من أن الإمام الخميني صنيعة غربية بسبب تواجده فترة أربعة أشهر في باريس، وأنه قدم منها إلى إيران ليعلن انتصار الثورة الإسلامية، وهذا كله مجرد وهم كبير، ناشئ عن عدم دراسة لسبب ذهابه إلى باريس، وعدم معرفة بدور الحكومة الفرنسية حينذاك في منعه من الإدلاء بأي تصريح لولا تلك الضجة التي ثارت حول الموقف الفرنسي، والتي جعلته يتراجع عن تلك القرارات حفاظا على سمعة فرنسا.

وقد قال بعض من كان مع الخميني في تلك الأحداث جوابا عن سبب اختيار الإمام لفرنسا: (في الفترة الأخيرة من حكم النظام البهلوي حيث كان سماحة الإمام يعيش منفياً من العراق، وفي لقاء تم بين وزيري خارجية البلدين ايران والعراق في نيويورك، قرر مسؤولو البلدين إخراج الإمام الخميني من العراق.. وبناء على ذلك حاصرت قوات البعث العراقي منزل الإمام في النجف.. وقد لاقى هذا الخبر أصداء غاضبة في أوساط المسلمين في ايران والعراق وبقية البلدان.. ولدى لقائه الإمام اشترط

[1] () المرجع السابق.

رئيس مديرية الأمن العام العراقي على سماحته إذا ما أراد البقـاء في العراق، الكف عن النضال وعدم التدخل في السياسة، وقد ردّ عليه الإمام بكل حزم وحسم بأنـه نظـراً للمسـؤولية الـتي يتحمـل أعبائها تجـاه الأمـة الإسـلامية فإنـه غـير مسـتعد لالـتزام الصـمت والمساومة مطلقـاً.. وهكـذا غـادر الإمـام الخميـني مدينـة النجـف متجهاً إلى الحدود الكويتية. غير أن الحكومـة الكويتيـة امتنعت عن السماح للإمام بدخول أراضيها بطلب من النظام الإيـراني.. وقبـل ذلك كان قد دار حديث عن هجرة الإمام إلى لبنان أو سورية، غـير أن سماحته قرر بعد التشاور مع نجله حجة الإسـلام الحـاج السـيد احمد الخميني، التوجه إلى باريس.. وبعد يـومين من وصـوله حـط الرحال في منـزل احد الإيرانـيين في نوفـل لوشـاتو(في ضـواحي باريس). وقام مبعوثـو قصـر الإليزيـه بـإبلاغ سـماحة الإمـام بـرأي الـرئيس الفرنسـي القاضـي بالامتنـاع عن ممارسـة أي نشـاط سياسي.. وفي ردّ فعل غاضب كان قد صرح الإمام بأن هذا النـوع من المحدودية يتعارض مع مزاعم الديمقراطية، وأنه غـير مسـتعد للتخلي عن أهدافه حتى لـو اضـطره ذلـك للتنقـل بين المطـارات ومن بلد إلى آخر.. هذا وقد مكث سماحة الإمام في فرنسا أربعـة أشهر تقريباً، وخلال هذه الفترة كانت قرية نوفل لوشاتو الصـغيرة قـد تحـولت إلى المركـز الإعلامي الأول في العـالم، حيث أخـذت تبث المقابلات واللقاءات المختلفة التي كانت تجـرى مـع سـماحة الإمام إلى كافة أنحاء العالم. وأخذ سماحته يتحدث إلى العالم عن آرائــه وتصــوراته بشــأن الحكومــة الإســلامية، وعن الأهــداف المستقبلية للنهضة. وبهذا النحو تعرّفت شـعوب العـالم على فكـر الإمام وثورته. ومن هذه القرية الصغيرة اسـتطاع الإمـام أن يقـود اكثر مراحل النهضة التهاباً وحساسية في ايران)[1]

ونحب أن نذكر كذلك أن موقفه من الاستكبار العالمي قاصر على الأنظمة المستكبرة، لا على الشعوب التي تخضع لها، بل إنـه يرى أن الشعوب ليست سوى ضحية لتلك الأنظمة.

وقد ذكر مرافقه الشيخ فردوسي پور، بعض ذكرياته عن تلك

1() انظر مقالا بعنوان: ما هو سبب ترك الإمام الخميني للعـراق والتوجـه إلى فرنسـا؟، موقع الإمام الخميني، بتاريخ 24/06/2015.

الفترة التي مكث فيها الإمام الخميـني في بـاريس، وتأثيرهـا على الأهالي والعـالم، فقـال: (لقـد أوجـدت هجـرة الإمـام إلى بـاريس تحــولاً عظيمــاً، حيث غيّـرت ــ بشــكل تـام ــ جميــع المفــاهيم والاستنتاجات التي كانت لدى الغربـيين عن الإسـلام، والـتي كـانت تجعلهم يستهزئون بالمسلمين، وقد بلغ تأثير أخلاق الإمام وسلوكه في الغرب حدّاً جعل أحد العلماء يقول: (إنّنـا لـو أنفقنـا ميزانيـة الحوزات العلمية لسـنة كاملـة في تربيـة المبلغين، وتـأليف الكتب وترجمتها، وإرسالها إلى أوربا؛ لمـا اسـتطعنا تعريـف الإسـلام إلى العالم بالقدر الذي فعلته إقامة الإمام أربعة أشهر في باريس)[1]

ثم ذكـر بعض مظـاهر ذلـك التـأثر، فقـال: (لقـد كـان سـكان باريس يطالبون مؤسسة الإذاعـة والتلفزيـون أن تـبيِّن لهم ماهيـة هذا الإسلام الذي يقيم قائده في (نوفل لو شاتو) ويحـرّك ــ ببيـان واحد ـ ستة وثلاثين مليونـاً من الشـعب الإيـراني، ولم يكن لـدينا ـ مع الأسف ــ فيلمـاً يعـرِّف الإسـلام الحقيقي، فاضـطر التلفزيـون الفرنسي أن يعرض كل ليلة ــ ولمـدة ربـع سـاعة ــ فيلم (محمـد رسول الله) بدون صوت، ويعرض كل ليلة صورة الإمام في بدايــة نشرة الأخبار، مقرونة بالأخبار التي كانت تتعلـق بسـماحته، وكلّمـا سرنا في طريق أو شارع كان الناس ينظرون إلينا نظـرة عاطفيـة ملؤها العطف والأدب، وحينما كان الإمام يخرج لإقامة الصلاة كان الجيران يتجمهرون لمشاهدة هذا الوجه النوراني والقائـد الربـاني، ويظهرون مشاعرهم الحارة والنبيلة)[2]

ثم ذكر العلاقة العاطفية التي أبداها الفرنسـيون للإمـام عنـد قرب مغادرته لفرنسا، فقـال: (وشـيئاً فشـيئاً بـدأت إقامـة الإمـام تقترب من نهايتهـا، وحـان موعـد الهجـرة المباركـة؛ وعنـد غـروب الشمس، وحينمـا بـدأ ضـياؤها ينحسـر بالتـدريج عن أرض بـاريس رأيت فتـاتين فرنسـيَّتين أمـام الـدار الـتي كـان يقيم فيهـا الإمـام تطلبان مقابلـة الإمـام، وحيث لم يكن ذلـك ممكنـاً، فقـد اعتـذرت منهما فقالتا ـ وفي يد إحداهما قنينة زجاجية صـغيرة تحـوي كميـة من التراب، وقد أحكم غطاؤها ـ: إن لم يكن بالإمكان لقـاء الإمـام

---

[1] الإمام الخميني قدوة، ص76.

[2] المرجع السابق، ص77.

فإنَّ من عاداتنا إننا إذا تعلقنا كثيراً بأحد وحان وقت فراقنا له فـإنّ أفضل هدية نقدمها له عند توديعه كمية من تراب وطننا، وهو أعـز ما لدينا.. فأخذت القنينة وذهبت بها إلى الإمـام لأنّهمـا طلبتـا منّي ذلك، وطلبتا ـ أيضاً ـ أن أجلب لهما صورتين تحملان توقيع الإمـام. فتقبّل الإمام القنّينـة بابتسـامة جميلـة، ووقّـع على الصـورتين، ثم أعطيتهما للفرنسيتين ففرحتـا بالصـورتين، وشـكرتاني على ذلـك) (1)

وهكــذا نجــد الإمــام الخــامنئي يفــرق بين أئمــة الاســتكبار والشـعوب البسـيطة المغلوبـة على أمرهـا؛ فلـذلك نـرى لهجتـه الشديدة مع الأنظمة المستكبرة، في نفس الوقت الذي نجـد فيـه اللين الشديد مع الشعوب.

ومن الأمثلـة على ذلـك تلـك الرسـالة الفريـدة الـتي أرسـلها لشباب الغـرب وأمريكـا الشـمالية، والـتي اسـتلهم فيهـا المعـاني الإيمانية التي ذكرها الإمام الخميني في رسالته إلى غورباتشــوف، كما عبر عن ذلك محمد جواد لاريجاني ـ عضو وفد النواب لتسـليم رسالة روح الله الخميـني إلي غورباتشـوف ــ حيث قـال: (رسـالة قائد الثورة الإسلامية آيـة اللـه السـيد علي خـامنئي الموجهـة إلى الشباب الغربي تكمل الرسالة التي كتبها الإمام الراحـل الخميـني في 1989 إلى زعيم السـوفياتي السـابق ميخائيـل غورباتشـوف) (2)

فممــا ورد في هــذه الرســالة قولــه: (إني أخــاطبكم أيّهــا الشباب؛ ولا يعني هذا إنني أتجاهل آباءكم وأمهاتكم، بـل لأني أرى مسـتقبل شـعبكم وبلادكم بأيـديكم، وكـذلك أرى بـأن حس البحث عن الحقيقة في قلوبكم أكثر حيويـة ووعيـاً. وانـا أيضـا لا أخـاطب في كلمتي هذه السياسيين والمسؤولين عندكم لأني أتصور أنهم ـ وعن سابق تصـور وتصـميم .قد فصـلوا درب السياسة عن مسـار الصدق والحقيقة) (3)

ثم ذكر لهم موضوع حديثـه مثلمـا فعـل الإمـام الخميـني مـع

(1) المرجع السابق، ص78.

(2) مقالة مفصلة: رسالة علي خامنئي لشباب أوروبا وأمريكا الشمالية.

غورباتشوف، وهو التفريق بين الإسلام الحقيقي، والإسلام المزيف الذي مثله المتطرفون، وأشهره الإعلام المغرض، فقـال: (حـديثي معكم عن الإسلام وبصورةٍ خاصةٍ عن الصورة التي يجري تقديمها لكم عن الإسـلام.. منـذ عقـدين وإلى يومنـا هـذا ــ أي بعـد انهيـار الاتحاد السوفيتي تقريباً – بُذلت جهود ومحاولات كثيرة لتقديم هذا الـدين العظيم بصـورة العـدو المخيـف. وللأسـف إن عمليـة إثـارة مشاعر الرعب والكراهية واستغلالها لها مـاضٍ طويـلٍ في التـاريخ السياسي للغرب.. لا أريد هنا أن أتعرض إلى ما يثـيرون من أنـواع الرهـاب [الفوبيـا] في أوسـاط الشـعوب الغربيـة حـتى الآن، انتم وعند استعراضكم الموجز للدراسات التاريخية والنقدية المعاصـرة سـتجدون كيـف تـذم وتسـتنكر الكتابـات التاريخيـة التعامـل غـير الصــادق والمزيِّف للحكومــات الغربيــة تجــاه ســائر الشــعوب والثقافـات. إن تـاريخ أوروبـا وأمريكـا يطـأطئ رأسـه خجلاً أمـام سلوكه في اسـترقاق العبيـد وسـلوكه الاسـتعماري وظلمـه الـذي ألحقـه بـذوي البشـرة الملونـة وغـير المسـيحيين. إن المـؤرخين والباحثين عندكم عندما يمرون على عمليات سـفك الـدماء باسـم الـدين بين البروتسـتانت والكاثوليـك أو باسـم القوميـة والوطنيـة خلال الحربين العالميين الأولى والثانية يشعرون بالخجل والخـزي)[1]

ثم بين لهم أن تلك الأساليب الـتي اسـتعملت قـديما في بث الكراهية هي نفسها التي تسـتعمل الآن مـع الإسـلام، يقـول: (أنتم تعلمـون جيـداً أن الاحتقـار وإيجـاد الكراهيــة والرهـاب والخـوف الــوهمي من الآخر قد شــكّلت أرضــية مشــتركة لكل حــالات الاستغلال الظالمة تلك. الآن أطلب منكم أن تسألوا أنفسكم لماذا استهدفت سياسة نشـر الكراهيـة والرهـاب القديمـة هـذه المـرة، الإسلام والمسلمين بقوة وبشكل لا سابقة لها؟ لمـاذا يتّجـه نظـام القـوة والسـلطة في عالمنـا اليـوم نحـو تهميش الفكـر الإسـلامي وجرّه إلى حالة الانفعـال وردات الفعـل؟.. مـا هي تلـك المفـاهيم

[3] () انظر نص الرسالة كاملة في: أضواء على رسالة الإمام الخامنئي إلى شباب الغـرب وأمريكا الشمالية، موقع الولاية الإخبارية.

[1] () المرجع السابق.

والقيم الموجودة في الإسلام والتي تزعج وتزاحم برامج ومشاريع القوى الكبرى وما هي المنافع التي تجنيها هذه القوى عبر تقديم صورة مشوّهة وخاطئة عن الإسلام.؟ لهذا فإني أتمنى عليكم أولا أن تتساءلوا وتبحثوا عن عوامل هذا التشويه الواسع للإسلام) [1]

ثم دعاهم إلى البحث الموضوعي في الإسلام بعيدا عن تلك الإملاءات التي يفرضها الإعلام على العقول، فيقول: (الأمر الثاني الذي أرغب منكم أن تقوموا به، في مواجهة سيل الاتهامات والتصورات المسبقة والإعلام السلبي أن تسعوا لتكوين معرفة مباشرة ودون واسطة عن هذا الدين.. إن المنطق السليم يقتضي – وبالحد الأدنى ـ أن تدركوا حقيقة الأمور التي يسعون لإبعادكم عنها وتخويفكم منها فما هي وما هي حقيقتها؟)[2]

ثم بين لهم المنهج الذي يمكنهم من خلاله أن يصلوا إلى الإسلام الحقيقي، فقال: (أنا لا أصرّ عليكم أن تقبلوا رؤيتي أو أية رؤية أخرى عن الإسلام، لكني أدعوكم ألّا تسمحوا أن يقدموا لكم ـ وبشكل مراءٍ ـ الإرهابيين العملاء لهم على أنهم يمثلون الإسلام.. اعرفوا الإسلام من مصادره الأصيلة ومنابعه الأولى.. تعرّفوا على الإسلام من القرآن الكريم رسوله العظيم ﷺ وأودّ هنا أن أتساءل: هل سبق أن رجعتم إلى قرآن المسلمين مباشرة؟ هل طالعتم تعاليم رسول الإسلام ﷺ ووصاياه الإنسانية والأخلاقية؟ هل اطلعتم على رسالة الإسلام من مصدر آخر غير وسائل الإعلام؟ هل سألتم أنفسكم مرة، كيف استطاع الإسلام ووفق أية قيم طوال قرون متمادية أن يبني أكبر حضارة علمية وفكرية في العالم وأن يربي أفضل العلماء والمفكرين؟)[3]

ثم طالبهم في آخر رسالته بأن يرفعوا كل تلك الحواجز التي يضعها المستكبرون في طريقهم، ليعرفوا الحق كما هو لا كما يوصف لهم، يقول: (أطالبكم ألّا تسمحوا لهم بوضع سدّ وحاجز

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

[3] () المرجع السابق.

عاطفي وإحساسي بينكم وبين الحقيقة والواقع، عبر رسم صورة سخيفة مهينة عن الإسلام ليسلبوا منكم إمكانية الحكم الموضوعي. اليوم ونحن نرى أن وسائل التواصل اخترقت الحدود الجغرافية، لا تسمحوا لهم أن يحاصروكم في الحدود الذهنية المصطنعة، وإن كان من غير الممكن لأحد أن يملأ الفراغات التي تم إيجادها، بشكل فردي؛ ولكن كل واحد منكم يستطيع، وبهدف توعية نفسه ومحيطه، أن يبني جسراً من الفكر والإنصاف فوق هذه الفراغات) [1]

ثم ختم رسالته بقوله مخاطبا لهم بكل حنان ورحمة: (إن سعيكم لمعرفة الأجوبة عن هذه التساؤلات يشكل فرصة مغتنمة لكشف الحقائق الجديدة أمامكم، وعليه يجب أن لا تفوّتوا هذه الفرصة للوصول إلى الفهم الصحيح وإدراك الواقع دون حكم مسبق؛ ولعلّه وببركة تحمّلكم هذه المسؤولية تجاه الحقيقة، سترسم الأجيال الآتية صورة هذه المرحلة من تاريخ التعامل الغربي مع الإسلام، بألمٍ أقل زخماً ووجدانٍ أكثر اطمئناناً) [2]

وقد ورد في الأخبار ما يدل على الأثر الطيب لهذه الرسالة، فقد أوردت وكالة الأنباء القرآنية الدولية(إكنا) في أخبارها أن مجموعة من شباب البلقان أرسلوا رسالة إلى قائد الثورة الإسلامية الإيرانية الإمام الخامنئي يحيونه فيها بكل لطف وأدب، ويشكرونه على تلك التوضيحات والدعوات المرتبطة بالبحث في الإسلام بعيدا عن تأثير الإعلام المغرض.

ومما جاء فيها قولهم له: (في العصر الذي أدت سيادة النيوليبرالية إلى اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتحاول عمالقة وسائل الإعلام المطيعة للساسة السلطويين والمستعمرين الاستيلاء على عقول وقلوب الشباب، فإن أفضل طريقة لبناء الثقة بالنفس والحصول على الفهم الصحيح لظروف العصر هو الاستمداد من الأديان الإلهية خاصة الدين الإسلامي الذي يواجه اليوم تحديين هما مؤامرة الإسلام فوبيا وفتنة التطرف

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

والتكفير.. وفي هذه الظروف، يتضح تماماً أن الدبلوماسية الروحانية يتبعها زعماء الدين بطرق مختلفة كنشر الرسائل بهدف تنوير الرأي العام وإيقاظ الضمير الأخلاقي للساسة من شأنها أن تؤدي دوراً مؤثراً للغاية في هذا المجال) [1]

ثم ذكروا له أهمية رسالته، فقالوا: (ورسالتكم التاريخية الأخيرة إلى شباب أوروبا وأميركا الشمالية تعد ضمن هذه الرسائل، والتي تعكس واقع آلامنا وحاجاتنا الحالية.. وبقدر ما نعرف ونؤمن أن الأديان الإلهية كالإسلام المحمدي تدعو الإنسان إلى حفظ الحقوق والكرامة الإسلامية، وأن نضال الأنبياء ضد المستكبرين لم ترافقه أي محاولة لبث الفرقة والرعب بين الناس. والإسلام كواحد من هذه الأديان يدعو إلى التعقل والجدال الأحسن، ويبشر بالحرية والعدالة والأمن. فنحن نعلم أن الأعمال الوحشية التي يقوم بها عدد من المسلمين المتطرفين لا تمت للإسلام وتعاليمه الأصيلة بصلة، ونحن نعتقد أن النزعات المتطرفة والأفكار التكفيرية لدى هذه الجماعات مردها إلى تفاسيرها غير العقلانية للإسلام، فنحن ليس فقط نتبرأ من هذه التيارات الرجعية والمتطرفة بل نسعى إلى مطالعة المصادر الإسلامية الرئيسية أي القرآن والسنة والسيرة النبوية بهدف الحصول على فهم أفضل للإسلام، لأننا نعتقد أن التعريف بالثقافة الإسلامية الغنية والأصيلة يعتبر السبيل الوحيد لمواجهة التيار التكفيري والمتطرف) [2]

وهكذا كان لتلك الرسالة تأثيرها الكبير في بيان مراد قادة الثورة الإسلامية من معسكر الاستكبار العالمي، فهم لا يقصدون الشعوب المستضعفة، وإنما يقصدون من سماهم القرآن الكريم أئمة الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12]

2 ـ الوقوف مع المستضعفين ودعوتهم لمواجهة

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

الاستكبار.

وهو ما وفر الكثير من الأعداء للإيرانيين، ذلـك أنهم لم يقفـوا بثـورتهم في حـدود بلـدهم، ولا في حـدود المصـالح الضـيقة الـتي طالبت بها الكثير من الثورات، وإنما دعوا المستضعفين في العالم جميعا إلى مواجهة الاستكبار، والتبري منـه، والعمـل على التخلص من قيوده.

ولعل أحسن المواقف في هذا، وأعظمها تأثيرا على مسـتوى العـالم الإسـلامي خصوصـا تلـك الـدعوات الـتي أطلقهـا الإمـام الخميني للتـبري من الاسـتكبار بمناسـبة الحج، باعتبـاره من أكـبر شعائره، وهو ما لم يحصل مثله في التاريخ.

وقد جعل ذلك أدوات الاستكبار الموجودة في المنطقة تشـن حملـة كبـيرة على الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة لإدراكهم لأبعادهـا العالمية، وكونها الوسيلة التي يمكن أن تهز مبادئهـا عروشـهم في أي لحظة.

وسنسوق هنا نداء للإمام الخميـني بتلـك المناسـبة لا لحجـاج إيران فقط، وإنما لحجاج العالم الإسـلامي أجمـع، فممـا جـاء فيـه مما يتعلق بالاسـتكبار العـالمي، وضـرورة الـبراءة منـه، واسـتثمار الحج وسـيلة لـذلك، وللتوعيـة بمخـاطره، قولـه: (زوّار بيت اللـه والعاشقون للقاء الله الـذين يهـاجرون من بيـوتهم وأنفسـهم نحـو اللـه ورسـوله الأكـرم ﷺ حيث تحتضـن الكعبـة المعظمـة وتفتح ذراعيهـا لتسـتقبل عشّـاق الحـق والعدالـة وصـيحاتهم المحطمـة لـرؤوس الظلمـة والغـزاة على مـدى الـدهور، وتنتظـر اسـتقبالهم بفارغ الصبر، وبيت الله الحـرام والكعبـة المعظمـة تجـذب الـزوّار الأعزّاء إلى أحضانها لتحوّل الحج من العزلة السياسية والانحــراف الأساسي إلى الحج الإبراهيمي المحمّدي وتجدّد له الحيـاة وتحطّم أصـنام الشـرق والغـرب وتفـرض المعـنى الحقيقي لقيـام النـاس والبراءة من المشركين، والميقات ينبض قلبه بهـوى الـزوّار الآتين من بلد اللا شرقيّة ولا غربيّة ليلبّوا دعوة اللـه في اتجـاه الصـراط المستقيم والإعراض عن فلسفات الشـرق والغـرب والانحرافـات العنصـرية والفئويـة، وعلى كـل الشـعوب دون النظـر إلى اللـون والـدين والمحيــط والمنطقــة أن تتعامــل فيمــا بينهــا بــالإخوة

والمساواة وحمل الهموم وتثبيت الوحدة وأن يكونوا يداً واحدة في الهجوم على أعداء البشرية والمتجبرين ومستغلّي العالم، والجمرات تنتظر المضحّين القادمين من بلد أخرج شعبُهُ الشجاع الشياطين الكبار والصغار والمتوسطين من وطنه دون أي خوف أو وجل وقطعَ أيديهم القذرة عن ذخائر وطنهم، وحضروا في هذا المكان ليرمُوا مجموعة الشياطين ويطردوها من (أمّ القرى) و(ما حولها)، أي من العالم بالحصيات والشعارات المحطمة، وعرفات والمشعر ومنى تستضيف أشخاصاً قد نهض شعبهم المسلم ليحقق عن وعي وشعور سياسي تطلعات الإسلام وآماله في بلده وفي سائر البلدان التي ترزح تحت الظلم، وتفضح المتلاعبين بالسياسة الزائفين الذين هجموا على مظلومي العالم واستولوا بالحيلة والمكر على كل ثرواتهم)[1]

وهكذا، ولأول مرة في التاريخ نقرأ نداء بمثل هذه القوة، يمثل الحج الإسلامي الحقيقي، ويعطيه أبعاده التي حاول المستبدون في كل العصور إزالتها عنه.

ولم يكتف النداء بتلك البراءة من المستكبرين، وإنما أضاف إليه الدعوة إلى البراءة من كل الأدوات السياسية والعلمية التي تخدم الاستكبار، يقول: (أيها المسلمون الأقوياء المقتدرون عودوا إلى أنفسكم فاعرفوها وعرّفوها للعالم وانبذوا بحكم الله تعالى والقرآن المجيد الخلاف والفرقة التي أوجدها بينكم الناهبون الدوليون وعملاؤهم من أجل نهب ثرواتكم وسحق شرفكم الإنساني والإسلامي، واطردوا المفرقين من المرتزقة المتزيين بزي علماء الدين والعنصريين الذين لا علم لهم بالإسلام ولا بمصالح المسلمين الذين لا يقلّ ضررهم عن ضرر الناهبين، فهؤلاء يعرضون الإسلام معكوساً ويفتحون الطريق للغزاة)[2]

وفي النداء نجد كلمة مهمة جدا، ربما تكون فيها أول إشارة إلى الحرب الناعمة التي ينوي الغرب ممارستها مع المستضعفين، فقد قال فيها: (أودّ الإشارة إلى أمر حياتي يمثّل الطريق إلى رفع

[1] () صحيفة الإمام، ج19، ص: 294.

[2] () المرجع السابق، ج19، ص: 295.

كل مشكلات المسلمين والمستضعفين في العالم وهو أن مَن يفكّر قليلًا في أوضاع الدول الإسلامية سيعلم بوضوح أن ما اتفقت عليه الدولتان العظميان والدول السائرة في فلكيهما هو إبقاء دول العالم الثالث وخصوصاً الدول الإسلامية الواسعة والغنيّة متأخرة في المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وفرض الأفكار الاستعمارية عليها في جميع المجالات السابقة، ولتحقيق هذا الهدف المهم للغاية قد تحمّلوا كثيراً من المتاعب وصرفوا وما يزالون يصرفون الكثير من الأموال والوقت. كان زعماء هذه المؤامرات في الزمن السابق بريطانيا وفرنسا، وجاءت بعدهما أمريكا والاتحاد السوفياتي فبادرا للانقلابات العسكرية المتعددة لتحقيق أهدافهما المشؤومة بإزاحة الأنظمة القائمة وإحلال أنظمة مرتبطة بهما ومن المستبعد أن تحاول هاتان القوتان العظميان إزاحة المنافس عن طريقهما لأنهما قد يئستا منه ولكن الخلاف بينهما حول تقسيم الفريسة ودول العالم الثالث، وقد استخدما للحصول على السلطة الاستعمارية الجديدة الهجوم الثقافي على ثقافات الشعوب والجامعات) (1)

ثم يختم نداءه مخاطبا جميع المسلمين: (أيها المسلمون في كل بلدان العالم وأقطاره انهضوا، ويا علماء العالم الإسلامي الأعلام هبّوا لنجدة الإسلام والمسلمين وبلدانهم، واضربوا بأيدي الرفض في صدور ظلمة الغرب والشرق في كل منعطف وزاوية كما فعل شعب إيران وعلماؤه وشخصياته البارزة، واطردوا من بلدانكم عملاءَهم وخبراءَهم المزيّفين ومستشاريهم الناهبين للنفط، ورجّحوا الشهادة على الذلة، والشرف الإسلامي أو الإنساني على الرفاه والعيش أياماً معدودة بالمهانة والخجل. وانتصروا عليهم في ميدان النزاع السياسي والعسكري ولا تخشوا ضجيجهم الإعلامي والدعائي لأنكم: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: 7])(2)

وقد ظل الإمام الخميني مصرا على وجوب البراءة من

1() المرجع السابق، ج19، ص: 295.

2() المرجع السابق، ج19، ص: 302.

المستكبرين في الحج إلى آخر أيام حياته، ففي حديث له بتاريخ (11/ 4/ 1988 م) أي قبل سنة من وفاته، خاطب المشرفين على الحج حينها، قائلا: (سيتوجه هذا العام أن شاء الله مائة وخمسون ألف شخص من إيران إلى الحج، وسيقوم الحجاج بواجبهم في البراءة من المشركين ومن أميركا وإسرائيل. فمن غير الممكن أن يتوجه حجاجنا لأداء مناسك الحج ولا يقوموا بالتظاهر ضد الاستكبار العالمي.. إن البراءة من المشركين تعتبر أساساً من الواجبات السياسية للحج، ومن دونها لا يكون حجنا حجاً. وليعلم آل سعود بأنهم إذا حالوا دون ذلك فانهم سيقفون في مواجهة كافة المسلمين في العالم. وأن من مصلحتهم أن يمارسوا دورهم بشكل سليم وصحيح)[1]

وهكذا نجد الإمام الخامنئي يحافظ على موقف الثورة الإسلامية من الاستكبار، ونصرة المستضعفين، وكل ما حصل في عهده من رعاية لحركات المقاومة يصب في هذا الاتجاه.

ولعل أكبر المواقف التي حصلت في عهده نصرته لسوريا والعراق، ومواجهته لكل محاولات تقسيم بلدان المنطقة، وبفضل هذه السياسة خرجت إيران من محليتها، لتصبح قوة إقليمية يحسب لها العدو ألف حساب.

رابعا ــ الثورة الإسلامية، وتحقيق الإسلام في الواقع:

المطلب الرابع، والذي يمكن اعتباره المميز الأعظم للثورة الإسلامية الإيرانية، دعوتها لتحقيق الإسلام في الواقع.. فهي ثورة لم تنطلق ـ مثل أكثر الثورات ـ من فكر شيوعي أو اشتراكي أو ليبرالي أو وجودي، وإنما انطلقت لإحياء الإسلام بجميع معانيه في الحياة بجميع مجالاتها.

ولعل هذا التوجه الصادق هو السبب في كون انتصارها انتصارا فريدا، بخلاف الكثير من الثورات التي ترتد على نفسها، ويأكل بعضها بعضا، ثم تنقلب على كل المفاهيم التي دعت إليها أو آمنت بها.

[1] () المرجع السابق، ج21، ص: 27.

وسبب ذلك أن هذا المطلب كان متوافقا تماما مع الفطرة ومع الشعب الإيراني، ولذلك لم يحصل أي اصطدام، بل أحس الشعب أنه يعيش وفق المبادئ التي يؤمن بها، وليس كأولئك الذين تتناقض عقائدهم مع سلوكياتهم وسياساتهم.

وقد أشار إلى هذا البعد المهم في الثورة الإسلامية الإمام الخامنئي، وذلك في مقارنة له بينها وبين غيرها من الثورات، حيث قال: (شاهدتُ أو قرأتُ طيلة حياتي، في عمر الشباب، التاريخ والتحوّلات المختلفة التي حصلت في مناطق مختلفة من العالم ومنها منطقتنا. هذه الثورات التي وقعت في الدول الإفريقية وأمريكا اللاتينية، تلك الثورات اليسارية في عقد الستينات من القرن العشرين أي قبل حوالي 50 سنة كلها شاهدناها لم نكن نجهل ماهية السوابق التاريخية لمثل هذه التحوّلات وكيفيتها، كلا لقد شاهدناها. ولكن ما يحدث اليوم لا سابقة له ولا نظير. في تلك الأحداث التي وقعت في الستينيات الميلادية سواءٌ في أفريقيا أم أمريكا اللاتينية أم بعض الدول الآسيوية ما كان يجري عبارة عن انتصار حزبٍ أو منظّمة وسيطرتها على مصير شعبٍ، وكانوا يُطلقون عليها الثورات الشعبية رغم التوجّهات المادية والماركسية التي لا وجود فيها لله أو الروحانية؛ لكنّ شعبيتها كانت في الأغلب عبارة عن قيام حزبٍ بانقلابٍ وسيطرته على الأمور. فهذه الأحزاب والأنظمة التي يُطلق عليها الأنظمة الثورية التي سيطرت على الأمور في شمال أفريقيا جميعها وصلت إلى السلطة من خلال الانقلابات، كجمال عبد الناصر والقذافي وغيرهما. لم تكن حركة شعبية وثورية بالمعنى الحقيقي)[1]

ثم ذكر أن الذي جرى في إيران مختلف تماما، ذلك أن العقيدة التي انطلق الشعب لنصرتها هي نفسها التي تحققت له، وهي نفسها التي كان يؤمن بها ويعيش بمبادئها، يقول: (أمّا ما يحدث اليوم فهو نزول الناس بأبدانهم وأرواحهم إلى الميدان؛ وهذه هي الشعوب. من الممكن أن يكون للأحزاب حضورٌ ما أو تأثيرٌ معيّن، ولكن من هو في الميدان ليس عبارة عن مجموعة عسكرية أو انقلابية، بل هي تجمّعات شعبية وجماهيرية وهي في نفس الوقت ذات دوافع توحيدية وإلهية: بنداء الله أكبر وصلاة

[1] () خطابات الخامنئي 2011 (ص: 245)

الجماعة. ولندَع كل تلك الدعايات الأمريكيـة والصـهيونية تُنكـر مـا تُنكر، فليفعلوا ذلك، فالواقع لا يتبدّل بالإنكار لأنّه هكذا، وهذا مـا لا سابقة له) [1]

وللأسف مع كون هذا المطلب كان واضحا في جميع خطابات وكتابات وبيانـات قـادة الثـورة الإسـلامية إلا أن المغرضـين راحـوا يصورون الأمـر، وكأنـه لصوصـية مارسـها الإسـلاميون ليسـتحوذوا على الثورة التي قام بها غيرهم.

ونحب أن نسوق هنا كلمة للإمام الخميني يبين فيها خصوصية الثورة الإسلامية من هذه الزاوية، بل من زوايـا كثـيرة، وذلـك بعـد فترة قصيرة من تحقق الانتصار، وقد بدأ كلمته بالـدعوة لمطالعـة تاريخ الثورات وأنواعها لتبين مدى تميز الثورة الإيرانيـة: (الثـورات التي حدثت وتحدث في العالم إما أن تقوم بهـا الشـعوب أو تقـوم بهـا الحكومـات على شـكل انقلابـات. وإن معظم الثـورات كـانت عبـارة عن انقلاب. وربمـا قليلًا مـا نجـد بينهـا ثـورات لم تحركهـا الأحزاب والجماعات.. ولو بحثتم في كل الثورات التي حـدثت، لن تجدوا ثورة لها هاتان السمتان: الأولى إنها حدثت من قبل الشعب من دون تدخل الأحزاب والفئـات والجماعـات السياسـية ومـا إلى ذلك، والثانية هي أن تكون عقائدية وانطلاقاً من عقائدية إلهية، لن تجدوا مثل الثورة الإيرانية في كل الثورات التي شهدها العالم)[2]

ثم بين أن التوجه الإسلامي للثورة الإيرانية بدأ منذ انطلاقتهـا الأولى، وكل الشـعارات المرفوعـة كـانت تـدل على ذلـك، يقـول: (كان للثورة الإيرانية ولا زال توجه إسـلامي، وهـو أن كـل إيـران ـ الـتي هي مسـلمة الا مـا نـدر ــ نهضـت انطلاقـاً من هـذه الفكـرة الإسلامية، فقد شاهد الجميع، حينما شن الهجوم من قبـل النظـام الفاسد على الجماهير، أن كل الجماهير بشيوخها وشبابها ونسـائها ورجالهـا تقـدموا بشـعار (اللـه اكـبر) وقـارعوا النظـام الطـاغوتي وطـالبوا بنظـام إسـلامي.. لم يكونـوا يريـدون إسـقاط حكومـة طاغوتيـه ومناصـرة حكومـة طاغوتيـه ثانيـة، أو مناصـرة حـزب

---

[1] () المرجع السابق، (ص: 245)

[2] () صحيفة الإمام، ج12، ص: 357.

سياسي، لم تكن مثل هذه المسائل إطلاقا، بل كانت هـذه الثـورة تبعاً للفكرة الإسلامية) [1]

ورد على أولئك الذين تصوروا أن الشعب الإيـراني خـرج في ثورته لمطالب أخـرى، فقـال: (شـعبنا لم يخـرج ليقـول إننـا نريـد النظام الفلاني مثلًا. الجميع كانوا يقولـون نريـد الإسـلام، اجتمعـوا كلهم على كلمة الإسلام والجمهورية الإسـلامية.. ولم يكن لأي من الجماعات الأخرى سواء كانت سياسـية أو غـير سياسـية أي دخـل في هذه النهضـة.. وقـد تقـدمت بشـكل معجـز لأنهـا كـانت نهضـة إسلامية.. إذ ثار شعب بأكمله وسار كله إلى الله) [2]

وبناء على هذا تنبأ بالمستقبل الزاهـر لهـذه الثـورة وللشـعب الذي قـام بهـا، فقـال: (سـيتقدم ويفلح لأنـه شـعب الهي لا يهـاب المـوت. الإلهيـون لا يخـافون أي شـيء. يخـافون اللـه ويرومـون تطبيق أحكام الله في بلادهم) [3]

وهكذا نـراه يربـط كـل مـا حصـل في الثـورة من انتصـارات بالشعب لكونه خرج لأجل تمكين دين اللـه في الأرض، ولم يخـرج لأجل أهواء شخصية، يقول: (ليس من حق أي حـزب أو جماعـة أو شخص أن يقول إنني أنا الذي أوجـدت هـذا أو نحن الـذين أوجـدنا هذا، فما تحقق صنعه الشعب بـإرادة اللـه تعـالى.. كـانت معجـزة تحققت بإرادة الله تبارك وتعالى، وطالما كان هـذا الجـانب الإلهي موجوداً، فلن يلحق الشعب مكروه)[4]

ثم بين دور ذلك التوجه في تيسير ملء كل الفراغات، بخلاف الثورات التي اكتفت بإزالـة الطـواغيت من دون أن تحـدد البـدائل المناسبة، وهو ما أوقعها في الاضطراب، مثلما حصل في الثورات العربيـة، الـتي لم تـؤمن البـدائل المناسـبة لهـا، يقـول: (هـذه هي

1() المرجع السابق، ج12، ص: 357.

2() المرجع السابق، ج12، ص: 358.

3() المرجع السابق، ج12، ص: 358.

4() المرجع السابق، ج12، ص: 358.

خصوصيات النهضة الإسلامية التي تنبثق من الشعب ذاته، وهو ما حدث في إيران. بعد أن انتصرت الثورة، إذا بكل إيران تنهض فجأة ومن دون أي تنظيم مسبق ومن دون أن يضطلع أشخاص معيّنون بتوعية الناس، نهض أبناء الشعب أنفسهم وأسسوا مؤسسات وجماعات. في كل إيران شكّل الناس أنفسهم محاكم، وتولى القضاء في كل مدينة وفي كل ناحية رجلُ دينٍ، وتولى أشخاص آخرون الادعاء العام وما إلى ذلك، من دون أي تعيين من المركز، وظهرت المؤسسات المختلفة في كل أنحاء إيران وانبثقت تلقائياً) [1]

ثم بين أن كل المؤسسات التي قامت كان هدفها إقامة دين الله، ولذلك يسر الله لها النجاح في تحقيق مطالبها، ولو أنها قامت بغير ذلك لما تيسر لها ذلك، يقول: (اللجان والحرس وكل هذه المؤسسات الجديدة شكّلتها الجماهير من دون أن يكون ثمة جهاز أو مؤسسة تدفعهم لذلك. وطالما كان هذا المعنى وهو أن الناس يرون أنفسهم مكلفين بالبناء، فلن يصيبهم أي مكروه.. إنما يصيب المكروهُ البلدَ والشعب ـ لا سمح الله ــ يوم يزول من بين الناس هذا المعنى الذي ظهر في أوائل النهضة وادى إلى النصر. أي أن الحال تؤول بسبب الاختلافات وتشتت الأهواء النفسية، إلى اضمحلال ذلك المعنى الإلهي الذي كان بين الشعب وأوجب النصر، وعندئذ سترتفع يد الرحمة الإلهية عن هذا البلد لا سمح الله.. اعملوا على أن لا تخرج كلمة (يد الله مع الجماعة) هذه من أيديكم. إذا كانت الجماعات كلها مع بعضها وكانت الفكرة إسلامية، كانت يد الله معهم) [2]

وفي خطاب آخر له بتاريخ 1 جمادى الثانية 1406 هـ وبحضور السيد علي الخامنئي الذي كان حينها رئيسا للجمهورية ذكر بنفس المعاني، فقال: (إن هذه الثورة لا تختص بإيران وحدها بل إنها تختلف عن سائر الثورات، لأن الثورات التي حدثت في العالم لحد الآن قد نقلت السلطة من يد جبار إلى يد جبار آخر إما مثله أو أسوأ منه، طالعوا وضع الثورات التي حصلت أو الانقلابات

1() المرجع السابق، ج12، ص: 359.

2() المرجع السابق، ج12، ص: 359.

التي تقع في الدنيا كـل يـوم تجـدوها وقعت في غفلـة من النـاس حيث زالت سلطة وحلّت محلها سلطة أخرى مثلهـا أو أسـوأ منهـا ولم تختلف أوضـاع النـاس وقـد تكـون أسـوأ من ذي قبـل. فهـذه الثورة الفرنسية، وهذه الثورة الروسية كيـف كـانت الأوضـاع قبـل وقوعها وكيف الحال الآن؟ وهل استفاد الناس منها؟ وهـل فكّـروا بتحسين أوضاع الشعوب أم مارسوا الاضطهاد والقمع؟)[1]

ثم بين الفروق بين الثورة الإسـلامية وغيرهـا، وهي ارتباطهـا بالدين والروحانية وجميع المعاني السامية، فقال: (إنَّ الثورة التي حصلت في إيران قد وقعت قبلها ثورة في باطن أبناء شعبنا وهذه الثـورة الباطنيـة هي اتجـاه مختلـف طبقـات شـعبنا وفئاتـه نحـو الإسلام الذي لم يبق منه في هـذا العصـر سـوى طقـوس جافـة لا تضرّ أي أحد ولم يفكّر أحد بحـال الشـعوب، وقـد أوكـل أمـر هـذا الدين إلى النسيان، ولكنَّ هذا الشعب وبإرادة اللـه تبـارك وتعـالى وعنايته الخاصة قد تغيّر أوّلًا من الناحية المعنوية، وقد رجع الشبّان من الحـال السـابقة إلى حـال إسـلامية وفهمـوا مـاذا يجب على الإسلام أن يفعل ومـاذا عليهم أن يفعلـوا، وعلى أثـر هـذا حصـلت الثورة، فلو لم يحصل هذا التحوّل والتغيير لكانت حال ثورتنا كحال الثورات الأخرى التي تـرون حالهـا ورأيتمـوه. أن الـذي حصـل هنـا والذي يجب أن نعدّه إحـدى المعجـزات هـو الثـورة الباطنيـة لهـذا الشعب. فالثورة هؤلاء الباطنية لهؤلاء ومعرفتهم للإسلام وتوجههم نحو الله تبارك وتعالى استوجب أن يكون الظرف الذي نعيشه منذ بداية النهضة وتحوّلها فيما بعـد إلى ثـورة ثم انتصـارها حـتى هـذه اللحظة حيث ترون حضور الشعب والتزامه يـزداد يومـاً بعـد يـوم، وهذا ما لم يحصل بسبب هذه الثورة بـل بسـبب الثـورة الباطنيـة، فالثورات كانت في كثير من الأمـاكن، لكنَّ الثـورة الباطنيـة الـتي حصلت في هذا البلد لم تكن إلّا بعناية الله تبارك وتعالى)[2]

بناء على هذا سنذكر هنا مظهرين للثورة الإسلامية، مرتبطان بهذا الجانب، لا نجد نظيرا لهما في التاريخ جميعا.

---

[1] () المرجع السابق، ج19، ص: 412.

[2] () المرجع السابق، ج19، ص: 413.

1 ـ نشر القيم الإسلامية وتربية الشعب عليها:

من أهم مميزات الثورة الإسلامية الإيرانية أنها لم تكتف بالدعوة للإصلاح في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط، وإنما أضافت إليها الدعوة لإصلاح الجوانب التربوية والأخلاقية والروحية والتي لا نجد لها اهتماما في أي ثورة من الثورات، أو دولة من الدول، لاعتبارهم لها من الشؤون الشخصية التي لا يحق التدخل فيها.

ولهذا نرى المغرضين الذين لا يفهمون أسرار الثورة الإسلامية يتوهمون أنها ضد حقوق الإنسان، لأن حقوق الإنسان عندهم تتمثل في التفسخ والانحلال، لا في التقوى والصلاح.. ولهذا لم تنكر تلك الجمعيات على الشاه دعوته للتبرج، واستعماله كل وسائل القمع لذلك، وإنما أنكرت دعوة الجمهورية الإسلامية للحشمة والحجاب وكل القيم الأخلاقية التي جاءت الشريعة للدعوة إليها.

ولهذا نرى الإمام الخميني ينتقد تلك الجمعيات، ويعتبر مواقفها نفاقا وكذبا وتلفيقا، ويضرب المثال على ذلك بمواقفها من دول الاستكبار العالمي، وخصوصا أمريكا، فيقول: (انظروا ماذا ارتكب هؤلاء الأمريكيون الذين وقّعوا على إعلان حقوق الإنسان من جرائم على هذا الإنسان في السنوات الأخيرة، وأنا أتذكّرها أكثر منكم، لكبر سنّي. ماذا حصل للإنسان من مشكلات على يد أميركا، وهي من الدول التي وقّعت على إعلان حقوق الإنسان؟ لقد نصّبت أميركا في كل من بلدان المسلمين مأموراً لها سلب حرية الموجودين في ذلك المكان.. هؤلاء ينادون بحرية الإنسان لتخدير الجماهير، غير أن الجماهير حالياً لا يمكن تخديرها، فالأمور التي يقومون بها ــ بما في ذلك إعلان حقوق الإنسان ـ يقصد منه استغفال الجماهير، تلك الأمور ليست حقيقة، وهم يكتبون شيئاً جميلًا مزخرفاً، يكتبون ثلاثين مادّة كلها لمصلحة الإنسان، ولا يعملون بواحدة منها! لا تطبّق واحدة منها عملياً، هذا هو الاستغفال، وهذا هو الأفيون للجماهير وللشعب) [1]

---

[1] () المرجع السابق، ج3، ص: 296.

وهكذا الأمر بالنسبة لبريطانيا التي اعتبرها العرب قبلــة لهم، وتوهمـوا أنهـا مصـدر كـل القيم الرفيعـة، فقـد قـال عنهـا الإمـام الخميني: (ونحن نرى هذا المعنى ينطبق على إنجلترا التي يبالغون في وصف حضارتها، ويُغالون في وصف ديمقراطيتهـا، وهـذا إعلام كاذب، وشيطنة منهم ليس إلا، فقد دفعوا النـاس بـالإعلام الخـادع إلى التصـديق بــأنّ إنجلــترا تقــف على هــرم الديمقراطيــة، وأن الملكية الدستورية مطبّقة بمعناها الحقيقي في إنجلـترا، وأوهمــوا النـاس بقبـول هـذا المعـنى بـإعلامهم، ونحن رأينـا الجـرائم الـتي ارتكبتها إنجلـترا في الهنـد وباكسـتان ومسـتعمراتها الأخـرى، ومـا فعلت أميركـا بالمسـلمين، ومـا تقدّمـه من الـدعم حاليـاً لربيبتهـا إسرائيل التي أقاموا لها كياناً هناك. نـرى أيـة جـرائم ارتكبـوا على المسلمين والشيعة خاصَّــة.. ومن ناحيـة أُخـرى وضـعوا عميلًا لهم في مصر اسمه السادات الحـاكم الناشـط في تطـبيق مخططـات الاستعمار، وكلّنا نعلم بزيارته لإسرائيل. وفي الخمسين سنةً الـتي نتذكّرها، وهي تمثّل حالـة العـزاء، تمثـل المصـيبة لإيـران بمـا ذاق الشعب من هذه الأسرة الظالمة، قامت إنجلترا ـ المحبّة للإنسان! ــ إنجلـترا الديمقراطيــة الـتي وقّعت على إعلان حقـوق الإنسـان بإيصال رضا خان إلى السلطة وذلك بحسب إقرارها هي، وجعلتنــا عرضة للعناء حوالي عشـرين سـنة، وجعلت الشـعب المسـلم في مشقة)[2]

ولذلك نرى قادة الثورة الإسلامية ينبهـون كـل حين إلى خطـأ تلك المعايير التي يضعها الغـرب وجمعيـات حقوقـه، لأنهـا لا تمثـل القيم الإنسانية، وإنما هي وسيلة للانتكاسة البشرية، يقـول الإمـام الخميني في خطاب له عن الحرية وحدودها أمام جمع من النســاء العــاملات في مؤسســة (كيهــان) الصــحفية: (إن الســادة الــذين يــرددون شــعار (الحريــة)، ســواء الــذين يكتبــون في الصــحف والمجلات أم الفئات الأخـرى الـتي تنـادي بالحريـة، انهم لا يـبينون الحرية بشكل صحيح، أو يجهلونها. فالحرية في كل بلد إنمـا تكـون في إطـار القـانون، في إطـار قـوانين ذلـك البلـد، فالنـاس ليسـوا أحراراً في تجاوز القانون، ليس معنى الحرية أن يتكلم كل إنســان بمـا شـاء ولـو كـان مخالفـاً للقـوانين، مخالفـاً للقـانون الأساسـي

[2] () المرجع السابق، ج3، ص: 297.

للشعب، مخالفاً لقوانين الأمة)

ثم بين الضوابط التي تحمي الحرية من أن تصبح وسيلة للانحراف والفساد، فقال: (الحرية تكون ضمن حدود قوانين البلد. وإيران بلد إسلامي، وقوانينها قوانين الإسلام حتى أن الدستور كان ينص على إلغاء كل قانون يتعارض مع قوانين الإسلام، فالقانون لابد أن يكون موافقاً للإسلام. والقانون الأساسي في إيران لا يمكن أن يكون مخالفاً لكلام نبي الإسلام، أو القرآن؛ فكون الصحف والمجلات حرة لا يعني أن الناس أحرار في أن يفعلوا ما يشاءون.. مثلًا أحرار ممارسة الفحشاء، وأحرار في فتح مراكز للفحشاء.. فهذه الحرية حرية غربية.. أن يفعل كل إنسان ما يشاء ولو كان الفحشاء، ولو كان أمراً مشيناً، إن مثل هذه الحرية لا يمكن أن تكون في إيران، الحرية يجب أن تكون ضمن حدود القانون، لابد من رعاية قوانين الإسلام.. فضمن إطار قوانين الإسلام وضمن إطار القانون الأساسي، يكون الإعلام حراً ويكون التعبير عن الرأي حراً)[1]

ثم بين أن الحرية بمفهومها الغربي الذي تنادي به جمعيات حقوق الإنسان ليس سوى دعوة للإباحية والتحلل من كل المبادئ والقيم الأخلاقية، فيقول: (هؤلاء الذين ينادون بالحرية متأثرون بالغرب، يريدون الحرية الغربية.. هؤلاء الذين يتحدثون عن الديمقراطية، إنهم يتطلعون للديمقراطية الغربية، يريدون الحرية الغربية أي الإباحية.. إن هؤلاء من جملة المتأثرين بالغرب.. إن الصحف حرة في تناول الموضوعات، وطرح المسائل، ولكن هل هي حرة في الإساءة مثلًا إلى مقدسات الناس؟! حرة في سبّ الناس.؟! حرة في اتهام الناس؟ إن مثل هذه الحرية لا يمكن أن تُقبل، حرية التآمر لا يمكن أن تُقبل) [2]

ثم بين أن ذلك لا يمثل مصادرة للإرادة الشعبية، وإنما يمثل تحقيقا لها، ذلك أن الشعب قدم التضحيات في سبيل تحقيق الإسلام في الواقع، يقول: (إن شعبنا بذل كل تلك التضحيات، وكل

1() المرجع السابق، ج7، ص: 381.

2() المرجع السابق، ج7، ص: 381.

تلك الدماء، وتحمل كل هذه المعاناة وأطلق كـل تلـك الصـرخات، إنما فعل ذلك من أجل الإسلام، فالنـاس يريـدون الإسـلام، لـو لم يكن الإسلام لكـان الوضـع الآن لا يختلـف عمـا كـان في السـابق. فالنـاس لا يضـحون ويبـذلون دمـاءهم من اجـل أمـور أخـرى غـير الإسلام) [1]

ثم ذكر بعض النمـاذج عن الشـعب الإيـراني، وهمتـه العاليـة، فقال: (ما زال يأتيني أشخاص يطلبون مني الدعاء لهم بالشـهادة. لأي شيء يطلبـون الشـهادة؟ هـل يريـدون الشـهادة من أجـل أن يتحقق شيء آخر غير الإسلام؟ ديمقراطية غربية مثلًا؟ حرية مثــل حرية مثلما هي في السوفييتي؟ حريـة على النمـط الأمـيركي؟ أم كانوا يريـدون الإسـلام؟.. لـولا الإسـلام لكـان ينبغي لهـؤلاء الـذين ينادون الحرية جميعهم لكان ينبغي لهم أن يعيشوا إمـا في أوروبـا أو في المناطق النائية!) [2]

ثم خـاطب الـذين عـادوا من بلاد الغـرب بعـد انتصـار الثـورة الإسلامية، لكنهم بدل أن ينسجموا معها راحوا يبثون سمومهم في التنفير من مبادئها، والدعوة إلى القيم الغربية، فقال: (إن الإسلام هو الذي أخـرج هـؤلاء من عـزلتهم وأعـادهم إلى البلـد والآن وقـد فسح لهم المجال فإنهم اخـذوا يـرددون الكلام المخـالف لمسـيرة الإسـلام. إن مــا فعلــه الإســلام هــو أنــه حــرركم، أخــرجكم من السجون، وأعـادكم من منفـاكم، أنتم الـذين سـافرتم إلى الخـارج وجلستم تنتظرون حتى سفكت دماء الناس هنا، والآن سنحت لكم الفرصة وعدتم إلى إيران.. إن الـذي فعلـه الإسـلام هـو أنكم الآن أحرار ولكن تنتهزون الحرية للتحدث ضد الإسـلام لإثـارة الشـكوك ضد الذي حرركم! تنتهزون الحرية لتقولوا كـل شـيء إلا الإسـلام، تتكلمــوا بكــل شــيء إلا الإســلام. وإذا تحــدث أحــد عن الإســلام تهاجمونه!. لا ينبغي أن يكون الوضع هكذا) [3]

ولـذلك أمـر بـالحزم والشـدة مـع كـل الـذين يخـالفون القيم

---

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 382.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 382.

[3] () المرجع السابق، ج7، ص: 382.

الدينية، يقول: (إن الصحف والمجلات وجميع المطبوعات في أي بلد، يجب أن تكون في خدمة الشعب، يجب أن تكون مرشدة للشعب، يجب أن تضيء مسير الشعب لا أن تعمل بما يخالف مسير الشعب.. ففي أي مكان في العالم تنتهج وسائل الإعلام والصحافة مسيراً ينسجم مع مسير الشعب ولا تتخلف عنه، وهذا لمصلحتها ومصلحة البلد)[1]

وفي خطاب آخر له جدد نفس تلك التحذيرات من تحريف الثورة الإسلامية عن مطالبها المرتبطة بالدين، وتحويلها إلى أيدي أولئك المستلبين للغرب، الذين يريدون هدم الإسلام باسم الحرية وحقوق الإنسان، يقول: (إنني أحذر الصحفيين، الإذاعة والتلفزيون، الجماعات التي بدأت تمارس نشاطها الآن، هذا تحذير للجميع بأنهم أرادوا عدم خيانة الشعب، إذا أرادوا خدمة البلد، فليتعرفوا على توجهات الشعب وتطلعاته، وليتأملوا في البواعث التي دفعت أبناء الشعب للنزول إلى الشوارع والهتاف (الله أكبر)، والتضحية بشبابهم. لماذا حصل هذا؟ لقد كان من أجل الإسلام. كانوا يريدون الإسلام، لم تكن المسألة فقط أننا نريد الحرية، فالحرية بدون الإسلام لا تريدها إيران، لا يريدها شعب إيران، أن الشعب الإيراني ينشد الإسلام. لتكن الحرية ولكن مثل الاتحاد السوفييتي؟ لتكن الحرية ولكن مثل دولة أخرى؟ أجنبية؟ متى كان شعبنا يريد مثل هذا.؟! أن هؤلاء السادة مخطئون ولا أقول خائنون، وإنما أقول مخطئون، عليهم أن يتلافوا أخطاءهم، يجب أن يكون الجميع متحدين مع بعضهم، مثلما حققوا باتحادهم ما هم فيه الآن)[2]

وبناء على هذا نرى الإمام الخميني يدعو إلى التشدد في اختيار المسؤولين أو في قبول ترشيحات من يرشحون أنفسهم للانتخابات، حتى لا يتولى المسؤولية إلا المتدينون الصادقون في تدينهم، ومن الأمثلة على ذلك قوله في وصيته الإلهية: (من الأمور الضرورية أيضا، تديّن نواب مجلس الشورى الإسلامي، فقد رأينا جميعاً أي أضرار محزنة لحقت بالإسلام وبإيران نتيجة عدم

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 382.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 383.

صلاحية مجلس الشورى وانحرافه منذ الفترة التي تلت النهضة الدستورية وحتى عهد النظام البهلوي المجرم، والتي كان أسوئها وأخطرها عهد ذلك النظام الفاسد المفروض. يا لها من مصائب وخسائر مدمرة حلت بالبلاد والشعب على أيدي هؤلاء العبيد التافهين المجرمين.. لقد أدى وجود أكثرية مصطنعة مقابل أقلية مظلومة خلال الخمسين عاماً الأخيرة من العهد البائد إلى تمكن إنجلترا والاتحاد السوفيتي وأمريكا بعد ذلك من تمرير كل ما أرادوه على أيدي هؤلاء المنحرفين الغافلين عن الله مما جر البلاد إلى حافة الدمار والانهيار. فمنذ ما تلا الحركة الدستورية لم يطبق شيء تقريباً من مواد الدستور الأساسية، وقد تم ذلك قبل عهد رضا خان عبر المأسورين للغرب وحفنة من الذوات والإقطاعيين، وعبر النظام السفاك وحواشي البلاط وأزلامه في عهد النظام البهلوي، أما الآن، وحيث اصبح مصير البلاد وبلطف الله وعنايته وهمة الشعب العظيم بأيد المواطنين انفسهم، حيث اصبح النواب منبثقين من سواد الجماهير يتم انتخابهم لمجلس الشورى الإسلامي دون تدخل الحكومة أو الباشوات، فان المؤمل أن يحول التزامهم بالإسلام وحرصهم على مصالح البلاد دون وقوع أي انحراف)[1]

وهو يوصي الشعب بالاهتمام بهذا الجانب حتى لا يتولى شؤونه إلا الملتزمون، يقول: (لذا فاني أوصي أبناء الشعب أن يصوتوا في كل دورة انتخابية حاضراً ومستقبلًا لصالح المرشحين الملتزمين بالإسلام والجمهورية الإسلامية انطلاقاً من إرادتهم الصلبة والتزامهم بأحكام الإسلام وحرصهم على مصالح البلاد، ولا شك أن مثل هؤلاء المرشحين يكونون غالباً من الطبقات الاجتماعية الوسطى ومن بين المحرومين غير المنحرفين عن الصراط المستقيم نحو الغرب أو الشرق، ومن غير الميالين نحو المدارس العقائدية المنحرفة ومن المتعلمين المطلعين على مجريات الأمور المعاصرة والسياسات الإسلامية) [2]

وهكذا يوصي العلماء بالاهتمام بهذا الجانب حتى لا يتسلل

1() المرجع السابق، ج21، ص: 375.

2() المرجع السابق، ج21، ص: 376.

المتسللون، لتحريف الثورة عن مسارها، يقول: (وأوصـي العلمـاء المحترمين لاسيما المراجع العظام أن لا يعـتزلوا قضـايا المجتمـع، خصوصاً عند انتخـاب رئيس الجمهوريـة أو نـواب المجلس، وأن لا يكونوا غير مكـترثين بهـذه الأمـور. فكلكم رأيتم والأجيـال اللاحقـة ستسـمع بـذلك كيـف قـام ممتهنـو السياسـة من عملاء الشـرق والغرب بعزل الروحانيين اللذين وضـعوا الحجـر الأسـاس للملكيـة الدستورية بعد أن تحملوا المشاق والمعاناة، وكيف أن الروحـانيين أيضا وقعوا في الفخ الذي نصـبه لهم ممتهنـو السياسـة فظنـوا أن التدخل في أمور البلاد والمسلمين لا يليق بمقامهم، فانسحبوا من الميدان تاركين إياه للمأسورين للغرب، الأمر الذي الحق بالحركـة الدسـتورية والدسـتور والبلاد والإسـلام مـا يحتـاج جـبره إلى زمن طويل)(1)

وهكذا نـرى الإمـام الخـامنئي يـذكر كـل حين بهـذه المعـاني، ويبين أن الحكومة الإسـلامية هي الحكومـة القائمـة على الأسـس الأخلاقية، لا تلك التي يدعو إليها المتأثرون بالثقافة الغربية، يقـول في بعض خطبـه: (لم تكن السياسـة هي العنصـر الوحيـد في بنـاء هـذه الأمّـة، بـل كـانت تمثّـل قسـماً من هـذه العمليّـة. والقسـم الأساس الآخر فيها كان يتركّز على بناء الأفراد ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُـولًا مِنْهُمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِـهِ وَيُـزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ﴾ [الجمعـة: 2]، ومعـنى ﴿ وَيُـزَكِّيهِمْ ﴾ [الجمعـة: 2] أنّ الرسول ﷺ كان يعمل على تربية وتزكيـة القلـوب قلبـاً قلبـاً، كمـا كـان يغـذّي العقـول عقلاً عقلاً، وذهنـاً ذهنـاً، بالحكمـة والعلم والمعرفـة، ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ﴾ [الجمعـة: 2]، والحكمـة أعلى درجة ومكانة. فلم يكن النبيّ ﷺ يعلّمهم القـوانين والأحكـام فحسب، بل كـان يعلّمهم الحكمـة أيضـاً، وكـان يفتح عيـونهم على حقائق الوجود. وهكذا سـار النـبيّ ﷺ فيهم لمـدّة عشـر سـنوات.. فمن ناحيـة كـان اهتمامـه منصـبّاً على السياسـة وإدارة الحكومـة والدفاع عن كيان المجتمع الإسلاميّ ونشـر الإسـلام وفتح المجـال أمام تلك الجماعات الّـتي كـانت تعيش خـارج المدينـة، أن يـدخلوا الساحة النورانيّة للإسلام وللمعارف الإسـلامية، ومن ناحيـة أخـرى كـان يعمـل على تربيـة أفـراد المجتمـع. وهـذان الأمـران لا يمكن

---
(1) المرجع السابق، ج12، ص: 360.

فصل أحدهما عن الآخر)[1]

2 ـــ تحقيــق العدالــة الاجتماعيــة وفــق الرؤيــة الإسلامية:

من أهم مميزات الثورة الإسلامية الإيرانية ـ بالإضافة إلى مـا سبق ـ أنها لم تر للعدالة الاجتماعيـة وحقـوق الإنسـان إلا مصـدرا واحـدا هـو الشـريعة الإسـلامية، بخلاف غيرهـا من الثـورات الـتي حصلت في العالم، حتى في بلاد المسـلمين، والـتي تبـنى أكثرهـا، إن لم نقـل جلهـا مصـادر إلحاديـة تـرى الـدين عقبـة دون تحقيـق العدالة الاجتماعية.

ولهذا نرى اهتمام قادة الثورة الإسلامية بـالمزج بين الإسـلام والعدالة والرد في نفس الوقت على كل تلك الـرؤى الـتي يـدعيها سائر الثوريين الـذين يربطـون العدالـة بالشـيوعية أو الليبراليـة أو غيرها من النظريات المادية.

ومن الأمثلـة على ذلـك قـول الإمـام الخميـني: (نحن نسـعى لتحقيق العدالة الإسلامية في هذا البلد، الإسلام الذي لا يرضـى أن يعتدى حتى على امرأة يهودية في حمى الإسلام، وقد قـال الإمـام على أنه يفضل الموت على أن تسلب أمرأة يهودية خلخالها.. نحن نتطلـع إلى هـذا الإسـلام المليء بالعـدل حيث لا يوجـد فيـه ظلم لأحد، الإسلام الذي لا يفرق بين الرئيس والمرؤوس فالجميع أمـام القـانون سواسـية، في الإسـلام لا يحكم سـوى القـانون الإلهي، فالنبي الأكرم ﷺ عمل به وخلفاؤه أيضاً عملـوا بـه والآن علينـا أن نعمل به، الحكم للقانون ولا حكم لأحد حتى لرسول الله أو لخليفة رسول الله، الحكم في الإسلام لله وليس لأحد)[2]

ومن الأمثلـة عنـه مـا ورد في الوصـية الإلهيـة السياسـية من توضيح للفـروق بين النظـام الإسـلامي وغـيره من الأنظمـة، حيث قـال: (من الأمـور الـتي يجب التـذكير بهـا هي أنّ الإسـلام لا يؤيـد الرأسـمالية الظالمـة المطلقـة، والـتي تتـولى حرمـان الجمـاهير

[1] () إنسان بعمر 250 سنة، ص7.

[2] () صحيفة الإمام، ج9، ص: 331.

المظلومة المضطهدة، فهو يدينها بشكل جدي في الكتاب والسـنة ويعتبرها مخالفـة للعدالـة الاجتماعيـة رغم أن البعض من أصـحاب الفهم الأعوج ممن لا اطلاع لهم على نظام الحكومـة الإسـلامية أو المسائل السياسية الحاكمة في الإسلام كانوا وما يزالون يؤكـدون من خلال كتاباتهم وأقوالهم بأن الإسلام يؤيد الرأسمالية والملكيـة المطلقة. الأمر الـذي أدى ونتيجـة الفهم المعـوج إلى طمس وجـه الإسلام النوراني، وفتح الطريق أمام المغرضين من أعداء الإسلام لمهاجمة الإسلام واعتباره نظاماً يشبه الرأسمالية الغربية، كنظـام أمريكـا وبريطانيـا والنـاهبين الغربـيين الآخـرين، مسـتندين في معارضتهم للإسلام على أقوال هـؤلاء الجهلـة وأفعـالهم مغرضـين في اسـتنادهم هـذا أو عن بلاهـة ودون الرجـوع إلى العـارفين بالإسلام الحقيقي)[1]

وهكذا، فإن الإسلام ـ كما يذكر الإمام الخميني في وصيته ـ لا يشابه النظام الشيوعي، يقول: (كـذلك فـإن الإسـلام ليس نظامـاً كالنظـام الشـيوعي والماركسـي اللينينـي، الـذي يقمـع الملكيـة الفردية.. والذي استتبع ديكتاتوريـة واسـتبداداً مـدمرين. فالإسـلام نظام معتدل يعترف بالملكية الفردية ويحترمها بنحو يتحـدد بإطـار نشوء الملكية وطـرق إنفاقهـا وبالأسـلوب الـذي يـؤدي إلى دوران عجلـة الاقتصـاد إذا تم الالـتزام بـه على حقيقتـه وتحقـق العدالـة الاجتماعية التي تعدّ لازمة لأي نظام سليم) [2]

ومن الأمثلة عنه ما أجاب به الإمام الخميـني ــ إبـان تواجـده في باريس ـ بعض الصحفيين حول سؤال عن الأسس الـتي يقـوم عليها (الاقتصـاد في النظـام الإسـلامي؟.. وهـل سـيُلغى الربـا في قطاع المصارف؟ وكيف ترون حق الملكية فيما يتعلق بالإصلاحات الزراعية؟]، فقد قال: (الربا في الإسلام حرام، ويجب أن لا يـدخل في الاقتصاد الإسلامي بـأي وجـه من الوجـوه.. أمـا الملكيـة، فهي مقبولة في الإسلام لكنه نظم هذا الحـق، وحـدد شـروط ظهـوره، وهــذه الأحكــام هي الــتي تمــيز النظــام الاقتصــادي الإســلامي والعلاقــات الاقتصــادية في المجتمــع الإســلامي من النظــام

1() المرجع السابق، ج21، ص: 391.

2() المرجع السابق، ج21، ص: 392.

الرأسمالي والعلاقات الاقتصادية المعاصرة في العـالم.. وإذا تمت مراعاة هذه الشروط والحدود لن يواجه المجتمـع معضـلات عـالم الرأسمالية المعاصر، وعدم عدالته، ولن تسلب الحكومة الإسلامية الناس حرّيتهم بالذرائع المختلفة)[1]

ثم بين أهم الأسس التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلامي، وهـو كونـه مبنيـا على المبـادئ والقيم الإسـلامية جميعـا، يقـول: (يجب النظر إلى الاقتصاد الإسلامي ضمن مجموعة القوانين والمقـررات الإسلامية في جميع المجالات والشؤون الفردية والاجتماعية، ففي الإسلام لا يمكن حل جميع المشكلات والتعقيدات في حياة البشـر بتنظيم العلاقات الاقتصادية فقط، فهذا لن يحصـل، بـل يجب حـل المشـكلات في نطـاق نظـام إسـلامي كلي لا يهمـل النظـر إلى الجوانب المعنوية، فهي الدواء لكل داء) [2]

ثم ختم جوابه المختصر بقوله: (إننـا مؤمنـون بـأن المدرسـة الفكرية الوحيدة القادرة على هداية المجتمع ودفـع عجلـة التقـدم فيه هي الإسلام.. وإذا ما أراد العالم أن ينجو من آلاف المشـكلات التي تعيق حركته في هذا الزمن وأن يحيا حياة إنسانية حقة، فـإن عليه أن يتجه إلى الإسلام)[3]

وهكذا يذكر الموقـف من العمـال والمستضـعفين بين الرؤيـة الإســلامية وغيرهــا من الــرؤى، فيقــول: (انظــروا إلى زعمــاء المعسـكر الاشـتراكي! إن الادعـاءات والشـعارات كثـيرة. فلقـد اطلقــوا طيلــة التــاريخ الشــعارات والادعــاءات، ولكنكم عنــدما تلاحظون أوضاعهم، وسلوكهم مع العامل ونظرتهم إليـه فسـترون الفرق الكبير، ولاحظوا أيضـا الرأسـمالية ومـا تفعلـه، لقـد اتخـذتا كلتاهما من العامـل وسـيلة لاسـتغلالهما. فكلا هـذين المعسـكرين اتخـذا العامـل أداة؛ ذاك بطريقـة، وهـذا بطريقـة أخـرى لتحقيـق مصالحهما. ففي البلدان الاشتراكية اعتبروا العامل بمثابة حيوان ـ علماً أنني لا استطيع أن استخدم هذا التعبير بشأن العامل ـــ حيث

[1] () المرجع السابق، ج5، ص: 294.

[2] () المرجع السابق، ج5، ص: 294.

[3] () المرجع السابق، ج5، ص: 295.

يجب أن لا يمتلك أي شيء، ولا يعطى له شيء سوى الطعام؛ وأن يعمل، وعندما لا يستطيع فعل شيء فانه يطرد بل ويلقى في البحر كما يرى بعضهم! وأما المعسكر الآخر فقد تلاعبوا بكم هم أيضا؛ تلاعبوا بالعمال، في حين انهم يسرقونهم من طريق آخر) (1)

وفي مقابل هذا يشرح الرؤية الإسلامية التي تعطي العامل كل أنواع التكريم، يقول: (لقد أولى الإسلام القيمة للعامل، ومنحه مكانة سامية واحتراما فائقا؛ فهو يصف العامل والفلاح كما يصف العالم والمجاهد، ويقول انهم متساوون كأسنان المشط ــ حيث كانت أسنانه كذلك في ذلك الوقت ـ كما يصرح القرآن الكريم أن لا امتيازات لهذه القضايا وهي امتلاك رأس المال والسلطة وما إلى ذلك، فالقيم والمكانات بالتقوى وبالقيمة الإنسانية) (2)

وفي خطاب له بتاريخ 1 جمادى الثانية 1406 هـ وبحضور السيد علي الخامنئي الذي كان حينها رئيسا للجمهورية، يضرب لهم المثل بالمسؤولين في الجمهورية الإسلامية، فيقول: (على هؤلاء السادة الذين جاءوا من الخارج ـ وأشكرهم على ذلك ــ أن يلاحظوا أنهم في أي مكان من العالم يجدون هذا الاجتماع حيث يجلس فلّاحه إلى جنب رئيس جمهوريته، ورئيس وزرائه إلى جنب عامله ومسؤولون بعضهم جنب بعض بشكل يجعل الداخل إليه لا يدري من هو رئيس الجمهورية؟ ولا من رئيس الوزراء؟ ولا من الفلّاح؟ أين تجدون مثل هذا؟ إن هذا التحوّل هو الذي أوجب ظهور هذا الإعجاز، أين تجدون رئيس الجمهورية يجلس جنباً إلى جنب مع الفلّاح؟ فأنتم أينما تنظرون تجدون رؤساء الجمهوريات في وضع لا ارتباط لهم بالناس، ولا يحسبون الناس جزءاً من الكائنات، إنهم لا يرون إلّا أنفسهم، لقد رأينا نحن الأنظمة السابقة ولقد شاهدت أنا منذ زمن النظام القاجاري ثم نظام رضا خان وأذنابه وأولاده ورأيت ماذا كانت تفعل حكومة صغيرة بشعب بلد صغير، وأيدي الناس لم تكن لتصل إلى حكومة قرية أو حكومة قصبة، بل كانوا يرون كوكبتها من بعيد، وكان أولئك الحكام لا

1() المرجع السابق، ج16، ص: 181.

2() المرجع السابق، ج16، ص: 182.

يهتمـون بالنـاس ولا يقيمـون لهم ورنـاً بـل كـانوا يعتمـدون على رؤوس الحـراب، والوضـع الآن في الـدنيا هـو هكـذا، لا أن يعقـد اجتماع يحضره رئيس الوزراء والفلّاح ورئيس الجمهوريـة والعـالم وغير العـالم ويجلسـون جنبـاً إلى جنب، فهـذا التحـوّل تسـبّب في ظهور النصر)(1)

وهكذا نرى الإمام الخامنئي يحذر من ربط العدالة الاجتماعية أو أي قوانين بغـير الـدين، باعتبـار الـدين لا علاقـة لـه بالسياسـة، فيقول: (لقد اعتبر بعض الناس أنّ الإسلام مسألة فرديّة، وفصلوه عن السياسـة في حين أنّ نـبيّ الإسـلام المكـرّم ﷺ في بدايـة الهجرة، ومن اللحظـة الأولى الّـتي تمكّن فيهـا من النجـاة بنفسـه من مصاعب مكّة، فـإنّ أوّل مـا قـام بـه هـو السياسـة. إنّ إقامـة المجتمع الإسلاميّ وتشكيل الحكومة والنظام والجيش الإسـلاميّ، وإرسال الرسائل إلى حكّـام العـالم الكبـار، والـدخول في معـترك السياسـة العظيم آنـذاك، تُعـدّ كلهـا من شـؤون السياسـة. فكيـف يمكن فصل الدين عن السياسـة؟! وكيـف يمكن إعطـاء السياسـة معنىً ومضـموناً وشـكلاً بِيَـد غـير يـد الهدايـة الإسـلامية؟! ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [الحجـر: 91]، ﴿ أَفَتُؤْمِنُـونَ بِبَعْضِ الْكِتَـابِ وَتَكْفُـرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقـرة: 85] إنهم يؤمنـون بـالقرآن، لكنهم لا يؤمنـون بسياسـته! ﴿لَقَـدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَـاتِ وَأَنْـزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25].. فما معنى القسط؟ إنّ القسط يعني إقرار العدالة الاجتماعيـة في المجتمـع. فمن الّـذي يسـتطيع تحمّـل هـذا العبء؟ إنّ إقامـة مجتمـع يعمّـه العدل والقسط هو عملٌ سياسيّ يقوم بـه مـدراء البلاد، وهـذا هـو هدف الأنبياء جميعاً. فليس الأمر مقتصراً على نبيّنـا فقـط، بـل إنّ عيسى وموسى وإبراهيم وجميع الأنبياء الإلهيين عليهم السلام قـد بُعثوا من أجل العمل السياسيّ وإقامة النظام الإسلاميّ)(2)

ثم بين نواحي التأسي برسول الله ﷺ في هذا الجانب، فقال: (إنّ سيرة النبيّ الأكرم ﷺ في مرحلـة السـنوات العشـر لحاكميّـة الإسـلام في المدينـة، تُعـدّ من ألمـع عهـود الحكم طيلـة التـاريخ

(1) المرجع السابق، ج19، ص: 414.

(2) إنسان بعمر 250 سنة، ص8.

البشريّ، ولا نقول ذلك جزافاً، وإنّما يجب التعرّف إلى هذا العهد القصير والمليء بالنشاط والّذي له تأثيرٌ خارقٌ على تاريخ البشرية) (1)

ثم وصف ما حصل في تلك الفترة التي يمكن أن تصبح منارة للبشرية جميعا، فقال: (السنوات العشر الّتي قضاها النبيّ ﷺ في المدينة فهي تمثّل سنيّ إرساء قواعد النظام الإسلاميّ وبناء أنموذج الحكم الإسلاميّ لجميع أبناء البشرية على مرّ التاريخ الإنسانيّ في مختلف الأعصار والأمصار. وهذا الأنموذج الكامل، لا نجد له نظيراً في أيّ حقبة أخرى. وبمقدورنا من خلال إلقاء نظرة على هذا الأنموذج الكامل تحديد المعالم الّتي بها ينبغي للبشر وللمسلمين الحكم على الأنظمة وعلى الناس) (2)

ثم ذكر من تلك المعالم تحقيق العدالة الاجتماعية في أرقى صورها، يقول: (لقد كانت غاية النبيّ ﷺ من هجرته إلى المدينة هي مقارعة الواقع السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ بظلمه وطاغوتيه وفساده الّذي كان مهيمناً على الدنيا آنذاك، ولم يكن الهدف مكافحة كفّار مكّة فحسب، بل كانت القضية ذات بعد عالميّ أيضاً. كان النبيّ الأكرم ﷺ يتعقّب هذا الهدف، فكان يغرس بذور الفكر والعقيدة أينما وَجد الأرضية المساعدة لذلك، على أمل أن تنبت تلك البذور في الوقت المناسب. وكانت غايته من ذلك إيصال رسالة الحريّة والنهوض وسعادة الإنسان إلى كافّة القلوب. وذلك يتعذّر إلاّ عن طريق إقامة النظام النموذجيّ القدوة. لذلك فقد جاء النبيّ ﷺ إلى المدينة لإقامة مثل هذا النظام النموذجيّ. لكن إلى أي مدى تسعى الأجيال اللاحقة لمواصلة ذلك والاقتراب من هذا النموذج، فذلك منوط بهممها ومساعيها.. فالنبيّ ﷺ يبني النموذج ويقدّمه للبشرية والتاريخ) (3)

ثم ذكر المعالم التي تأسس عليها النظام الّذي شيّده النبيّ

1() المرجع السابق، ، ص9.

2() المرجع السابق، ص9.

3() المرجع السابق، ص10.

ﷺ واختصرها في سبعة معالم، هي[4]:

1. الإيمان: ويتمثّل في نفخ روح الإيمـان وتقويتـه وترسـيخه وتغذية أبناء الأمّة بالمعتقد والفكر السليمين، وهذا ما باشره النبيّ ﷺ في مكّة ورفع رايته في المدينة بكلّ اقتدار.

2. العدل والقسط: فمنطلق العمل كـان يقـوم على أسـاس العدل والقسط وإعطاء كلّ ذي حقّ حقّه دون أدنى مداهنة.

3. العلم والمعرفة: فأساس كلّ شيء في النظام النبويّ هـو العلم والمعرفة والـوعي واليقظـة، فهـو لا يحـرّك أحـداً في اتّجـاهٍ معيّن حركةً عمياء، بل يحـوّل الأمّـة عن طريـق الـوعي والمعرفـة والقدرة على التشخيص، إلى قوّة فعّالة لا منفعلة.

4. الصـفاء والأخـوّة: فالنظـام النبـويّ ينبـذ الصـراعات الّـتي تغذّيها الدوافع الخُرافية والشخصية والمصلحية والنفعية ويحاربها.

5. الصلاح الأخلاقيّ والسلوكيّ: فهو يزكّي النـاس ويطهّـرهم من رذائل الأخلاق وأدرانها، ويصنع إنساناً خلوقاً ومزكّىً، فالتزكيـة هي أحد المرتكزات الأساس الّتي كـان يسـتند إليهـا النـبيّ ﷺ في عمله التربويّ مع أبناء الأمّة فرداً فرداً لبناء الإنسان.

6. الاقتدار والعزّة: فالمجتمع والنظام النبويّ لا يتميّز بالتبعيّة والتسوّل من الآخـرين، بـل يتميّـز بعزّتـه واقتـداره وإصـراره على اتّخاذ القرار؛ فهو متى ما شخَّص موطن صلاحه سعى إليـه وشـقّ طريقه إلى الإمام.

7. العمل والنشاط والتقدّم المطّـرد: فلا مجـال للتوقّـف في النظام النبويّ، بل الحركة الدؤوبة والتقدّم الدائم. ولا معـنى لـدى أبنائـه للقـول إنّ كـلّ شـيء قـد انتهى فلـنركن إلى الدّعـة! وهـذا العمل ـ بطبيعة الحال ـ مبعث لذّة وسـرور وليس مـدعاة للكسـل والملل والإرهـاق، بـل هـو عمـل يمنح الإنسـان النشـاط والطاقـة والاندفاع.

وهذه المعالم السبعة هي التي تتحقق بها العدالة الاجتماعية،

[4]() المرجع السابق، ص11.

والنظام الاجتماعي، وهي التي يدعو كل قادة الثورة الإسلامية إلى تحقيقها في الواقع، لتأسيس الحكومة النبوية من جديد.

الفصل الرابع

الثورة الإسلامية.. والأساليب الحكيمة

الركن الرابع من أركان انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، ومثلها انتصار أي ثورة، توفر الأساليب الحكيمة والخطط الدقيقة التي تيسر للثورة نجاحها في تحقيق أغراضها من غير أن تشوه صورتها، أو تتنازل عن مبادئها في سبيل ذلك.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الركن في كل المواضع التي تبين الممارسات الدعوية للأنبياء عليهم السلام، وهي ممارسات تمزج بين الخطاب العقلي، والتأثير العاطفي، والتنظيم المحكم، والتخطيط الدقيق، وكل الأساليب والوسائل الممتلئة بالسلام والحكمة، والتي يجمعها جميعا قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: 125]

ولعل أحسن أسوة تجتمع عنده كل تلك الأساليب الحكيمة هو رسول الله ﷺ والذي لم يدع طريقة ولا منهجا ولا دربا يمكنه أن يحقق تلك الثورة التغييرية الكبرى إلا مارسه.

ولهذا نجد قادة الثورة الإسلامية يدعون كل حين إلى التأسي برسول الله ﷺ، واعتباره ـ مثل سائر الأنبياء والأئمة عليهم السلام ـ نموذجا للحركة التغييرية، مثل اعتبارهم نموذجا لمطالبها.

ولهذا لم تقع الثورة الإسلامية فيما وقعت فيه الحركات الإسلامية التي تتبنى نفس مطالبها.. فلم تظهر في ثورة إيران ـ بقيادة الإمام الخميني ـ تلك الحركات المسلحة، ولا تلك الأحزاب التي تريد أن تصل إلى السلطة عبر الانتخابات، وإنما كان المنهج المتبع لتحقيق المطالب هو منهج الأنبياء بكل تفاصيله.

ولهذا نرى الإمام الخميني يكثر من ذكرهم، ويدعو إلى التأسي بهم في كل الحركات التي قاموا بها، حتى لا يندس المندسون، ويغيروا مسار الحركة، بحجة [الغاية تبرر الوسيلة]

مثلما حصل لغيرهم من الإسلاميين.

بناء على هذا سنذكر هنا أربعة نماذج عن الأساليب التي مارستها الثورة الإسلامية، وتأسست فيها بما ورد في المصادر المقدسة، وهي تشمل ما يلي:

1. التأثير الروحي: ونقصد به ربط الثورة بالقيم الإيمانية والروحية، والاستعانة بالله، واستعمال كل الوسائل المشروعة، باعتبار الثورة نوعا من العبادة لله.

2. التخطيط العلمي: ونقصد به دراسة الواقع وكل المؤثرات المرتبطة به، وعدم الوقوع في الأخطاء التي وقعت فيها التجارب السابقة في إيران أو غيرها، والتي أعادت الأمور إلى ما كانت عليه.

3. الإقناع العقلي: ونقصد به تلك الأساليب والحوارات التي استعملها قادة الثورة الإسلامية في حديثهم مع الشعب، أو مع المناوئين لهم، والممتلئة بالحكمة والعقلانية.

4. الحركة الواعية: ونقصد به تحريك الشعب جميعا لتحقيق المطالب، وطلب التغيير والإصلاح، والسير في ذلك وفق توجيهات قيادته.

وقد تناولنا هذه المعاني من خلال العناوين التالية:

أولا ـ الثورة الإسلامية.. والتأثير الروحي:

من أجمل المظاهر التي اتسمت بها الثورة الإسلامية ابتداء من قادتها، وانتهاء بالشعب الذي تحرك في مسارها، تلك الروحانية العجيبة التي لا نجد لها نظيرا في كل الثورات، ولا في كل الحركات حتى تلك التي تزعم لنفسها الدعوة للحكم الإسلامي.

فعند مطالعة تراث قادة الثورة الإسلامية نجد التواضع والعبودية ونسبة كل فضل لله، ونجد معها اعتذارا كبيرا عن التقصير في حق الله على خلاف ما تفعله الثورات التي يتحول المنتصرون فيها إلى مستبدين لا يقلون عن المستبدين الذين ثاروا

عليهم.

والثورة الإسلامية بذلك تحقق تلك المعاني الروحانية الجميلة التي نص عليها قوله تعالى: ﴿إِذَا جَـاءَ نَصْـرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَـــدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًـــا (2) فَسَـــبِّحْ بِحَمْـــدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: 1 - 3]

فالسورة الكريمة تصف بدقة تلك الحال الروحانية التي كــان عليهـا قـادة الثـورة الإسـلامية سـواء قبـل الانتصـار أو بعـده، فهم ينسبون كل فضل لله تعـالى ابتـداء وانتهـاء، ويعلنـون اسـتغفارهم كل حين من أي تقصير وقعوا فيه.

وسنذكر هنا نماذج عن ذلك سواء في بيـان دور هـذا الجـانب في تحقيق الانتصار، أو في الدعوة للمحافظة عليه باعتباره صمام أمان الانتصار.

1. الجانب الروحي ودوره في تحقيق الانتصار:

من خلال مطالعة كلمات قـادة الثـورة الإسـلامية، وخصوصـا تلك التي تتعلق بوصف الانتصار التاريخي الذي كان الجميع مجمعا على عدم إمكانية تحققه بالصـورة الـتي تحقـق بهـا، نجـد تواضـعا كبيرا، وروحانية سـامية، تتخلى عن كـل ألـوان الأنـا، لتنسـب كـل شيء لله.

ومن الأمثلة على ذلك قـول الإمـام الخميـني في خطـاب لـه بتاريخ 1 جمادى الثانية 1406 هـ في ذكرى انتصار الثورة (عشـرة الفجر): (إننا لا نملك شيئاً من عندنا، وكل الـذي كـان هـو عنايـات الله التي استوجبت ظهور هذه الثورة الباطنية التي حوّلت الشعب كله من الحال السابقة التي نعرفها كلنا إلى الحال المتغـيرة الـتي ترونها الآن مما أدى إلى انتصار الثورة) [1]

ثم بين أن الثــورة الظـــاهرة لم تكن لتحـــدث لـــولا الثـــورة الباطنة، الـتي هي ثـورة الـروح، يقـول: (يجب علينـا أن نبحث عن النصر في الثورة الباطنية للناس، ومـا لم يتحقـق هـذا الأمـر فـإنَّ الثورات لا تتعـدى نقـل السـلطة من نظـام إلى نظـام آخـر ويبقى

[1] () صحيفة الإمام، ج19، ص: 414.

وضع الشعب على حاله السابق)

ثم ذكر أن تلك الثـورة لم تكن لتحصـل بجهـود قادتهـا، وإنمـا الفضل الأول والأخير فيها لله، يقول: (إنني أشكر الله على كـوني واحداً من أبناء هذا الشعب وخادماً لهذا الشعب الـذي حصـل فيـه هذا التحوّل والتغيير المعنوي الذي هـو من اللـه، وإلّا فكيـف يمكن أن يتحوّل شخص من مركز الفحشاء إلى مركز العبادة والعرفـان، وإلى مركز مقاتلة الكفار، فلو اجتمعنـا كلنـا على أن نمنح عشـرة أشخاص مثل هـذه القـدرة لمـا تمكنّا من ذلـك على الإطلاق، لأن هذا أمر معنوي وهو بيد الله كما أن كل شيء بيده، وهـذا التحـوّل تحوّلٌ نموذجي في العالم، فأنتم تلاحظون أنه لم يكن أي شعب أو أية حكومة بهذا الوضع على طول التاريخ)[1]

ثم راح كعادته يـدعو شـعوب العـالم إلى الاسـتفادة من هـذه المـيزة في الثـورة الإسـلامية الإيرانيـة، وتطبيقهـا لتخـرج من نـير الظـالمين، يقـول: (على السـادة القـادمين من الخـارج أن يربّـوا شعوبهم ويغيّروهم، ولا يتبعوا الجبـابرة ولا يتفاوضـوا معهم، عليهم أن يتوجهوا إلى ما يقوله الشعب ويتحدثون إليه.. فهـذه الجمـاهير الـتي رأيتموهـا في كـل مكـان، في كـل مدينـة تفضـلتم بزيارتهـا، وسـوف تشـاهدونها غـداً إن شـاء اللـه، هـل جيء بهـا بالضـغوط والإكراه كما يقول الإعلام الأجنبي أم أنها جاءت من تلقاء أنفسها؟ أية قـوّة تقـدر أن تجلب شـعباً بأكملـه؟ فالشـعب عنـد مـا يتحـوّل ويتغيّر ويقال له إن الشرع يقول كـذا، واللـه يقـول كـذا فـإنَّ اللـه تعالى يقذف في قلبه الحب والرغبة، فاذهبوا أيها السادة واجعلـوا شعوبكم شعوباً إلهية وأيقظوهم وأفهموهم أن الدنيا في يـد أقليّـة ظالمة ومليـارات الأشـخاص المظلـومين يرزحـون تحت نـير هـذه السلطات الصغيرة بالنسبة للشعوب) [2]

ويضرب الإمام الخميني لتلك الوفود الأجنبيـة وغيرهـا المثـال بالشعب الإيراني الذي استطاع بفضل توجهـه الـروحي أن ينتصـر، وأن يحصل على معونة اللـه ومـدده للانتصـار، يقـول: (حصـل في

---

[1] () المرجع السابق، ج19، ص: 415.

[2] () المرجع السابق، ج19، ص: 415.

إيران تحوّل روحي جاء من غلبتكم للطاغوت وكسرِكم إيَّاه كَسْـراً حيَّر الدنيا كلها على قولكم، وكان هذا التحول يفوق ذلـك التحيّـر.. تجلَّى في إيران تحوُّل روحي جعل هذا الشعب الذي كـان يخشـى شـرطياً ينصـبّ في الشـوارع شـيباً وشُـبّاناً هاتفـاً: نحن لا نريـد الملِك.. كان يخشى الشـرطيّ أمسِ، واليـومَ أصـبح هكـذا.. وهـذا التحوُّل الروحي عطية من عطايـا اللـه، فشـعب كـان يعمـل ألـف حساب وحساب في معاملاته خشية الزيـادة والنقص صـار يسـلُك هذا السلوك الإنساني في برهة من الزمان مؤلّفاً بين أبنائه)[1]

ثم يذكر نموذجا للتحول العميق الذي حصل للشعب الإيراني، والذي استحق به النصر الإلهي العظيم، فقال يذكر بعض الحوادث نـاقلا لهـا عن بعضـهم: (رأيت امـرأة في المظـاهرات حين كـانوا يتظـاهرون بيـدها مـاعون فيـه نقـود، فحسـبتها فقـيرة، حـتى إذا وصلتها رأيتها تقول: اليوم عطلة، وهؤلاء الذاهبون الآن ربّمـا يريـد بعضهم أن يتكلّم بالهاتف، وليس معهم نقود، فأعددت هذه النقـود لهم) [2]

ثم علق عليه بقوله: (هذا عمل صـغير، لكنّـه كبـير جـدّا.. إنـه لتحوُّل فائق العظمة في برهة من الزمان هي الوقت الـذي كـانت فيه الثورة والضغط عليها، الوقت الذي ـ على ماكنتُ أسمع ـ كان فيه هؤلاء السادة يمرّون في الشوارع يعبرونها تُبذَل لهم الرغـائب من الأطراف والبيوت، يسقونَهم، يُعَطّرونهم، يطعمونهم.. لقد نشأ حسُّ التعاون الإنساني في حال الثورة، وكانت عظمة هذه الثـورة الروحية أكـبر من عظمـة تلـك الثـورة الواقعـة في الخـارج.. ولـو حفظنا هذه الثورة وحفظها السادة، لَعلموا أنّها أعظم الانتصـارات كلها) [3]

ولهذا أيضا كان يحذر من كل سلوك يؤذي الثورة، أو يصـورها بصورة غير لائقة، يقول: (احفظوا هذه الثورة الروحية، لقد حققنـا الآن جانباً من النصر، وهو رفـع الموانـع، وقـد سـبق إضـراب وقِلَّة

---

[1] () المرجع السابق، ج8، ص: 20.

[2] () المرجع السابق، ج8، ص: 20.

[3] () المرجع السابق، ج8، ص: 22.

دخل، فلا يجوز لكم أن تتلافوا ذلـك، وتعوّضـوا مِن إضـرابِكم بنهب أموال الناس. فإن يحصل مثل هذا، تذهب تلك الروحيـة الإسـلامية الإلهية، وإن تفقد تلك الروحية، نفقد النصر أيضا. هـذا مـا يجب أن تحفظوه، هذا التحوّل الروحي يجب أن تحفظوه، ولا يقولوا: انتهى ما كـان، فكيـف نسـتقبل مـا يكـون.. لا ينبغي أن يمضـي كـل إلى علمه، ويمارس كل كسبه بنحو يأتينا فيه الناس كـل يـوم كثـيراً أو قليلًا يشـكون الغلاء وارتفـاع الأسـعار وانتشـار التهـريب وتعـاطي الهيروين والخشخاش، فإن انحسر ذلك التحوّل الروحي الذي ساد في برهة من الزمـان، واقتـادكم إلى الأمـام؛ إن انحسـر هـذا ــ لا سمح الله ــ عـادت إليكم السـيئات الأخـرى، ورجعت عنكم عنايـة الله.. عناية الله بهذا الشعب أعطتنا هذا النصر، لم يفعل أحـد منّـا شيئاً، لا أحد، الله أكرمنا لا غيره، وكل الموجـود منـه، وهـو أنجـزه لنـا.. وعنـدما ظهـر حسـن التعـاون بين النـاس التفت اللـه إليهم برحمته، فالله ـ تبارك وتعالى ــ لطـف بعبـاده الضـعفاء، فبعـد أن وُجد هذا الإحساس بالتعاون أعقبته الرحمة الإلهيـة.. ورحمـة اللـه هذه وعنايته هما اللتان أبلغتاكم هذا النصر، فاجتهدوا في حفظـه.. فإن حفظتموه كان لكم إلى الآبدين، وأن نفتقِدْه ـ لا سـمح اللـه ـ فلن أعلم ما سيكون)[1]

وهكذا قال في خطـاب آخـر لـه يـبين فيـه محركـات ودوافـع الثورة: (نحن مكلفون شرعاً بمواجهة هذا الظلم وحمايـة الإسـلام من التحريف وواجبنا هو الوقوف في وجـه البـدع المسـتحدثة، ولا فرق هنا بين أن نكون غالبين أو لم نكن) [2]

ثم بين دور هـذه العقيـدة في تحقيـق الانتصـار، خلافـا لكـل التحليلات، فقال: (لقد أشار المحللون في كافـة أنحـاء العـالم إلى استحالة انتصار ثورتنا ولكنهم تجاهلوا جميعاً مسألة مهمة وهي أن الثورة في سبيل الله تختلف عن غيرها من الثـورات.. على هـؤلاء أن يـدركوا الفـرق الشاسـع بين هـذين النـوعين من الثـورات، بين الثورة الإلهية والثـورة غـير الإلهيـة.. إن اللـه هـو الـداعم والمؤيـد الحقيقي للثورة في سبيله ولا جـدوى للبندقيـة والدبابـة في ثـورة

[1] () المرجع السابق، ج8، ص: 23.

[2] () المرجع السابق، ج13، ص: 109.

كهذه، ولا يمكن لقوة وسلاح ما مهما كان فتاكاً أن يواجه قدرة الله وجبروته) (1)

ثم وصف ثورة الشعب الإيراني وارتباطها بالإيمان، فقال: (لقد هب شعبنا العظيم في كافة أنحاء البلاد رافعاً راية الإسلام ملتفاً حول كلمة الله العليا من أجل القضاء على النفاق والظلم وإقامة حكومة العدل الإسلامية، فكانت بحق ثورة في سبيل الله تسابق فيها أفراد الشعب للتضحية بالمال والدم وسطروا فيها أروع ملاحم البطولة. كيف تمكن شعبنا من فعل ذلك؟ وأية أسلحة مكنته من الانتصار؟.. كان العدو يتمتع بدعم كبير من أمريكا والاتحاد السوفيتي وتأييد من غالبية الحكومات الإسلامية وبقوة عسكرية متطورة وحديثة بحيث كان القوة الأولى في المنطقة. بينما كان الله معنا مؤيداً ومسانداً وحامياً) (2)

ثم بين دور المدد الغيبي في تحقيق الانتصار، فقال: (اعلموا أيها الإخوة أنه لولا الإمدادات الغيبية لتمكن العدو من سحق إيران في ليلة واحدة. لقد صرح الشاه قبل فراره قائلًا أنه لو اضطر للفرار فسيهدم ويخرب كل شيء في هذا البلد قبل رحيله، ولكن الله سبحانه وتعالى ألقى في قلوبهم الرعب والخوف وصرف أذهانهم عن ارتكاب جريمة كبرى وهي قصف طهران وبقية أنحاء البلاد بوحشية. كان العدو قادراً على فعل ذلك لما يملكه من أسلحه وعتاد ولكن الرعب والخوف الذي سكن قلوبهم جعلهم يفكرون بالفرار متخبطين) (3)

ثم قارن بين ذلك التأييد الذي حصل لإيران، وجعلها تنتصر بالتأييد الذي حصل لرسول الله ﷺ، فقال: (إن ما حدث اليوم هو أشبه ما يكون بما حدث في صدر الإسلام حيث كان للرعب الذي يلقيه الله في قلوب المشركين أشد الأثر في بلوغ النصر والفتح وانتصار الفئة القليلة على الفئة الكبيرة بإذن الله)(4)

1() المرجع السابق، ج13، ص: 110.

2() المرجع السابق، ج13، ص: 110.

3() المرجع السابق، ج13، ص: 110.

وفي خطـاب آخـر لـه بين دور الإخلاص والصـدق في تحقيـق الانتصار، فقال: (لو أردتم أن تصـل أعمـالكم الـتي عملتموهـا للـه إلى النتيجــة المطلوبــة فعليكم أن تتخلّــوا عن الأهــواء النفســية، فالشيطان لا يتخلى عن الإنسان لأنّه قد تحدّى الله وأقسم بأنّــه لا يــترك العبــاد وشــأنهم بــل ســيغويهم أجمعين ﴿إِلَّا عِبَـادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: 40]، فأنتم تواجهون مثـل هـذا العـدو اللـدود فاتجهوا لمحاربته الآن وعند ما تعودون إلى مدنكم أطلعـوا النـاس على أنهم يواجهـون مثـل هـذا العـدو البـاطني الـذي أدّى إلى أن يتسلط علينا الجبابرة الظاهرون فلو قضيتم على هذا العـدو لحـلّ الوئام والوحدة والأخوة بينكم ولزال الخـوف من قلـوبكم وفـرغت من حبّ الـدنيا ولتمكنتم من إنجـاز الأعمـال كلهـا وهنـاك تحصـل المعجزة)[5]

2. الجــانب الــروحي ودوره في المحافظــة على الانتصار:

أدرك قادة الثورة الإسلامية أن النصر الذي جاء بفضـل اللـه، وبسبب تحقق الروحانيـة في المجتمـع، لا يمكن الحفـاظ عليـه إلا بالحفاظ على تلك الروحانية، ولهذا نجد توجيهاتهم الكثيرة في هذا الجانب.

ومن الأمثلــة على ذلــك تلــك الخطابــات الكثــيرة للإمــام الخامنئي، والتي مارس فيها نفس الدور التوعوي والـتربوي الـذي قام به الإمام الخميني، حيث لا يكاد يخلو خطاب منهـا من الـدعوة للاهتمام بالأبعاد الروحية، واعتبارها صمام أمان الثورة الإسلامية.

ومن ذلك قولـه في بعض خطبـه: (إن صـلاة المـرء وصـدقته وحجّه وسائر عباداته لا قيمة لها إن كان يرى لنفسه شـأناً ومقامـاً أمام الله. فأعمال المتكبرين غير مقبولـة ولا فائـدة منهـا. والـذين يــرون لأنفســهم مقامــاً أعلى من الآخــرين ويحســبون لأنفســهم وأنـانيتهم حسـاباً دون اعتبـار لشـؤون غـيرهم من النـاس، هـؤلاء ستكون عبادتهم ضئيلة الأثر، وإن كانوا في الظاهر من أهل الزهـد

---

[4] () المرجع السابق، ج13، ص: 110.

[5] () المرجع السابق، ج19، ص: 417.

والطاعة والتقوى، ذلك لأن المتقي حقاَ لا يمكن أن يتصف بمثل هذه الصفات. المتكبر، ولو قرأ القرآن وذكر الأذكار وجاهد فإن كل هذه الحسنات لن تؤثر تأثيرها الكامل فيه)([1])

ثم ضرب أمثلة لهم على ذلك بسلاطين الجور الذين كان بعضهم يحرص على التدين الظاهر في نفس الوقت الذي يمارس فيه كل الجرائم، نتيجة خواء روحه من مقتضيات التدين الحقيقي، يقول: (لقد تنوّع الحكام والسلاطين والأمراء على مر التاريخ، ولم يكونوا جميعهم منكرين للدين. البعض منهم كان يعبد الله ويصلي. لم يكن الجميع كمحمد رضا شاه وأبيه تاركين للصلاة. ولقد قرأت في أخبار فتح علي شاه (أحد ملوك القاجارية) أنه كان يستمع لدعاء كميل كل ليلة جمعة هو وعائلته ومجموعة من الناس. لكن ما كان أثر ذلك الدعاء؟! والصلاة التي كان يصليها ناصر الدين شاه الذي ينقل عنه أنه قال ذات يوم: (نظرنا من شمس العمارة فوجدنا الناس فرحين، ونظرنا فوجدنا أن الصلاة قد تأخرت، فصلينا)، فهل تتصورون أن تلك الصلاة كانت مفيدة؟.. إن هكذا دعاء وصلاة لا فائدة منها. أعمال كهذه لن تقرّب الإنسان من الله، والتاريخ يبرهن لنا ذلك. فلو كانوا قريبين من الله لما ظلموا الخلق كل هذا الظلم، ولما فسقوا وفجروا وأجحفوا الناس حقوقهم) ([2])

ثم ضرب لهم الأمثلة بالمستبدين في التاريخ الإسلامي، والذين يصورهم أصحاب التدين السطحي بصورة الصالحين اغترارا بما يروى من عبادتهم مع الغفلة عن استبدادهم وجرائمهم: (كان خلفاء بين أمية وبني العباس في منتهى السوء والظلم والخبث، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يصلّون ويصومون ويبكون ويتهجدون. ويحكي عن هارون الرشيد أنه بكى بكاءً ابتلت لحيته منه عندما نصحه أحد زهّاد عصره. هل كان لبكائه أثر؟! في الواقع إن البكاء على النفس هو المطلوب وهو المؤثر. وطوبى لمن يبكي على نفسه. لكن بكاء هارون لم يكن كذلك، فأنانية

---

[1] () المواعظ الحسنة، (ثماني مواعظ لطيفة في السلوك المعنوي)، الإمام الخامنئي (ص: 12)

[2] () المرجع السابق، (ص: 13)

هارون هي الأساس في بكائه، هو يريد كل شيء لنفسه، حتى الله يريده لنفسه. هارون كان يعبد نفسه، وهذا هو التكبر) [1]

ثم ينتقل من التاريخ للواقع، لينصح كل أصحاب المناصب في الجمهورية الإسلامية بـألا يصـبح حـالهم كحـال أولئـك المسـتبدين، يقول: (انتبهوا، لا تتكبّروا. لا تغرّوا أنفسكم بـأن لـديكم منصـب أو إمكانات أو مستوى علمي أو ميزة وأفضلية معينة. فسـتكون مثـل ذلك الرجل (الملك ناصر الدين شاه) الذي كـان ينظـر إلى النـاس من أعلى شمس العمارة بتحقير واستصغار.. عند محاسـبة النفس يجب أن لا يرى الإنسـان نفسـه فـوق الآخـرين. وإذا صـلّينا وبكينـا وتصدقّنا وعملنا في طريق الإسلام، فإن ذلـك لا يعطينـا الأفضـلية على هذه المجموعة أو تلك. إن حسّ الأفضلية مضرّ للغايـة. لكنـه في المقابل لا يمنع المرء من رؤية نفسـه أعلى من أعدائـه (لأنهم أعداء الله تعـالى) إذا كـان الـدوافع وراء ذلـك هـو ولايـة اللـه عـز وجل. بل في هذه الحال يجب ذلك. الإنسان يجب أن يتواضع أمام أولياء الله وأمام المؤمنين، وإلاّ فالتكبر سيؤدي به نحو الهاوية) [2]

ثم يـدعو إلى الاهتمـام بالتربيـة الروحيـة والاسـتعانة باللـه للتخلص من كل تلك الصـفات، والتأسـي بالصـالحين في هضـمهم لأنفسـهم، وعـدم اعتبـارهم لهـا، يقـول: (الغـرق في حب النفس يحدث عقداً في نفس الإنسان. ويجب أن نحـذر دائمـاً من الوقـوع في هذا المرض والحجاب الذي لا يأمن شره أحد حتى ذوو الصلاح والتقـوى. ففي أي مقـام كنتم ومهمـا كـانت عبـادتكم صـالحة استجيروا بربكم وانظروا إلى ما بين أيـديكم، فإنـه لا شـيء أمـام اللـه. إن عظمـة الخـالق أوسـع من دائـرة تفكيرنـا. أين نحن من عظمة الله. بـل أين نحن من عظمـة الأنبيـاء والأوليـاء. وأكـثر من ذلك ما هي قيمتنا مقابل عظمـة الصـالحين وكبـار رجـال التـاريخ، هؤلاء الكبار هم الذي تنازلوا عن النفس في سبيل الله، وذابوا في الأنوار والمحبة الإلهيـة.. مـا هي قيمتنـا أمـام هـؤلاء؟! نحن الـذين غرقنـا في الـدنيا وفي إنيتنـا وأوهامنـا. أئمتنـا يسـتغفرون ربهم ويتوبون إليه ويتألمون من الذنوب، فأين نحن؟ وذنوب الأئمة ليس

[1] () المرجع السابق، (ص: 14)

[2] () المرجع السابق، (ص: 14)

من قبيل الغيبة والكذب وغيرها... فهم معصومون، إن أقـلّ غفلـة هي ذنب عندهم، عليه يبكون وإلى الله يلتجئون وينيبون.. فما هي قيمتنـا أمـام هـؤلاء؟ إننـا وفي أي مسـتوى كنـا، يجب أن لا نـرى أنفسنا أكثر من تراب تحت أقدامهم) (1)

هذه مجرد نماذج قليلة، لكنهـا كافيـة في بيـان مـدى اهتمـام قادة الثورة الإسلامية بالروحانية، والارتباط بالله باعتبارها الوسيلة الأعظم لتحقيق النصـر، فـأول شـروط النصـر مـا عـبر عنـه قولـه تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: 7]

وهذا ما يفسر إخفاقات كل الثورات، بما فيهـا الثـورات الـتي لبسـت ثـوب الإسـلام زورا، ذلـك أنهـا لم تكن تحمـل مثـل تلـك الروحانية والصفاء والتوجه الروحي الصادق.

ثانيا ـ الثورة الإسلامية.. والتخطيط العلمي:

من أهم شروط الثورة الناجحة أن تحظى بقادة يملكــون من العلم والخبرة ما يجعلهم يتحركون بطريقة سليمة تضمن النجــاح، وبأقل التكاليف، ويحافظون في نفس الــوقت على مبــادئهم، دون أن يضحوا بها في سبيل تحقيق مصالح الانتصار.

وقد ذكرنا عند حديثنا عن القيادة الرشيدة المدى الــذي بلغـه قادة الثـورة الإسـلامية من الاهتمـام بـالعلوم والأفكـار المختلفـة، والتي أهلتهم للكثير من الحكمة والأناة، مما جعلهم يديرون حركـة التغيير في أقصر مدة، وبأقل التكاليف.

وقد أشار الإمام الخميـني إلى هـذا البعـد المهم، وقارنـه بمـا حصل في الثورات الأخرى، فقـال: (لقـد رأيتم جميعـاً كيـف تمكنـا وفي غضــون ســنة وبضــعة أشــهر من توفــير جميــع مســتلزمات الأجواء المناسبة لانتخاب حكومة لائقة، وقــد تحقــق ذلـك والحمـد للّه. لو أمعنـا النظـر في تـاريخ الـدول الـتي قـامت جـراء ثـورات شيطانية، لوجدناها تفتقد للدستور حتى بعد مضي 20 أو 30 سـنة من تاريخ انتصار تلك الثورات، والعراق خير مثال في هذا المجال، حيث انتقل الحكم من حكومـة ظالمـة إلى أخـرى مسـتبدة، ورغم

(1) المرجع السابق، (ص: 15)

مرور مدة طويلة، ورغم ما تتمتع به هذه الحكومة من قدرات كبيرة وما تمارسه من قمع شديد بحق أفراد الشعب ولكنها ما زالت تفتقد لدستور يجمع شمل البلاد ويوحدها، وها هو العراق الآن تحكمها عصابة من المستبدين وما أفظع أن تكون الحكومة مستبدة)[1]

ثم ذكر الميزة التي تميزت بها الثورة الإسلامية في هذا الجانب، رغم الظروف القاسية التي مرت بها، فقال: (لم يسبق لثورة في هذا العالم، أن تتمكن خلال سنة وبضعة أشهر من تشكيل حكومة منتخبة قوية وتدوين دستور متفق عليه كما حدث في إيران بالإضافة إلى الاقتراع على الجمهورية الإسلامية وانتخاب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس الخبراء ومجلس الشورى الإسلامي كما أن رئيس الوزراء في طريقه هذه الأيام لتسمية وزراء حكومته) [2]

وفي مقابل هذا ذكر كيف أن بعض الدول تعيش حالة الطوارئ المشددة مع كونها لم تمر بها أي ثورة، يقول: (هناك دول بالرغم من أنها لم تقم بثورة إلا أنها تحكم بحكومة عسكرية باعتبار أن الشعب لا يوافق الحكومة. فهذه تركيا القريبة لنا، حيث أن الكثير من مدنها فيها أحكام عرفية. وتم تمديد هذه الأحكام مؤخراً بسبب أن الشعب ليس مع الحكومة. لماذا يا ترى؟ وما هو السبب؟ السبب واضح جداً فالشعب مسلم ولكن الحكومة لا تعير للإسلام أي اهتمام. وهذا الأمر ينطبق على العراق أيضاً حيث الشعب معارض للحكومة حيث تسعى الحكومة العراقية المستبدة لقمع شعبها بشدة ومازالت هذه الحكومة عاجزة عن تثبيت أركانها رغم مرور سنوات عديدة من عمرها. إننا نرى في الحكومة الإيرانية نموذجاً صادقاً للحكومة المنبثقة عن الشعب والمنتخبة بشكل مباشر من قبله. بينما فرض الإنكليز والسوفييت والأمريكان كلًا من رضا خان ومحمد رضا علينا فرضاً وعنوة) [3]

---

[1] صحيفة الإمام، ج13، ص: 110.

[2] المرجع السابق، ج13، ص: 110.

[3] المرجع السابق، ج13، ص: 111.

انطلاقا من هذا نحاول أن نـذكر هنـا بعض مظـاهر التخطيـط العلمي للثورة الإسلامية، ونقتصر فيه على أمـرين كلاهمـا أغفلتـه الحركات التغييريـة، وخصوصـا الحركـات الإسـلامية، الـتي كـررت نفس الأخطاء، ولم يكن لها أي استشراف مستقبلي، وهما:

1. استفادة قادة الثورة الإسلامية من التجـارب السـابقة في إيران أو غيرها، وعدم الوقوع في الأخطاء التي وقعت فيها.

2. الاستشراف المستقبلي بنـاء على المعطيـات الموجـودة، والتعامل مع الواقع على ضوء ذلك.

وسنضـرب بعض الأمثلـة والنمـاذج على ذلـك في العنـوانين التاليين:

1 ـ الاستفادة من التجارب السابقة:

من مظاهر احترام قادة الثورة الإسلامية لجمهورهم وشعبهم أنهم ـ أثناء طرحهم لأي فكرة ـ لا يكتفون بذكرهما مجملـة، وإنمـا يذكرون معها كل البراهين الدالة عليهـا، حـتى يـؤدي الجمهـور مـا يطلب منه عن وعي، لا عن مجرد تقليد، بل تجعله أحيانا يشعر أنه هو الذي وصل إلى النتيجة، لا أنه يؤمر بذلك.

ومن النماذج على ذلك ما ذكره الإمام الخميني عن التجـارب الثورية السابقة في إيران، والتي لم تنجح بسـبب أخطـاء بسـيطة كان يمكن تجاوزها، لكن إهمالها من طرف الشعب أو النخبة، أدى إلى فشل الثورة، فقد قال في خطاب ألقاه في بـاريس بتـاريخ 6 ذي الحجة 1398 هـ أي قبل نجاح الثورة الإسلامية بفـترة قصـيرة جدا: (لقد حدثت أخطاء طوال حكم هذه الأسرة يؤسـف لهـا. وإن بعض هذه الأخطاء وقعت في عصر رضـا شـاه وبعضـها الآخـر في عهـد محمـد رضـا.. ويكمن الخطـأ الأول في أن الـذين كـانوا على اطلاع بمجريات الأمور لم يطلعوا الناس على حقيقـة الأمـر.. لقـد قام رضا شاه بانقلاب عسكري بأمر من الإنجليز، وبدأ ألاعيبـه في بـادئ الأمـر بحيلـة! فأقـام مجـالس التـأبين على الإمـام الحسـين وأخرج الجيش في مواكب لطم يوم عاشوراء، وكان بنفسه يذهب إلى التكايـا، والخطـأ هـو أن المطلعين على الأمـور لم يُطلعـوا الشعب على وجهه الآخر! وقد أزاح الستار عن وجهـه الآخـر، بعـد

القيام بأعمال الرياء هذه. فأغلق جميع المراكـز الدينيـة، أي أغلب التكايا ومنع مجالس الوعظ والخطابة بصورة تامة، وبذلك لم يبـق في جميع أنحاء إيران مجلس واحـد للتـأبين أو الوعـظ والخطابـة، ومارس تلك الأعمال التي تعلمونها جميعاً) [1]

ثم ذكر الأخطاء التي وقع فيها النخبة، فقـال: (والخطـأ الآخـر هو أن الشعب أو أولئك الذين كان يجب عليهم توعية الشـعب، لم يساندوا السيد (المدرّس) المتصف بالمنطق القوي والاطلاع الجيد على الأمور والشجاعة. لقد كان المـدرّس الرجـل العظيم الوحيـد الـذي قـام بوجـه رضـا خـان! وفي المجلس كـان البعض يؤيـد المدرس والبعض الآخر يعارضه بشدة، وكانت بعض الأجنحة آنذاك تستطيع أن تسانده وتساعده، ولو سوعد لكان بالمسـتطاع آنـذاك استئصال شرّ هذه الأسرة!) [2]

ويمضي في تعداد الأخطاء الكـبرى الـتي كـان يمكن تفاديهـا، ويكـون في ذلـك المصـلحة الكـبرى لإيـران، ومنهـا ذلـك الخطـأ الجسيم الذي عبر عنه بقوله: (لقد رحل رضا شاه. وما يؤسف لـه هو أن أبناء الشـعب الـذين شـاهدوا ممارسـاته العدوانيـة، فرحـوا بهجوم قوات الدول الثلاث على إيران. فعلى الرغم من أنها كـانت دولًا معادية، غير أن الناس بدوا وكأنهم فرحون بمجيئها، لأنهـا وأن كانت معادية إلا أنها لن تفعل أسوأ مما كان يفعله رضا شاه. وهذا هو حال الحاكم الذي يفتقر لدعم الشعب. الشعب يفرح لنفيه بدلًا من أن يحـزن. والخـير في رحيلـه حقـاً، غـير أنـه مـا يبعث على الأسف هـو أنـه لـو رفـع الجميـع أصـواتهم متحـدين عنـدما أخـرج الحلفاء رضا خان من إيران، بأننا لا نريد ابنه، لما سلّموه السلطة! لقد صرح هو بـذلك في كتابـه (مهمـة من أجـل وطـني) ويبـدو أن عبارتـه تلـك حـذفت في الطبعـات التاليـة، حيث قـال: (لقـد رأى الحلفاء من الصلاح أن أكـون في الحكم). فلـو كـان اعـترض أحـد علماء الدين وأحد الساسة وجمع من المواطنين، اعترضوا بصـوت واحد بأننا نرفض هذه الأسرة نظراً لما فعلته بنا، لحدث أمر آخـر)

---

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 260.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 260.

[1]

ثم علـق على هـذا الخطـأ الكبـير بقولـه: (هـذا هـو أحـد الإهمالات في تاريخ إيران، فلو لم يقـع هـذا الإهمـال لتغيّـر مسـير تاريخ إيران وما كنـا لنحتـاج إلى هـذا الكلام، ومـا كنت أنـا هنـا ولا السادة، كلهم كـانوا في بلادهم مشـغولين بأعمـالهم.. لقـد ارتكب السياسـيون وعلمـاء الـدين وسـائر الطبقـات هـذا الخطـأ الكبـير وكانت النتيجـة أن فرضـوا علينـا محمـد رضـا! لقـد شـاهد النـاس اعتداءات رضا شاه، وفرحوا بذهابه، وقد شـاهدت بنفسـي عنـدما هاجم الأعداء (الحلفاء) إيران وتعرض كلّ شيء للخطر، وقد فـرح الناس عنـدما سـمعوا بـإجلاء رضـا شـاه، ومـع ذلـك فـإن الحلفـاء فرضوا محمد رضا على الناس!) [2]

ثم بين كيفيـة تسلسـل الأخطـاء الكـبرى بعـد ذلـك الإهمـال واللامبالاة، ليـبين من خلالهـا أن الأخطـاء يتولـد بعضـها من بعض، ولذلك على من يمارس دوره التغيـيري الاحتيـاط إزاء أي موقـف، حتى لا تتسبب الأخطاء التي قد تبدو بسيطة في هدم كل ما بنـاه، يقول معبرا عن ذلك: (وقد وقعت أخطاء كثـيرة منـذ ذلـك الـوقت وحـتى الآن، فمثلًا كـان (قـوام السـلطنة) يسـتطيع أن ينفّـذ بعض الأعمال ولكنه لم يفعل ذلك لضعفه وغفلتـه! والأهم منـه الـدكتور مصدق، إذ أنه كـان يريـد أن يخـدم ولكنـه اقـترف بعض الأخطـاء، وكان أحد أخطائه أنـه عنـدما تسـنم الأمـور لم يقض على الشـاه، والحال أن الجيش وجميع القوى كانت آنذاك في قبضـته، ولم يكن (الشـاه) رجلًا قويـاً.. والخطـأ الثـاني أنـه أرغم النـواب على الاستقالة، وأعلن حـل المجلس النيـابي، ومنحت اسـتقالة النـواب وحل المجلس الفرصة القانونية للشاه، ليعين رئيساً للوزراء، لأنـه ـ وفقاً للقانون ـ يكون تعيين رئيس الـوزراء في حالـة عـدم وجـود المجلس بأمر من الشاه ـ هـذا هـو الخطـأ الـذي قـام بـه الـدكتور مصدق، وتبعاً لـذلك فقـد أعـادوا هـذا الرجـل (الشـاه) إلى إيـران ثانية! وقال البعض للدكتور لقـد خـرج بعملـك (محمـد رضـا شـاه)

---

1 () المرجع السابق، ج4، ص: 261.

2 () المرجع السابق، ج4، ص: 261.

ودخل (رضا شاه)! أي رجع وهو رجل أكثر تعجرفاَ!) [1]

وبناء على هذه المراجعات التاريخية المهمة كانت مواقف الإمام الخميني جميعا في منتهى الحزم والصرامة، حتى لا يترك لأمثال تلك الأخطاء القضاء على كل بنيان الثورة، يقول معبراً عن حساسيته تجاه هذا الموضوع: (أما الآن فالوضع حساس أيضاً، وأنا أخشى الأخطاء! نحن الآن نتحمل مسؤولية، وقد رأينا أخطاء الماضي، وأخشى ما أخشاه أن تقع فئات الشعب من شخصياتنا العلمية والسياسية والثقافية، في أخطاء وحينها سنبقى في المحنة إلى النهاية وينعدم الأمل في تجدد ثورة أخرى)[2]

وعندما نقارن هذه اللغة بتلك اللغة التي كان يستعملها قادة الحركة الإسلامية، وخصوصا الإخوان المسلمين نجد الفارق الكبير بينهما؛ فالإخوان المسلمون في مصر كرروا نفس الأخطاء، ومرات متتالية، بناء على عدم معرفتهم بالواقع، ومراجعتهم لتجاربهم أو تجارب الحركات الأخرى، بما فيها الثورة الإسلامية الإيرانية نفسها.. ولذلك لم يبق لهم أي رصيد في الواقع على الرغم من الفرص الكثيرة التي أتيحت لهم، ومنها وصولهم إلى رئاسة الجمهورية نفسها.

2 ـ الاستشراف المستقبلي:

وهي من مقتضيات الصفات التي يتمتع بها المرشد الحكيم، والذي يتعامل مع الواقع وفق الرؤية الاستشرافية للمستقبل، وقد أشرنا إلى توفر كل تلك الصفات في قادة الثورة الإسلامية، وكيف كانت بصيرتهم نافذة ترى كل ما يخطط لها، وتعالج كل المشاكل قبل حلولها.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، حتى أننا نستطيع أن نصف واقعنا من خلال ما كان يذكره الإمام الخميني، أو ما يحذر منه، ومن الأمثلة على ذلك ما تناقلته وسائل الإعلام من ذكره للمصير الذي يصير إليه الاتحاد السوفيتي، قبل سقوطه، وقد كان حينها

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 261.

[2] () صحيفة الإمام، ج4، ص: 262.

قوة عظمى.

وقد ذكر الإمام الخميني ذلك في رسالة أرسلها إلى زعيمه حينذاك ميخائيل غورباتشوف في 7 يناير 1989 يحذّره من الاعتماد على الدول الغربية لحل المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها هذا الاتحاد، ويدعوه إلى النظر في الإسلام باعتباره البديل عن الشيوعية.

وهي رسالة عميقة تدل على معرفة عميقة بالشيوعية والأسس الفكرية التي تعتمد عليها، وقد ذكر فيها خلاصة الفلسفة والعرفان الإسلامي، باعتبارهما البديل الصحيح الذي يخلص الاتحاد السوفيتي من آثار المادية الشيوعية.

وقد قال في بداية رسالته: (على الرغم من أن توجهاتكم وقراراتكم الجديدة من الممكن أن تمثل مجرد أسلوب في حل المعضلات الحزبية جنباً إلى جنب مع بعض مشكلات شعبكم، غير أن هذا القدر من الشهامة في إعادة النظر بالأفكار التي كبلت الأبناء الثوريين في العالم بقيود حديدية على مدى سنوات طويلة، يستحق الثناء والتقدير.. وإذا كنتم تفكرون في أبعد من ذلك، فان من أولى القضايا التي ستكلل جهودكم بالنجاح هي بالتأكيد إعادة النظر في سياسة أسلافكم المتمحورة حول (محاربة الله) واستئصال الدين من المجتمع، التي ألحقت دون شك ضربة قاصمة بكيان الشعب السوفيتي. واعلموا أن التعامل الواقعي مع القضايا العالمية لا يتأتى إلا عن هذا الطريق) (1)

ثم بين له أن الذهاب للعالم الغربي لن يفيدهم في حل مشاكلهم، بل سيعوض مشاكلهم القديمة بمشاكل جديدة، يقول: (طبعاً من الممكن أن يبدو العالم الغربي أمامكم جنات خضراء، نتيجة للأساليب المنحرفة والنهج الخاطئ لأقطاب الشيوعية السابقين في المجال الاقتصادي؛ بيد أن الحقيقة تكمن في مكان آخر، إنكم إذا كنتم في هذه المرحلة تبحثون عن حلول لمعضلات الاقتصاد الاشتراكي والشيوعي المستعصية، من خلال اللجوء فحسب إلى مركز الرأسمالية الغربية، فإنكم ليس فقط لن تداوا

---

(1) صحيفة الإمام، ج 21، ص: 203.

جراح مجتمعكم، وإنما ينبغي أن يأتي الآخرون من بعدكم ويتلافوا أخطائكم، ذلك أن الشيوعية إذا ما وصلت اليوم إلى طريق مسدود في نهجها الاقتصادي والاجتماعي، فان العالم الغربي أيضاً يعاني من هذه المسائل ومسائل أخرى ولكن بشكل آخر)[1]

ثم يذكر له جوهر المشكلة التي يعاني منها الغرب جميعا بقطبيه الشرقي والغربي، فيقول: (حضرة السيد غورباتشوف! لا بد من مواجهة الحقيقة إن مشكلة بلدكم الرئيسة لا تكمن في قضايا الملكية والاقتصاد والحرية، وإنما في عدم الإيمان الحقيقي بالله. وهي ذات المشكلة التي قادت الغرب وستقوده إلى الانحطاط والطريق المسدود. لأن مشكلتكم الحقيقية تكمن في محاربتكم الطويلة والعقيمة لله ومبدأ الوجود والخلق) [2]

وهكذا أعادت هذه الرسالة الفريدة في التاريخ إلى الأذهان تلك الرسائل الإيمانية التي كان يرسلها رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الله، لا إلى أي مصالح دنيوية.

ومن الغريب أن الإمام الخميني بنظريته العميقة الثاقبة تنبأ لما سيحصل للشيوعية وعن قريب، فقد قال في رسالته: (إن الحكومات الحليفة لكم، التى تخفق قلوبها لمصالح أوطانها وشعوبها، لن تكون على استعداد بعد الآن، لهدر ثرواتها بكلا نوعيها الجوفى وغيره من أجل إثبات نجاح الشيوعية بعدما وصل صرير تهشم عظام الشيوعية إلى أسماع أبناء تلك البلدان)[3]

وقد حصل ما تنبأ به الإمام الخميني بكل دقة، فما هي بضع سنوات بعد إرسال رسالته حتى تهشمت عظام الشيوعية في العالم، وحدث التفكك في اتحاد الجمهوريات السوفيتية في 26 ديسمبر 1991 عقب إصدار المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي عن الاعتراف باستقلال الجمهوريات السوفيتية السابقة، وإنشاء رابطة الدول المستقلة لتحل محل الاتحاد السوفيتي.

---

[1] () المرجع السابق، ج 21، ص: 203.

[2] () المرجع السابق، ج 21، ص: 204.

[3] () المرجع السابق، ج 21، ص: 204.

وقد شهد له بصدق النبوءة كبار المؤرخين والمفكرين السوفييت، ومنهم الفيلسوف والمؤرخ والكاتب الروسي الكسندر بروخانوف في بيان له حول الرسالة، فقال: (لقد نشرت آنذاك هذه الرسالة في صحيفتي الخاصة حيث بات الجميع يعترفون اليوم بصدق تكهن الإمام الخميني، وليس هناك من ينكره إذ أنه أوصي غورباتشوف بانتهاج سياسة جديدة وتشكيل نظام جديد لمستقبل الاتحاد السوفيتي إلا أن المسؤولين السوفييت لم يتصوروا أن يشاهدوا انهيار نظامهم بهذه السرعة)[1]

بل إن ميخائيل غورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتي السابق، والذي وجهت له الرسالة، أعلن ندمه لعدم تنفيذه ما ورد في الرسالة من التحذير من تبعات وقوعه في الفخ الذي نصبه له الغرب، وقال لصحفي بعد حوالى 12 عاماً من رسالة الإمام الراحل: (اني أتأسف لعدم تفهمي لتلك الرسالة آنذاك كي لا يقع الاتحاد السوفيتي في هذا الوضع)[2]

وهكذا نجد الإمام الخامنئي يتنبأ بالحرب الناعمة[3] قبل

---

[1] () انظر مقالا بعنوان: فيلسوف روسي: شبان روسيا يعتبرون رسالة الإمام الخميني لغورباتشوف بأنها لهم، جريدة كيهان، رمز الخبر: 25884.

[2] () انظر مقالا بعنوان: غورباتشوف: نادم لعدم تنفيذي وصية الإمام الخميني، جريدة كيهان، 3/1/2015.

[3] () الحرب الناعمة مشتقة من مقولة [القوة الناعمة] كما روج لها المنظر الأول لهذه القوة البروفيسور جوزيف ناي نائب وزير الدفاع الأمريكي السابق، وهو أحد أهم المخططين الاستراتيجيين الأمريكيين، وقد تمكن بمهارة من توظيف ثنائية الصلب والناعم المستعملة في تقسيم أجهزة وقطع الكومبيوتر في سبيل ترويج مشروعه الاستراتيجي والسياسي والعسكري الذي يقوم على نقل المعركة من الميدان العسكري الصلب حيث التفوق لعقيدة القتال والموت والصبر الطويل والصمود التي يتقنها أعداء أمريكا من وجهة نظر جوزيف ناي إلى الميدان الناعم وأدواته التكنولوجية والاتصالية والإعلامية، حيث التفوق لأمريكا وحلفائها.

وقد عرفتها وزيرة خارجية أمريكا [هيلاري كلينتون] بأنها (تسخير كل الأدوات التي تتوفر لدى الولايات المتحدة الأمريكية سواء الاقتصادية والعسكرية والسياسية والقانونية والثقافية والإعلامية، والبحث عن الأداة الملائمة من بين هذه الأدوات بما يتناسب مع كل وضع دولي)

حصولها، بل قبل خروج الدراسات بشأنها، وذلك في كثير من خطبه التي حذرت منها، وبين كيفية مواجهتها.

وبما أن ذلك ورد في مناسبات كثيرة، وضمن خطب متعددة، فسنكتفي بذكر ما ورد في دراسة مهمة حاولت أن تحصي خطب الإمام الخامنئي التي تطرقت للموضوع، وبيان مدى اهتمامه بها، بل تحذيره منها قبل صدور الدراسات بشأنها، وهذا المركز هو مركز قيم للدراسات في كتابه [رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة]

قد وصل إلى هذه النتيجة عبر أدلة كثيرة نختصر بعضها فيما يلي(1):

1. يذكر العارفون القريبون من الإمام الخامنئي أنه أمضى خلال عقد التسعينات فترة طويلة في دراسة تجربة الحرب الباردة وأسباب سقوط الاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية، وتوصل إلى خلاصات حول فرص الغرب في تجربتها مع إيران، ولذلك كان يذكر في أكثر من مناسبة ومنذ أكثر من عشر سنوات أي منذ العام 2000 عن تجربة سقوط الاتحاد السوفياتي واعتباره أن الغرب حاول وسيستمر بمحاولة تقليد سيناريو إسقاط الاتحاد

[تصريح لهيلاري كلينتون أمام مجلس العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي بتاريخ 13/10/2009 منشور على عدة مواقع انترنت]

وعرّف مايكل آيزنشتات الباحث المتخصص في الدراسات الأمنية والعسكرية في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى الحرب الناعمة بأنها (استخدام الأقوال والأفعال والصور الانفعالية كجزء من حملة تواصل استراتيجي طويلة المدى لتشكيل الحالة النفسية لبلد معادٍ لأمريكا مثل إيران)، وحدّد أن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن تشكل20% من حملة التواصل الاستراتيجي الناعمة، في حين تتشكل 80 % الباقية من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الأرض. [دراسة منشورة في تموز 2010 تحت عنوان "دور القوة الناعمة في الحرب النفسية على إيران للباحث مايكل آيزنشتات المتخصص بالشؤون الإيرانية والخليجية، موقع النبأ]

1() انظر: كتاب: رؤية الإمام الخامنئي في مواجهة الحرب الناعمة، مركز قيم للدراسات، شبكة المعارف الإسلامية، وقد استفدنا الكثير منه في هذا المطلب.

السوفياتي في إيران عام 1999 أي بعد انتخاب الـرئيس السـابق محمد خاتمي، وحديثه في خطبة مفصلة عن الفـوارق الهائلـة بين إيران بلـد النظـام الـديني الإسـلامي وبين الاتحـاد السـوفياتي بلـد النظام الشيوعي الإلحادي والفرق بين الشعب الإيـراني والشـعب السوفياتي والفـرق بين القيـادة الإيرانيـة والقيـادة السـوفياتية مـا يؤكد هذا المنحى.

وهذا ما يدل على الاستشراف المبكـر للأحـداث لـدى الإمـام الخـامنئي، ويـدل على أنـه لم يتفاجـأ بشـن الحـرب الناعمـة على إيران، وهذا ما أكده بصراحة عندما قال: (لم تفاجئنـا الفتنـة ولكن فاجأنا تحرك بعض الأشخاص)، ويؤكد ذلك أيضا خطاب ألقاه سـنة 2008 أي قبل سنة على موعـد الانتخابـات الرئاسـية الـتي جـرت عام 2009 حذر فيه من فتنة يحضر لها أثناء هذه الانتخابات.

2.من يقـــرأ خطـــاب الإمـــام الخـــامنئي في جمـــع من الدبلوماسـيين الإيرانـيين العـاملين في السـلك الخـارجي سـنة 2001، وحديثـه عن تجربـة سـقوط الاتحـاد السـوفياتي وذكـره بالتفصـيل كيفيـة حصـول هـذا الانقلاب يكتشـف حجم المعرفـة والمتابعة العميقة بالاستراتيجيات الأمريكية والغربية، فقـد صـفقوا لغورباتشوف لسنوات على أساس أنـه رجـل الإصـلاح والشـفافية وشجعوه واعتبروه رجل العام، ومع كونـه لم يثبت انـه كـان عميلا للغرب كما يزعم البعض، لكنه شخص انطلت عليه الخديعـة وهـذا ما اعترف به لاحقا في كتابه [البيريسترويكا الثـورة الثانيـة]، ومن ثم اخـترعوا إلى جانبـه شخصـية مواليـة لهم هي بـوريس يلتسـين الذي كان يتناغم في حركته ومواقفه السياسية مع مواقف أمريكـا والغـرب مسـتغلا ضـعف شخصـية وحنكـة غورباتشـوف، وأصـبح يتصرف كأنه الـزعيم الفعلي وصـاحب المشـروع الإصـلاحي، هـذا إلى جـانب ضـخ الأمـوال ودعايـات وسـائل وأجهـزة الإعلام الـتي شاركت في هذا الانقلاب، حيث كان هذا هو مشروع أمريكا الناجح في الاتحاد السوفياتي، أي إنهم استطاعوا عن طريـق خطـة ذكيـة تماما، وبإنفاق بعض الأمـوال، وتجنيـد بعض العناصـر، وباسـتخدام وسائل الإعلام أن يسـقطوا قـوة كـبرى ويقضـوا عليهـا نهائيـا في خلال ثلاث أو أربع سـنوات تكللت بالثمـار المرجـوة خلال سـتة أو

سبعة أشهر[1].

3. أن حديث الإمام الخامنئي منذ سنة 2000 عن الحرب النفسية والدعاية قد تكرر في عشرات الخطب، وقد ورد هذا المصطلح بما لا يقل عن 100 مرة في خطاباته، وأحيانا كان يستعمل مصطلحات مشابهة مثل [الحرب الإعلامية] و[الحرب الثقافية] و[الحرب المخملية] و[حرب الأفكار] حيث إن هذه المصطلحات والمسميات بقيت رائجة في الأوساط العالمية.

4. حديث الإمام الخامنئي عن الحرب الناعمة يقع في إطار رؤيته الشاملة للصراع الحضاري والاستراتيجي الشامل مع الغرب الاستكباري وهو ليس وليد اللحظة الراهنة، فالنظرة والرؤية الاستراتيجية للمشروع الغربي الأمريكي واضحة وثابتة جدا، ففي خطاب ألقاه سنة 2000 قال فيه: (إن المشروع الأمريكي والغربي أيا كان الاسم لم يكن مشروعا عسكريا، بل كان إعلاميا بالدرجة الأولى، وتم تنفيذه أساسا عن طريق اللافتات واليافطات والصحف والأفلام وسواها، ومن يدقق في هذا الموضوع سيلاحظ أن خمسين أو ستين في المائة من المشروع قد نفذ عبر وسائل الإعلام والأساليب الثقافية)[2]، وبذلك فإن المسميات والمصطلحات وتسويق المنتجات الجديدة في عالم الاستراتيجية (حرب ناعمة / غزو ثقافي / حرب باردة / حرب نفسية..) أمر غير جوهري، المهم جوهر المشروع لا اسمه.

ثالثا ـ الثورة الإسلامية.. والإقناع العقلي:

من المميزات التي نراها في الخطاب الثوري لقادة الثورة الإسلامية الإيرانية ذلك المزج بين الخطابين العاطفي والروحي مع الخطاب العقلي، باعتبارهم جميعا ـ كما رأينا ذلك سابقا ـ يهتمون بالعلوم العقلية والكلامية والفلسفية، ولهذا نجد هذه اللغة عندهم في طرحهم لكل القضايا.

---

[1] خطاب للسيد القائد في حضور أعضاء السلك الدبلوماسي منقول من كتاب دور وسائل الإعلام في الصراع السياسي والثقافي. للشيخ علي ضاهر..

[2] المرجع السابق.

وهي ميزة مهمة تجعل من الأتباع يتحركون عن وعي وإدراك لما يفعلون، وليسوا مجرد أشخاص متأثرين بقادتهم أو بوضعهم تأثرا عاطفيا مجردا.

ولذلك أهمية أخرى ترتبط بما ذكرناه من البعد العالمي للثورة الإسلامية الإيرانية، فلذلك لم يكن الإمام الخميني يستعمل في خطاباته أو حواراته المنهج العقلي لمخاطبة الإيرانيين فقط، وإنما لمخاطبة العلم أجمع.

بناء على هذا سنذكر هنا نماذج عن الخطابات العقلية التي استعملها الإمام الخميني في إقناع نخبة الشعب الإيراني وعامته، وغيرهم من العالم بالإنجازين الكبيرين الذين سعت الثورة الإسلامية لتحقيقهما، وهما:

1. إسقاط النظام الملكي، وتأسيس النظام الجمهوري.

2. إسقاط النظام الوضعي، وتأسيس النظام الإسلامي.

وسنذكر الأمثلة عن كليهما في العنوانين التاليين:

1. إثبات تهافت النظام الملكي

من المسائل المهمة التي تعرض لها الإمام الخميني كثيرا في كتبه مسألة الأنظمة الملكية وخطرها على الإسلام، وكونها السبب في كل ما حصل من استبداد في العالم الإسلامي، وقد ذكرنا في الجزء السابق بعض ما كتبه في ذلك.

وسنقتصر هنا على ذكر نموذج على ردوده العقلية على الذين كانوا يطالبون بملكية دستورية، تتحقق فيها مطالبهم مع بقاء النظام الملكي، وهو مطلب تبناه بعض رجال الدين من الذين اختلف معهم الإمام الخميني، وبين بعدهم عن المطالب الحقيقية للثورة الإسلامية.

وهذا النموذج عبارة عن حوار عقلي راق أجراه إبان تواجده في باريس مع جمع من الطلبة والإيرانيين المقيمين في الخارج، وكان موضوعه [ضرورة إنهاء الملكية وتشكيل الحكومة الإسلامية]، وقد تناول في هذا الحوار العقلي كل الاحتمالات، ورد

عليها واحدا واحدا.

وقد بدأ حديثه عن الموضوع ببيان اقتضاء الضرورة العقلية لفساد النظام الملكي، حيث قال: (.. الثاني: إسقاط الشاه، وإنهاء النظام الملكي وهو نظام بال وخاطئ منذ البداية، كما أن العقل يحكم بذلك، فهو يرفض أن يحدد مجتمع معين قبل سبعمائة عام ـ فرضاً ـ هوية الذي يحكم اليوم) [1]

ثم بين أن هذا الاحتمال نفسه ـ مع تهافته ـ لم يتحقق، فقال: (وحتى هذا الفرض لا يصدق إذ إننا نعلم جيداً أن رأس السلالة القاجارية لم يصل للحكم بموافقة الشعب بل بالقوة وإثارة الاضطراب كما يعرف الجميع، أما بالنسبة لرضا شاه فقد رأيناه ـ ولم يقتصر الأمر على مجرد السماع ــ ونحن نتذكر ما فعله من ممارسات قمعية وكيف أنه أقام حكمه وسلطنته بالإكراه والحراب دون أن يكون للشعب أي دور في ذلك) [2]

ثم سلم جدلا بكون ذلك قد حصل كما يذكر الشاه والمطبلون له، فقال: (ومع ذلك لنفرض أن الشعب الإيراني قد اجتمع قبل سبعمائة عام وانتخب شخصاً للسلطنة وأقروا بقائها في ذريته. فهذا الأمر جيد جداً لشعب ذاك العصر والسلطان الذي أرجعوا إليه أمورهم. ولكن أنتم أيضا ترغبون في أن يكون تقرير مصيركم ومقدرات بلدكم بأيديكم، فالبلد بلدكم ومقدراته يجب أن تكون بأيديكم أيضا. فلنسأل الرجال الكبار لذاك العصر أي ما قبل سبعمائة سنة: أي ولاية لكم علينا؟ وبأي مسوغ انتخبتم أحدهم سلطاناً علينا؟ نحن نعيش هذا العصر ونحن أصحاب حق انتخاب حاكمنا)[3]

ثم راح يطرح بهدوئه المعتاد على الحاضرين أسئلة كثيرة، ويدعو عقولهم للإجابة عنها، ومنها قوله: (هل يمكن أن تحظى سلالة معينة بمشروعية عقلية وقانونية لمجرد أن مجموعة من

---

[1] () صحيفة الإمام، ج4، ص: 371.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 371.

[3] () المرجع السابق، ج4، ص: 371.

الأشخاص انتخبوها في زمن ما؟ وما هو الدليل على صحة هذا الوضع؟)[1]

ثم أجاب على هذه التساؤلات بقوله: (إن جميع القوانين تقر عدم صحة القول بلزوم خضوعكم لرأي من انتخب ــ طبقاً لما أملاه عليه عقله ـ شخصاً للسلطنة قبل سبعمائة عام) [2]

والنتيجة التي خلص إليها هي ما عبر عنه بقوله: (إذن لا يستقيم أمر هذا الحكم القائم، حتّى لو فرضنا أن سلطنة رضا شاه كانت مؤيدة من قبل الشعب، وأن ذاك المجلس النيابي المزيف الذي أوجده مجلس سليم ــ فرضاً ــ، ولكن أكثر الذين انتخبوا أعضائه ليسوا موجودين الآن ــ إلا ما ندر ــ حيث لا يوجد في كلّ مدينة من الذين أدركوا هذا العهد إلا بضعة أشخاص يتذكرون ما جرى. وحتى الذين يتذكرون، كان أكثرهم أطفالا أو أحداثاً لم يبلغوا يومئذ السن القانونية للإدلاء بأصواتهم) [3]

ثم راح يضع كل الافتراضات، ويجيب عليها واحدا واحدا، حتى يرد على كل تساؤل قد يخطر، أو شبهة قد تنشر، يقول: (على أي حال، لنفرض أن المجتمع الإيراني قبل سبعين عاماً أو دون ذلك بقليل، أي آباء الموجودين الآن، قد انتخبوا نواباً ممثلين لهم في المجلس.. ولنفرض أنهم كانوا أحراراً في الانتخابات وهذا مجرد فرض لا واقع له، وكان لهؤلاء النواب حق تعيين شخص يضعون في يده مقدراتهم.. ولكن هؤلاء لم يكونوا نواباً ممثلين لنا نحن، فأنتم لم تكونوا موجودين يومئذ أصلًا كي يكون لكم نواب، فما هو مسوغ وضع مقدراتكم أنتم أيضاً بيد ابن رضا خان؟! وأي حق كان لآبائنا يجيز لهم أن يقوموا بمثل هذا العمل؟ فلا نحن وكّلنا آبائنا للقيام بذلك، ولا نحن انتخبنا نواب ذلك العهد، فهم قاموا بهذا التنصيب دون مسوغ مشروع.. إذن النظام الملكي يحمل بنفسه دليل بطلانه) [4]

---

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 372.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 372.

[3] () المرجع السابق، ج4، ص: 372.

ثم راح يرد على مقولة أخرى موجودة في الدستور، ولا يزال للأسف أصحاب الاتجاهات السلفية خصوصا يتبنونها في تبرير الحفاظ على الأنظمة الملكية، وقد عبر عنها بقوله: (وقد ورد في الدستور أيضاً أن العرش (هبة إلهية) يمنحها الشعب لصاحب الجلالة، فكيف تكون (هبة إلهية) والذي يهبها هو الشعب؟! ولماذا وكيف اصبح الشعب ممثلًا لله! فيمنح هذه الهبة الإلهية؟! وماذا يعني هذا؟ لعلهم هم أيضاً رأوا أن من غير الممكن الاصطدام برضا خان أو سلاطين تلك العصور)(1)

ثم بين تهافت هذه المقولة عقلا، فقال: (إذا أردنا العمل الآن بما ينص عليه الدستور من أن السلطنة هبة إلهية يهبها الشعب للملك، فلنسأل الشعب في جميع أنحاء البلد بشأن هذا البند، ونقول: من منكم أعطى السلطنة لهذا الشخص؟! لا تجد من يجيب بالإيجاب، وحتى لو كان صحيحاً أن آبائكم قد وهبوا هذه الهبة الإلهية لرضا خان ــ وهذا كذب محض ولكن على فرض صحته ـ فإن رضا خان مات وانتهت سلطنته، وآباؤنا لم يكونوا وكلائنا ولا أوليائنا، ولم يكن لأكثر أفراد المجتمع المعاصر وجود خارجي يومئذ لكي يقوم آباؤهم بإنجاز عمل معين لهم. إذن فعلى أي شيء تستند سلطنة محمد رضا خان حتّى طبق هذا الدستور الذي ينص على أن السلطنة هبة إلهية يهبها الشعب للملك؟)(2)

ثم راح يسأل الشاه قائلا: (من الذي وهبكم السلطنة، وانتم بأنفسكم تعترفون أنها أعطيت لأبيكم والذين أعطوها لم يبق أحد منهم تقريباً ـ هذا على فرض صحة انهم أعطوها له)(3)

وبناء على هذا يستنتج أن الدستور نفسه لا ينص على حكم الشاه، يقول: (وعليه فلا أساس لسلطنة الملك محمد رضا حتّى وفقاً للمادة الدستورية التي يستدل بها، لأن هذه الهبة الإلهية

4() المرجع السابق، ج4، ص: 372.

1() المرجع السابق، ج4، ص: 372.

2() المرجع السابق، ج4، ص: 372.

3() المرجع السابق، ج4، ص: 372.

يجب أن يمنحها الشعب لشخص فيصبح ملكاً، والشعب لم يمنحه شيئاً من هذا القبيل)[1]

ثم راح يفرض فروضا أخرى جديدة حتى لا يتيح المجال لأي خاطر أو شبهة، فقال: (كلّ ما تقدم هو على فرض أن الشعب قد منح رضا شاه السلطنة، ولكنه لم يمنحها كما نعلم جميعاً، ومع ذلك لنفرض إنهم منحوها له ولنفرض أيضاً أن أبناء الشعب قد اجتمعوا وقدموا هذه الهبة الإلهية لصاحب الجلالة، ولكن نفس هذا الشعب يعلن برمته اليوم رفضه له، إذن انتهت القضية (يضحك الحاضرون). فقد أعطاه الشعب شيئاً وهو الآن يسترجعه. وإذا كان حق إعطاء الشيء بيد طرف معين فإن حق استرجاعه بيده أيضا، ونحن نفرض أن جميع أبناء الشعب قد اتفقت كلمتهم على أن تكون السلطنة لمحمد رضا، ولنفرض إننا قدمنا لجنابه هذه الهبة الإلهية، فكيف تريد اليوم مواصلة حكمك وكيف تسوغ وجودك اليوم؟! في السابق كانت سلطنتك قانونية دستورية ـ حسب قولك ـ حسناً، فكيف بك اليوم حيث يعلن الشعب رفضه. وهل تقول أن هذه اللاءات التي يجهر بها الشعب تعني (نعم)؟! عندما كان أهالي أصفهان يحرقون كلّ شيء إعلانا لرفضهم له، كان هذا القزم يقول، هو أو أحد أعوانه،: أن أهالي أصفهان موالون للشاه. (يضحك الإمام والحاضرون).. هذا ما يردده الآن هؤلاء ويقولون: (الشعب الإيراني موالي للشاه)! حسناً أن الشعب المحب للشاه قد اجتمعت كلمته اليوم على رفضه. فإذا كنتُ قد اتخذتُ أحدا وكيلًا فهو وكيل ما لم أعزله، فإذا عزلته فلا يمكنه بعدها أن يقول: لقد وكلتني فلا يحق لك الاعتراض!! حسناً، السلطنة هبة يمنحها الشعب، ولنفرض أنه أعطاها لك وهو الآن يرفضك، فماذا تقول؟! إذن فقد أصبح باغياً، وعندما أصفه أحياناً ـ فيما أكتب ـ بالبغي فليس في هذا الوصف مبالغة أصلًا، فهو باغ حقاً لأن الباغي هو الذي يغتصب موقعاً معيناً دون حق، أو يحكم خلاف القوانين بالنصب والاحتيال، وقد قام بالحصول على كلّ تلك المنافع ــ طوال المدة السالفة ــ بغياً ونصباً. ولو فرضتم أن للسلطنة أجراً استلمه فهذا نصب واحتيال أيضا، لأن السلطنة

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 373.

أساساً لم تكن حقاً له ليتخذ عليها أجراً)[1]

وهكذا نجد الإمام الخميني يضع كل الاحتمالات والفروض مثلما يفعل الفلاسفة والمتكلمون، ثم يجيب عليها بتفصيل وتبسيط حتى يشعر المستمعون جيدا بالانسجام مع ما يطرحه.

وبعد أن يذكر كل ذلك يبين السبب الحقيقي لبقاء الشاه، وهو ليس الدستور، ولا رضى الشعب، وإنما قوى الاستكبار العالمي، ولذلك يخاطبهم بنفس المنهج العقلي، فيقول: (لقد اتفقت كلمة أميركا وإنجلترا والروس على وجوب بقاء هذا الشاه، لكن كلمة الشعب الإيراني برمته تقول: وما علاقتكم أنتم بالأمر لتتفق كلمتكم على بقائه؟ الشعب شعبنا والبلد لنا ولا يحق لأي منكم أن يقول: يجب أن يبقى هذا الشخص في الحكم لأنه خير من يحفظ مصالحنا! أنه يحفظ مصالحكم أنتم فما علاقته بنا نحن؟! إذا كان يتولى مهمة حفظ مصالحكم فخذوه معكم وافعلوا به ما شئتم، ما معنى أن يسرقنا؟ نحن نريد أن نردعه عن السرقة ونقطع يده كي لا يأخذ أموال الشعب ويعطيها لكم. فاعتراضنا يشملكما معاً، يشمل أميركا التي تنهب وتسرق، وكذلك هذا الذي ينهب ثروات الشعب ويعطيها لها) [2]

ولا يكتفي الإمام الخميني بالرد العقلي على كل تلك الطروحات، وإنما يضيف إليها ما يذكره الشاه في خطاباته، ويذكره مثله كل الطواغيت، ومن تلك الأقوال ادعاؤه أنه إذا رحل، فسيتعرض البلد للتقسيم وتتحول إيران الحالية إلى (إيرانستان)، أي أن يلحق قسم منها بالروس مثل أوزبكستان، ويتقسم الباقي إلى أربعة أجزاء أحدها بيد الإنجليز والآخر بيد الأمريكان.

ثم رد على هذه المقولة بقوله: (ولكن هل هذا التقسيم يضرّهم أم ينفعهم؟ أن أخذ كلّ طرف منهم جزءً يعني أنه ينفعهم. فلنلاحظ الآن هل أن بقائه يؤدي إلى التجزئة أم رحيله؟ إذا كان الجواب رحيلك، فلماذا يجمعون على دعمك في حين أن تجزئة إيران تخدم مصالحهم؟ إنك تقول: إذا رحلت سيقتطع الروس

---

[1]() المرجع السابق، ج4، ص: 373.

[2]() المرجع السابق، ج4، ص: 374.

أذربيجان، ويقتطع الإنجليز الجزء الآخر، وهكذا يفعل الأمريكان، وكلهم يتمنون الحصول على ذلك. فلماذا يؤيدونك إذن إذا كان رحيلك يخدم مصالحهم؟!.. إن كارتر يردد كلّ يوم وفي كلّ وقت وكلما تحدث: يجب أن يبقى هذا (الشاه)، فنحن بحاجة إليه وبقاءه يخدم مصالحنا.. وأنت تقول كلا أن رحيلي أنفع لكم! فهل تدعي أنك تفهم ما لا يفهمون؟! (يضحك الحاضرون). كأنك تقول: أن الأمريكان والإنجليز وأمثالهم لا يدركون بأنه إذا رحلت فستقع التجزئة التي تخدم مصالحهم، ولأنهم يجهلون ذلك فهم يدعمونني! لكنك لا تستطيع تأييد هذا القول)[1]

ثم بين أن نفس وجود الشاه تجزئة للبلد، فقال: (عليه يتضح أن التجزئة قائمة بوجودك وهي حاصلة بالفعل! ونحن الآن نفتقد للبلد الموحّد المستقل، فأي استقلال يبقى للبلد الذي يخضع جيشه لهيمنة طرف أجنبي، وثقافته العلمية لطرف اجنبي آخر، وكذلك حال مجلسه النيابي. فماذا بقي لنا؟ الدولة تكون دولة حقيقية إذا كان فيها مجلس نيابي وهذا ما نفتقده نحن. لقد قلت بنفسك ـ فيما كتبت أو صرحت به ـ أن (السفارات الأجنبية) كانت تأتيكم بالقوائم، وكان في هذا الصدد يتحدث عن عهد أبيه وكأنه لا ينتبه لما يقول، فتارة يشرع في الثناء على أبيه وتارة أخرى يقول: إلى ما قبل بضع سنين كانوا يأتوننا بالقوائم كي يتم انتخابهم لعضوية المجلس النيابي!)[2]

ثم أخذ يحلل مقولة الشاه، ويرد عليه من خلالها، فقال: (على أي حال هذه هي حال بلدنا، السفارات الأجنبية تحدد قوائم بأسماء الذين يجب أن ينتخبهم الشعب نواباً عنه! أي لا يسمح لك حتّى أنت (الشاه) بتعيينهم بل هي مهمة السفارات وعليك أن تنصبهم نواباً لنا فحسب.. إذن فليس لدينا مجلس نيابي، ومع فقداننا لهذا المجلس لا يبقى للعمل بالدستور أي معنى، إذ لا يوجد مجلس نيابي أصلًا كي يعمل بالدستور! إذن لا يوجد دستور أصلًا كي نعمل به، أجل لقد دونوا دستوراً ثم وضعوه على الرف.. وتعلمون جميعاً أن ثقافتنا العلمية أجنبية أعدوها (الأجانب) لنا.

[1] () المرجع السابق، ج4، ص: 375.

[2] () المرجع السابق، ج4، ص: 375.

وكذلك حال جيشنا ونظامنا الاقتصادي وهو أسوأ من كلّ شيء. كلّ هذه المجالات خاضعة لهيمنة الأجانب. ولذلك فإن بلدنا مجزّأ ومقسّم بالفعل، لأنه خاضع لتصرف الأجانب وتسلطهم، وهم ينهبون كلّ ثرواته ويلتهمونها) (1)

وهكذا لا يترك الإمام الخميني شاردة ولا واردة مما يتمسك به دعاة بقاء الملكية إلا ورد عليها ردا عقليا علميا هادئا.. وعند مقارنة هذا الطرح بما يطرحه دعاة الثورات الأخرى نجد فوارق كبيرة جدا، إذ يغلب على خطابات تلك الثورات غالب العنف والعاطفة، والذي يجردها من القدرة على الحوار العقلي الهادئ.

2. إثبات تهافت النظام الوضعي

لم يكن إسقاط الشاه والنظام الملكي أهم منجزات الثورة الإسلامية الإيرانية، ذلك أن الكثير من الثورات التي أسقطت أنظمة ملكية واستبدلتها بأخرى جمهورية، لم يتغير شيء في حياة شعوبها، سوى في إتاحة التداول على السلطة، وتوفير المزيد من اللصوص والمستبدين الجدد.

ولذلك كان الإنجاز الأكبر للثورة الإسلامية ليس مرتبطا بالجمهورية، وإنما بكون الجمهورية إسلامية، وذلك أول وأكبر إنجاز تاريخي لم يحصل مثله من قبل.

ذلك أن هذا الاسم الجديد [الجمهورية الإسلامية] أنتج نظام حكم فريد في التاريخ استطاع أن يجمع بين الإسلام وقيمه وعدالته، وبين توفير الفرصة للشعب لاختيار حكامه وقادته.

ولهذا نرى قادة الثورة الإسلامية سواء من تولوا الجانب السياسي، أو من اقتصرت مهمتهم على الجانب الفكري والعلمي يستعملون كل وسائل الإقناع بصلاحية هذا النظام، وفي نفس الوقت يقومون بالرد على المخالفين والمناوئين له.

وبما أنا ذكرنا في الجزء السابق الأدلة الكثيرة على ذلك، فسنكتفي هنا بنموذج من ردود الإمام الخميني على المناوئين لهذا النظام، والذي ورد في الوصية الإلهية السياسية، التي استعرض

---

(1) صحيفة الإمام، ج4، ص: 375.

فيها جميع الأطروحات التي يعتمدها المناوئون للنظام الإسلامي سواء كانوا من الإسلاميين أو من اليساريين وغيرهم، ثم فندها واحدا واحدا، بطريقة علمية منهجية لا يمكن لأي صادق يقرؤها إلا ويقتنع بها.

وقد بدأ الحديث عن المناوئين بعرض مقولاتهم وحصرها كما هي عادة الفلاسفة والمتكلمين، فقال: (من المؤامرات الخطيرة التي ظهرت بوضوح في القرن الأخير خصوصاً في العقود الأخيرة منه وبالأخص بعد انتصار الثورة الإسلامية، الحركة الإعلامية الواسعة النطاق وذات الأبعاد المختلفة الهادفة لإشاعة اليأس والقنوط من الإسلام في أوساط الشعوب، خاصة الشعب الإيراني المضحي، فتارة يصرّح هؤلاء بسذاجة بأنّ أحكام الإسلام التي وضعت قبل ألف وأربعمائة عام لا يمكنها إدارة الدول في العصر الحاضر، أو أن الإسلام دين رجعي يعارض كل معطيات التقدم والتمدن، أو أنه لا يمكن للدول في العصر الحاضر اعتزال الحضارة العالمية القائمة ومظاهرها، إلى غير ذلك من أمثال هذه الدعايات البلهاء.. وتارة أخرى يعمدون ـ بخبث وشيطنة ـ إلى التظاهر بالدفاع عن قدسية الإسلام، فيقولون: بأنّ الإسلام وسائر الأديان الإلهية تهتمُّ بالمعنويات وتهذيب النفوس، وتحذر من طلب المقامات الدنيوية، وتدعو إلى ترك الدنيا والاشتغال بالعبادات والأذكار والأدعية التي تقرب الإنسان من الله، وتبعده عن الدنيا، وأن الحكومة والسياسة وإدارة الأمور تتعارض كلها مع ذلك الهدف وتلك الغاية المعنوية السامية، وهي أمور يُراد بها بناء الدنيا، الأمر المغاير لسيرة جميع الأنبياء العظام.. ومما يؤسف له فإنّ الجهد الإعلامي المبذول بالاتجاه الثاني ترك أثره على بعض علماء الدين والمتدينين الجاهلين بالإسلام، إلى حد جعلهم يعتبرون التدخل في الحكومة والسياسة معصية وفسقاً، ولعل البعض لازال إلى الآن يرى الأمر كذلك، وهي الطامة الكبرى التي ابتلي بها الإسلام)[1]

ثم أخذ يرد على هذه المقولات وما يرتبط بها واحدا واحدا، فقال: (للرد على الفريق الأول لابد من القول بأنهم إما أن يكونوا جاهلين بالحكومة والقانون والسياسة، أو أنهم يتجاهلون ذلك

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 365.

مغرضين، فتطبيق القوانين على أساس القسط والعدل، والوقوف بوجه الظالمين والحكومات الجائرة، وبسط العدالة الفردية والاجتماعية، ومحاربة الفساد والفحشاء وأنواع الانحرافات، وتحقيق الحرية على أساس العقل والعدل، والسعي للاستقلال والاكتفاء الذاتي، وقطع الطريق على الاستعمار والاستغلال والاستبعاد، وإقامة الحدود وإيقاع القصاص والتعزيزات طبقاً لميزان العدل للحيلولة دون فساد المجتمع وانهياره، وسياسة المجتمع وهدايته بموازين العقل والعدل والإنصاف ومئات القضايا من هذا القبيل لا تصبح قديمة بمرور الزمان عليها، وهي قاعدة سارية المفعول على مدى التاريخ البشري والحياة الاجتماعية) [1]

ثم بين أن تطبيق هذا الادعاء على العلوم المختلفة يقضي عليها، لأنها كلها مؤسسة على قواعد ونظريات قديمة، يقول: (إنّ هذا الادعاء بمثابة القول بضرورة تغيير القواعد العلمية والرياضية وإحلال قواعد أخرى محلها في العصر الحاضر، فإذا كان من الواجب تطبيق العدالة الاجتماعية ومحاربة الظلم والنهب والقتل في مستهل الحياة البشرية، فهل سيصبح هذا النهج بالياً اليوم لأننا في قرن الذرة؟)[2]

ثم رد على تلك الأطروحات التي تصور الإسلام معارضا للتقدم والتطور، فقال: (أمّا ادعاء معارضة الإسلام للتقدم ـ كما كان يدعي محمد رضا البهلوي المخلوع حينما كان يقول: (إنّ علماء الدين يريدون استخدام الدواب للسفر في هذا العصر) ـ فإن هذا لا يعدو مجرد تهمة سخيفة لا أكثر.. فإذا كان المراد من مظاهر المدنية والتقدم هو الاختراعات والابتكارات والصناعات المتطورة، التي تساهم في تقدم البشر ونمو حضاراتهم، فإن الإسلام وسائر الأديان التوحيدية الأخرى لا ولن تعارض ذلك أبداً، فالإسلام والقرآن المجيد يؤكدان على ضرورة العلم والصناعة.. أما إذا كان المراد من التقدم والمدنية ذلك المعنى المطروح من قبل بعض ممتهني الثقافة القائلين بالإباحية في جميع المنكرات

---

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 365.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 366.

والفواحش ـ حتى الشذوذ الجنسي وما شابه ـ فإن جميع الأديان السماوية وجميع العلماء والعقلاء يعارضون ذلك، وإن كان المأسورون للغرب أو الشرق يروجون لذلك من منطلق تقليدهم الأعمى) [1]

ثم رد على الفريق الثاني، والذي يتشكل من العلمانيين وبعض علماء الدين الذين لم يفهموا الإسلام حق فهمه، فصاروا يدعون إلى فصل الدين عن السياسة، فقال: (أما الفريق الثاني، والذين يؤدون دوراً مخرباً بقولهم بفصل الإسلام عن الحكومة والسياسة، فلابد من إلفات نظر هؤلاء الجهلة بأن ما ورد من الأحكام المتعلقة بالحكومة والسياسة في القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ يفوق كثيراً ما ورد من الأحكام في سائر المجالات، بل إنّ كثيراً من أحكام الإسلام العبادية هي أحكام عبادية ـ سياسية، والغفلة عن ذلك هي التي جرت كل هذه المصائب. لقد أقام رسول الله ﷺ حكومة كسائر حكومات العالم، ولكن بدافع بسط العدالة الاجتماعية، وكذلك فقد حكم الخلفاء المسلمون الأوائل بلدان مترامية الأطراف، وكذا كانت حكومة علي بن أبي طالب باعتمادها على ذلك الدافع وبشكل أوسع وأشمل وهي أمور من واضحات التاريخ.. ثم توالت الحكومات باسم الإسلام، واليوم أيضاً فإن أدعياء الحكومة الإسلامية سيراً على خطى الإسلام والرسول الأكرم ﷺ كثيرون للغاية.. وأكتفي أنا في هذه الوصية بالإشارة فقط، آملاً أن يتولى الكتّاب وعلماء الاجتماع والمؤرخون إخراج المسلمين من هذه الاشتباهات) [2]

ثم رد على تلك المقولات التي يرددها العلمانيون ومن يعتبرون أنفسهم تنويريين من رجال الدين وغيرهم، والذين يقصرون الإسلام على الجوانب الروحية الشخصية، فقال: (أما ما قيل من أن مهمة الأنبياء (عليهم السلام) تقتصر على المعنويات، وانهم والأولياء العظام كانوا يجتنبون الحكومة وكل ما يتعلق بالدنيا، وانّ علينا أن نقتفي خطاهم، فهو خطأ يبعث على الأسف حقاً ويؤدي إلى تدمير الشعوب الإسلامية وفتح الطريق أمام

---

[1] () المرجع السابق، ج 21، ص: 365.

[2] () المرجع السابق، ج 21، ص: 366.

المستعمرين والمستغلين.. إن المرفوض في نهج الأنبياء (عليهم السلام) والذي حذروا منه إنما هو الحكومات الشيطانية الظالمة المستبدة التي تقوم لأجل التسلط ولدوافع دنيوية منحرفة، ولجمع المال والثروة والسعي للتسلط والتجبر، وبالنتيجة الدنيا التي تسبب غفلة الإنسان عن الله تعالى، أما حكومة الحق المُقامة لأجل المستضعفين والوقوف بوجه الظلم والجور، وإقامة العدالة الاجتماعية كالحكومة التي أقامها سليمان بن داود ونبيّ الإسلام العظيم ﷺ وما سعى إليه أوصياؤه العظام، فإنها من أجل الواجبات، والسعي إليها من أسمى العبادات، كما إن السياسة الصحيحة التي مارستها تلك الحكومات هي من أوجب الأمور) [1]

ثم رد على تلك الشبه التي تتصور أنها تستند للواقع، فتذكر عجز الجمهورية الإسلامية عن تحقيق العدالة الاجتماعية، وما تتطلبه من رفاه، فقال: (من نفس سنخ هذه المؤامرات ـ بل لعله الأكثر إيذاءً ـ الشائعات التي تنطلق على نطاق واسع ليشمل كافة أنحاء البلاد ويشتدّ في غير العاصمة من المدن الأخرى، من القول بأنّ الجمهورية الإسلامية أيضاً لم تفعل للناس شيئاً، وان الناس مساكين قدموا التضحيات بشوق ولهفة من أجل التحرر من نظام طاغوتي ظالم، ثُمّ أصبحوا ضحية نظام أسوأ، فالمستكبرون أصبحوا أشدُّ استكباراً والمستضعفون أشد استضعافاً، وأن السجون مليئة بالشبّان ـ الذين يمثلون الأمل والمستقبل للبلاد ـ وأساليب التعذيب تنوعت واشتدّت عما كانت عليه في النظام السابق، وان عدداً من الناس يُعدم كل يوم باسم الإسلام. ويا ليت إن اسم الإسلام لم يطلق على هذه الجمهورية، فهذا العهد أسوأ من عهد رضا خان وابنه، فالناس يتخبطون في العذاب والمشقة ويعانون من غلاء الأسعار المضنى، وان المسؤولين يقودون البلاد نحو نظام شيوعي، فأموال الناس تُصادَر والشعب يُسلب الحرية في كل المجالات، وكثيراً من أشباه تلك الأمور التي يبدو إنها تُنفذ ضمن خطة مدروسة والدليل على وجود خطة وراء الأمر، هو أن الألسن تتناقل كل مدة أمراً واحداً بالتحديد في كل زاوية وجانب وفي كل محلة ومنطقة وفي سيارات النقل الخاص والعام، بل حتى في التجمعات الصغيرة المحدودة، الحديث واحد دوماً، وإذا

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 365.

استهلك طَرح أمر آخر بدلاً منه) [1]

ثم رد على هؤلاء بكونهم يجهلون الواقع الإيراني قبل الثورة وبعدها، وأنهم يرددون فقط ما يسمعون من غير تحر، يقول: (إنّ العديد ممن يسمعون هذه الأمور ويصدقون بها لا اطلاع لديهم على وضع الدنيا ووضع الثورات في العالم وأحداث مرحلة ما بعد الثورة ومشكلاتها الجسيمة التي لا محيص عنها. وهم لا يمتلكون الاطلاع الصحيح على التحولات التي تقع لتنتهي لصالح الإسلام، فيستمعون لأمثال هذه الأمور ثم يقتنعون بها دون تحليل ويلتحقون بأدوات المؤامرة عن غفلة أو عمد) [2]

ثم يدعو إلى التأني والتثبت قبل التسرع في الحكم، فيقول: (إنني أوصي بعدم المسارعة في الانتقاد اللاذع والسب والشتم قبل مطالعة الوضع العالمي الراهن، ومقارنة الثورة الإسلامية في إيران مع سائر الثورات والاطلاع على أوضاع الدول والشعوب أثناء الثورة وما بعدها، ودراسة ما كان يجري على الناس خلال تلك الفترات، والأخذ في الحسبان مشكلات هذه الدول المنكوبة بنكبة الطاغوت رضاخان وابنه ـ الأسوأ منه ـ وما تركاه من تركةٍ ثقيلة لهذه الحكومة بدءاً بالتبعية المدمرة، وانتهاءً بأوضاع الوزارات والإدارات والاقتصاد والجيش، ومراكز الفساد ومحال بيع الخمور، والانحلال السائد في جميع شؤون الحياة وأوضاع التربية والتعليم وأوضاع المدارس الثانوية والجامعات، وأوضاع دور السينما ودور البغاء، ووضع الشبّان والنساء وعلماء الدين والمتدينين وطالبي الحرية الملتزمين والنساء العفيفات المظلومات والمساجد في عهد الطاغوت، والتحقيق في ملفات المحكومين بالإعدام والسجن، ودراسة أوضاع السجون وأسلوب المسؤولين في إدارة تلك المرافق، ودراسة أحوال أصحاب رؤوس الأموال والإقطاعيين الكبار والمحتكرين والمستغلين، ودراسة أوضاع المحاكم العدلية ومحاكم الثورة، ومقارنة وضعها بوضع مثيلاتها في العهد البائد، ثم التحقيق حول أوضاع نواب مجلس الشورى الإسلامي وأعضاء الحكومة والمحافظين وسائر

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 365.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 366.

الموظفين الذين مارسوا صلاحياتهم خلال فترة ما بعد الثورة، ومقارنة ذلك بما مضى، والتحقيق في طريقة عمل جهاز الحكومة والجهاد من أجل البناء في القرى المحرومة من كل الإمكانات بما في ذلك الماء الصالح للشرب أو المستوصفات ومقارنة ذلك في العهدين، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفترة المتاحة لكل منهما، وما ترتب من نتائج على مسألة الحرب المفروضة، من قبيل الملايين من المشردين والآلاف من عوائل الشهداء والمعاقين، مضافاً إلى ملايين النازحين من الأفغان والعراقيين، ومع الأخذ بنظر الاعتبار الحصار الاقتصادي والمؤامرات المتوالية من قبل أمريكا وعملائها الأجانب والمحليين. هذا علاوة على فقدان الإعداد اللازمة من المبلغين العارفين بالأمور وقضاة الشرع وأمثالهم، والمحاولات المتواصلة من قبل أعداء الإسلام والمنحرفين ـ بل حتى الأصدقاء الجهلة ـ لخلق الفوضى، إلى عشرات الأمور الأخرى) [1]

وبعد أن وصف الواقع المؤلم الذي فرض على الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد ثورتها قال: (فلترحموا هذا الإسلام الغريب الذي عاد بعد مئات السنين من ظلم الجبابرة وجهل الشعوب، طفلاً حديث العهد بالمشي، ووليداً محفوفاً بالأعداء الأجانب والمحليين.. فلتفكروا أنتم أيها المختلقون للإشكالات، أليس من الأفضل السعي للإصلاح والمساعدة، بدلاً من السعي في التدمير؟ ثم أليس من الأفضل التصدي لنصرة المظلومين والمضطهدين والمحرومين، بدلاً من تأييد المنافقين والظالمين والرأسماليين والمحتكرين من عديمي الإنصاف الغافلين عن الله؟ أليس من الأفضل النظر إلى المقتولين غيلة بدءاً من علماء الدين المظلومين وانتهاءً بالقائمين بمختلف الخدمات المتدينين، بدلاً من النظر إلى الفئات المشاغبة والقتلة المفسدين ودعمهم وتأييدهم بطرقٍ غير مباشرة؟.. إنني لم أدّعِ ــ ولست مدعياً الآن ــ بأن الإسلام العظيم مطبق بكل أبعاده في هذه الجمهورية، وأنه لا يوجد مخالفين للقوانين والضوابط ــ جهلاً أو بسبب عقدةٍ ما أو لمجرد عدم الانضباط ــ لكنني أقول إن السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية تبذل جهوداً جبارة لأسلمه أجهزة الدولة، وأن الشعب بملايينه يؤيدها ويدعمها. ولو أن تلك القلة المثيرة

---

[1] () المرجع السابق، ج 21، ص: 366.

للإشكالات والتحبيطات بادرت إلى المساعدة، لأصبحت إمكانية تحقق تلك الآمال أسهل وأسرع، أما إذا لم يثُب أولئك إلى رشدهم ـ لا سمح الله ـ فإن الشعب المليوني اليقظ الواعي المتأهب سينطلق لتحقيق هذه الآمال الإنسانية الإسلامية بشكل مذهل ـ بحول الله ـ وحينها لن يستطيع أولو الأفهام المنحرفة من المثيرين للإشكالات الصمود أمام هذا السيل الهادر) [1]

ثم توجه بحديثه لمعارضي الجمهورية الإسلامية ممن تبنوا الأيديولوجيات المادية من الشيوعية وغيرها، فقال: (وإن لي هنا وصية إلى معارضي الجمهورية الإسلامية على اختلاف دوافعهم ممن تعرضوا لاستغلال المنافقين والمنحرفين والانتهازيين والنفعيين، وهي أن يتفكروا بوضعية وحرية في دعايات أولئك الساعين لإسقاط الجمهورية الإسلامية وفي ممارساتهم وسلوكياتهم مع الجماهير المحرومة من جهة، ومن جهة أخرى في الفئات والدول التي ساندتهم ـ ولا تزال ـ والمجاميع والأشخاص المرتبطين بهم والداعمين لهم في الداخل، وفي أخلاقهم وسلوكياتهم فيما بينهم ومع مؤيديهم، وفي التبدلات التي تتعرض لها مواقفهم أثناء المستجدات المختلفة، وليبحثوا في ذلك بدقة وبعيداً عن هوى النفس. ثم ليتأملوا في أوضاع أولئك المستشهدين في الجمهورية الإسلامية على أيدي المنافقين والمنحرفين، وليقارنوا بينهم وبين أعدائهم، فأشرطة تسجيل وصايا وأحاديث هؤلاء الشهداء متوفرة نسبياً، ولعل أشرطة تسجيل أحاديث معارضيهم في متناول أيديهم.. فلينظروا أي فريق يناصر المحرومين والمظلومين من أبناء المجتمع؟!) [2]

ثم راح يفند مقولاتهم، فقال: (أما اليساريون كالشيوعيين، وفدائيي الشعب، وسائر التيارات الميالة إلى اليسار، فإني أسألهم ما هو الدافع الذي أقنعتم به أنفسكم للتمسك بعقيدة منيت اليوم بالفشل، ودون دراسة صحيحة لمختلف العقائد، خصوصاً العقيدة الإسلامية؟ ثم ما الذي أصابكم حتى أثلجتم قلوبكم بعدة مصطلحات يعدها أهل التحقيق كلمات فارغة؟ وما الذي يدفعكم

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 367.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 368.

لجـر بلادكم إلى أحضـان روسـيا أو الصـين، وإعلان الحـرب على شعبكم أو التآمر ضد بلدكم والجماهير المظلومة لصـالح الأجـانب، كل ذلك باسم الحب للجماهير؟ لاحظوا أنتم كيـف أن الشـيوعية ـ ومنذ بداية نشوئها ـ ادّعتها من الحكومات من هي أشدها استبداداً ورغبة في التسـلط والأنانيـة في العـالم. فكم من الشـعوب الـتي سُحقت وتعرضت للـدمار تحت أيـدي وأرجـل روسـيا مدعيـة دعم الجماهير؟ بل إن الشعب الروسي ذاتـه بمسـلميه وغـير مسـلميه يتخبط الآن تحت استبداد الحزب الشيوعي ويُحـرم من أي مظهـر من مظـاهر التحـرر، ويعـاني كبتـاً يفـوق كـل أنـواع الكبت الـذي تمارسه سائر الحكومـات المسـتبدة في العـالم. وكلنـا رأى الأبهـة والتشريفات التي كان (ستالين) يحيط نفسه بها رغم انـه يعـد من ألمـع وأبـرز الشخصـيات في الحـزب الشـيوعي.. واليـوم وحيث تقومون أنتم أيهـا المخـدوعون بالتضـحية بـأرواحكم عشـقاً لـذلك النظام فإن المظلومين في نفس روسـيا وفي سـائر الـدول الـتي تـدور في فلكهـا كأفغانسـتان يحتضـرون من ظلم ذلـك النظـام، ناهيك عما فعلتموه أنتم ـ يا مدعي نصـرة الشـعوب ــ من جـرائم ضد هذا الشعب المحروم وأينما سنحت لكم الفرصـة، مـاذا فعلتم بأهالي (آمل) الشرفاء ممن عددتموهم خطأً أنصـاركم المخلصـين فخدعتم البعض منهم ليصبحوا حطاماً في الحرب التي أشـعلتموها بين الحكومة والجماهير؟ ما هي الجرائم التي لم تقـدموا عليهـا؟)[1]

هذه نمـاذج مهمـة جـدا كلهـا تؤكـد الأسـاليب الإقناعيـة الـتي استعملها الإمام الخميني في نصرة الثورة الإسلامية، وأطروحاتها، والرد على الشبه المختلفة، بحكمة وعقلانية وهدوء.

وقيمتها تبرز أكثر عند التعرف على المنصب الكبير الذي كان يتولاه الإمـام الخميـني، والـذي هـو أول وأرقى منصـب في البلاد، ومع ذلـك كـان يطـرح ردوده بشـكل علمي وعقلي هـادئ، لا كمـا يفعله من تولوا مثل تلك المناصب من أصحاب الاتجاهات المادية، والذين لا يكادون يستعلمون أمثال تلك الأساليب الحكيمة.

رابعا ـ الثورة الإسلامية.. والحركة الواعية:

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 369.

من أهم الأسـاليب الـتي اسـتعملها قـادة الثـورة الإسـلامية لتحقيـق الانتصـار تحريـك الشـعب ليقـوم بـدوره في مواجهـة الاستبداد والفساد بعـد إقناعـه بـذلك بالأسـاليب المتعـددة، والـتي سبق ذكر نماذج عنها في هذا الفصل.

وهذه الأساليب مع كونها مشابهة في ظاهرها لكـل الثـورات، فلا ثـورة من دون حركـة شـعبية، لكنهـا مختلفـة عنهـا كثـيرا في شفافيتها ووضوحها وسلميتها ومطالبها وقيادتها وكل شـيء فيهـا.. فقد كانت شعارات الثورة ومطالبها هي نفسـها الـتي تحققت بعـد ذلك، على خلاف أكثر الثورات.

وقد شهد لها بهذا التفرد كـل المفكـرين الموضـوعيين الـذين تأثروا بها، وبقيادتها، وبطريقة تحريكها، ومن الأمثلة على ذلـك مـا كتبه عنها داعية اللاعنف [جـودت سـعيد]، والـذي أشـاد بهـا كثـيرا على الـرغم من انتقاداتـه اللاذعـة لكـل الحركـات الإسـلامية، أو الثورات التي وقعت في التاريخ.

وقد عزا تلك الإشادة لعبقرية محركها الإمـام الخميـني، ذلـك أنه استطاع ـ كما يذكر ـ ولأول مرة في التاريخ، أن يجعـل الفقيـه العالم وليا وسلطانا، فمما كتبـه في [مجلـة المجلـة] تحت عنـوان [ما شأن الخميني؟] قوله: (ما قصة ولاية الفقيه؟ دعوني أتخيـل.. إن مشكلة علاقة المثقف والسلطة مشكلة قديمة وحديثـة قديمـة جداً وحديثة جداً أيضاً لأن مشكلة المعرفة والسلطة في بـؤرة مـا بعد الحداثة الآن وأنا أعيش في هذا التخيل.. الإنسان هو المعرفـة هـو التميـيز هـو القـدرة على اختيـار المميـز كـانت السـلطة خلال التـاريخ للقـوة ولم يكن للعلم، والعلم كـان تابعـاً للقـوة: أي كـأن العقل تابعاً للجسد! وكأن العضلات هي التي تسـيطر على الجهـاز العصبي وليس العكس.. كأن الخميـني سـيطر عليـه هـاجس هـذا الموضوع وعز عليه أن يسيطر الجهـل على العلم والعضـلات على العقل، وأنف أن يقبل هذا الوضع الثانوي للعالِم وأن يكـون العـالِم في خدمة السلطان أو بعض أدواته)[1]

ثم بين كيف كان هـذا الهـاجس هـو المحـرك الـداعي لولايـة

---

[1] () ما شأن الخميني؟، مجلة المجلة، نقلا عن موقع جودت سعيد.

الفقيـه، ومـا تبعهـا من الحركـة الشـعبية الـتي كـان الفضـل في تحركيها للفقيه، وليس للثوري العادي الراغب في الاسـتحواذ على السلطة من غير امتلاك لأدواتها، يقـول: (إن بـذور هـذه المشـكلة سيطر على هذا الرجل ولأنه متدين ومسـلم وفقيـه اختـار العبـارة الدينية الإسلامية الفقهية فطرح موضوع ولاية الفقيه: أي السـلطة للفقه وللعلم وللعقل)[1]

ثم بين كيـف كـان لهـذا تـأثيره الكبـير في سـلمية الحركـة التغييرية ووضـوحها وجمالهـا، يقـول: (فمن هـذه الأرضـية انطلـق الخميني وعزّ عليـه أن يكـون الفقيـه أداة للسـلطة، بـل ينبغي أن يكون العكس وسار في هذا الدرب ربمـا لأول مـرة يخـرج الفقيـه على السـلطان ليس كخـروج الخـوارج المعتمـدين على العنـف والقتل، وإنمـا خـرج الخميـني على سـلطة الجهـل بسـلطة العلم، ولهذا كانت معارضته علمية سلمية لاعنفية.. وبذلك لأول مـرة في التـاريخ ينجح إنسـان غـير نـبي بـدون عنـف في قيـادة المجتمـع وتحويل الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد) [2]

ثم ذكر مدى التفرد الذي تحقق للثورة الإسلامية بهذا، والذي لم يحدث مثله في كـل الثـورات، حـتى تلـك الـتي توصـف بكونهـا ثورات سلمية، يقول: (إن هذا الحـدث الجديـد ليس لـه نظـير في التاريخ حتى غاندي لم يتمكن أن يبلغ بدعوته السلمية اللاعنفية ما بلغه الخميني من النجاح فيه إذ أنه لما كان غاندي يقود الهنود إلى المواجهة اللاعنفية كان لا يتمكن من ضبط أصـحابه فيلجـؤون إلى العنف ولا يستطيعون أن يضـبطوا أنفسـهم فكـان يسـخط غانـدي على ما وقع ويعلن الغضب على نفسه فيعلن الصوم حزنـاً وأسـفاً على أن سعيه لم ينجح بينما اسـتطاع الخميـني أن يضـبط النـاس فقدموا الورود للجنود ومن غير أن يفلت منهم زمام الانضباط فإن من يواجه العنف باللاعنف المنضبط هنا انتصـر الفقـه والعقـل لأن قوة العلم والعقل ينبغي أن ينتصر على الجهل والقوة الـتي تـدعم الجهل وان لم يتمكن من ذلـك فلا يكـون عقلاً ولا علمـاً ولا فقهـاً)

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

(1)

ثم بين دور الإمام الخميني في كلا الجـانبين: تحريـر الشـعب من الخوف، ودعوته إلى اللاعنف، فقـال: (هنـا الأمـة تحـررت من الخوف من العسكر ومن السلاح وتحرر الإنسان من ثقافة السلاح والعسكر والإكراه وكل أدوات الإكراه، لم يكن هـذا الأمـر واضـحاً جليـاً أثنـاء الأحـداث ولكن الاسـتمرار والثبـات والنجـاح تؤكـد هـذا وليس كل الناس لهم القدرة على تحليل هذا الحدث فـأرى واجبـاً علي إزالة الشبهات التي تحيط بالموضوع ليظهـر القـانون النبـوي الذي جاء به الأنبياء جميعاً وكفر الناس بـه جميعـاً ﴿كَـذَلِكَ مَـا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الـذاريات: 52] والى الآن العـالم جميعـاً ومعهم العـالم الإسـلامي لا يعرفـون كيف ينتصر العلم والعقل وعدم الإكراه وبـدون لجـوء إلى السـلاح كيف تصنع الأمة بدون عنف وبدون دماء) (2)

ثم بين الدور العظيم الذي قام به الإمـام الخميـني في إحيـاء مسيرة الأنبياء، وتحقيق أحلامهم، فقال: (هذا الذي جاء بـه الأنبيـاء وهذا ما أحياه الخميـني وهـذه هي القـوة الحقيقيـة قـوة اللاإكـراه وقوة انتصار الإنسان على ضمير الإنسان وليس على جسـده هـذا هو الشيء الجديد الذي ظهر في إيران واستمر أيضاً) (3)

ثم بين السـر الأكـبر وراء ذلـك الانتصـار التـاريخي العظيم، فقال: (إن الخميني انتصر على جبال من المـواريث الخاطئـة لأنـه تمسـك بالإيمـان بقـدرة العقـل والعلم على التغلب على الجهـل والإكراه.. لما آمن الخميني بولاية الفقيه بسـلطة العلم شـعر بـأن الفقـه والعلم هـو الإمـام الـذي ينبغي أن يتبـع فخـرج من انتظـار الإمام أو المهـدي الـذي ينتظـره المسـلمون جميعـاً ولم يكن هـذا شيئاً سهلاً ولكن لم يكن ذلـك مسـتحيلاً، ولهـذا نجح واسـتطاع أن يتمسك بوحي الكتاب ويتفهم التـاريخ وآيـات الآفـاق والأنفس ولم يكن ماضوياً يشد إلى الوراء ولكن كان يرى آيات اللـه في الآفـاق

(1) المرجع السابق.

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع السابق.

والأنفس فهو استطاع أن ينقي الأصالة مما علق بها وأن يتفهم المعاصرة فاتبع أحسن ما فيها) [1]

وبهذا كله ـ كما يذكر جودت سعيد ـ (استطاع الخميني أن ينتصر وأن يعلن الجمهورية الإسلامية.. إنها قمة الأصالة والمعاصرة.. قمة التمسك بآيات الكتاب والتفهم لآيات الآفاق والأنفس) [2]

ثم رد على الذين يتذرعون ببعض الأخطاء التي وقعت في بعض المحال، فقال: (إذا كان هناك بعض العقبات علينا أن نتذكر أن الله لم يخلق العالم في لحظة واحدة وإنما في أيام، وعلينا أن نتذكر أن الكهرباء أول ما اكتشفه الإنسان لم يتحول إلى مصباح وهاتف ولاسلكي، ولكن الذين يأتون من بعدهم الذين يحسنون ويتجاوزن العقبات ويكون أداؤهم أحسن وأوضح وأقل معاناة وأقل زمناً وأكثر مردوداً وأنا أفهم هذا وأتوقعه) [3]

ثم عاد ليؤكد ـ حسب نظريته في اللاعنف ـ السبب في كل الانتصارات، فقال: (فإن التغييرات التي ستحدث ستكون تغييرات سلمية لا دماء فيها، صحيح أن جنود الشاه قتلوا المتظاهرين ولكن لم يقتل المتظاهرون أحداً من جنود الشاه) [4]

ثم بين مدى التزام الثورة الإسلامية بالمنهج السلمي، واعتبر ذلك آية عظيمة من آيات الله، فقال: (يا أيها الناس اقرؤوا سورة الشعراء وانتبهوا إلى اللازمة التي تتكرر في هذه السورة مرات عديدة بعد عرض كل مشهد يكرر الله قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: 67ـ 68]، وأنا أقول إن التزام كلمة التقوى وكلمة السواء من قبل المتظاهرين الإيرانيين أقول إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

[3] () المرجع السابق.

[4] () المرجع السابق.

ليفهموا ويؤمنوا بهذا الأسلوب وهذا الموقف.. ولكن العزيز الرحيم هـو الـذي يهب عبـاده العـزة والرحمـة فـإذا كـان الخميـني تمكن باللاعنف واللاإكراه وبالتزام اللاإكـراه من طـرف واحـد تمكن من تفوق المرأة والشيخ والطفل بإيمانهم وصدورهم المكشـوفة على الجنود المدججين بالسلاح وانتصارهم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـةً وَمَـا كَـانَ أَكْثَـرُهُمْ مُـؤْمِنِينَ (67) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُـوَ الْعَزِيـزُ الـرَّحِيمُ﴾ [الشـعراء: 67، 68]) [1]

ثم دعا إلى دراسة هذه الثورة والاستفادة منها باعتبارهـا آيـة من آيات اللهِ، ولا يجوز الإعراض عن آيات اللـه، حيث يـورد قولـه تعالى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَـا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [يوسف: 105]، ثم يعلق عليه بقولـه: (علينـا أن لا نعرض عن هذا الحدث علينا أن نحدق فيـه وأن نسـلط الأضـواء على الأمور الخفية التي أنجحت هذا الحـدث وأنـا متأكـد أن الـذين سيدرسون هذا في المستقبل ستكون لهم قدرة أكبر على تحليلها وإزالة الغشاوات عنها وأن الذين سـيأتون من بعـد سـيقولون بعـد انتصارهم أو مجيء النصر إليهم من غير أن يقاتلوا من أجلها لهـذا يقول اللـه عن الأنبيـاء وأتبـاعهم:﴿ وَلَقَـدْ كُـذِّبَتْ رُسُـلٌ مِنْ قَبْلِـكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَـاهُمْ نَصْـرُنَا ﴾ [الأنعـام: 34]، إنهم لم يقـاتلوا إن الـذين سـيأتيهم النصـر سـيقولون للـذين ذهب عنهم النصر لا تـثريب عليكم اليـوم يغفـر اللـه لكم، اذهبـوا فـأنتم الطلقاء) [2]

وأحب أن أذكر الذين يتصورون أن هذه الكلمـات الـتي قالهـا جودت سعيد كـانت في الأيـام الأولى للثـورة الإسـلامية حين كـان الجميع محتفلا بها، ثم تغير الحال بعد ذلك، بأن ذلـك غـير صـحيح، فجودت سعيد كتب هـذه الكلمـات بعـد عشـرين سـنة من انتصـار الثورة، أي بعد كل تلك التشـويهات والحـروب الـتي تعرضـت لهـا، وقـد قـال في خاتمـة مقالـه: (أنـا أكتب هـذا بعـد مـرور أكـثر من عشرين عامـاً على الحـدث وهم مقبلـون على انتخابـات في غايـة الأهمية للعالم جميعاً نرجـوا لهم أن يلـتزموا كلمـة التقـوى وكـانوا

---

[1] () المرجع السابق.

[2] () المرجع السابق.

أحق بها وأهلها وإن فشلتم وتنازعتم فلن نيأس لأن الذي يأتي بعد هـو الـذي سـيقتحم العقبـة الجديـدة وأرجـوا أن تتواصـوا بالصـبر وبالحق وتتواصوا بالمرحمة) [1]

بنـاء على هـذا سـنذكر هنـا مـا أشـار إليـه جـودت سـعيد من الأسس التي قامت عليها الحركة الواعية للثورة الإسلامية، والــتي وفرت لها النصر، وفي أقصر مدة، وبأقل التكاليف، وقد رأينا أنهما أساسان:

1. التحـرر من الخـوف، فقـادة الثـورة الإسـلامية اسـتطاعوا بتعليماتهم ومواقفهم وشجاعتهم أن يحرروا الإيرانيين من الخــوف من الاستبداد، وبذلك حركوهم للمواجهة.

2. التحرر من العنف، وهذا لا يقل عن الأساس السابق، ذلك أن كل الثورات تتفق على التحرر من الخوف، لكنهـا تمـارس بعـد ذلك حركتها بكل أنواع العنف، قبل الانتصار وبعده.

1 ـ الحركة الواعية والتحرر من الخوف:

الركن الأول في الحركـة الواعيـة عـدم استسـلامها للخـوف، ذلك أنه الحجاب الأكبر الذي يحول دون تحقيق أي مكسب، ولذلك نرى الطغاة يستخدمون العنـف وسـيلة لإرهـاب الجمـاهير حـتى لا تفكر في المواجهـة، وبـذلك تكـون الشـجاعة هي السـلاح الوحيـد الذي يضمن الانتصار.

وقــد رأينــا في الفصــل الأول مــدى شــجاعة قــادة الثــورة الإســلامية، وكــونهم أعطــوا القــدوة للجمــاهير في كســر حــاجز الخوف، ولذلك كانت أخبارهم محفزا كبيرا لقيـام المظـاهرات في كل نواحي إيران، والتي كانت تثور كل حين، وبكل مناسبة إلى أن كللت بالنصر.

لكن ذلك وحده لم يكن كافيا، بل كان قادة الثـورة الإسـلامية يستعملون الوسائل الكثيرة لكسـر حـواجز الخـوف، ولعـل أهمهـا أمران، نذكرهما باختصار فيما يلي:

---

[1] () المرجع السابق.

أ ـ بث مفاهيم الشهادة وفضلها:

اهتم قادة الثورة الإسلامية ببيان فضل الشـهادة، وعظم أجـر أصحابها، وخاصة في المناسبات الكثيرة المرتبطة بمجالس العزاء وغيرها، وذلك ما جعل من الشـهادة في سـبيل اللـه رمـزا وقيمـة اجتماعية عظمى يسرت للإيرانيين القيام بمواجهـة الاسـتبداد ومـا تبعه من أنواع الاعتداء عليها بكل سهولة.

ولهذا نرى الإمام الخميني ينسب كل الانتصارات لانتشار هـذا المفهـوم، ولقـدرة الشـعب الإيـراني على التضـحية، ومن الأمثلـة على ذلك قوله في خطاب له بعـد شـهادة مرتضـى مطهـري: (إن أحد الفروق بين مدرسة الإسلام، مدرسة التوحيد، وبين المـدارس المنحرفة، المدارس الإلحادية، هو أن رجال هـذه المدرسـة يـرون الشهادة فوزا عظيما لأنفسهم: (يـا ليتـني كنت معهم فـأفوز فـوزا عظيما).. فهم يستقبلون الشهادة، لأنهم يعتقـدون بـأن وراء عـالم الطبيعـة هـذا ثمـة عـوالم أسـمى وأكـثر نورانيـة من هـذا العـالم. المؤمن في هذا العالم يعيش في سـجن، وباستشـهاده يتحـرر من هذا السجن. هذا أحد الفروق بين مدرستنا، مدرسة التوحيـد، وبين بقية المدارس)[1]

ثم ذكـــر الـــدوافع الـــتي دفعت الإيرانـــيين إلى التضـــحية والمواجهـــة، فقـــال: (إن شـــبابنا يطلبـــون الشـــهادة، وعلماؤنـــا الملتزمون سباقون إلى الشـهادة. أولئـك الـذين لا يعتقـدون باللـه وبيـوم الجـزاء هم الـذين يجب أن يخـافوا من المـوت، هم الـذين يجب أن يخافوا من الشـهادة. أمـا نحن وتلامـذة مدرسـة التوحيـد فإننا لا نخاف الشهادة، لا نخشاها. فليأتوا ويجربوا، كما جربــوا من قبل)[2]

ثم بين أن الجرائم التي يرتكبها الطغاة، لن تزيـد الشـعب إلا قوة وثباتا، وبذلك فإن جبروتهم وظلمهم واستبدادهم سيكون سببا في تحقيق النصر، يقول: (إن محمّد رضا كان رجلًا فـاجراً، وسـواء أراد أم لم يرد فـإن هـذا الـدين قـد أُيِّد بـه، وذلـك لأنـه كلمـا كـان

[1] () صحيفة الإمام، ج7، ص: 140.

[2] () صحيفة الإمام، ج7، ص: 140.

الظلم أكثر، وكلما كان الجور أشد، فإن دين العدل يتأيَّد أكـثر.. إن الظالم بأعمالـه الظالمـة يؤيِّد دين العـدل ولا يـزال الأمـر هكـذا.. فرعون بفرعنته وطغيانه قد آيَّد دين موسى.. وأبو سـفيان قـد آيَّد بالطغيـان دين الرسـول الأكـرم ﷺ.. ومحمّـد رضـا قـد آيَّد دين الإسلام بالطغيان والعصيان والجور والظلم.. فكمـا يؤيـد دين اللـه بطبقة المفكرين العلمـاء، يتأيَّد بالطبقـات الفاسـدة أيضـاً.. وبهـذا المعنى الذي ذكرته، (لا يزال يؤيَّد هذا الدين بالرجل الفاجر)[1]

ثم بين أن تلـك الـدماء هي السـبب في تحقـق النصـر واستمراره، فقال: (اقتلونا ليستيقظ شعبنا أكـثر.. إن هـذا الرجـل الفاجر الذي سفك دماء أعزتنا قد أيد دين الله. أي أن الله قد أيـد دينه به. فقد أُيّدت ثورتنا بسفك دماء أعزتنا. إن هـذه الثـورة يجب أن تبقى حية، إن هذه النهضـة يجب أن تبقى حيـة، وبقاؤهـا يكـون بهذه الـدماء الـتي تسـفك. اسـفكوا دماءنـا فتـدوم حياتنـا. اقتلونـا فيستيقظ شعبنا أكثر. إننا لا نخاف الموت، وأنتم لن تسـتفيدوا من موتنا شيئاً. إنه دليل عجـزكم أن تقتلـوا مفكرينـا في ظلام الليـل. وذلك لأنه لا منطق لـديكم. لـو كـان لـديكم منطـق لكنتم تكلمتم، ناقشتم، ولكنه لا يوجد لديكم منطق، منطقكم الاغتيال! إن منطق الإسلام يرى الاغتيال باطـل. الإسـلام لديـه منطـق. ولكن باغتيـال شخصياتنا الكبيرة، عظماءنا، فإن إسلامنا يتأيد)[2]

ثم بين دور شـهادة مطهـري في ترسـيخ التعلـق الشـعبي بالثورة الإسلامية وقيمها، فقال: (لقد أُحييت نهضتنا. لقد استعادت جميع فئات الشعب الحياة من جديد. إذا كان قد ظهر فيهـا ضـعف أو تعب فقد نشطت من جديـد. لـولا شـهادة هـذا الرجـل العظيم، ولو أن هذا الرجل العظيم كان قد مات على فراشه، لمـا اشـتدت موجة الحماس، فهنـاك الآن موجـة من الحمـاس في جميـع أنحـاء العـالم، جميـع العـالم، جميـع أنحـاء العـالم المهتم بالإسـلام، لقـد التهبت مشاعر الناس في سائر البلاد أيضاً) [3]

---

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 141.

[2] () المرجع السابق، ج7، ص: 141.

[3] () المرجع السابق، ج7، ص: 141.

ثم راح يخاطب الحاضرين بقوله: (إخواني لا تخافوا من الموت.. من كان الموت في عينه (تهلكة) فليمسك بيده نهي (لا تلقوا).. إن الموت ليس تهلكة، الموت حياة. ذلك العالم حياة، هذا العالم موت.. لا تخافوا من الموت، ولن نخاف. هم الذين يجب أن يخافوا حيث يرون الموت عدماً وهلاكاً وفناء.. لماذا ينبغي على المسلمين أن يخافوا الموت؟ لماذا ينبغي على العلماء أن يخافوا الموت؟ إن هذه المدرسة خالدة، مدرسة الإسلام باقية وهذه النهضة باقية حتى يستأصل هذه الجذور المتعفنة. حتى تجتث الجذور الفاسدة، حتى تحبط هذه المؤامرات المشؤومة)[1]

وفي مناسبة أخرى، راح الإمام الخميني يبث نفس المفاهيم، فيقول: (لابد أنكم سمعتم اليوم عن محاولة اغتيال واحد من علماء الدين الكبار، فقد قاموا بمحاولة اغتيال السيد رضي شيرازي، أطلقوا عليه ثلاث عيارات نارية ولكن الحمد لله لم يحصلوا على النتيجة المطلوبة، فلقد نجا السيد رضي شيرازي. فهم يعتقدون أنهم بمثل تلك الأعمال قادرين على الوقوف في وجه الشعب، الشعب الذي يأتي شبابه لعندي ويطلبون مني الدعاء لهم بالشهادة، فهذا الشعب لا يخشى من الاغتيالات بل يحب الشهادة ويسعى لها بصدر دافئ) [2]

ثم بين أن هذه التعاليم الحية التي طبقها الإيرانيون هي التي حققت النصر، وهي التي ستحفظه، قال: (هذه هي تعاليم إسلامنا الحنيف، وهذه هي أسباب انتصارنا، لم يكن شعبنا ليخشى الموت إذا ما نزل إلى الشارع وكان الكثير منهم يقتل، ولكنهم في النهاية استطاعوا بتلك التضحيات والتعاليم ونداءات (الله أكبر) أن يحققوا النصر. فهذه هي الحكومة الإسلامية رجالها جاؤوا إلى المساجد وقاموا بالثورة من المساجد وذهبوا إلى ساحات النضال من المساجد ومن صلاة الجمعة حيث كانت تلقى الخطب والمواعظ، أو من غير صلاة الجمعة عندما كان يرتقي قائدهم المنبر ويخطب بهم ويحضهم على النضال والنزول إلى الساحة. كان يقوم بهداية الناس وإرشادهم، كل تلك الأمور وهذه الروح

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 142.

[2] () المرجع السابق، ج9، ص: 77.

المعنوية العالية كانت تنطلق من المسجد. فبمثل هذه المعنويـات لم يكن الشـعب ليخشـى المـوت، فالإنسـان الربـاني يعـرف أن الموت هو انتقال من مكان إلى مكـان أفضـل، أن الـذين يخشـون المـوت هم الـذين يعتقـدون أن المـوت هـو آخـر الطريـق وهنـاك حسابهم، إما الذين كـانوا على الطريـق الصـحيح، فلمـاذا يخـافون الموت؟!)[1]

وهكذا كان لمفهوم الشهادة وقيمتها وانتشاره بين الإيرانيين الأثر الكبـير في الحفـاظ على الثـورة بعـد الانتصـار، وخاصـة بعـد الحرب التي فرضت عليها، أو محاولات التقسيم التي أراد الأعـداء من خلالها أن يقضوا على الثورة، وهي في مهدها.

وقد أبدى الإمام الخميني إعجابه الشديد بأولئك الذين تمثلت فيهم تلـك المعـاني السـامية، وقـدموا أروع صـور البطولـة في مواجهـة الاسـتكبار، بعـد أن قـدم آبـاؤهم وإخـوانهم أروع صـور البطولة في مواجهة الاستبداد.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في بعض خطاباته ردا على الذين توهموا ضياع دماء الشهداء بعد أن انتهت الحـرب المفروضـة على إيران: (إن دماء الشهداء هي الـتي صـانت الثـورة والإسـلام. وهي التي أعطت دروس المقاومة لشعوب العالم إلى الأبد. ويعلم اللـه أن طريــق ونهج الشــهادة ليس لــه نهايــة، وســتقتدي الشــعوب والأجيال القادمة بنهج الشهداء. وستكون تربـة الشـهداء الطـاهرة مزاراً للعشاق والعرفاء والمخلصين ودار الشفاء للأحرار إلى يــوم القيامة. فهنيئاً لأولئك الذين التحقوا بركب الشهادة.. وهنيئاً لأولئك الذين ضـحوا بـأرواحهم ونفوسـهم في قافلـة النـور هـذه.. وهنيئـاً لأولئك الذين ربوا في أحضانهم أمثال هذه الجواهر)[2]

ثم راح يدعو الله بـأن يبقى سـجل الشـهادة مفتوحـا، ويتـألم لكونـه لم يسـجل في دفـترهم، يقـول: (إلهي! ليبـق هـذا الـدفتر وسجل الشهادة مفتوحاً أمام المشـتاقين ولا تحرمنـا من الالتحـاق بهم.. إلهي! إن بلـدنا وشـعبنا لا زالـوا في بدايـة طريـق النضـال

[1] المرجع السابق، ج9، ص: 78.

[2] المرجع السابق، ج21، ص: 87.

وبحاجة إلى مشعل الهداية، فاحفظ واحرس هذا السراج ذو النـور الساطع.. هنيئاً لكم أيها الشـعب هنيئـاً لكم أيهـا النسـاء والرجـال. هنيئاً للمعاقين والأسرى والمفقـودين وأسـر الشـهداء المعظمـة.. وتباً لي الذي بقيت حتى هذه اللحظة وشربت كأس السـم بقبـول القرار.. وإني اشعر بالخجل أمام عظمـة وتضـحيات هـذا الشـعب العظيم. وتعساً لمن تخلف عن هـذه القافلـة.. تعسـاً للـذين مـروا حـتى الآن من أمـام هـذه المعركـة الكـبرى للحـرب والشـهادة والامتحان الإلهي العظيم، إما صـامتين، أو لا مبـاليين، أو منتقـدين وغاضبين)(1)

ثم راح يخـاطب الـذين تقاعسـوا عن الجهـاد، فقـال: (ليعلم الذين تهربوا خلال سنوات النضال والحـرب من أداء هـذا الـواجب العظيم ونـأوا بأنفسـهم وأبنـائهم وأمـوالهم والآخـرين عن أوار الأحداث؛ بأنهم هربوا من المعاملة مع الله، ومنـوا بخسـارة كـبرى وسوف يتحسرون على ذلك فيما بعد ولدى محاسبة الحق) (2)

ثم دعا المسؤولين إلى إعطاء أهمية خاصة بالصادقين الـذين ضـحوا بأنفسـهم في سـبيل مواجهـة عـدوهم، وألا يضـعوهم مـع غيرهم في كفة واحدة، فقال: (واني أدعو ثانية جميع أبناء الشعب والمسؤولين إلى ضـرورة التمـيز بين هـؤلاء وبين المجاهـدين في طريق الله، وأن لا يسمحوا لهؤلاء أدعياء اليوم الذين يجهلون كـل شيء، والقاعدين قصيري النظر في الأمس، بـالعودة إلى مسـرح الأحداث، سواء كنت بينكم أم لم أكن، فاني أوصيكم جميعاً بـأن لا تدعوا الثورة تقع في أيدي هؤلاء غير المؤهلين والغربـاء. لا تـدعوا النسيان يلف رواد الشهادة والتضحية ويضـيعوا في دهـاليز الحيـاة وهموم معيشتهم اليومية) (3)

وهكـذا كـانت الحـرب المفروضـة على إيـران ــ رغم آلامهـا الشديدة على الشـعبين ــ نعمـة كبـيرة استطاع بهـا قـادة الثـورة الإسلامية ومسؤولوها التمييز بين الصادقين من الثوار والانتهازيين

1() المرجع السابق، ج21، ص: 87.

2() المرجع السابق، ج21، ص: 87.

3() المرجع السابق، ج21، ص: 88.

منهم، وذلك ما يسر عليها الحفاظ على الثورة وضمان انتصاراتها.

ب. استثمار الحركة الحسينية في المواجهة:

عندما نلاحظ دور مجالس العزاء والمناسبات المرتبطة بأهل البيت في تاريخ الثورة الإيرانية نوقن أو نكاد نوقن بتلك المقولة التي يرددها الكثير، والتي تذكر أنه لا يمكن أن تنجح مثل تلك الثورة في غير البيئة الشيعية.

وهذا صحيح من نواح كثيرة، ذكرنا بعضنا عندما بينا دور المرجعية في الثورة، وهي للأسف غير موجودة في المدرسة السنية التي لا تعتمد هذا النظام، ولذلك كانت تبعية علمائها للسلطة التي ينالون مرتباتهم منها، بخلاف المرجعية الشيعية التابعة للشعب، والمحتكة به في كل شيء.

بالإضافة إلى ذلك، فإن ارتباط الشيعة بأئمة أهل البيت، وكونهم جميعا من المعارضين للسلطات الحاكمة في أزمنتهم، جعل مفاهيم الثورة أكثر وضوحا.

ولذلك لم يجد قادة الثورة الإسلامية أي عناء في تبليغ مفاهيم الثورة وربطها بالدين، ذلك أنه لم يكن عليهم سوى ربط يزيد بالشاه، وربط الإمام الخميني وقادة الثورة الإسلامية بالإمام الحسين وغيره من أئمة أهل البيت.

وقد انتشرت في ذلك الحين العبارة المعروفة (كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء)، وهي عبارة يرددها الإمام الخميني وقادة الثورة الإسلامية كثيرا، والذين حولوا من عاشوراء أكبر فرصة لمواجهة الاستبداد والاستكبار، وليس مجرد فرصة للبكاء والنواح فقط.

وبذلك استطاعوا تصحيح تلك المفاهيم الخاطئة لمدرسة أهل البيت، والتي خلصتها من السلبية، بعد أن حولتها إلى حركة واقعية، وحولت الانتظار إلى عمل إيجابي، ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام الخميني في بعض خطبه: (لقد قرأتم عبارة (كل يوم عاشوراء وكل ارض كربلاء) إنها عبارة تربوية، وليس معناها أن كل يوم كربلاء فابكوا! انظروا أي ميدان كانت كربلاء، فلابدّ أن

يكـون ذلـك الميـدان موجـوداً في كـل يـوم، وهـو تصـدي الإسـلام للكفر، وتصدي العدالة للظلم، ووقوف الفئة القليلة المؤمنة بوجه الفئة الكبيرة العديمـة الإيمـان! فلا تخـافوا قلـة العـدد ولا تخشـوا الهزيمة! فعندما يكون العمـل للـه فليس هنـاك من خسـارة. فـإن قُتلتم أو قَتلتم فإنكم من أهل الجنة)[1]

وفي خطاب آخر أورد تلك العبارة (كـل يـوم عاشـوراء وكـل أرض كربلاء)، ثم علق عليها بقوله: (إنهـا كلمـة عظيمـة، يسـيئون فهمها. إنهم يتصورون بأن معناها هو ضرورة البكاء كل يوم! ولكن مضـمونها ليس كـذلك. مـاذا عملت كـربلاء؟ أي دور أدتـه ارض كربلاء في يوم عاشوراء؟ ينبغي أن تكون كل ارض هكـذا! إن دور كربلاء كان يتمثل بمجيء سيد الشهداء الإمام الحسين ومعـه فئـة قليلة إلى كربلاء ليقفوا بوجه ظلم إمبراطور الزمان يزيد، فضحوه فقتلهم، لكنهم لم يقبلوا الظلم فهزمـوا يزيـد. لابـد أن يكـون كـل مكان هكذا! ولابد لشعبنا أن يدرك أن اليوم هو عاشوراء، فلابد لنا من الوقوف بوجه الظلم. وأن هذا المكان هو كربلاء! فلابد لنا من تنفيـذ دور كـربلاء، فليكن كـل يـوم عاشـوراء لأنـه ليس محصـوراً بأرض محددة ولا بأفراد معينين. فكل الأرض وكـل الأيـام يجب أن تؤدي هذا الدور)[2]

وهكذا يـذكر الإمـام الخميـني كـل حين أن الثـورة الإسـلامية مدينة لعاشوراء ومجالس العزاء، ولذلك يدعو إلى الحفـاظ عليهـا، وعدم الالتفات للذين يهونون من شأنها، يقول في ذلك: (إن ثورتنا هـذه شـعاع من ثـورة عاشـوراء. إنهم لا يـدركون أن البكـاء على الحسين هو المحافظة على ثورته وعلى قيام فئـة قليلـة بمواجهـة إمبراطورية ظالمة. إنه النهج الذي خطّه الإمام الحسـين، إنـه نهج للجميع: (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) أي ينبغي أن نحارب الظلم أينما كان وفي أي زمان ونتابع ثورة الحق هـذه.. لقـد ذهب الإمام الحسين بفئة قليلة وضـحى بكـل شـيء للوقـوف في وجـه الظلم ورفضه. ولذا علينا أن نرفض الظلم في كـل زمـان ومكـان

[1] () المرجع السابق، ج10، ص: 14.

[2] () المرجع السابق، ج10، ص: 92.

كما فعل الحسين) (1)

ثم رد على الذين يسخرون من مجالس العزاء، فقال: (إن مجالس العزاء التي ترونها تهدف إلى الحفاظ على هذا الرفض وعلى هذه الـ (لا).. يجب أن لا يظن أطفالنا وشبابنا أن القضية مجرد بكاء ونياح كما يحاول الأعداء أن يصوروها الأمر لكم. إن الأعداء يخشون من هذا البكاء لأنه بكاء على المظلوم وصرخة في وجه الظالم، ومسيرات تندد بالظالم.. علينا أن نحفظ كل هذا، علينا أن نحافظ على هذه الشعائر الدينية.. إنها شعائر سياسية يجب أن نحافظ عليها.. لا تنخدعوا بهذه الأقلام السامة ولا بمزاعم المخادعين الرامية إلى سلبكم كل ما تملكون.. إن هؤلاء يدركون أن مجالس العزاء هذه تذكر بمصائب المظلومين وبجرائم الظلمة في كل العصور وتدعو المظلومين لمواجهة الظالمين والثورة عليهم)(2)

وفي خطاب آخر له ذكر أهمية المجالس الحسينية وغيرها في الحفاظ على الثورة واستمرارها وتحريكها في جميع العالم الإسلامي، فقال: (لا تظنوا أننا نحول هذه المواكب الحسينية التي تنطلق يوم عاشوراء، وتجوب الشوارع والأزقة.. لا تظنوا أننا نريد أن نحولها إلى مسيرات، إنها في الحقيقة، مسيرات تحمل بعداً سياسياً. لذلك يجب الاهتمام بها أكثر من السابق، فسرّ انتصارنا إنما هو هذه المواكب الحسينية، وهذا البكاء واللطم والعزاء. فيجب أن تقام مجالس العزاء في جميع أنحاء البلاد، وعلينا جميعاً أن نعزي الرسول الأعظم ﷺ، وأن نبكي على ظلامة أهل بيته ولا سيما الحسين سيد الشهداء.. فهل تعرفون شيئاً في العالم يستطيع أن يوجد الاتحاد والتنسيق أكثر من هذه المجالس؟ وهل تعرفون شعباً يمتلك مثل هذا الوجه المشترك الجامع، ومثل هذا العامل الموجد للاتحاد؟ ومن الذي أوجد عامل الاتحاد والتنسيق؟ إنه سيد الشهداء سبط الرسول الأعظم ﷺ)(3)

1() المرجع السابق، ج10، ص: 230.

2() المرجع السابق، ج10، ص: 230.

3() المرجع السابق، ج11، ص: 90.

وهكذا نجد الإمامين الخميني والخامنئي يحضرون أمثال هـذه المجالس ويحيونها، ولكن بطريقة شرعية حضارية بعيـدة عن تلـك الخرافـات والـدجل الـذي حـاول المحرفـون أن يربطـوه بهـذه المناسبات.

2 ـ الحركة الواعية والتحرر من العنف:

الركن الثاني في الحركة الواعية عدم استعمالها للعنف، ذلك أنه أكبر مشوه للثورات، وأكبر هادم لها، وقـد سـبق أن ذكرنـا مـا قاله جودت سعيد في هذا المجال، وكيف اعتـبر الثـورة الإسـلامية الإيرانية أنظـف ثـورة في التـاريخ، حـتى أنـه اعتـبر حركـة الإمـام الخميني أكثر سلمية من حركـة [المهاتمـا غانـدي] نفسـه، والـذي يوصف بأنه رمز اللاعنف.

وقد تجلى هذا التحرر في كـل مراحـل الثـورة قبـل الانتصـار وبعدها.

أ ـ التحرر من العنف قبل الانتصار:

أما تجليات التحرر من العنف قبل الانتصار، فقد ذكرنا سـابقا موقف الإمام الخميـني من الجيش وعـدم حلـه لـه، وعـدم دعوتـه لضـربه، ورفضـه لكـل الحركـات المسـلحة الـتي تسـتهدفه، أو تستعمل السلاح وسيلة لتحقيق الانتصار.

وقد عبر الإمام الخميـني عن هـذه المعـاني، ووصـف الثـورة الإسلامية بها، فقال: (بحمد الله فإن ثورة إيران كـانت افضـل من جميع الثورات. إنها ثورة بيضاء حقاً. الثورة البيضـاء هـذه وليسـت ثورته (الشاه) فالثورات التي وقعت في بقيـة الـدول، في الاتحـاد السوفييتي، في فرنسا، كانت ثـورات دمويـة ذهب ضـحيتها ملايين الناس، وحصل فيها تخريب كبير، والأسوأ من كـل ذلـك مـا حصـل في الاتحاد السوفييتي)[1]

وهكذا ذكر عن نفسه تلك الطلبات التي كانت تأتيه إبان كونه في النجـف، وتـدعوه لأن يفـتي بالمواجهـة المسـلحة مـع الجيش، لكنه كان يرفض ذلـك بشـدة، لأنـه كـان يعلم نيـات أصـحاب تلـك

[1] () المرجع السابق، ج7، ص: 167.

الطلبات، وكونهم لا علاقة لهم بالثورة الإسلامية الحقيقيـة، يقـول: (لا بد أن نرى ماذا تفعل هذه الفئات الـتي انطلقت في هـذا البلـد وأخـذت تمـارس أعمـالا تخريبيـة، وللأسـف أن بعض الأشـخاص لا يفهمون هذه القضايا، فتجدهم أحيانـا يؤيـدوهم أو قـد يقولـون مـا يستغلونه كتأييد لهم. انهم يخدعون الجميع. فقـد حـاولوا خـداعي. عنـدما كنت في النجـف، جـاءوا ليخـدعوني. بعض هـؤلاء السـادة الذين كـانوا يـدعون انهم إسـلاميون جـاؤوا إلى النجـف، [احـدهم] بقي بضعة وعشرين يوما حتى سمحت له بأن يقول ما يريد، كـان يتصـور أنـه يسـتطيع إغفـالي.. لقـد اسـتمعت لحـديثهم لأرى مـاذا يقولون. كـل حـديثهم كـان من القـرآن ونهج البلاغـة.. لقـد جـاءوا ليخـدعوني، وأن أقـوم بتأييـدهم. ولم أتحـدث عنهم، بـل اكتفيت بالاستماع. وعلقت على كلمة واحدة حين قال أحـدهم: (أننـا نريـد القيام بانتفاضـة مسـلحة) فقلت: كلا، إنكم لا تقـدرون على تنظيم انتفاضة مسلحة. فلا تعرضوا أنفسكم للتهلكة)[1]

ب ـ التحرر من العنف بعد الانتصار:

لم يرتبـط التحـرر من العنـف في الثـورة الإسـلامية بعـدم مواجهتها للجيش إبان الحراك فقط، وإنمـا اسـتمرت الثـورة على سلميتها بعد الانتصار أيضا، وهو ما لم يتحقق مثله في التاريخ أبدا، ذلـك أن كـل الثـورات كـانت تبـدأ بحـل الجيـوش، ثم القيـام بالإعدامات التي لا تبنى على أي أسس قانونية ولا شـرعية بخلاف الثورة الإسلامية.

والسبب في ذلك هو كون الإمام الخميني هو قائـدها الحكيم، والذي استطاع أن يخفف من الحماسة ويوجهها التوجيه الصحيح.

ونحب أن ننقل هنا لقاء حصل بعد انتصـار الثـورة بين الإمـام الخميـني وأسـاتذة وطلبـة الجامعـات، وهم في أوج حماسـتهم، وكانوا يسألونه بكل حماسة عن المسائل المختلفة متصـورين أنـه سـيفتيهم بفتـاوى ثوريـة، لكنهم فوجئـوا بنفس فتـاواه السـابقة الممتلئة بالسلام.

ومن الأمثلـة على ذلـك مطالبـة بعضـهم بحـل الجيش قـائلا:

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 373.

(كلنا نعلم أن هذا الجيش قد تم تشكيله للدفاع عن النظام الملكي لا عن الشعب)، فقاطعه الإمام الخميني قائلا: (قبل أن تكمل، هذه المسألة تم حلها! اليوم عاد السيد قرني الذي كلفته بهذه المهمة، كما جاء السيد يزدي وهو من أعضاء الحكومة، والسيد قرني رئيس الأركان، وقد تقرر أن يتم خلال هذا الأسبوع إبعاد الطبقة الأولى من قادة الجيش، من هم برتبة لواء فما فوق، وأما الآخرون فليعودوا إلى مقارهم ويمارسوا عملهم. إما إذا قلت باننا لا نريد الجيش وأنت لا تقول ذلك فنحن نريد جيش، نحن نريد الجندرمة، نريد الجيش، نريد الشرطة، نريدهم جميعا.. ولكن تلك الطبقة الأولى من الضباط وهؤلاء الذين جاء بهم الفساد إلى مناصبهم، والذين يعتبر أكثرهم طبعا وليس جميعهم فاسدين، هؤلاء سنخلع عنهم رتبهم ونحيلهم إلى التقاعد، ونأتي بعد ذلك إلى من هم ادنى منهم رتبة ونرتب أمورهم ثم نبحث في أوضاعهم ونرى ما هم عليه) [1]

وبذلك حل الإمام الخميني ببساطة المشكلة، ذلك أن فساد الجيش ليس مرتبطا بالجنود ولا بالبسطاء من الضباط، وإنما بأصحاب الرتب العالية منهم، والذين كانت لهم علاقة مباشرة بالشاه، وهم عدد محدود، وقد حل المشكلة، لا بإعدامهم، وإنما بإحالتهم إلى التقاعد، وهذا ما لا نكاد نجد مثله في الثورات التي قامت بتغيير جذري، والتي ينهار فيها الجيش مباشرة بعد الانتصار.

وبعد حديثه ذلك قام بعضهم، وكأنه يريد من الإمام الخميني أن يتخذ إجراءات أكثر عنفا، حيث ذكر أن (الملك لم يكن يعطي رتبة للضباط من رتبة العقيد فما فوق الا بعد أن يتعرف اليهم واحدا واحد ويتأكد من فسادهم وخيانتهم)، فأجابه الإمام الخميني بهدوئه المعتاد قائلا: (المسائل القضائية مسائل شرعية، المسائل القضائية من المسائل التي لا يمكن التعاطي معها بالعصبية مثلا أو بالعداوة أو بسوء الظن.. إن شاء الله سيتم تشكيل محكمة قضائية، من المحتمل هذه الليلة أو غدا يتم تأييد ذلك لكي يجري محاكمة هؤلاء.. وهذه المحاكمات يجب أن تجري طبقا لموازين معينة.. ولو فرضنا إنني لست على وئام مع أحدهم، فالقاضي لا يمكنه ترتيب اثر على ذلك، فالقاضي يستند إلى موازين شرعية

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 126.

للتعاطي مع القضايا، وإذا ثبت أن أحدهم قتل فسيحكمه بالموت وإذا ثبت بانه سرق فانه يصادر منه المال المسروق ويعزره ويحده، ومن ثبت أنه قام بعمل سيئ يصلحه، هذا أيضا قيد التنفيذ إن شاء الله) [1]

لكن هذا الحديث لم يرض بعض أولئك الجامعيين المتحمسين، فراح يقول: (هناك قضية مهمة في الجيش وهي أن الجيش بنظامه الموجود، اعني العلاقات والضوابط الموجودة بين مختلف أفراده ليس لها أية جنبة إسلامية، ولا يمكن الإبقاء عليها) [2]

فأجابه الإمام الخميني مهدئا له بقوله: (الأمر ليس كما تصفه تماما في عدم وجود أفراد جيدين، أو عدم وجود مسلمين، إن الحاملين للرتب المتوسطة ليسوا على ذلك المستوى من الفساد الذي يتصف به أصحاب الرتب العليا، فكل ما هو موجود من فساد يخص الرتب العالية، أما الأوطأ رتبا فليس على تلك الدرجة من الفساد) [3]

ثم أراد حل المشكلة من جذورها، وعدم ترك الفرصة للحماسة أن تملي مواقفها، فقال: (لا يمكن أن نقوم الآن بحل الجيش.. علينا أن نحافظ على هذا الجيش بطريقة ما، نبعد أصحاب الرتب العالية، الفئات الأولى من رتبة لواء فما فوق ثم نعيد تشكيل الفئات الأدنى ثم نبحث بينهم لاستبعاد غير الصالحين وتثبيت الصالحين. وهذه قضية لا يمكن حلها بسرعة، مثلا يرحل الشاه هذه الليلة وفي الصباح تكون كل الأمور على ما يرام! لقد عبثوا بكل الأمور ورحلوا، وعليكم أن تصلحوا ما افسدوه)[4]

لكن الأساتذة والطلبة المتحمسين، والذين كانوا يريدون

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 126.

[2] () المرجع السابق، ج6، ص: 127.

[3] () المرجع السابق، ج6، ص: 127.

[4] () المرجع السابق، ج6، ص: 128.

مواقف متشددة لم يرضهم هذا، فراح أحدهم يقول: (ما هو رأيكم في تشكيل جيش وطني بدلا من بذل الجهود وانفاق الأمـوال على الجيش الحالي؟)، فأجابه الإمام الخميني: (الأمر يتم بالتــدريج، فلا يمكن يـا أخي أن نـأتي الآن ونقـول بـذهاب هـذا الجيش الـذي تم تدريبه وتنظيمه، ونطـالب بتشـغيل جيش آخـر! فهـذا غـير ممكن، لابد من التدرج في الأمر، ينبغي إيجاد قوات شـعبية بشـكل منظم ثم يجري استبدال الجيش الجديد بالجيش القديم، ولكن هذا الأمـر لا يمكن أن يجري اعتباطا) [1]

وعنــدما رأى حماســتهم الشــديدة، وإصــرارهم على حــل الجيش، وبسرعة، قال: (أرجوكم أن تخففوا قليلا من الاستناد إلى حماسة الشباب فيكم.. أنا نفسي كنت شابا! والشبان لديهم بعض المطالب الناجمة عن الطاقة المخزونـة فيهم، وعن القـدرة الـتي يحملونها، وهم يريـدون حـل المشـاكل على وجـه السـرعة. ولكن الأمور ليست كذلك. هناك العديـد من المشـاكل الآن، انـك سـتجد فوضـى في أيـة نقطـة تضـع يـدك عليهـا في البلاد. والأمـر الـذي يحظى بالأولوية هو القضاء على هذه الفوضى، يجب التصدي لهذه الفوضى بواسطة قوى الأمن المستندة إلى القوى الشـعبية هـؤلاء معا سيحلون المشكلة.. ليس لدينا الآن قوات وطنية مدربـة، ليس لدينا مليشيات، والمليشيات الوطنية الحالية تمارس عملها بشـكل جيد وعلينـا أن نوحـدها مـع قـوات الأمن والجندرمـة للقضـاء على أولئـك المخـربين. فـاذا قضـينا على المخـربين وتمكنـا من إعـادة الهدوء للبلاد نتفرغ حينها للمسائل الأخرى) [2]

لكن البعض بقي مصرا، وراح يطرح موقفه من الجيش، فـرد عليه الإمام الخميني مقاطعا: (مؤسسة الجيش موجودة، مؤسسة الجيش سـيتم إصـلاحها، حينمـا كـانت هـذه المؤسسـة في العهـد الملكي كانت كلمة [شاهنشاه] (ملـك الملـوك) مرتبطـة باسـمها، وهذا الأمر قد انتهى، فلا وجود لكلمة [شاهنشاه] بعد الآن! وحينما تختفي هذه الكلمة فهـذا يعـني أن لا مشـكلة بعـد الآن، ولا ترديـد لكلمة [شاهنشاه] من الصـباح إلى المسـاء، هـذا الأمـر قـد انتهى

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 129.

[2] () المرجع السابق، ج6، ص: 129.

وهذه القضية ستخرج من أذهان الجنود ولكن الأمر يحتاج إلى قدر من الزمن. وينبغي إنجاز ذلك بالتـأني، فلا يمكن إنجـاز كـل شـيء على الفور) [1]

ثم بين أن الثورة الإسلامية كانت ثورة بيضاء، وما حصل فيها من قتل كان قليلا مقارنة بالثورات الكثيرة، ولـذلك لا ينبغي اتخـاذ موقـف سـلبي من الجيش، يقـول: (بحمـد اللـه كـانت الثـورة في إيــران من افضــل الثــورات الــتي حــدثت في العــالم، يعــني أن خســائرها كــانت قليلــة، ومــا حققنــاه هــو القضــاء على نظــام شاهنشاهي عمره يزيد على 2500 عاما. كذلك فقد تم قطع دابـر الأجــانب عن بلادكم، هــذا مــا حققتمــوه. أمــا الخســائر الــتي تحملتموها، فقد قدمنا نحـو الـف قتيـل، وفي سـائر الثـورات فـان عدد القتلى كبير والخراب كثـير.. لا ينبغي أن نتوقـع حـدوث ثـورة بدون مشاكل. علينا أن نطلق على ثورتنا اسـم [الثـورة البيضـاء]) [2]

وبــذلك اســتطاع الإمــام الخميــني بفضــل علمــه وهدوئــه وروحانيته أن يحمي الجيش الإيـراني قبـل الانتصـار وبعـده.. قبـل الانتصــار بدعوتــه الشــعب إلى عــدم القيــام بمواجهــة مســلحة للجيش.. وبعـد الانتصـار بالحفـاظ عليـه وعـدم حلـه، والاكتفـاء بالمحاكمة العادلة للمفسدين منه فقط.

وهكـذا حفظت الثـورة الإسـلامية من الانجـرار لمسـتنقعات العنف، التي جرت إليها أكثر الثورات، مما انجر عنه مفاسد كثـيرة شوهت الثورة وأعادت الاستبداد.

وقد حافظ الإمام الخامنئي على نفس المنهج بدعوته للاعنف والسلام، وقصر المواجهـة مـع المعتـدين المحـاربين، وخاصـة من قوى الاستكبار العالمي.

---

[1] () المرجع السابق، ج6، ص: 129.

[2] () المرجع السابق، ج6، ص: 130.

الفصل الخامس

الثورة الإسلامية.. والحفاظ على المكاسب

الركن الخامس من أركان انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، ومثلها انتصار أي ثورة حقيقية، القدرة على توفير الوسائل والأساليب والمؤسسات التي تحافظ على مكاسبها، وتضمن استمراريتها، حتى لا يتلاعب بها المتلاعبون، أو يندس لإفسادها الانتهازيون.

وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من الإشارات المرتبطة بهذا الركن، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، فهذه الآية الكريمة تبين ضرورة الحفاظ على المنهج النبوي بعد وفاة النبي ﷺ، واعتبرت من يخل بذلك مرتدا عن دوره في استمرارية العطاء الرسالي.

ومثلها ما ورد في القرآن الكريم من دعاء زكريا عليه السلام وطلبه الولد رغم كبر سنه، لا لنفسه، وإنما لاستمرارية التأثير في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: 4 - 6]

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى ضرورة وجود الأفراد الصالحين الذين يمكنهم أن يحافظوا على المسيرة، ويكملوها إلى غايتها.

ومن خلال هذين النصين المقدسين، يمكننا اكتشاف وسيلتين من وسائل الحفاظ على المكاسب الثورية.

أولهما: توفر الجانب العقدي والرسالي في الذين أقاموا

الثورة، حتى تبقى مستمرة في جميع الأجيال.

ثانيهما: توفر الأفراد والمؤسسات الـتي تحافـظ على القيم الثورية، وتحميها من أعداء الداخل والخارج.

وسنشرح كلا الركنين، وارتباطهما بالثورة الإسـلامية الإيرانيـة في المبحثين التاليين:

أولا ــ الجـانب العقـدي ودوره في الحفـاظ على قيم الثورة:

تعتبر الثورة الإسلامية ثورة عقائدية بالدرجة الأولى، وهـو مـا يميزهـا عن كـل الثـورات التاريخيـة الـتي انطلقت لأجـل مواجهـة الاستبداد، أو تحسين ظروف المعيشة، أو مقاومـة عـدو خـارجي.. ولم تلتفت للجانب العقـدي كثـيرا، وإن التفتت كـان التفاتهـا نوعـا من الاستفزاز والمواجهة غير العقلانية مع العقائد الموروثة، مثلمـا حصل مـع الثـورة الفرنسـية الـتي ثـارت ضـد الكنيسـة، أو الثـورة الشيوعية التي تبنت الإلحاد.

بينما الثورة الإسلامية لم تفعل ذلـك كلـه، ذلـك أنهـا انطلقت في تحقيـق مطالبهـا المرتبطـة بمواجهـة الاسـتبداد والاسـتكبار أو تحقيــق العدالــة الاجتماعيــة من خلال تبنيهــا للعقائــد الإســلامية الموروثة مع بعض التصحيحات للتحريفـات المرتبطـة بهـا دون أن تلغيها إلغاء كليا.

ولذلك استطاعت أن تنتصر بسهولة، واسـتطاعت أن تضـمن الاستمرار كل هذه الفترة، بخلاف الشـيوعية الـتي اصـطدمت مـع الفطــرة، أو الثــورة الفرنســية الــتي اســتثمرها الانتهــازيون والمستبدون الجدد والذين لا يقلون شراسة عمن ثاروا عليهم.

ولكن قـادة الثـورة الإسـلامية نتيجـة نظـرتهم الاستشـرافية البعيـدة، ونتيجـة علمهم بـالحرب المعلنـة عليهم، لا يكتفـون بتلـك الموروثـات الفطريـة، وإنمـا يضـيفون إليهـا كـل وسـائل التنبيـه والصـيانة حـتى لا يعـود الأعـداء المتربصـون من جديـد، وبـأثواب مختلفة.

وبما أنا ذكرنا في الكتاب السابق، كيفية تعامل النظام الإسلامي الإيراني مع القيم المختلفة، وتربية الشعب عليها، فسنكتفي هنا ببعض النماذج عن تحذيرهم من كل ما يمس الجانب الفكري والعقدي والإيماني، باعتباره صمام الأمام الذي يحفظ القيم الثورية.

وأولها التحذير من المندسين والانتهازيين والخونة المرتبطين بالغرب، والذين يريدون استغلال أي فرصة للانقضاض على الثورة الإسلامية.

ثانيها التحذير من دعاة الفتنة والفرقة والذين لا تخلو منهم أي ساحة، وفي كل عصر.

ثالثها التحذير من الارتباط النفسي والفكري والسلوكي بالغرب، وعدم إعطاء الولاء له، والبقاء بنفس الوتيرة الثورية في الموقف منه.

ورابعها التحذير من الحرب الناعمة وأدواتها ووسائلها وأساليبها.

1. التحذير من المندسين والانتهازيين:

أخطر ما تقع فيه الثورات بعد انتصارها ظهور المندسين والانتهازيين الذين يصورون أنفسهم في آخر لحظة، وكأنهم أصحاب النصر الحقيقي وقادته، ولهذا نرى القرآن الكريم في سورة التوبة ـ وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم ــ يعدد أصناف المندسين الذين يريدون سرقة الإسلام، وتحويله إلى دين بشري يتناسب مع أهوائهم.

ولذلك كانت في تلك السورة معايير كثيرة للتمييز بين الصادقين من الثوار، والانتهازيين منهم، وبناء عليها نرى اهتمام قادة الثورة الإسلامية بالتحذير من هذا الصنف المندس، واستعمال كل الوسائل الشرعية لردعه، ومنعه من تحقيق أهدافه.

وقد كان من منن الله على إيران تلك الحرب التي فرضت عليها، والتي استطاعت الثورة الإسلامية من خلالها أن تميز بين

المندسين والصادقين، عبر التضحيات التي لم يقدم عليها إلا المخلصون.

وقد رأينا سابقا دعوة الإمام الخميني إلى الاهتمام بكل من قدم أي تضحية في سبيل مواجهة الأعداء ليكون ذلك برهانا على صدقه وعلى استحقاقه للمناصب المهمة التي قد يتسلل إليها الانتهازيون.

وسنرى في المبحث الثاني المؤسسات التي وضعت لتحقيق هذا الغرض، حتى تحمي تلك الحرية المتاحة في الانتخابات، أو للدخول للمؤسسات الكبرى من العملاء والانتهازيين.

ولذلك سنقتصر هنا على ذكر نموذج لخطاب للإمام الخميني يحذر فيه الشعب من هؤلاء المندسين، باعتبار أن الشعب هو المؤسسة الكبرى التي يمكنها ـ عندما توظف عقديا ـ من القضاء على هؤلاء المندسين وكل الدسائس التي يقومون بها.

وقد ألقى الإمام الخميني هذا الخطاب في أوائل فترة انتصار الثورة الإسلامية، لأعضاء النقابات الإسلامية للعمال ومنتسبي القطاع الصحي في الجيش، وقد بدأ الإمام الخميني خطابه بقوله متسائلا: (من هم الأشخاص والجهات التي حاولت منذ انتصار الثورة وحتى الآن الوقوف بوجه الثورة بشتى الطرق ومختلف السبل، وجسدت بمجملها كافة أشكال العداء لهذه الثورة وللإسلام؟)[1]

ثم أجاب بقوله: (هذه المجموعات التي ظهرت وتشكلت بعد انتصار الثورة وتلبّست في بعض الأحيان بثوب الإسلام وأخذت تدعي التمسك بالإسلام أكثر منكم، أو تدعي أحياناً أنها ثورية وتوحي بأنها أكثر ثورية منكم، أو قد تعتبر نفسها من أركان الثورة ومؤسسيها. في حين أن انتصار الثورة تم على يد القطاعات المسحوقة لشعبنا من عمال وفلاحين وجامعيين، وأنتم كلكم ساهمتم في صنع الانتصار إلى يومنا هذا. فيما كانوا هم يقفون موقف المتفرج سواء خارج البلد أو داخله ينتظرون لمن تكون الغلبة، فان كانت للشاه المخلوع وأتباعه ذهبوا إليه وطالبوه

[1] () صحيفة الإمام، ج12، ص: 367.

بـالثمن وإن كـانت الغلبـة لكم وللشـعب لطـالبوكم بـالثمن تحت يافطات مختلفـة طمعـاً في الحصـول على كـل شـيء حـتى تحت يافطة شريحة العمال. وأن يحاولوا تحت مسميات مختلفة إطفــاء نور هذه الثورة والحؤول دون أن تؤتي أُكلها باعتبارها ثمرة أخــرى يتطلـع لهـا الإسـلام ونـبي الإسـلام. أن عـداءهم للإسـلام إذا كـان مبطنا في السابق فقد ظهر عداؤهم اليوم بشـكل سـافر وبنسـبة مئة بالمئة لأنهم تضرروا بسبب الإسلام وتلقى أربـابهم صـفعة من الإسلام)[1]

وهذه الفئة التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُـؤْمِنِينَ سَـبِيلاً﴾ [النسـاء: 141]، وهي موجـودة في كـل الثـورات، وتقـوم أحيانـا كثـيرة بالعمالـة المزدوجـة، ومـا لم تتطهـر الثـورات منهـا، فإنهـا ستكون أول من يخربها.

ولهذا نرى الإمام الخميني يكثر من التحذير منهـا، بـل أسـس المؤسسات الـتي لا دور لهـا سـوى كشـفها، لا لاعتقالهـا وضـربها، وإنما للحيلولة بينها وبين أي عمل قد يؤذي الثـورة في أي مرحلـة من مراحلها.

وقـــد أشـــار في ذلـــك الخطـــاب إلى الكثـــير من صـــفاتها وممارسـتها، ومنهـا مـا عـبر عنـه بقولـه: (إن هـذه المجموعـات المختلفة التي بدأت تظهر من الأرض كظهـور الفطريـات، وكـانت قبل هذا منتشرة في البلدان الأخرى وتتحين الفـرص، جـاءت الآن إلى إيران لتحول دون نجاح هذه الثورة.. إنه خطر يهـدد ثورتنـا، لا بمعنى أنهم يملكون القـدرة اللازمـة للقيـام بعمـل مـا وصـولًا إلى إحباط الثورة، لكنهم يحاولون وضع العراقيل أمام مسيرة الثـورة)[2]

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 367.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 367.

ثم ذكـر بعض النمـاذج عن سـلوكياتهم، فقـال: (لقـد لاحظتم كيف أثاروا فتنة في كردستان. صحيح أنهم نجحـوا في خلـق بعض المتـاعب لكنهم فشـلوا في عرقلـة مسـيرة الثـورة.. إنهم أثـاروا الفتن في طهران.. انهم اعجزُ من أن يفعلوا شيئاً ولكن بإمكــانهم إثارة الفتن. وكلما عقـدت الهمم على إنجـاز عمـل مهم وأساسـي نجد أن هذه الزمر المختلفة الموجـودة الآن في إيـران تعـد لفتنـة جديـدة.. عنـدما تقـرر إرسـاء دعـائم الجمهوريـة الإسـلامية على أساس آرائكم وآراء شعبنا، بادروا إلى إثارة الفتن هنا وهناك، فلما تم اتخاذ هذه الخطوة لم يهـدأ لهم بـال، فعملـوا على إثـارة الفتن في كل مرحلة تسـيرون فيهـا خطـوة نحـو الإمـام. وعنـدما جـرى تأسـيس مجلس الشـورى الإسـلامي وبـذلت المسـاعي في هـذا المجـال قـاموا بإثـارة الفتن أيضـاً. إنهم يثـيرون الفتن والقلاقـل ويرفعون عقيرتهم، يبادرون إلى ضرب الآخرين ويرفعون عقيرتهم بأنهم ظلموا، لذا فهم يخططون ويعملون ليعرقلـوكم عن العمـل، ويعرقلوا جمع حصاد الفلاحين. وفي ذات الوقت يرفعون عقـيرتهم ويتشدقون بانهم يضحون من أجل الشعب) [1]

وهـو يـذكر نفـاقهم في دعـوى الإسـلام مـع أنهم من أكـبر محاربيه، يقول: (إن من يقفـون إلى جـانب الجمهوريـة الإسـلامية يسـعون إلى العمـل باسـم الجمهوريـة الإسـلامية وباسـم الإسـلام وباسم الجماهير.. أما غيرهم، فقد يردد كلمة الإسلام، ويردد إنــني (فـدائي للإسـلام) و(فـدائي للشـعب) ومجاهـد للإسـلام و(مجاهـد للشعب) وما إلى ذلك، ولكن عنـدما تنظـرون إلى أعمالـه تجـدون أنه اتخذ موقف المعارضة منذ البداية) [2]

ومن المظـاهر الـتي يسـتدل بهـا الإمـام الخميـني على هـذا الصـنف أنهم يعرقلـون كـل عمليـة إصـلاحية، يقـول: (والآن أيضـاً يقفـون خلـف نفس المتـاريس، ولكن ليس في الجامعـة، بـل في خارجها ليعرقلوا عملية الإصلاحات الثقافية والثـورة الثقافيـة. انهم يريدون أن تبقى الثقافة نفسها التي ساهمت في صنع أمثال هؤلاء الذين كـانوا وزراء ونوابـاً ومـا شـابه من الـذين وضـعوا البلاد على

1() المرجع السابق، ج12، ص: 367.

2() المرجع السابق، ج12، ص: 367 ، بتصرف شديد.

هاوية الدمار.. إن من باعوا البلاد هم أولئك الذين كانوا نواباً ووزراء وساسة في السابق، هم الخريجون والمثقفون الذين تلقوا التعليم في الجامعات في الداخل والخارج وجلبوا تلك الويلات على هذا الشعب على يد هؤلاء الذين تدخلوا باسم (الشعب) وباسم (الجهاد) وباسم (الفدائيين) وغيرها من المسميات، ولم يتركوا هذا الشعب وشأنه، فمهدوا لان تُنهب أموالكم وتذهب إلى جيوب الآخرين ويأكل الشاه وأعوانه قسماً منها. هذه المجموعات هي نفسها التي تحاول الآن ممارسة نشاطها ضد هذه النهضة)[1]

وهكذا (كلما حاولت هذه النهضة أن تخطو خطوة، كأن تفتح أبواب مجلس الشورى، نجدهم يثيرون فتنة في الامجدية) [2]

ثم يذكر منبع الفتن الذي يستقي منه هؤلاء، فقال: (للأسف إن شبابنا لا يعرفون ماذا يفعل هؤلاء وحتى البعض ممن حولي لا يقفون على عمق هذه القضايا. انهم يتصورون أن القضية تقتصر على عدد من أصحاب الهراوات والمتظاهرين؟ كلا أن القضية ليست كذلك. فهذا هو الظاهر من قضية إثارة الفوضى، لكن القضية أعمق من ذلك. أصل القضية هي أمريكا. أصل القضية هي انهم يقولون بوجوب عودة أمريكا لتفرض هيمنتها من جديد على مقدرات البلاد.. أصل القضية ليس أن أحدهم يريد أن يتظاهر والآخر يعارض ذلك. فهذه ليست أصل القضية، إنها محاولة لإثارة الفوضى ليزرعوا العراقيل أمام البلاد ويحولوا دون أن تواصل المسيرة التي اختطتها) [3]

والإمام الخميني يشير بهذا إلى كل مظاهر الحرب الناعمة التي كانت تمارسها أمريكا في ذلك الحين، وبحدود القدرات التي كانت متاحة لها..

ولا يقتصر دور أولئك المندسين والمخربين على ذلك فقط، بل إنهم ـ كما يذكر الإمام الخميني ـ يسعون إلى كل طبقات

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 368.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 368.

[3] () المرجع السابق، ج12، ص: 369.

المجتمـع ليحرضـوهم على الثـورة الإسـلامية، يقـول: (انتم أيهـا السادة العمال الذين تعدون من العناصـر المـؤثرة في البلاد، ومن اجـل أن تقطعـوا أيـدي الآخـرين، رأيتم كيـف توجهـوا إليكم خلال العام وعدة اشهر التي مرت من عمـر الثـورة وعملـوا على إلقـاء الخطابات في أوساطكم أو تحريضكم أو حثوا مجموعة منكم على الإضراب وما شابه ذلك تحت يافطة الدفاع عنكم وتأييدكم مـع أن الهلاك سيكون مصير أي بلدٍ إذا ما أضرب العامل وكفّ عن العمل في ذلك البلد) [1]

ثم بين الدوافع الحقيقية لمثـل تلـك التحريضـات، فقـال: (إن أولئك الـذين يقولـون لكم أننـا متفقـون معكم، ويقولـون لكم مثلًا اين انتم واين هم؟ إن عملهم هذا في الواقع ليس بـدافع الحـرص عليكم. انهم يدخلون باسم الحرص ليعطلوا معامـل البلاد، وباسـم الحرص يعطلون الزراعة. هؤلاء انفسهم الذين يبادرون إلى حـرق المحاصـيل الزراعيـة للفلاحين بعـد حصـادها، الآن أيضـاً مـا زالـوا يضـرمون النـيران وإذا لم نحافـظ عليهـا ونصـونها فإنهـا سـتحرق جميعاً)[2]

ثم بين المعيار الذي يميز الثوار الحقيقيين من غيرهم، فقال: (أننا نميز أعداء النهضة والثورة من خلال الذين يسيرون في ركب الثورة، ويسيرون في ركب الشعب، ويسـيرون في ركب الفلاحين والعمال ويريدون تحرير البلاد من قيود الأجانب)

ودعا إلى كشف هؤلاء وكذب أطروحـاتهم، وكونهـا لا تختلـف عن أطروحات الشاه الذي كان يتلاعب بالعقول ليمـرر مشـاريعه، يقـول: (أنتم أيهـا السـادة واقفـون على مـا جـرى على الأقـل في غضون السنوات الخمسين الماضية. أنا أذكر كل ما جرى، والقليل منكم يذكره، وهذه الأعمال الأخيرة للشاه المخلوع التي تـذكرونها انتم أيضاً تحت يافطة الحضارة الكبرى، وبذريعة أنه يريد أن يصنع من إيران يابان أو أمريكا ثانية في غضون سنتين أو ثلاث سـنوات، وبهذه الذريعة أفقد البلاد كل اعتبارها. قَدمها لأولئك الذين يريدون

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 369.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 369.

أن ينهبونها.. طبعاً من يريد أن يخرب لا يعلن إنني أريد أن اخـرب، بل يعلن إنني محبّ لكم، ونحن نضحي من أجلكم، وهؤلاء العلمـاء رجعيون ويتحدثون بكلام لا أساس له، انصار الرأسمالية ـ مثلًا ـ لو صرح أحد بحقيقة الأمر أمامه لأفسد عليه عمله. لـذا لابـد لهم من القول أن علماء الدين رجعيون والعلماء كـذا وكـذا ونحن نريـد أن نخدمكم)[1]

ثم دعا إلى مواجهة كل هـذه العناصـر العميلـة، وعـدم إتاحـة الفرصة لهـا لسـرقة الثـورة، فقـال: (عليكم أن تنتبهـوا، ينبغي أن تعرفوا عدوكم. فإذا لم تعرفوه لا تستطيعون التصدي له. أعداؤكم هم أولئك الذين قاطعوا منذ اليوم الأول لانتصار الثورة، التصـويت لصالح الجمهورية الإسـلامية، أو قـاموا بـإحراق صـناديق الاقـتراع، قاموا بـإحراق مـا اسـتطاعوا من صـناديق الاقـتراع. أولئـك الـذين قاطعوا الجمهورية الإسلامية جاءوا اليوم يتظـاهرون بـأنهم انصـار الجمهورية الإسلامية.. هذه الحركـة ليسـت النصـرة والتأييـد، إنهـا مكر وحيلة تلبست لباس النصرة.. إنهم إذ يقولون أننا لا شـأن لنـا بالإسلام لانهم يعلمون جيداً أن إيران الإسـلام لن تسـمح لهم بـأن يفعلـوا شـيئاً. فهم لا حيلـة لهم سـوى أن يقولـوا نحن إسـلاميون أيضاً. ولكن علينا أن نـراقب أعمـالهم ونشـاهد ماهيـة الفتن الـتي يثيرونها. فهم قد عملوا على إثارة الفوضى منذ البداية وحتى الآن، هذه الفئات المعارضة التي اختارت كل واحـدة اسـماً لهـا، تحـاول دوماً إثارة الفوضى ليمنعوكم عن مواصلة السير على النهج الـذي رسـمتموه، والسـير على الصـراط المسـتقيم الـذي ينبغي أن تسلكوه، والسير على النهج الذي اختاره لكم الله تبـارك وتعـالى)[2]

ثم دعا إلى البحث في ماضي هؤلاء، وكل من يعارض الثـورة الإسلامية، حتى تحمى الثـورة من كـل المندسـين، فقـال: (هـؤلاء كانوا خدماً في بلاط محمد رضـا إبـان حكمـه، واليـوم انقلبـوا إلى أعداء محمد رضـا، أليس هـذا تناقضـاً؟ هـذا التنـاقض لكي نتصـور انهم إسلاميون، ليخدعوني ويخدعوكم ونتصـور انهم إسـلاميون، أو

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 370.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 372.

لكي نلزم جانب الحياد أمامهم أو نؤيـدهم. اسـتطاعوا أن يخـدعوا شبابنا الطاهر النـزية من خلال دعـايتهم الإعلاميـة الـتي يحسـنون أداءها جيداً. على هـذا الشـعب الـذي يتحلى باليقظـة أن لا ينخـدع بهؤلاء الذين يزعمون بانهم حريصون على الإسلام. راقبـوا طبيعـة أعمـالهم، لاحظـوا هـؤلاء الـذين يتحـدّثون باسـم الإسـلام! هـل يصـدقون قـولهم بالعمـل من أجلـه، أم هي خنـادق يحـاولون من خلالها القضاء على الإسلام باسم الإسلام. قُطاع الطرق أيضاً ربما يتلبسـون لبـاس الإسـلام ولكنهم يسـرقون.. لا ينبغي أن تخـدعنا المسميات، لا بد أن نرى ماذا يفعلون، لا بد أن نرى ماضـي هـؤلاء الأشـخاص، أن نـرى مضـامين الكتب الـتي تصـدر عنهم، ونلاحـظ الدعاية التي يطلقونها. فمجرد أن يقول أنا مسلم والادعـاء وحـده لا يكفي فالجميع الآن يقولون نحن إسلاميون، والجميع يقـول نحن ثوريون. فلا يوجد من يقول أنا لست ثورياً، فالكل يقول أنا صنعت الثورة) [1]

وهذه المعاني التي حرص الإمام الخميني على بيانها كل حين هي خير ما يحفظ الثورة من السـرقة، فـالثورة الـتي تتغافـل عن مثل هذه الأمور، لن يطول بها الأمر حتى تقع في أيدي اللصـوص، كما حصل للأسف في العصر الأول عندما أتيحت الفرصة للطلقاء، فراحوا يخربون كـل مـا اسـتطاعوا تخريبـه من قيم النبـوة، وعـاد الملك العضوض بعد فترة قصيرة.

ولهـذا نـرى الإمـام الخميـني عنـد بيانـه لحيـل هـذا الصـنف للوصـول إلى أغراضـه يـذكر مـا حصـل في العصـر الأول، يقـول: (إنهم يريـدون باسـم القـرآن وباسـم نهج البلاغـة القضـاء علينـا والقضـاء على القـرآن ونهج البلاغـة، على غـرار قضـية رفـع المصـاحف على الرمـاح إبـان عهـد أمـير المؤمـنين، وحين جعلـوا القرآن حكماً. لقد كـان أمـير المؤمـنين مظلومـاً حقيقـةً. كم قـال لهؤلاء السيئ الحظ انهم يحتالون عليكم، اتركونا نقاتل، لقـد فـات الأوان. إن النصر قريب ولم يتبق شيء. فـاجتمعوا حولـه وشـهروا سيوفهم وقالوا سنقتلك إذا لم تأمرهم بالعودة؛ القـرآن ينص على ذلك. فاضطر أمير المؤمنين أن يأمر جيشه الذي كـان على وشـك الفتح حيث لم يبق سـوى سـويعات للفتح، أمـره بـالعودة. فمـا إن

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 373.

عادوا حتى منوا بالهزيمة بعد أن وقعت الأحـداث المعروفـة. هـذه المجموعـة الـتي شـهرت سـيوفها ضـد أمـير المؤمـنين، عـادت فشـهرت سـيوفها من جديـد ضـده. ينبغي لنـا أن نـرى مـا معـنى عملهم هذا، لقد كان على جباههم آثار سـجود، ابن ملجم كـان من أصحاب الجباه السود، انظروا ماذا فعل؟.. لقد كابد الإسلام دومـاً من أمثال هؤلاء الذين حاولوا ضرب الإسـلام باسـم الإسـلام.. ألم يكن محمد رضا (بهلوي) يطبع القـرآن؟ ألم يكن يـذهب كـل سـنة لزيـارة المشـهد المقـدس؟ الم يكن يتحـدث دومـاً عن العدالـة الإسـلامية وماهيـة العدالـة؟ الم يقـل أن سـيدنا العبـاس بن علي أنقــذني في احــدى القضــايا؟ كــان يقــول إنهــا من قــدراتهم.. فالكثيرون انطلت عليهم هـذه القضـية وأخـذوا يقولـون أليس هـو ملك ينادي بالقرآن وينادي بالإسلام، فماذا تريدون منه؟)[1]

هذا بعض مـا ورد في خطابـه من تحـذيرات، وهي تـدل على وعي كبــير بــالواقع، واســتفادة كبــيرة من التجــارب التاريخيــة السـابقة، وقـد كـان ذلـك الحـذر والحيطـة سـببا كبـيرا في حفـظ الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة من كـل محـاولات الاخـتراق الـتي حصلت في أكثر الثورات.

2. التحذير من دعاة الفرقة والفتنة:

وهـؤلاء يتممـون عمـل الفئـة السـابقة، وربمـا يكونـون بعض أدواتهـا، وهم في الظـاهر لا يسـعون للحصـول على أي مكاسـب، ولكن أفكارهم التي ينشرونها، والتي قد يكـون لهم إيمـان حقيقي بها، تساهم في جر البلاد إلى الفتنة والانحراف.

وخطورة هذا الصنف هي أنه يقف على رأسه من تتلمذوا في المـدارس الدينيـة، وربمـا نـالوا الشـهادات الرفيعـة فيهـا، ولـذلك يتصور الكثير أنهم يمثلـون الإسـلام بـذلك، مـع أن المسـافة بينهم وبين الإسلام عظيمة جدا.

ولهذا يحذر الإمام الخميني كل حين من هذا الصـنف ويعتـبره أخطـر الأصـناف، وقـد سـبق أن ذكرنـا بعض مقولاتـه في علمـاء السوء، ومنها قوله في التحذير من تسلل أمثال هؤلاء لأي منصـب

---

[1]() المرجع السابق، ج12، ص: 374.

في الدولة: (ينبغي لي أن أكشف عن قضية لكافة أبناء الشعب وجميع علماء الدين في إيران، وهي أنني أخشى أن يتمكن بعض المعممين (المتلبسين بلباس الدين) ممن تغلغلوا في أوساط علماء الدين ويمارسون الهدم والتخريب، أخشى أن ينجح بعضهم ممن وصل إلى منصب مهم، في تشويه صورة الإسلام) [1]

ثم دعا إلى ما دعا إليه سابقا من استعمال كل الطرق الشرعية في كشف كل المندسين، يقول: (أنا أوصي علماء الدين في إيران بان يبادروا إلى إسقاط الأقنعة عن وجوه هؤلاء الذين تمكنوا من التغلغل إلى داخل اللجان الشعبية وغيرها من المراكز، وفضحهم أمام الجماهير، انهم لا يمتون إلينا بأية صلة.. أحياناً نسمع عن تشكيل لجنة باسم لجنة الإمام للإغاثة في كافة أنحاء إيران. ولكن من هو هذا الإمام الذي جرى تشكيل لجان باسمه؟ ما حجم المعلومات التي يملكها عن ذلك؟ أننا لم نكن على اطلاع بذلك. لقد بادر كل حسب رغبته إلى أداء عمل باسم فلان أو فلان.. قبل أيام، قام شيخ آخر بعملٍ في صحن السيد عبد العظيم.. أنا لا أعرف من هو هذا الشيخ، قام باسم مندوب الإمام حسب زعمه، بتخريب مقابر، تعود لأشخاص كانت ملكاً شخصياً لهم، مقبرة كانت وقفاً وبيتاً كان وقفاً، دمرها جميعاً. هؤلاء إما انهم أشخاص لا يفهمون ما يفعلون، وإذا كانوا يفهمون ـ لا قدر الله ـ فانهم أشخاص يريدون القضاء على هذه النهضة)[2]

ثم جدد تحذيره بكل قوة وصراحة قائلا: (أنا احذر كل أبناء البلد وجميع علماء الدين من هذا الخطر الذي بات يهدد الإسلام ويهدد علماء الدين، أنا أقول لكم إتماما للحجة على الجميع: اطردوا هؤلاء العلماء المندسين الذين يحاولون إيذاء المواطنين بدون أي مسوغ شرعي والهي. انهم ليسوا ممثلين عني. انهم يريدون باسم ممثل فلان، العمل على إثارة الأوضاع لكي يقول الشعب حسناً، هؤلاء هم من يصطلح عليهم بعلماء الدين! ينبغي أن أقول من جديد أن حرس الثورة هؤلاء الذين خدموا البلاد بحق وما زالوا يخدمون ويُعد وجودهم أمراً بنّاءً ومثمراً للشعب.. أحياناً

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 375.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 375.

يتغلغل في أوساطهم المندسون ويشوّهون سمعتهم. فيأتي احدهم ويدعي أنه من حراس الثورة أو أنه يتظاهر بالتمسك بالدين ليعرف بانه من حراس الثورة. وعندما يتعارف الناس على ذلك نجد فجأة أن منزل أحدهم قد تعرض للنهب. فيظن الناس أن حراس الثورة فعلوا ذلك. يا للعجب، أنه ليس من حراس الثورة. حراس الثورة متمسكون بالإسلام، الإنسان المسلم لا ينهب منازل المواطنين. الإنسان المسلم لا يصادر أملاك الآخرين)[1]

وهكذا دعا إلى طرد كل من يشوه القيم الإسلامية كائنا من كان، يقول: (انتبهوا إلى من يرتكب المخالفات باسم الإسلام، إلى من يمارس أعمالا تخريبية باسم الإسلام، بادروا إلى طرده حتى لو كان يعتم العمامة، فليبادر العلماء إلى طرده، وأن كان مندساً في أوساط حرس الثورة فليبادر إلى طرده حراس الثورة المسلحون بالإسلام ويتحملون مختلف الصعاب، وأن كان مندساً في أوساط الجيش، فليطرده منتسبو الجيش، وأن كان في أوساط قوات الدرك فليطرده منتسبو الدرك، وإن كان في السوق (البازار) فليطرده الكسبة، وإن كان في المعامل فليطرد من هناك أيضاً.. إنهم متى ما حاولوا التغلغل أو الإفساد يعملون ذلك باسم الإسلام وهذا ما يشكل خطراً على نهضتكم. يحاولون القضاء على الإسلام باسم الإسلام. يحاولون إعطاء صورة مشوهة عن الإسلام في أوساط أبناء شعبنا. إنها جريمة كبيرة يحاولون ارتكابها. وإذا التزمنا الصمت فإننا نكون قد ارتكبنا إثما وذنباً. علينا أن نفضح ذلك وعليكم أن تتخذوا التدابير اللازمة)[2]

وهو يذكر كل حين أن هذا الصنف موجود في كل فترات التاريخ، حتى في صدر الإسلام، يقول: (الإسلام كان يعاني دوماً من أمثال هذه الشريحة. إذ كانوا بكثرة في الصدر الأول للإسلام، وكانوا كثراً في عهد حكم أمير المؤمنين وفي عهد النبي الأكرم ﷺ كانوا كثيرين، وهكذا على مر التاريخ. الإسلام عانى من مثل هذه الفتن وعانى من أشخاص.. كانوا يتظاهرون بالإسلام. الناس

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 375.

[2] () المرجع السابق، ج12، ص: 376.

الطيبون، المواطنون الإسلاميون ينخدعون بهم، انهم ينخدعون بهؤلاء الذين يتلبسون بلباس الإسلام ويتظاهرون به.. إن الخداع والمكر موجود دائماً منذ أن ولد الإسلام وحتى يومنا هذا، بل منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا. المخادعون يختبئون وراء اقنعه مختلفة في هذه الدولة الإسلامية. فظاهرهم ظاهر إسلامي حسن جداً. ويؤدون الصلاة ويصومون أيضاً حسب الظاهر. الظاهر ظاهر إسلامي، ولكنهم يستبطنون العداء للإسلام)[1]

ونحب أن نختم التعريف بهذا الصنف بنموذج عن شخصية علمية إيرانية كبيرة، يصر الكثيرون إلى الآن على الاعتماد عليها في مواجهة الثورة الإسلامية، والإمام الخميني خصوصا، مع أن هذه الشخصية ـ للأسف ـ وقفت قبل الثورة وبعدها مع الاستبداد، أو مع الاستكبار العالمي، شعرت بذلك أو لم تشعر.

وهذه الشخصية هي شخصية السيد محمد كاظم الحسيني الشريعتمداري (1905 ـ 1986)، المرجع الإيراني الكبير، والذي كانت له أدوار دينية وسياسية كبيرة في إيران والعراق، ومن بينها إنقاذ الإمام الخميني من الإعدام، وقد تولى المرجعية سنة 1961 بعد وفاة المرجع حسين البروجردي فرجع إليه ـ في التقليد ـ عدد كبير من الشيعة في إيران وباكستان والهند ولبنان ودول الخليج.

لكن هذه الشخصية للأسف مع المكانة الرفيعة التي تبوأتها، ومع بعض المواقف التي وقفتها، راحت تمارس الكثير من الأخطاء قبل الثورة وبعدها، والتي لا تزال إلى الآن تستخدم من طرف الأعداء لضرب الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ونظام ولاية الفقيه.

وقد ذكر المؤرخون للثورة الإيرانية بعض الوثائق التي عُثر عليها في مراكز مخابرات الشاه، والتي تبين العلاقة الطيبة التي كانت تربطهم بهذا المرجع الديني الكبير، وربما تبرر مواقفه من الثورة، وسلوكاته نحوها.

ومن بين تلك الوثائق، تقرير بتاريخ 24/أيلول/1978 يروي فيه رئيس الساواك الجنرال مقدم للشاه تفاصيل اللقاء الذي تم بينه وبين شريعتمداري، (وهو يكشف طبيعة الخط المنحرف داخل

---

[1] () المرجع السابق، ج12، ص: 377.

الحوزة والذي ظهر منذ حوادث 1962، وقضية تأسيس مجالس الولايات، وقد كان الإمام يشير إلى هذا الخط بشكل غير مباشر ويبدي قلقه من وجوده)[1]

وهذا نص الوثيقة التي تكشف طبيعة أحد الخطوط السرية التي كانت تعمل ضد مسيرة الثورة[2]: (خلال اللقاء الذي دام حوالي 4 ساعات مساء يوم 1/7/1357(23/9/1978) مع السيد كاظم شريعتمداري في منزله بمدينة قم، قمت في البداية بإعطاء نبذة مختصرة عن الموقع الجغرافي لإيران، والأخطار المحدقة بالبلاد من جانب القوى الخارجية، شرقيها وغربيها، وكذلك الشؤون الداخلية في إيران والتحريض الذي يقوم به الشيوعيون وعملاء الأجنبي الآخرون. وقد أبدى آية الله شريعتمداري سروره الكبير لهذا اللقاء وأعرب عن تأييده للنظام)

ثم ذكر التقرير نصوص الأحاديث التي أدلى بها شريعتمداري، والتي نستشف من خلالها العلاقة الوطيدة التي تربطه بالشاه وأجهزته؛ ومنها قوله: (أبلغوا سلامي إلى جلالة الشاه وأحيطوه علماً بأن المشاكل التي يواجهها جلالته اليوم نواجهها نحن أيضاً، وآمل أن يواجه جلالة الشاه هذه المصاعب بصبر كبير، إلى أن تتذلل بالشكل الذي يريده، بما يعود بالنفع على البلاد. قبل أيام، وعندما زارني ممثلو الملك الحسن، طلبوا مني أن أبدي ليناً أكثر حيال جلالة الشاه، لكنني أخبرتهم بصراحة أن كل جهودي إنما تستهدف الحفاظ على الملكية، وطلبت منهم أن يبلغوا الملك حسن طلبي إليه بأن يقف إلى جانب جلالة الشاه ويؤازره ليتمكن من الثبات أمام المشاكل الداخلية، كما طلبت منهم إبلاغ الشاه بضرورة الإسراع بالإصلاحات) [3]

والأخطر من ذلك قوله: (إن النجف هي أحد مراكز معارضة النظام الملكي، وأنا ضد النجف تماماً، وأنا أفكر وأعمل من أجل

1() تاريخ إيران السياسي المعاصر، ص172.

2() كما وردت في صحيفة كيهان، العدد (11560) بتاريخ 24/نيسان/ 1982، نقلا عن تاريخ إيران السياسي المعاصر، ص172.

3() المرجع السابق، ص172.

الحفـاظ على البلاد والـدين والنظـام الملكي، لقـد التجـأت إلى الدستور من أجل الحفاظ على التاج والنظام الملكي) [1]

وذكر في التقرير أن مواقفه التي قد تبـدو مؤيـدة للثـورة لم تكن سوى حيلة فقط، فقد قال: (وقد اخترت سـبيلاً معتـدلاً، يعـود بالنفع على جلالة الملـك وعليّ وكـذلك على من يتلاءم نهجهم مـع نهجي، إنـني أسـلك هـذا السـبيل للحيلولـة دون أن يصـبح زمـام المبـادرة بيـد المتشـددين، فلـو شـعروا بـأنني أدعم النظـام، فلن يكـون بإمكـاني اعـتراض مسـرة المتشـددين، عليَّ أن أتصـرف بشـكل بحيث أكسـب رضـاهم، ولهـذا اخـترت طريقـاً وسـطاً بين جميع التيارات الفكرية داخل البلاد وخارجهـا، ولـو لم أفعـل ذلـك، لكان المتشددون، قد قضوا على البلاد حتى الآن. لقد استندت في تحركاتي إلى الدستور لأتمكن من العمل بنجـاح على حمايـة التـاج والعرش والبلاد)[2]

وهكـذا تعـرض في التقريـر للإمـام الخميـني، فقـال: (إن الخميـني معـارض لنظـام إيـران، والنجـف هي مركـز التـآمر على إيران، فالكثير من البيانات الواصلة من النجف، تسبب التظاهرات وإراقة الدماء، وإن كان أنـاس آخـرون تسـببوا في هـذه الحـوادث فإنهم ـ بالتأكيد ـ يتلقون التحريض من النجف)[3]

ولم يكتف بذلك، بل راح يحرض على الإمام الخميني وأتباعه، فيقول: (إن الخميـني ومن يفكـرون على شـاكلته ويعتقـدون بـأن الحكومة الإسلامية هي أفضـل حـل لمشـاكل البلاد، إنمـا يعملـون على القضاء على مركز القـوة ويسـوقون البلاد إلى الـدمار وليس الإعمار، وإنني على ثقة من أن ما يفعله هؤلاء يجني ثمـاره أنـاس آخرون. إنني أعارض تماماً ما يقوم به هؤلاء من أعمال تـؤدي إلى خلـق مصـاعب للنـاس، مثـل الإضـرابات وإغلاق الأسـواق وإيجـاد الفوضـى والتظـاهرات والإخلال بالنظـام. لقـد اطلقـوا شـعارات عنيفة في مجلس تأبين ابن آيـة اللـه الگلبايگـاني اليـوم. والجـدير

---

[1] () المرجع السابق، ص172.

[2] () المرجع السابق، ص173.

[3] () المرجع السابق، ص173.

بالذكر إن أحد الأشخاص المؤيدين لي ــ وكان يجلس بقربي في مجلس التأبين ـ قال مازحاً (الظلم الذي كان سائداً في السابق أفضل لدينا من العدالة التي يعد بها هؤلاء) [1]

وأقر في التقرير بكونه لم يكن يكتفي بالإدلاء بمثل هذه التصريحات لأمن الدولة، وإنما كان يبثها لأتباعه، حتى ينفرهم من الإمام الخميني، فقد قال فيه: (إن الكثير من العلماء يزوروني ويستفسرون عن رأيي بنهج الخميني وهل اختلف معه أم لا؟ فأجيبهم بنعم، وأوضح لهم بأنه معارض للشاه، بينما أن لست كذلك، لقد أرسلت إلى الخميني اسأله: ما دمت تتصيد العثرات على الحكومة، فلماذا لم تحتج على حكومة العراق التي تقتل من يريد المشاركة في مسيرة الأربعين من النجف إلى كربلاء، بينما الحكومة الإيرانية لا تقوم بشيء من هذه الأعمال؟)[2]

وهكذا راح يحرض على أتباع الإمام الخميني، والذين كانوا في ذلك الحين يتلقون إشاراته للقيام بكل ما تحتاجه الثورة من مواقف، فقال: (أنا لا أخاف من الخميني، لكن أنصاره مجانين لا يتورعون عن استخدام السلاح في التخريب وقتل الآخرين. نحن لسنا مصونين من أذاهم حتى ونحن في بيوتنا، ويجب أن تعطونا الحق في أن نسلك نهجاً معتدلاً لنأمن من الضرر من هؤلاء ونؤدي واجبنا حيال جلالة الملك والأمة) [3]

بل إنه راح يقترح دعم الحكومة في التصدي لأنصار الإمام الخميني، فقال: (الذين يملكون الشجاعة للوقوف بوجه الخميني وأنصاره قليلون جداً، فخلال السنوات الأخيرة أدى سلوك أنصار الخميني إلى بث الرعب في قلوب غالبية الذين يؤيدونني في وجهة نظري، أي يؤيدون الحكم الملكي، خاصة وأن أنصاري لا يملكون تنظيماً معيناً، ولذا فإنهم قلقون جداً. علينا العمل من أجل تبديد مخاوف هؤلاء تدريجياً، وإيجاد تنظيم في صفوفهم، يمكنهم من الاتحاد والتصدي لخط النجف. ونهجي المعتدل سيؤدي إلى

---

[1] () المرجع السابق، ص174.

[2] () المرجع السابق، ص174.

[3] () المرجع السابق، ص174.

استقطابهم نحوي الأمر الذي يمهد الطريـق لإيجـاد التنظيم اللازم والتمتع بقوة ملحوظة لبدء التصدي العلني في المسـتقبل. وعلينـا تجنيد الطاقات كلها لإيجاد هذا التنظيم وبدء التخطيط للمسـتقبل) [1]

ولم يكتف بكـل ذلـك، وإنمـا راح يؤيـد الإجـراءات المتشـددة للاسـتبداد، ويـدعو إلى المزيـد منهـا، فقـد قـال في التقريـر: (إن إعلان الحكم العـرفي (العسـكري) إجـراء قيم ومفيـد ويجب أن يستمر، وأنا أؤكد بصراحة ـ وأرجـو إيصـال هـذا إلى جلالـة الشـاه ورئيس الـوزراء ـ ضـرورة تمديـد فـترة الأحكـام العرفيـة قـدر المستطاع، وقد أصبح اتهام الحكومة بكل ما يحدث موضة كما هو الحال في حادث السينما في آبـادان، وللأسـف فـإن هنـاك أفـراداً بسـطاء كثـيرين يتـأثرون بـدعايات الشـيوعيين وبقـاء الحكم العسكري كفيل بالتقليل من تأثير هذه التحريضات) [2]

وقد ورد في التقرير ما يشـير إلى مـا ذكـره الإمـام الخميـني مرات كثيرة عن أولئك الذين يدعون إلى تعطيـل أحكـام الشـريعة الإسلامية، فقد قال فيه: (إني أعرف واجـبي الشـرعي، كمـا أنـني قلت رأيي بوثيقة حقوق الإنسان، وأكدت أنها مجرد مزاح، فعنـدما تملك خمس دول كبرى حـق النقض(الفيتـو)، فمـا الـذي يبقى من حقوق الإنسان؟ فكل قانون له قيمته في وقته، وفي الإسلام لدينا بعض القـوانين كـانت واجبـة التطـبيق في زمن معين، لكنهـا مرفوضة اليوم، فنحن لدينا الإسلام الذي يعطينا ما هـو أفضـل من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مثل الإحسان والمساواة والـورع والتقوى) [3]

ولم يكتف بكل ذلك، بـل راح يـدعو إلى تمديـد فـترة اعتقـال السجناء السياسيين، والذين كان أكـثرهم أتباعـا للإمـام الخميـني، فقد قـال: (أنـا لا أؤيـد اطلاق سـراح جميـع السـجناء، بـل اطلقـوا سـراح أولئـك الـذين تتأكـدون من أنهم لن يعـودوا إلى نشـاطاتهم

[1] () المرجع السابق، ص175.

[2] () المرجع السابق، ص175.

[3] () المرجع السابق، ص175.

المعارضة. أما الباقون فابقوا عليهم، خاصة أولئك الذين تطاولوا على مقام الملوكية وجلالة الشاهنشاه) [1]

ثم ختم التقرير بذكر الآليات التي اقترحها شريعتمداري للوقوف في وجه أتباع الإمام الخميني، فقال: (كم هو جيد أن تقوم الحكومة بتوضيح هذه الأمور للشعب باستمرار فذلك كفيل بتوعية الناس على الأخطار المحدقة بهم وببلادهم، وهنا ستنجحون في شق عصا المعارضين، وعندها سيمكننا إيجاد قوة من هؤلاء للوقوف بوجه الخميني، وسيؤدي ذلك إلى معارضة شعبية علنية لتحركاته وتحريضاته. يجب أن تقولوا للناس إنه لو استمر الوضع على حاله، فإن أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم في خطر. هذا التحذير يجب أن يتم بصور مختلفة، من قبيل نشر المقالات في الصحف وبث الاحاديث في الإذاعة والتلفزيون. وهنا أؤكد من جديد أن على الحكومة أن تبادر بسرعة إلى اجتثاث جذور الفساد واستخدام الحزم في تعاملها مع المسيئين، وكسب رضى الناس، خلافاً لما كان يحدث سابقاً) [2]

قد يعتبر البعض ما حصل من السيد شريعتمداري نوعا من التقية، لكن المشكلة أن ما فعله بعد انتصار الثورة الإسلامية لم يكن أقل مما فعله قبلها، حيث أنه أعطى الشرعية لحزب من أخطر الأحزاب التي قامت في وجه الثورة، وولاية الفقيه، وهو [حزب خلق مسلمان][3]

1() المرجع السابق، ص176.

2() المرجع السابق، ص176.

3() تأسس حزب خلق مسلمان في آذار 1979 من قبل السيد شريعتمداري، والتحق به العديد من العناصر الموالية للشاه والليبراليين واليساريين، وراحوا تدريجياً يعارضون الثورة الإسلامية. بعد الاستيلاء على وكر التجسس في تشرين الثاني 1979 والكشف عن الوثائق الدالة على علاقة بعض الأقطاب الناشطين في الحزب بالسفارة الأمريكية في طهران، اتضحت الطبيعة المرتبطة بالأجنبي لهذا الحزب أكثر من السابق وابتعد عنه أنصاره المتدينون. وبعد مدة واثر اكتشاف مشروع انقلابي ومؤامرة إطاحته بنظام الجمهورية الإسلامية على يد قطب زادة بالتعاون مع السيد شريعتمداري في هذا المشروع، تم حل حزب خلق مسلمان.. انظر: صحيفة الإمام، ج11، ص: 149.

وقد ورد في لقاء مع السيد محمد تقي الفلسفي في شهر محرم 1400 هـ ذكر فيه ما قام به السيد شريعتمداري في خدمة هذا الحزب المناوئ للثورة الإسلامية [1]، وكيف كان موقف الإمام الخميني، فقال: (نحن نعلم أن الأجانب وأمريكا خاصّة لهم عداوة شديدة مع هذه الثورة، ويحاولون توجيه الضربات لها بشتى الوسائل. والآن في بداية الطريق جاءوا وأسسوا حزباً.. إن حزب (خلق مسلمان) هذا ذو جذور أجنبية بالتأكيد.. لقد أدخلوا كلمة (خلق) هذه في عنوان الحزب، كما أرادوا إدخال كلمة (الديمقراطية) في اسم (الجمهورية الإسلامية في إيران) ليقولوا: (الجمهورية الديمقراطية الإسلامية في إيران)، وهذا هو معنى (خلق مسلمان)، إنهم يريدون من الآن تمهيد الأرضية لحرب بين المسلمين، فيقولون: الحزب الجمهوري الإسلامي وحزب (خلق مسلمان).. إن هذه ضربة للثورة وإهدار لدماء المسلمين.. يريدون ضرب هذه الثورة والقضاء على هذا الإنجاز وإحلال شيء آخر محله يضمن لهم مصالحهم، والمشكلة هي أن السيد شريعتمداري أعلن باسم آية الله ارتباطه بهذا الحزب واعتبره حزباً مرتبطا به. أي أن بين هذا الحزب والسيد شريعتمداري علاقة انسجام ووحدة، هذه عملية خطرة جداً. ربما ضاعت كل الجهود هدراً. طلبت منك أن تأتي لأقول لك اذهب إلى السيد شريعتمداري، وقل له بشكل خاص نقلًا عني: إن هذا العمل عمل الأجانب، وحينما تقبّلتَ الأمر، فإنك إما على علم بهذا أو على غير علم. ومصلحتك أن تعلن فوراً في الصحف والإذاعة والتلفزيون أنك اعتزلت هذا الحزب وأن قضاياه لا صلة لها بك إطلاقا، حتى تصان مكانتك)[2]

وبعد هذه الرسالة الطيبة التي حرص فيها الإمام الخميني على أن ينصح السيد شريعتمداري بكل لطف وأدب وفي محل خاص حتى لا يعرضه للفضيحة، ذهب السيد محمد تقي الفلسفي ـ كما يذكر عن نفسه ــ إلى بيت السيد.. وأبلغه رسالة الإمام،

---

[1] () انظر تفاصيل اللقاء في كتاب مذكرات وجهاد حجة الإسلام الفلسفي. ص 366 إلى 370.

[2] () صحيفة الإمام، ج11، ص: 150.

وطلب منه أن يكتب ويوقع على الاعتراف بعدم صلته بذلك الحزب.

لكنه فوجئ ـ كما يذكر ـ بقوله له بقوة وحزم: (هذا الحزب حزب المسلمين، وأنا مرتبط بهذا الحزب، قلتُ هذا علناً والجميع يعرفون، وإن قلت: لا صلة لي به، فهذا معناه زوال اعتباري ومكانتي. فهل أهين نفسي، وأقول: لا علاقة لي بهذا الحزب ولا أعرفه؟ أنا لا أفعل هذا)[1]

فعاد الفلسفي إلى الإمام الخميني، وحكى له ذلك، فأبدى الإمام أسفه، وقال: (هذا السيد غير ملتفت للأمور، اذهب إليه وقل له: إن سمعتك ستتحطم بارتباطك بهذا الحزب، فعدم الانفصال عن هذا الحزب مقدمة لذهاب سمعتك أدراج الرياح، أما إذا انفصلت فإن سمعتك ستكون محفوظة تماماً، ولك مكانتك وسيادتك في قم. إنني بهذا أتمّ الحجة عليه.. قل له إذا تضررت سمعتك بإعلان عدم ارتباطك بهذا الحزب، فإننا سنرعاك ونعوضك حتى لا تتضرر سمعتك بأقل الأضرار) [2]

فذهب الفلسفي، وأبلغه رسالة الإمام، وقال له: (أقترح أن تكتب استقالتك وتوقعها، وستكون هذه مقدمة لعقد مجلس في مسجد أعظم، نخبر عنه الإذاعة والتلفزيون ليحضروا ويحضره أيضاً السيد الكلبايكاني والسيد النجفي، وتكون أنت موجوداً ويشارك فيه الإمام أيضاً، وأصعدُ أنا المنبر في ذلك المجلس وأتكلم بما تريده أنت، وأقول: إن آية الله شريعتمداري الذي قدم خدمات جليلة للثورة الإسلامية بقلمه وخطواته وجد مؤخراً أن حزب (خلق مسلمان) مضر وعلى خلاف مصالح الثورة الإسلامية؛ فالثورة الإسلامية إنما هي حقيقة في الأساس، وهذه الحقيقة هي الإسلام. لذلك استقال آية الله شريعتمداري بمشورة الإمام ورأيه من حزب خلق مسلمان، وكتب أن هذا الحزب غير مرتبط بي) [3]

---

[1] () المرجع السابق، ج11، ص: 151.

[2] () المرجع السابق، ج11، ص: 151.

[3] () المرجع السابق، ج11، ص: 151.

وقد ذكر الفلسفي أنه ـ بعد سماعه هذا ــ تصور أن الإمام الخميني لن يفعل هذا، وقال: (لا أظنّ أن الإمام يفعل هذا)، فقال له الفلسفي: (سأذهب وأقول له فإذا قال أنه سيفعل، هل تقدِم أنت أيضا على هذا الفعل بلا تردد؟ وفضلًا عن الإمام سيكون هناك السيد الكلبايكاني والسيد النجفي، سوف يأتيان حتماً) [1]

بعد هذا أعلن موافقته، وقال: (حسناً جداً، اذهب وقل للإمام، وانظر هل هو مستعد لهذا الأمر أو لا؟ إذا كان مستعداً، أقدِمْ أنت على هذا العمل) [2]

فذهب الفلسفي للمرة الثالثة للإمام الخميني، وقال: (لقد وافق السيد شريعتمداري على هذا الوعد الذي وعدتهُ وقلت إني سأرتقي المنبر وأتكلم بما يشاء. لكنه قلق من أنك لن توافق على هذا الأمر، فهل أنت موافق؟)، فقال الإمام الخميني: (نعم، إن الثورة الإسلامية وحفظ عزة الإسلام وتقصير يد الأجانب، مهم بالنسبة لي إلى درجة أني أوافق على هذه الفكرة وأشارك في المجلس، وآتي وأجلس هناك، وتكلم أنت على المنبر ما يريده هو وما تراه أنت صالحاً) [3]

وذهب الفلسفي للمرة الثالثة إلى بيت السيد شريعتمداري وأخبره بموافقة الإمام، وقال: (حسناً، تقرر أن تكتب نصاً هذه الليلة، ونأتي غداً لنرى إن كانت فيه نواقص حتى نكمله، ثم نأخذه للإمام، فإذا وافق عليه نوقع عليه ثم ينعقد المجلس)، فقال السيد شريعتمداري: (نعم، لا بأس، أوافق، ولكن بشرط. يجب عليَّ الليلة أن أشاور بعض أصدقائي، ولا أقطع عهداً أكيداً لكم من دون مشورة. لتكن الليلة بالنسبة لي ليلة تشاور. أنا أكتب النص، فإذا وافقتِ المشورةُ وأضيفت خصوصيات، حينئذ تعال هنا غداً صباحاً حتى نكمّله) [4]

1() المرجع السابق، ج11، ص: 152.

2() المرجع السابق، ج11، ص: 152.

3() المرجع السابق، ج11، ص: 152.

4() المرجع السابق، ج11، ص: 152.

لكن المفاجأة التي حصلت للفلسفي هو أنه في صباح اليوم التالي حينما ذهب إليه قال له: (لم يوافق أصدقائي، وقالوا سوف تنهار سمعة الكثيرين في قم وأذربيجان، وتوجه إليك ضربة قاصمة، يجب أن لا تفكر في هذا الأمر أصلًا! وعليه لن أكتب ذلك النص) [1]

وهذا يدل على ما يذكره الإمام الخميني كثيرا من أن العلم وحده لا يكفي، ما لم يكن معه رياضة روحية تجعل صاحبه مستعدا في كل لحظة للتضحية بكل شيء في سبيل الحق الذي يؤمن به، وتجعله في نفسه الوقت يدور مع الحق حيث دار.

وعند مقارنة ذلك الموقف من السيد شريعتمداري مع موقف الإمام الخميني بعد الأزمة التي صنعها ذلك الحزب، والفتنة التي أحدثها، نجد الفرق الكبير، فقد جاء في نداء للإمام الخميني بتاريخ 16 محرم 1400 هـ قال فيه مخاطبا الشعب الإيراني: (إنكم تعلمون أن أصحاب النوايا السيئة للإسلام والبلاد حاكوا المؤامرات على طول الخط، وقد كانت الهزيمة من نصيبهم والحمد لله. في هذه المرة كانت الهزيمة الفاضحة من نصيبهم في استفتاء الدستور، أصابهم الذعر بشدة، وشرعوا مؤامراتهم بالهراوات والسياط، فأثاروا البلبلة وسيثيرونها بذرائع وباستغلال طيبة الناس. إننا في هذا الظرف إذ نواجه عدواً مثل أمريكا وأذنابها، فإن لبقايا النظام السابق وأنصاره وعملاء أمريكا يداً في هذه الأمور لا تدع الاستقرار يستتب في هذه البلاد، لذلك أحذركم أيها الشعب الواعي من كلّ بلبلة وتوتر اليوم فهو ينافي مصالح الإسلام والبلاد ويعد امتثالا لإرادة أعداء الإسلام)[2]

ثم نصحهم قائلا: (إنني أؤكد عليكم أيها الأصدقاء أن لا تتعرضوا لأي أحد يمزق صورتي أو يحرقها أو يسبني ويهينني. إنهم يريدون اليوم خلق الاضطرابات والاشتباكات فيما بينكم. عليكم أن تتجاوزوهم بمنتهى البرود والهدوء فالتعرض لهم والمقابلة

[1] () المرجع السابق، ج11، ص: 152.

[2] () المرجع السابق، ج11، ص: 153.

بالمثل خلاف رضى الله ومن كبائر المحرمات الشرعية) [1]

3. التحذير من دعاة التغريب والحداثة:

وهذا الصنف لا يقل عن الأصناف السابقة خطـورة، ذلـك أنـه من أسهل الأدوات الـتي يسـتخدمها المسـتكبرون لحـرب الإسـلام والقيم التي جاء بها..

ولذلك نرى التحـذير الشـديد من قـادة الثـورة الإسـلامية من تمكين هـذا الصـنف من مفاصـل الدولـة، حـتى لا تصـبح لعبـة بيـد الاستكبار العالمي يحركها كيف يشاء.

بل إنهم يوصون بمراعاة هذه الناحية في جميع المؤسســات، حتى لا يصبح للاغتراب أي محل يمكنه التأثير من خلاله.

وقد ورد في الوصية الإلهية للإمام الخميني اهتماما كبيرا بهذا الصنف، والتحذير من كل مخططاته الراميـة إلى وضـع إيـران في أحضـــان المســـتكبرين، يقـــول الإمـــام الخميـــني: (من جملـــة المخططات الـتي تـركت ــ وللأسـف ــ أثرهـا الكبـير في مختلـف البلدان وفي بلدنا العزيز ـ والتي ما زالت بعض آثارها باقية بنسب كبيرة ـ هي جعـل الـدول المسـتعمرة تعيش حالـة فقـدان الهويـة والانبهار بالغرب والشرق، والى درجة تجعـل هـذه البلـدان تحتقـر ماضـيها وثقافاتهـا وقـدراتها وتعتـبر الغـرب والشـرق القطـبين المقتدرين والعنصرين المتفوقين أولي الثقافة الأسمى وأنهما قبلة العالم، وتجعل من الارتباط بأحدهما أمراً مفروضاً لا يمكن الفــرار منــه. والحــديث حــول هــذه المــؤامرات حــديث محــزن وطويــل والضربات التي تلقيناها ـ ومازلنـا ــ من هـؤلاء المسـتكبرين قاتلـة ومدمرة) [2]

ثم ذكر من المخططات التي يسعى لها هـذا الصـنف تحويـل البلاد التي ينتشر فيهـا إلى مجـرد سـوق للسـلع الغربيـة بمختلـف أنواعها الغذائية والثقافية والفنيـة، يقـول: (والأشـد إيلامـاً من كـل ذلك هو حرص أولئك على إبقاء الشـعوب المظلومـة المسـتعمرة

[1] المرجع السابق، ج11، ص: 153.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 371.

متخلفة في كل شيء وجعل دولهم دولاً استهلاكية، فقد أذعرونا من تقدمهم ومن قدراتهم الشيطانية إلى حد سلبنا الجرأة على المبادرة بالقيام بأي إبداع ودفعنا للتسليم لهم في كل الأمور وتفويضهم مصائرنا والانصياع لأوامرهم انصياعاً أعمى وأصم. وهذا الخواء والفراغ العقلي المفتعل جعلنا لا نعتمد على فكرنا وإبداعنا في أي أمر ونقلد الشرق والغرب تقليداً أعمى، بل إن الأمر بلغ حداً جعل الكتّاب والخطباء الجهلة المأسورين للغرب أو الشرق يتناولون بالانتقاد والسخرية ويدمرون كل ما لدينا من الثقافة والأدب والصناعة والأبداع للقضاء على فكرنا وإمكاناتنا الذاتية وزرع اليأس والقنوط لدينا، مروجين ــ بدلاً من ذلك ــ للعادات والتقاليد الأجنبية ـ رغم انحطاطها وابتذالها ـ وذلك بالقول والكتابة والسلوك العلمي. فقد مارسوا نشر ذلك بين الشعوب بامتداحه والثناء عليه) [1]

ثم ذكر ـ بتهكم وسخرية ــ الكثير من الأمثلة الواقعية على تلك المبالغات المرتبطة بكل شيء يأتي من الغرب، أو له علاقة به، يقول: (على سبيل المثال، فانهم يستقبلون أي كتاب أو مقالة أو خطاب إذا انطوى على بضعة مفردات أجنبية بالإعجاب دون النظر في محتواه، ويعتبرون الخطيب أو الكاتب عالماً ومثقفاً.. ولو القينا نظرة على جميع أمورنا من أبسطها حتى أعقدها لوجدنا إن كل ما أطلق عليه اسم غربي أو شرقي فهو مرغوب ومطلوب ويعدُّ من مظاهر التمدن، في حين انه إذا سمّي باسم داخلي أو محلي صار مرفوضاً وقديماً ومتخلفاً. فأطفالنا يصبحون مورداً للفخر والعزة بأسمائهم الغربية، في حين عليهم أن يخجلوا ويوسموا بالتخلف إذا كانت أسماؤهم محلية.. الشوارع، الأزقة، المحلات، الشركات، الصيدليات، المكتبات العامة، الأقمشة وسائر البضائع لابد وأن تحمل أسماءً أجنبية حتى تنال رضى الناس وإقبالهم، حتى وان كانت محلية ومصنوعة في الداخل، فالتفرنج من قمة الرأس إلى أخمص القدمين وفي جميع المجالات من جلوس وقيام وعلاقات اجتماعية مدعاة للفخر والاعتزاز ودليل على الرقي والتمدن، في حين إن العادات والتقاليد المحلية، رجعية وتخلف.. عند الابتلاء بمرض أو الإصابة بوعكة صحية، وان

---

[1] () المرجع السابق، ج 21، ص: 371.

كانت بسيطة ومما يمكن علاجه في الداخل، لابد وأن تدفع صاحبها للسفر إلى الخارج وإشعار أطبائنا وعلمائنا بالإحباط والخذلان.. الذهاب إلى إنجلترا وفرنسا وأمريكا وموسكو مفخرة عظيمة في حين أن الذهاب إلى الحج وسائر الأماكن المباركة رجعية وتخلف، وعدم احترام كل ما يمتّ إلى الدين والمعنويات بصلة من علائم التقدمية والتمدن والالتزام بها من علائم التخلف والرجعية) [1]

وبناء على هذا يدعو إلى توفير كل ما يحتاجه الشعب محليا، بحيث لا يضطر إلى استعمال أي شيء يأتي من الغرب، وهو ما يطلق عليه الإمام الخامنئي [الاقتصاد المقاوم]، يقول الإمام الخميني: (وهنا أوصي الشعب العزيز بتواضع وإخلاص بأن ينهض ـ وبإرادة صلبة وبفعالية ومثابرة على العمل ـ في سبيل رفع أنواع التبعية، فأنتم ترون كيف تم التخلص ـ والى مدى بعيد ــ من كثير من هذه المصائد، وكيف أن الجيل الحاضر المحروم قد هبّ للعمل والإبداع، فاستطاع تشغيل وإدارة الكثير من المصانع والأجهزة المتطورة كالطائرات وغيرها مما لم يكن متصوراً قدرة المتخصصين الإيرانيين على تشغيلها، ومما كان يدفعنا إلى مد أيدينا إلى الشرق أو الغرب للاستعانة بخبرائهم. كذلك ونتيجة للحصار الاقتصادي والحرب المفروضة رأينا كيف تمكن أبناؤنا من تصنيع قطع الغيار اللازمة وعرضها بأسعار زهيدة مما ساهم في سد الحاجة المحلية وأثبت قدرتنا على أي عمل بمجرد إرادته) [2]

وهكذا نراه يشيد كل حين بقدرات إيران وغيرها من البلاد الإسلامية، على تجاوز كل العقبات من غير حاجة للغرب، ولا لغيره، يقول: (لذا عليكم أن تكونوا يقظين واعين حذرين من ممتهني السياسة من عملاء الغرب والشرق خشية أن تؤدي وسوساتهم الشيطانية لدفعكم نحو الناهبين الدوليين. ولتعلموا بأن الإيرانيين والعرب، لا يقلون كفاءة عن الأوربيين والأمريكان والسوفييت، فإنهم إن استطاعوا العثور على هويتهم وتخلصوا من شعور اليأس واعتمدوا على أنفسهم فقط، فإنهم قادرون على

[1] صحيفة الإمام، ج 21، ص: 372.

[2] صحيفة الإمام، ج 21، ص: 372.

القيام بأي عمل، وعلى صناعة ما يشاؤون، وما تمكن أولئك من تحقيقه فإنكم قادرون على تحقيقه شريطة الاتكال على الله، والاعتماد على النفس والتخلص من قيود التبعية للغير وتحمل الصعوبات من أجل بلوغ الحياة الشريفة والخروج من تحت سلطة الأجانب) [1]

وبناء على هذا دعا كل المسؤولين للاهتمام بالطاقات وتشجيعها حتى توفر البدائل التي تغني عن السلع الأجنبية، يقول: (على الحكومة والمسؤولين ــ سواء في الجيل الحاضر أم في الأجيال القادمة ـ أن يقدروا متخصصيهم ويشجعوهم على مواصلة العمل، وذلك بالبذل المادي والمعنوي وأن يحولوا دون استيراد السلع الاستهلاكية المدمرة ويتكيفوا بالموجود عندهم إلى أن يتمكنوا من صنع كل ما يحتاجونه بأنفسهم. كما وأطلب من الشبّان ـ فتية وفتيات ــ أن لا يضحوا ــ وان تطلب الأمر تحمل المشقة والعناء ـ بالاستقلال والحرية والقيم الإنسانية في سبيل السلع الكمالية والاختلاط وأنواع التحلل وفي سبيل الحضور في مراكز الفحشاء التي يقيّضها لهم الغرب وعملاؤه الخونة، فقد ثبت أن أولئك لا يفكرون بغير إفسادكم وإغفالكم عن مصير بلدكم لنهب ثرواتكم وجركم بقيد الاستعمار وعار التبعية، وجعل شعبكم وبلدكم مستهلكين فقط. فهم يريدون بتلك الأساليب وأمثالها إبقاءكم متخلفين ونصف متوحشين ـ على حد تعبيرهم) [2]

4. التحذير من أدوات الحرب الناعمة:

من مظاهر قدرة قادة الثورة الإسلامية على استشراف الأحداث وتهيئة النفس والمجتمع لها قبل وقوعها، الموقف من الحرب الناعمة، والتي استطاعت أن تخترق الكثير من الدول العربية، وتمزقها، وتحدث الفتن الكثيرة فيها، بينما لم تستطع أن تفعل شيئا لإيران، مع كونها المستهدف الأول منها.

وسر ذلك يعود إلى ما ذكرناه من عدم اغترار أولئك القادة بالنصر المحقق، بل هم يحذرون كل حين من محاولات الاختراق،

---

[1] المرجع السابق، ج 21، ص: 373.

[2] المرجع السابق، ج 21، ص: 374.

ليقينهم بأن الاستكبار العالمي، لن يسكت عن إقامة دولة إسلامية بنموذجها الأخلاقي الرفيع، ذلك أن مثل هذه الدولة ستهدد وجوده، ووجود القيم التي يحملها.

ولعل أكبر من اهتم بهذه الحرب، وحـذر منهـا، وبين أسـاليبها وأدواتها الإمام الخـامنئي، كمـا ذكرنـا ذلـك سـابقا، حيث يعـد (من أكثر الشخصـيات الإسـلامية والعالميـة الـتي اسـتخدمت مصـطلح [الحـــرب الناعمـــة] في الآونـــة الأخـــيرة، محـــذرا من الوقـــوع في شراكها، ومنبها من أفخاها، ومبينا سبل مواجهتها، بمـا لا يقـل عن خمسـة عشـر خطابـا في خمس عشـر مناسـبة منـذ الانتخابـات الرئاسية التي جرت في ايران في العام 2009 وحتى تاريخ زيـارة سماحته إلى مقر وزارة الاسـتخبارات الإيرانيـة في العـام 2011، وفي كل هذه الخطابات حـدد وشـخّص سـماحته الحـرب الناعمـة كمصـدر تهديـد رئيسـي للنظـام الإسـلامي في إيـران وللصـحوة الإسـلامية في المنطقـة، معتـبرا أن هـذه الحـرب أصـبحت الأمـل الأخير للأعداء لمواجهـة نمـو وتقـدم النظـام الإسـلامي في إيـران والصحوة الإسلامية في المنطقة، ومؤكـدا بعبـارة ذهبيـة (إن هـذه الحرب ستستمر حتى يصل العدو إلى اليأس ويصل مسـتوى أملـه بالفوز إلى درجة قريبة من الصفر)[1]

وقـد أحصـى مركـز قيم للدراسـات في كتابـه [رؤيـة الإمـام الخـامنئي في مواجهـة الحـرب الناعمـة] (مـا لا يقـل عن أربعين خطابا لقادة بارزين في النظام الإسلامي في إيران حـول التحـذير من خطـورة الحـرب الناعمـة ابتـداء بـرئيس الجمهوريـة ووزيـر الخارجية السابق وقادة الحرس الثـوري الإسـلامي وبعض الـوزراء وبعض المرجعيات الدينيـة في قم المقدسـة، مـا دل على الأهميـة التي يوليها قادة الجمهورية الإسلامية لأبعاد هذه الحرب)[2]

ونحب قبل أن نـبين التحضـيرات الـتي قـام بهـا قـادة الثـورة الإسلامية ومسؤولوها لمواجهة هذا النوع من الحرب أن نذكر أنهـا

1() انظـر: كتـاب: رؤيـة الإمـام الخـامنئي في مواجهـة الحـرب الناعمـة، مركـز قيم للدراسات، شبكة المعارف الإسلامية، وقد استفدنا الكثير منه في هذا المطلب.

2() المرجع السابق.

الوسيلة المعتمدة الآن لكل معسكر الاستكبار العالمي، ابتداء من الكيان الصهيوني، كما عبر عن ذلك الباحث في مركز دراسات الأمن القومي الصهيوني ميخائيل ميلشتاين، فقال: (إن تفوق إسرائيل يحتاج إلى معركة صبورة استنزافية مديدة السنين لا ترتكز فقط على كسر القوة العسكرية لقوى المقاومة وإنما تسعى أيضا لتقويض المراكز التي تتبلور فيها الأفكار ومنها تنغرس في وعي الجمهور. وفي هذا الإطار يبرز على وجه الخصوص دور أجهزة الإعلام والتعليم والمراكز الدينية في بيئة المقاومة ويبدو أنه فقط بعد أن نحدث التغيير الجوهري والطويل الأجل في أنماط عمل هذه المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والمساجد والمؤسسات الدينية يمكن أن نلغي فكرة المقاومة من الوعي أو نهزمها)[1]

وقد تأكد هذا الاهتمام بهذا النوع من الحرب منذ العام 2008 بعد فشل القوى العسكرية الصلبة لأمريكا في أفغانستان والعراق وصدور توصيات لجنة بيكر هاملتون لتعديل الخطة الأمريكية للمنطقة للحد من الكلفة العسكرية والبشرية والمالية للحروب.

وتدل الكثير من المقالات التي كتبها المنظرون لهذا النوع من الحرب على أن المستهدف الأول منها هو إيران، ذلك أنهم وضعوا ـ كما يذكر جوزيف ناي، نائب سابق لوزير الدفاع الأمريكي وجيمس غلاسمان، مدير مركز جورج بوش الابن للدراسات، وغيرهما ــ أن السيناريوهات الموضوعة أمام القيادة الأمريكية للتعامل مع النظام في إيران تنحصر في أربعة احتمالات هي [2]:

1ـ المواجهة العسكرية، وهي مكلفة جدا بسبب جغرافية وتضاريس إيران وإمكاناتها.

2ــ التسوية السياسية، وهو غير مرغوب فيه من أمريكا والغرب وإسرائيل.

1() مقالة للباحث الإسرائيلي في مركز دراسات الأمن القومي الإسرائيلي ميخائيل ميلشتاين تحت عنوان: صعود تحدي المقاومة وأثرها على نظرية الأمن القومي الإسرائيلي، جريدة السفير اللبنانية العدد 11495 الصادرة بتاريخ 18/1/2010

2() مقالة منشورة في صحيفة وول ستريت جورنال 21 يناير 2010 على صفحات موقع عراق المستقبل وهو موقع ذو توجه أمريكي بريطاني.

3ـ الحرب الناعمة بهدف تغيير النظـام الإيـراني، وهـذا الـذي رجحه أغلب المنظرين.

4ـ ترك إيـران تتقـدم في هـذه المنطقـة المهمـة من العـالم وهذا الأمر مستحيل.

وبنـاء على هـذا اقـترح هـؤلاء المنظـرون لإسـقاط النظـام الإيراني، أو تغيير شخصية قيادته، مجموعة حلول منها(1):

1ـ تعليم وتدريب كوادر الثـورة المضـادة وتزويـدهم بالأفكـار والتجارب العالمية كتلك التي حصلت في أوروبا الشرقية وجورجيا وأوكرانيا بما يساعدها على النجاح، وينبغي أن يسند الدور الرئيس في هذه المهمة إلى فريق ثالث، لا إلى أمريكا.

2ـ فرض عقوبات لشلّ الاقتصـاد الإيـراني وربـط العلاقـة مـا بين [عدوانية النظام وشعاراته وبين علـل الاقتصـاد الإيـراني]، أي دفع الناس للاعتقاد بأن سبب المشاكل المعيشية والاقتصادية هي أفكـار وشـعارات النظـام الإسـلامي في إيـران وليس العقوبـات الدولية.

3ـ بذل كل الجهود لزيادة التواصل المفتوح بين الـرأي العـام الإيراني والعالم.

4ـ شن حملات إعلامية لدحض الأفكـار الـتي يروجهـا النظـام الإسـلامي في إيـران حـول جـدوى العـداء للغـرب وعـدم أهميـة البرنـامج النـووي للشـعب الإيـراني من النـواحي الاقتصـادية والتكنولوجية والسياسية وغيرها، أي يجب ضرب شـعارات الثـورة وتجويفها وإثبات فشلها.

هذا وصف تقريبي للحرب الجديدة المعلنة على إيران، والتي لا تزال تمارس عليها بأسماء مختلفة، وبما أن غرضنا ليس التأريخ لما يحصل، وإنما التعرف على كيفية تعامل قادة الثورة الإسـلامية مع كل الظروف والمستجدات، وعلاجهـا بمـا تتطلبـه من أسـاليب ووسـائل، فلـذلك نكتفي هنـا بـذكر مـا وضـع من حلـول من خلال كلمات الإمام الخامنئي باعتباره مرشد الثـورة وحاميهـا بعـد وفـاة

1() المرجع السابق.

الإمام الخميني.

وبالعودة إلى المصدر السابق، وهو تلك الدراسة القيمة الـتي بينت أسـبقية الإمـام الخـامنئي في التعريـف بـالحرب الناعمـة وأساليبها، نجدها ذكرت عند حديثها عن [بنـود رؤيـة ومنهج الإمـام الخامنئي لمواجهة الحـرب الناعمـة] (اثـني عشـر عنوانـا ومحـورا تشـكل بمجموعهـا الرؤيـة الاسـتراتيجية الـتي شـيدها سـماحته لمواجهة الحرب الناعمة، كما تصلح أيضا كعنوان عام لرؤية ومنهج سـماحته في مواجهـة الحـرب النفسـية والثقافيـة والفكريـة والإعلامية) [1]

وهذه العناوين هي:

1ـ الاقتنـاع والإيمـان الحقيقي بأصـل وقـوع الحـرب الناعمـة وديمومتها.

2ـ الفهم الصحيح لطبيعة الحرب الناعمة وآليات عملها.

3ـ الوحدة والانسجام.

4ـ البصيرة في تشخيص القضايا والأحداث.

5ـ الحضور في الساحة ومواصلة البرامج وحسم المواقف.

6ـ معرفة أهداف الحرب الناعمة وإحباطها.

7ــ رصـد مواقـف وحركـة العـدو وسـد مـواطن الضـعف في جبهتنا.

8ـ تنمية الإعلام الإسلامي وصناعة النموذج البديل للنمـوذج الأمريكي والغربي.

9ـ دور أساتذة وطلاب الجامعات كقادة وضـباط في مواجهـة الحرب الناعمة.

10ــ هندسـة وتأصـيل وعصـرنة منـاهج العلـوم الجامعيـة

1() رؤية الإمام الخـامنئي في مواجهـة الحـرب الناعمـة، مركـز قيم للدراسـات، شـبكة المعارف الإسلامية.

والحوزوية.

11ـ الجهاد الاقتصادي بأبعاده الثلاثة التنمية والعدالة وترشـيد الاستهلاك.

12ــ الاعتقـاد أن الشـيطان هـو أول من اسـتعمل أسـلوب الحرب الناعمة.

هذه هي البنود الاثـني عشـر الـتي يمكن اسـتنتاجها من خلال كلمات الإمام الخامنئي، والمرتبطة بالحرب الناعمـة، وقـد اكتفينـا بالعنـاوين، ومن شـاء أن يرجـع لنصـوص الخطب فيمكنـه العـودة لخطب الإمام الخامنئي مباشرة، أو للدراسة التي صـنفت مـا ورد في تلـك الخطب من الحلـول، بالإضـافة إلى تأكيـدها بمـا ورد في الدراسات الغربية التي تحدثت عن هذا النوع من الحروب.

ثانيــا ـــ الجــانب المؤسســاتي ودوره في الحفاظ على قيم الثورة:

ميزة الثورة الإسلامية التي ضمنت لها الاسـتمرار التصـاعدي طيلة هذه الفترة كونها دولة مؤسسـات، لا دولـة أفـراد، وهـذا مـا حرص عليه الإمام الخميني بطبيعته الزاهـدة المتواضـعة الممتلئـة بالعبودية، والتي جعلته لا يلتفت لنفسـه وأسـرته وأولاده، ليـوليهم المناصب، وإنما كان كل التفاته لبلده، ليخلصها من استبداد الفــرد والأسرة، ويضعها في ضمانة المؤسسـات المحترمـة الـتي يـديرها من تتوفر فيهم شروط الكفاءة والنـزاهة.

وقد أشار إلى هذا الجانب المهم في حفظ الثـورة الإسـلامية من كل أعدائها المتربصين بها الإمام الخامنئي، في خطاب له ذكر فيـه [مسـتلزمات النهضـة والحركـة الجديـدة]، ومن بينهـا [بنـاء المؤسسات]، وعبر عن ذلك بقوله: (كذلك في بنـاء المؤسسـات، عندما تقوم ثورة ما وحركة ما، ينبغي إيجاد الأجهزة الخاصـة الـتي تُنفذ مطالبها، والأهداف التي تسعى لتحقيقها)[1]

ثم ذكر أن ذلك العمل يتمثـل في (إيجـاد تحـوّل في الأجهـزة الموجودة في المجتمع، والعمل الآخر هو إيجاد الأجهزة المتناسـبة

[1] () خطابات الخامنئي 2011، ص467.

مع أهداف هذه الحركة، وكلا الأمرين صعب، كلاهما من الأعمال الشاقة، وقد قامت الثورة الإسلامية بهذين الأمرين) (1)

ثم ضرب مثالا على ذلك بما قامت به الثورة الإسلامية في المجال العسكري، حيث (تحول الجيش، الذي كان قد تأسس وأُعدّ على ثقافة أخرى وعقيدة مختلفة وبيد أشخاص آخرين، إلى جيش ثوري وجيش مؤمن ملتزم، تغيرت بناه وأساليبه أيضاً، وكذلك تغيرت شعاراته، هناك تحول فيه. وإلى جانبه، نمت مؤسسة جديدة ومن الثورة نفسها، وهي [حرس الثورة الإسلامية]، حيث إنّه إن لم يتمّ الأمر الثاني (إيجاد الحرس الثوري) لما أمكن تحقق الأمر الأول (تحول الجيش) (2)

ثم بين دور الإمام الخميني في إنقاذ الثورة الإسلامية عبر اهتمامه بإنشاء هذه المؤسسات، يقول: (هذه فنون الثورة والتي كان الإمام العظيم مظهر تحقيق هذه الفنون والفهم الدقيق لحاجة المجتمع ومتطلبات المستقبل، وقد أنجز هذه الأعمال بكل اقتدار وحزم ومثابرة) (3)

ويذكر مثالا على ذلك بقوات التعبئة، والتي كان الخطاب موجها لها، حيث قال: (كانت حركة التعبئة العظيمة هذه، وهي الخطوة التي قام الإمام بتنظيمها حيث أنشأ التعبئة وطرح فكرة جيش العشرين مليون، واحدة من الأعمال الإعجازية للثورة والتي قام بها الإمام.. لقد قلتُ في ذلك اليوم، عندما ينشأ نظام وبلد وشعب يحمل هذه الأهداف السامية والتي تبدو في الظاهر صعبة المنال ـ مواجهة الظلم العالمي، ومواجهة سلطة القوى العالمية، ومواجهة نظام السلطة، ومكافحة كل من الاستضعاف والاستكبار- فلا شك أنّ هناك أعداءً متجبّرين وكباراً وقوى كبرى ستنزل إلى الساحة لمواجهة هذا النظام، لذلك فإنّ عليه أن يعدّ نفسه بالشكل اللازم. وقد كانت مسألة التعبئة واحدة من أركان هذا الاستعداد، وقد قال الإمام ما مضمونه: عندما يوجد عشرون

(1) المرجع السابق، ص467.

(2) المرجع السابق، ص467.

(3) المرجع السابق، ص468.

مليون إنسان مستعدون لحمل السلاح والقتال في مجتمع ما، فلن تستطيع أي قوة في العالم أن تنظر له بعين الطمـع، لأنّهـا تعـرف أنّ أي تعرض لهذا المجتمع سيكلّفها الكثير من الخسائر) (1)

ثم أشار إلى أن الثورة الإسلامية ليست ثـورة سـاكنة، وإنمـا هي ثـورة تتطـور كـل حين، فالحفـاظ على الثـورة كمـا يسـتدعي الحفـاظ على مبادئهـا، يسـتدعي أيضـا ضـرورة تطورهـا بحسـب الظروف المستجدة، يقول: (طرح الإمـام فكـرة [جيش العشـرين مليوناً]، عشرون مليون في الوقت الذي كان عدد السـكان أربعين مليونـاً تقريبـاً، ثم طرحنـا نحن فكـرة [جيش عشـرات الملايين] وحقيقـة الأمـر هي كـذلك، بـالطبع لا يعـني هـذا أن يصـبح الجميـع عسكريين في المجتمع، ويحملون البنادق بأيديهم، بل المقصود أن يسـتعد الجميـع للـدفاع والمواجهـة. فـالمجتمع الـذي يكـون جميـع أفـراده مسـتعدين للمواجهـة لا يمكن لأحـد أن يهزمـه أبـداً، فكـل مؤامرة تجري على هكذا شعب، لن تحصد سوى الخيبة والفشـل. لقد ابتكر الإمام هكذا فكرة) (2)

ثم بين أن التطـور الـذي يمس هـذه المؤسسـة كغيرهـا من المؤسسـات لا يرتبـط فقـط بعـدد المنتمين إليهـا، وإنمـا بأدوارهـا وأساليبها ووسائلها، يقول: (وبالطبع فإنّ التعبئة التي تأسست في العام 1980 كانت تلبّي حاجات تلك الفترة الزمنية. كانت هذه هي الحاجة. واليوم فإنّ التعبئة تلبّي نوعاً آخر من الحاجـات. المسـائل المطروحة اليوم لم تكن مطروحة حينهـا. إنّ التعبئـة رائـدة حاليـاً في مجالات العلم والابتكار والإبداع)(3)

ثم رد على أولئـك الـذين يتوهمـون أن في تطـوير وظـائف المؤسسات إزالة لها، فقال: (لقد كان هـذا فن الإمـام أيضـاً. لقـد طلب الإمـام في ذلـك البيـان الـذي كتبـه في شـهر كـانون الأول 1988 ـ أي في أواخـر عمـره، حـوالي عشـر سـنوات بعـد البيـان الأول ـ من طلاب الجامعات وطلاب الحوزة العلميـة، أن يؤسّسـوا

1() المرجع السابق، ص468.

2() المرجع السابق، ص468.

3() المرجع السابق، ص469.

تعبئة، تعبئة الجامعيين وتعبئة العلوم الدينيـة.. وهـذا يشـير إلى أنّ الحاجـات الـتي يلـزم أن تشـملها روح التعبئـة، تتعلـق بجميـع المجالات، ومن جملتها المجالات ذات النطاق الحوزوي والجامعي. واليوم فإنّ الحوزة العلمية تشهد وجود فضلاء تعبويين وعلماء كبار تعبـويين، من الـذين يفتخـرون بكـونهم تعبـويين. لقـد كـان الإمـام يفتخر أيضاً. كان يقول الإمام ــ وبعظمتـه تلـك ــ إنّ افتخـاري هـو أنني تعبوي. والأمـر كـذلك في الجامعـة، حيث يعتـبر وجـود تعبئـة الطلاب وتعبئة الأساتذة ظاهرة رائدة ومتقدّمة) [1]

ثم بين ضرورة توجه مؤسسة التعبئة لتطوير العلـوم، فقـال: (إنّ لدينا اليوم مسائل في جميع المجالات، لم تكن عندنا في تلـك الأيام، حيث لم يكن هذا التطوّر العلمي. في أوائل الثورة، كان همّ وغمّ النظـام والتعبئـة والحـرس وجميـع مسـؤولي البلاد والثـورة المحافظة على هذا المولود الجديد، هذه النبتة التي خرجت حـديثاً من تـراب هـذه البلاد، وعـدم السـماح باقتلاعهـا وإتلافهـا. هنـا في غرب البلاد وفي المنطقـة الجنوبيـة الشـرقية، وكـذا في الشـمال الشـرقي وفي الجنـوب الغـربي للبلاد وفي منـاطق متعـددة، قـام المسـتكبرون وأعـداء الثـورة والإسـلام وإيـران بافتعـال الحـوادث والمشاكل. في تلكم الأيـام، نــزل الشـباب المـؤمن والمحب إلى الميدان بعنفوان الروح التعبوية وضحّى بنفسـه في هـذا السـبيل.. بعد شهر واحد من انتصار الثورة، كنا نشهد هذه الحركات الشعبية العفويـة، هـؤلاء الشـباب كـانوا ينطلقـون من هنـا من كرمانشـاه. وهذه هي التعبئة. التعبئة حركة منبعثة من الإيمان والعشق والثقـة بالنفس بالترافق مع الابتكار) [2]

ثم دعـا إلى عـدم الاكتفـاء بتطـوير مؤسسـة التعبئـة، وإنمـا بتطـوير كـل شـيء، يقـول: (ينبغي الابتكـار في جميـع المجـالات. عنـدما كنتُ أنظـر الآن إلى هـذه الرياضـة التراثيـة، كـانت الحلبـة مفعمة بالابتكار. حسناً، طالما شاهدنا حلبات الرياضة التراثية منـذ أيام الشباب، بشـكل دائم وفي كـل مكـان، وكـان الأسـلوب ثابتـاً ومتكرراً دائماً، وفي جميع الأنحاء. لم يكن سيئاً، وكان جيـداً، ولكن

---

[1] () المرجع السابق، ص469.

[2] () المرجع السابق، ص470.

لم يكن فيه كل هذا الإبداع. وها أنا اليـوم، أشـاهد هـؤلاء الشـباب وقد أتقنوا تلك الأصول الرياضية القديمة، وزينوها بـأنواع وأقسـام الابتكارات والحركات الجميلة والدقيقة، فأخرجوا عملاً جميلاً، هـذا هو الابتكار. هذا في مجال الرياضة التراثية، إنّ هذا الابتكـار ممكن في جميع المجالات، في كيفية القيادة، في نـوع الحـرب، في نـوع الوسائل العسكرية ونوع التنظيم)[1]

ثم بين أن هـذا التطـور في المؤسسـات لا ينبغي أن يختص بالمؤسسـات العسـكرية فقـط، وإنمـا ينبغي أن يشـمل أيضـا المؤسسات الأخـرى حـتى المؤسسـات السياسـية، يقـول: (لـدينا الابتكـار في نـوع الدبلوماسـية.. إنّ المجـال الدبلوماسـي الواسـع مليء بأنواع الشيطنة، أنتم ترون ما يحصـل، وبـالطبع نحن نشـكر الله الذي جعل أعداءنا من الذين لا يفهمـون مـا ينبغي أن يفعلـوا، يضـعون الخطـط مـراراً ويخطئـون تكـراراً، فتغـرق أقـدامهم في الوحل أكثر فأكثر، ولا يأخذون العبر فيكرّرون الخطـأ نفسـه، مثـل كلامهم الـذي يبثونـه في الإعلام وفي تصـريحاتهم والأعمـال الـتي يقومون بها. والمجال الدبلوماسي هو هكذا، الذكاء ضـروري فيـه، الابتكار مطلوب، التعامل الإبداعي مطلـوب، كـل هـذا ينطلـق من الروح الثورية التي نعبّر عنها بروح التعبئـة وروح الشـباب المبتكـر والرائد الواثق بنفسه) [2]

ثم دعـا إلى فعـل نفس الشـيء في المجـال الاقتصـادي والعلمي وغيرهما، فقال: (والأمر كـذلك في الاقتصـاد أيضـاً. وكـذا في الأنشطة الإنتاجية وفي مجـال التقـدم العلمي والبحـثي أيضـاً؛ وعليه فإنّ الإطار الذي نطلق عليه اسـم التعبئـة والـروح التعبويـة التي نبثّها فيـه، ليس إطـاراً محـدوداً، ليس إطـاراً عسـكرياً فقـط. يمكن لكل أقسام وفئـات البلـد أن تتحلى بـالروح التعبويـة. التعلم التعبوي، جمع الثروة بشكل تعبوي، الدبلوماسـية التعبويـة، العمـل السياسـي التعبـوي، الإدارة التعبويـة، التنظيم التعبـوي. يشـمل مفهـوم التعبئـة كـل هـذه المجـالات، وهـو يعـني التجـدد والابتكـار

---

[1] () المرجع السابق، ص469.

[2] () المرجع السابق، ص470.

والإخلاص) [1]

وما ذكره الإمام الخـامنئي عن أهميـة المؤسسـات وضـرورة تطويرها، هو نفسه الذي دعا إليـه الإمـام الخميـني كثـيرا، ولـذلك كان يلتقي بأفرادها ومسؤوليها كل حين ويبثها وصـاياه وتوجيهاتـه، غير مكتف بالتوجيهات العامة التي يلقيها على عامة الشعب.

وهو في توجيهاته جميعـا يحـرص على ضـرورة الحفـاظ على القيم الإسلامية باعتبارها صمام أمان الثـورة، وممـا ورد في بعض وصـاياه قولـه: (وصـيتي إلى مجلس الشـورى الإسـلامي ورئيس الجمهوريـة ومجلس صـيانة الدسـتور والقضـاء وجميـع مؤسسـات الدولة في هذه اللحظـة وفي المسـتقبل، أن لا يسـمحوا لوسـائل الإعلام بالانحراف عن الإسـلام ومصـالح البلاد. وعليكم أن تعلمـوا أن الحرية بشكلها الغربي الـذي يعـني القضـاء على زهـرة فتياننـا وفتياتنا مرفوضة من ناحية الإسـلام والعقـل، ويحـرم على وسـائل الإعلام نشر المقالات والصحف المخالفة للإسلام، والمنافية للعفة العامة ومصالح البلاد، ويجب علينا جميعاً منعها من الانتشار، فكلنـا مسؤول، فإن واجه شباب حزب الله واحداً من هـذه الأمـور وجب عليهم إبلاغ الجهات المعنية والمختصة، فـإن لم تقم هـذه الجهـات بواجبها تعيّن عليهم التصدي إلى منع الفساد بأنفسهم. أسـال اللـه تعالى العون لكم جميعا)[2]

وقال في وصية أخرى موجهة للمؤسسـات الدينيـة والثقافيـة والإعلامية: (التوصـية المتواضـعة إلى حضـرات الخطبـاء والكتـاب سـواء في ذلـك علمـاء الـدين المبجلين وسـائر السـادة في المطبوعـات وجميـع وسـائل الإعلام. أعـزائي! أنتم تعلمـون مـا حصلتم عليه من طرد الطاغوت واستبداله بالجمهورية الإسـلامية، لم يكن هذا رخيصاً بل كان من دماء آلاف الشبان وآلاف الجـرحى الـذين يجب أن نعتـبر أنفسـنا مـدينين لهم حـتى آخـر عمرنـا. لا تفرّطوا بهـذه النعمـة الإلهيـة الكبـيرة بسـهولة. حضـرات السـادة الذين كان لهم دور في انتصار الثورة. اعلمـوا أن الإسـلام وإيـران

[1] () المرجع السابق، ص470.

[2] () صحيفة الإمام، 21، ص 435.

لكم، اسعوا لتكون أقلامكم وألسنتكم في خدمة الثورة وتحقيق الحرية والاستقلال في ظل الجمهورية الإسلامية وتحت راية التوحيد والإسلام الكبير. اسعوا لرفع معنويات الأمة والشعب في مقابل الشتائم التي يكيلها المنحرفون الذين يستميتون من أجل إضعاف معنوياتهم، وتجنّبوا إضعاف الأشخاص والمجموعات الخدومة للجمهورية الإسلامية والذين يعتبر إضعافهم خدمة للمستغلين العالميين والذين كمنوا للاستفادة من أقلامكم وألسنتكم. ليس من الإنصاف أن يضحي شباب الإسلام الأعزاء بدمائهم وأرواحهم بدءاً من الجيش والحرس والتعبئة والشرطة إلى الفدائيين من أبناء العشائر والأعزاء في المدن والأرياف في كل أنحاء البلاد من أجل الإسلام والمسلمين ونحن نجلس جانبا ثم نشرع بإيذاء قلوبهم النورانية بأقلامنا وألسنتنا)[1]

وهكذا قال موصيا المؤسسة العسكرية: (وصيتي إلى أفراد الجيش والحرس وقوات الدرك والتعبئة والشرطة وجميع القوى المسلحة غير النظامية هي أنكم الآن في خدمة الإسلام ومن جنود الله والمحافظين على الوطن الإسلامي. الشعب الإيراني المسلم يقدر لكم هذا ويعتبر نفسه جزءاً منكم ويعتبركم جزءاً منه ولا يوجد الآن في كل العالم بلد تصل العلاقة والذوبان فيه بين الشعب والقوى المسلحة إلى هذه الدرجة. القوى العسكرية والنظامية التي انسلخت عن الطاغوت والتحقت بالله في الوقت الذي كان التأخر عن صفوف الطاغوت يساوي الموت والتحقوا بكل ما لديهم من قوة إلى صفوف المضحين من الشعب وشرعوا بمحاربة الطاغوت وقد أدّوا دينهم بحق لإسلامهم ووطنهم وأرضوا الله تعالى عنهم أو الحرس الأعزاء وجميع القوى غير النظامية التي عملت بمساعدة الشعب على إيصال الثورة إلى النصر يؤمل أن يكون الجميع بيض الوجوه في حضرة قدس الله تعالى لأنهم بيّضوا وجه الجمهورية الإسلامية. أعزائي! كونوا يقظين لجهود من لا يعرفون الله الذين يحاولون أن يفرقوا بينكم، وبهذا يفصلون بينكم وبين الشعب وبعد ذلك يدمرون الثورة ويعرضون البلد لأسر الدول الكبرى. تجنبوا بكل ما أوتيتم من قوة الوساوس الشيطانية لعملاء الشرق والغرب وقاوموها. القوى المسلحة من أي فئة

---

[1] () المرجع السابق، ج14، ص: 61.

كانت يجب عليها الاتصاف بالوعي السياسي وفي نفس الوقت أن لا تعمـل بشـكل أعمى، يجب عليهـا أيضـاً أن لا تـدخل في الأمـور التي يدخل فيها محترفو السياسة لأن دخولها في الأمور السياسية لا بد أن يؤدي إلى أن يتمكن محترفو السياسـة إلى إيقـاع الخلاف والفرقـة بينهـا وشـد كـل فرقـة إلى جهـة وبالتـالي القضـاء على الوحدة والانسجام الكامل من أساسها وهي التي من خلالها فقــط يمكن للجيش أن يقـوم بخدمـة الشـعب والقيـام بواجبـه وتكـون النتيجة النهائية هي تعريض البلاد للأسر. أنتم أيتها القوى المسلحة العـازمون على خدمـة وطنكم! سـوف تضـطرون إلى التـأخر عن خدمــة وطنكم العزيــز عنــدما تــدخلون في اللعبــة السياســية وستنجرون نحو الشـرق أو الغـرب. الألاعيب السياسـية هي الـتي تقربكم من مجموعة وتبعدكم من أخـرى وتجعلكم تتشـاءمون من فئة من الشعب ثم يتولى الأعداء بعد حصول الخلاف بينكم توجيـه ضـربتهم. اليـوم جميـع الشـعب متفائـل بكم ويعتـبركم خـادمين للـوطن والإسـلام ويقـوم بـدعمكم وكمـا تشـاهدون فـان الصـغير والكبير والمـرأة والرجـل والجمـاهير المليونيـة منشـغلة بالخدمـة والعمل لانتصاركم)[1]

لكن المؤسســة الكــبرى الــتي نــالت اهتمامــه الأكــبر هي المؤسسة التعليمية، والتي يحـذر كثـيرا من اختراقهـا، يقـول: (إن من جملـة مـؤامراتهم الـتي نبهتُ إليهـا مـراراً وتكـراراً محـاولتهم الاسـتيلاء على مراكـز التربيـة والتعليم، وخاصـة الجامعـات الـتي يتخرج منهـا صـناع القـرار في مسـتقبل البلاد. فهـدفهم هـو عـزل المؤسسـة الدينيـة. وأمـا في الجامعـة فـإنهم يهـدفون إلى حـرف الشباب عن الثقافة والأدب والقيم الوطنية، وتوجيههم نحو الشرق أو الغرب، ثم انتخـاب قـادة البلاد من بينهم ليسـيطروا من خلالهم على مصالح البلاد ويفعلون كـل مـا يحلـو لهم، إذ يعمـد هـؤلاء إلى إباحة البلد لهم، دون أن تتمكن المؤسسة الدينية التي تم تهميشها مسبقاً من الحيلولة دون ذلـك.. وحاليـاً حيث الجامعـات والكليـات في يد أمينـة يجب العمـل على إصـلاحها، والحيلولـة دون وقوعهـا مـرة أخـرى بيـد هـؤلاء المنحـرفين والفاسـدين، فـإن في إنقـاذ

[1] المرجع السابق، ج14، ص: 62.

الجامعيين من الفساد والانحراف إنقاذاً للبلاد والشعب)[1]

وفي وصيته الإلهية قال: (إن من بين الأمور الخطيرة والحساسة والمصيرية مسألة مراكز التربية والتعليم، ابتداءً من روضات الأطفال إلى الكليات والجامعات، وها أنا أكرر التأكيد على هذه الحقيقة لأهميتها.. على شعبنا المظلوم أن يعلم أن الضربة القاضية التي جعلت من البلاد رهينة بيد قوى الشر في السنوات الخمسين المنصرمة قد سدّدت من داخل جامعاتنا، فلو أن مراكزنا التعليمية احتوت على برامج إسلامية ووطنية، وصبت جهودها في مصالح البلاد وتعليم أبنائنا وشبابنا وتهذيبهم، لما تم ابتلاع الوطن من قبل إنجلترا، والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، ولما فرضت علينا العقود المجحفة، ولما سرقت خيراتنا، ولما استطاعت أسرة البهلوي وحاشيتها نهب أموال الشعب وإنفاقها في ملذاتها وشهواتها في الداخل والخارج، ولو أن سلطاتنا الثلاث شُغلت بالطاقات المتخرجة من المراكز العلمية ذات الطابع الديني، لكان يومنا هذا هو غيره اليوم. ولكن هيهات فقد كانت المراكز العلمية تدار من قبل أشخاص هم في غالبهم من العملاء والمتأثرين بالشرق أو الغرب، وكانوا ينفّذون ما يملى عليهم من المخططات والقرارات، وينفّذون رغبات النظام الشاهنشاهي الجائر.. أما حالياً فقد تحررت الجامعات من قبضة المجرمين، فعلى الشعب والحكومة الإسلامية أن تحول دون تغلغل العناصر الفاسدة والموالية للغرب أو الشرق وإلى الأبد.. وصيتي ونصيحتي إلى شبابنا المحترم في المدارس والكليات والجامعات أن يبادروا بأنفسهم إلى الوقوف بشجاعة كاملة بوجه الانحرافات ليضمنوا استقلالهم وحرية بلدهم وشعبهم([2]

هذه بعض وصايا الإمام الخميني والإمام الخامنئي للمؤسسات المختلفة، وقد سبق أن ذكرنا في الجزء السابق تلك المؤسسات وأدوارها المختلفة في الحفاظ على القيم الثورية، ولذلك لا نكرر ذكر ذلك هنا.

وبهذا فإن الثورة الإسلامية التي نجحت في تحرك الشعب

---

[1] () المرجع السابق، ج 21، ص: 374.

[2] () المرجع السابق، ج 21، ص 429 ـ 431.

بطرق أخلاقية روحية سلمية هي نفسها التي استطاعت بفعل التخطيط الاستراتيجي العميق وضع كل الوسائل والأساليب التي تحميها من المندسين أو الانتهازيين الذين ينحرفون بها عن مسارها، وهذه هي المعجزة الأكبر للثورة الإسلامية الإيرانية.

هذا الكتاب

هــذا ليس كتابــا في تــاريخ الثــورة الإيرانيــة، ولا في تفاصيل أحـداثها، وإنمـا هـو محاولـة للتعـرف على أسـرار انتصــارها، باعتبارهــا نموذجــا مثاليــا لم يحــدث مثلــه في التاريخ.

وهو يستند في تحليلاتــه واســتنباطاته بالدرجــة الأولى لقــادة الثــورة أنفســهم، ذلــك أنهم أولى من يتحــدث عن الثــورة، وهم أعــرف بهــا من غــيرهم، ومن الخطــأ الكبــير الــذي وقــع فيــه بعض المــؤرخين لهــذه الثــورة تجــاوزهم لأولئك القادة، وتطبيقهم لتفكيرهم الرغبوي عليها.

وهو لذلك يهـدف إلى القـراءة الموضـوعية والعميقـة للثــورة الإســلامية، ورد كــل الشــبه الــتي اســتهدفتها، واسـتعملت كـل الوسـائل لتشـويهها، منـذ انطلاقتهـا وإلى الآن.

وهو أيضا قراءة اعتبارية لهذه الثورة بناء على الرؤيـة القرآنية لسـنن النصـر في الثـورات، عسـاها تصـحح تلـك الأخطاء الكثيرة التي وقعت فيها الثـورات العربيـة، نتيجـة عدم استفادتها من تلك العبر، وهو مـا جعلهـا تنحـرف عن مسـارها، أو تنهـزم هزيمـة نكـراء، أو تتحـول إلى أداة من أدوات الحرب الناعمة لضرب الأمن والاستقرار.